

علي والحاكمون

دراسة تحليلية مقارنة حول مختلف الحكومات العالمية
وحكم الإمام علي عليه السلام في دولة إسلامية مباركة



سماحة الشيخ الدكتور محمد الصادقي الطهراني

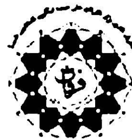
جامعة علوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

علي والحاكمون

دراسة تحليلية مقارنة حول مختلف الحكومات العالمية
وحكم الإمام علي عليه السلام في دولة إسلامية مباركة

سماحة الشيخ
آية الله العظمى الدكتور محمد الصادقي الطهراني



جامعة علوم القرآن

سرشناسه: صادقی تهرانی، محمد، ۱۳۰۵ - ۱۳۹۰.
عنوان و نام پدیدآور: علي والحاكمون؛
دراسة تحليلية مقارنة حول مختلف الحكومات العالمية و حكم الامام علي(ع)
في دولة اسلامية مباركة/ بقلم محمّد الصادقي الطهراني؛ محرر محمّد حاج محمّدی.
مشخصات نشر: قم: شکرانه، ۱۳۹۳.
مشخصات ظاهری: ۴۰۰ ص. ۱۵۰۰۰۰ ریال
شابک: ۶-۹۰-۶۳۳۷-۶۰۰-۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی: فیپا
موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. - سیاست و حکومت/ موضوع: اسلام و دولت/ موضوع: اسلام و سیاست
شناسه افزوده: حاج محمدی، محمد

رده بندی کنگره: ۱۳۹۳ BP۳۸/۰۹ ۲ص ۹س/
رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵
شماره کتابشناسی ملی: ۳۴۵۸۷۹۶



انتشارات شکرانه

مرکز نشر آثار آیت الله العظمی دکتر محمد صادقی تهرانی

علیٌ والحاكمون

دراسة تحليلية مقارنة حول مختلف الحكومات العالمية
وحكم الامام علي عليه السلام في دولة اسلامية مباركة

تأليف الشيخ

آية الله العظمى الدكتور محمد الصادقي الطهراني

حروفچینی و ویرایش: واحد تهیه وتنظیم متون انتشارات شکرانه
امور هنری: واحد گرافیک جامعة علوم القرآن
ویراستار: محمّد حاج‌محمّدی
چاپ: دانش/ نوبت چاپ: نخست، پاییز ۱۳۹۳هـ.ش، ۱۴۳۶ هـ.ق
شمارگان: ۳۰۰۰ نسخه
قیمت: ۱۵۰۰۰ تومان
شابک: ۶-۹۰-۶۳۳۷-۶۰۰-۹۷۸

قم، بلوار امین، کوی ۲۱، پلاک ۷ / کدپستی: ۳۷۱۳۹۳۴۸۹۴
تلفن: ۳۲۹۳۴۴۲۵ و ۳۲۹۲۵۴۹۹ - ۰۲۵/ نمابر: ۳۲۹۲۴۸۶۷ - ۰۲۵

www.forghan.ir
email Sadeghi@Forghan.ir

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ ١٣٩٣/٨/١٥
شماره ٩٣/١٣٤٨ ب

جامعه علوم القرآن

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا

جامعة علوم القرآن تقدم للعالم الإسلامي كتاب عليٌّ والحاكمون تأليف العالم الكبير سماحة آية الله الشيخ الدكتور محمّد الصّادقي الطهراني بالنجف الأشرف سنة ١٣٨٩ هجريّة قمريّة منذ بدءِ تطلُّبه علمياً من مباراة كتابية، فأجاب خلال من أجاب، جمعاً بين تهيئة مطاليب وترتيبها خلال خمسين يوماً، في بدايات سفرته إلى النجف الأشرف، دونما إجادة تامّة للّغة العربية، فتشرّف إلى حرم الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قائلاً زائرا وضارياً حينما يقول: «لا أنا عربي اللسان ولا أعرفك يا مولای كما يحقّ! فأسأل اللّه لي أن يحقق بغيتي في جنابك في عربية راقية ومعرفة لائقة لابقة بك!»، ولما رجع من تلك الزيارة المشرفة قال: «أفاض عليَّ ربي بما ترون، وأريته مخطوطا للمغفور له، العلامة الأميني، صاحب الغدير فقال: «هذا غدير صغير، يضّم الغدير الكبير بلياقة ولباقة!» ويعجبني ذلك التعبير المعبِّر عمّا ألفتُه، كتأليف جدير، فأكرِمْ به وأعظِمْ، تعريفاً بخليفته البشير النذير! ودعا لي بدعاءٍ غزير، رحمه اللّه من مؤلف للغدير الكبير والحمد للّه أوّلاً وآخراً» دام ذكره وطاب ثراه.

وقد منع صدام عن طبعه في النجف الأشرف؛ فطُبع مرّتين في بيروت؛ ومن ثَمَّ طبع لمرة ثالثة مع إصلاحات وإضافات في بيروت، سنة ١٤٢٥ هجريّة قمريّة.

ومن مفاخر دار الشكرانة بطبع المرة الرابعة، هذا العام طبعة منقحة محرّرة.

والسلام على من اتبع الهدى

جامعة علوم القرآن

الصادقي


السلام عليك يا أمير المؤمنين

الفهرس

❊ ❊ ❊

الإهداء

إلى مراجـع المسـلمين، مـن روحيـين وسياسـيين؛ ليركــزوا عروشـهم عـلى قلـوب الشـعوب، بـدل الدمــاء والحـروب، وليتخـذوا مـن حكـم الإمام ﷺ نبراساً، ينيـروا به درب الحياة على الرعـايا، ومتراسـا يقضــوا به على المنـايا والبـلايا، وليعلموا أن الحاكم ليس إلا ليخــدم الرعيــة تقياً عادلاً مجاهدا، لا ليملكهم ويستعبدهم ويتبنّى من جسومهم قواعد لعرشه...؛ فليدرسوا حكم الإمام علـيٍّ أميرِالمـؤمنين عليـه آلاف التحيـة والسلام لإيجاد الأمن والسلام والله هو المستعان.

محمّد الصّادقي الطّهراني

مقدمة المؤلف للطبعة الأولى

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد للّه، الذي أظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حيّر مُقَل العيون من عجائب قدرته، عزيزَ الجند، عظيمَ المجد؛ فَطَرَ الخلائق بقدرته، واستعبد الأرباب بعزته، وساد العظماء بجوده؛ الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمته العقول؛ فلم تجد مساغا إلى بلوغ غاية ملكوته، وهو الملك الحق المبين، المتجلي لخلقه بخلقه، والظاهرُ لقلوبهم بحجته؛ كل شيء خاضع له، وكلّ شيء قائم به، غِنَى كلِّ فقيرٍ، وعِزُّ كلِّ ذليلٍ، وقوّة كل ضعيف، ومَفزع كل ملهوف!

نحمده على آلائه، كما نحمده على بلائه؛ ونستعينه على وظائف حقوقه، وعلى هذه النفوس، البطّاءِ عمّا أمرت به، السرّاع إلى ما نهيت عنه؛ ونستغفره مما أحاط به علمه، وأحصاه كتابه، ونؤمن به إيمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود!

وأفضل الصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، محمّد ﷺ، ألّذي أرسله داعيا إلى الحق، وشاهدا على الخلق؛ فبلغ رسالات ربه، غيرَ وانٍ ولا مقصرٍ، وجاهد في اللّه أعداءه، غيرَ واهنٍ ولا معذرٍ. أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجمة من الأمم، وانتقاض من المبرم، فجاءهم بتصديق الذي بين يديه، بالنور

المضيء، والبرهان الجلي، والمنهاج البادي، والكتاب الهادي. أسرتُه خير أسرة، وشجرته خير شجرة، أغصانها معتدلة وثمارها متهدِّلة،[١] ولا سيّما ابن عمه، وليده، وأخيه، ووزيره، وعينه، وخليفته: علي أميرالمؤمنين، عليه أفضل صلوات المصلين، وعلى أولاده المعصومين، أئمة الدين، وسادة المتقين، والسلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين ورحمة اللّه وبركاته.

النّجف الأشرف

سنة ١٣٨٩ هجريّة قمريّة



١. مقتبسات من كلمات الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام.

مقدّمة الطّبعة الثّانية

الطبعة الأولى من «**عليٌ والحاكمون**» قد حلّت محلها من قلوب صافية وأفكار منيرة صافيه، وإن كانت ـ أحيانا ـ قاسية التعبير بالنسبة للبعض من خلفاء المسلمين، على حد تعبير البعض من إخواننا المسلمين، وهي التي قد تحول دون انتشارها كما يحق، إضافة إلى شدة وطأتِها على الحكام الظالمين، ولكنها انتشرت سراعا إسرارا وإعلانا، رغم كافة المحاولات لتجميدها، والعراقيل بجنبها، حتّى نفدت.

ولقد نقحناها وزيدناها وزودناها وخففنا وطأتها على الخلفاء، وأفردنا لكلٍّ فصلاً عن بيئتهم وكيانهم، للطبعة الثانية؛ فأصبحت خيرا من الأولى تدقيقا وتحقيقا وإسنادا عن الحفّاظ وأرباب الصحاح والسنن والمسانيد ـ مهما كانت رواياتهم قاسية ـ حفاظا على الأمانة في النقل. أرجو من الناقدين أن يشرفونا بنقودهم؛ علّنا نستفيد إن كان حقا أو نفيد إن كان سواه.

تجد هذا الكتاب كله ثورة ضد الظلم والباطل، وحركة إسلامية سامية نحو تأسيس دولة إسلامية مباركة، على اساس دولة الإمام علي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام، رفضاً لدويلات الجور والفساد، غابرِها وحاضرِها. هذه التي لاتحكم بما أنزل اللّه:

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]

استعرضتُ فيه شيئاً يسيراً من حياة الإمامعليه السلام، منذ طفولته حتى رجولته وخلافته؛ ليكون نبراساً، ينير الدرب على الحاكمين.

نفع اللّه به المسلمين الأحرار ورجعهم إلى الأمن والسلام! آمين!

بيروت ـ سنة ١٣٩٣ هجرية قمرية



مقدّمة الطّبعة الثّالثة

الطّبعتان الأوليان قد نفدتا عن الأسواق، وهذه هى الطَّبعة الثالثة بمزيدات وإصلاحات جديدة. ومنها ما في تفسيرنا الموضوعي، «خلفاء الرسول ﷺ بين الكتاب والسّنّة»، وقد يطبع تباعا مع سائر المجلّدات، حول كافة الموضوعات والمواضيع القرآنية، بمشية اللّه سبحانه وتعالى.

وقد ألّفناه منذ بدءٍ تطلّبا علميا من مباراة كتابية، فأجبنا خلال من أجاب،[1] جمعا بين تهيئة مطاليب وترتيبها خلال خمسين يوما، في بدايات سفرتي إلى النجف الأشرف، دونما إجادة تامّة للّغة العربية، فتشرّفت إلى حرم الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قائلاً زائرا وضاريا: «لا أنا عربي اللسان ولا أعرفك كما يحقّ! فاسأل اللّه لي أن

---

١. وقد إحتلّ هذا الكتاب الدرجة العليا بين كافة الكتابات في تلك المباراة العالمية. أخبر بذلك المغفور له، الشهيد الخطيب الكبير، السيد جواد شبر، في خطابه بحشد عام من علماء وفضلاء الحوزات العلمية العراقية، لا سيما النجف الأشرف، في الحسينية الإيرانية بكربلاء، قائلاً: «إن آية اللّه الدكتور الصادقي، الذي فاز في الدراستين الشرقية والغربية، وفاز أيضاً، في هذا الكتاب القيّم، مناوئيه في العالم كله...»

ولكن الحكومة البعثية برئاسة صدام منع حتى عن طبعه، ومما حصل حول هذا الكتاب بعد طبعه أن شرّفني زميلي الشهيد، آية الله السّيد محمد باقر الصدر، في بيتي بالنجف الأشرف، وقال في ما قال: «لِكَم مدّة أَلّفْتَ هذا الكتاب؟» قلت: «حصلت على مطاليب له خلال عشرين يوماً، ثم الفته خلال شهر». قال: «كيف، وأنا العرب وابن العرب، لا أقدر ان أكتب مثله، فضلاً عن تأليفه!»؛ فقلت: «هذا من فضل مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باذن اللّه ودعائه عليه السلام».

ومن ذلك، لقاء مُشرّف في بيروت، مع المغفور له، الشيخ محمد جواد مغنية، حيث قال: «انني ألّفت كتاب (الشيعة والحاكمون)» فقلت له: «وأنا الفت كتاب (علي والحاكمون) و(علي إمام الشيعة)»؛ فقال: «وأنت يا شيخ، إمامي في اللغة والأدب والعلم!» ومن ذلك، تأثّر خطيب الجمعة من إخواننا السنة في طرابلس لحدّ، وضع هذا الكتاب في القسم الأمامي في مكتبته؛ ولذلك عزلوه عن منصبه! وكذلك قيل لي: «إن جماعة من إخواننا السنة، في صحن الزينبية، كانوا يقرؤون هذا الكتاب، ويبكون!»

يحقق بغيتي في جنابك في عربية راقية ومعرفة لائقة لابقة بك!»، فما إن رجعت مـن تلك الزيارة المشرفة أفاض عليَّ ربي بما ترون، وأريته مخطوطا للمغفـور لـه، العلامـة الأميني، صاحب الغدير فقال: «هذا غـدير صـغير، يضّـم الغـدير الكبيـر بلياقـة ولباقـة»! ويعجبني ذلك التعبيـر المعبِّـر عمّـا ألفتُـه، كتـأليف جـديد، فـأكرِمْ بـه وأعظِـمْ، تعريفـاً بخليفته البشير النذير! ودعـا لـي بـدعاءٍ غزيـر، رحمـه اللّـه مـن مؤلـف للغـدير الكبيـر والحمد للّه أوّلاً وآخراً.

قم المشرفة ـ سنة ١٤٢٥ هجرية قمرية



بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم

المدخل

هذا مكرَّس صغير عن أكبر النوابغ البشرية، وأعظم القادة والهداة للإنسانية جمعاء، وأطهر الفروع القيمة من الشجرة الطيبة المحمدية صلى الله عليه وآله، التي ﴿... أَصْلُهٰا ثابِتٌ وَفَرْعُهٰا فى السَّمٰاءِ تُؤْتِي أُكُلَهٰا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّه...﴾؛ [ابراهيم، ٢٥] وها هو الإمام أميرالمؤمنين، علي بن أبي‌طالب، عليه أفضل التحية والسلام، بين أيدينا يتكلم ويخطب، ويرشدنا إلى سوي الصراط في شتى مجالات الحياة، بالرغم من القرون الطائلة الفاصلة بينه وبيننا؛ فلا الزمان بقادر أن يخنق صوته في آذاننا، أو أن يمحي ويخفق صورته وسيرته عن أذهاننا، ولا المكان بمُبعده عنّا. ورغم أنه من المستحيل علَى أيٍّ كاتب أو مؤرخ ــ مهما بلغ من النبوغ والعبقرية ـ أن يأتيك بصورة كاملة من عيار الإمام، يمثّله كما هو، ولو كان البحر مداداً لكلماته! رغم ذاك، فإنّ هذا المؤلف، على قلة باعه وكثرة أشغاله، يريد أن يرسم في هذا السِفْر المتواضع صورة جميلة إجمالية عن الإمام عليه السلام في أقواله وأفعاله وأفكاره وحلِّه وتَرحاله، وشتى مجالاته الحيوية الخالدة، يرسمها، كما يهديه إليها كتاب اللّه ومقالات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وكلمات الإمام عليه السلام نفسِه، بالنسبة لمكانته من الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وآله.

فإن مواقف الإمامِ الخطيرةَ، والذي فكّره وقالَه ذلك العملاق العبقري الكبير طيلة حياته النيرة، بينه وبين نفسه وربه، وبين الشعوب المتشعبة، إنها لم تسمعه أذن ولم تبصره عين، إلاّ من نسخته الأصلية المحمدية عليهما أفضل الصلاة والتحية.

وإذ ذاك، فكل صورة نرسمها نحن لهذا العبقري، إنما هى صورة ناقصة، إلّا ما صوّره اللّه تعالى ربُّه، وما صوَّره رسوله الأعظمﷺ، الذي ربّاه بوحي من ربه، وما عرَّف به نفسُه المقدسة.

إن الإمامعليه‌السلام، كيفما كانت معاليه، فليس إلّا تجسيداً وتمثيلاً للحقيقة المحمّدية العظمى، تلك الشجرة الطيبة التي نبتت في أرض قاحلة جرداء، لا ماء فيها ولا كلأ، أرض سقيمة عزلَى عن كل خير وبركة، لا هي تأتي بأي خير ولا إنسانُها يأتي إلّا بكل رذيلة وفضيحه. نبتت فيها وأثمرت ثمرات قيمة ثمينة، لا تستغني عنها الإنسانية أينما بلغت! وها هو الإمام فرع من ذلك الأصل، يمثله كما هو، وامتداد له كما يحق، فإنه: وليده، وأخوه، ووزيره، ونفسه المقدسة وخليفته؛ ولقد بلغ من تمثيل أصلِه القمَّةَ المرموقةَ، وهو أمّة مستقلة ليس له في الأمّة مثيل، ولا لهم غيرُه بعدَ نبيِّها بديلٌ، كأوّل دليل.

فهذه صفحات يسيرة من شخصية الإمام علي‌بن أبي‌طالبعليه‌السلام، «تلك النسخة المفردة العملاق من ذاك الأصل، النسخة التي لم يَرَ مثلَها الشرقُ ولا الغرب صورةً طبق الأصل، لا قديما ولا حديثا»[١] ولن يرَ مع الابد! وليس زورا من القول أنّه: من معجزات الرسول الأعظمﷺ ومن الشواهد الهامة على رسالته، كما يعتبره كذلك ربُّه في كتابه المجيد قائلاً:

﴿أَفَمَنْ كانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسىٰ إِماماً وَرَحْمَةً أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...﴾؛ [هود. ١٧][٢] فلا أكاد أظن أنّ التعابير تتسلم للتعبير عن شخصيته الوحيدة؛ حيث الوحيد لا يعبر عنه حتى الكثير، إلّا إذا كان يمًّا متلاطم الأمواج، وملتطم الأفواج! وإذ ذاك؛ فما لي والتعبير عن هذا العبقري العملاق، عديم النظير إلا أن أستعير من كلام ربي العزيز الخبير، ورسوله البشير النذير! ومهما يكن من شيء،

---

١. للفيلسوف الكبير جبران خليل جبران.

٢. وقد يأتي البحث في ثنايا هذا الكتاب أنه هو الشاهد من رسول‌الله، صدر عنه ويرجع إليه شاهدا لرسالته، كضياء الشمس لها في صص ٢٤ ـ ٣٣؛ بصور مفصلة وسيرة محصّلة.

ففيما يلي صورةٌ، تمثل لنا هذا الزعيمَ الإنساني الوحيد من بعيد، أنّ له الاختصاص الأتم بالرسول الأعظمﷺ، وله القيادة العظمى والسياسة العليا في الحكومة العادلة بما لها من محض الحقيقة، بعد الرسولﷺ، وفي الحكم والقضاء العادلين بين الشعوب المتشعبة، وفي تأسيس الأنظمة الدولية والدوائر العامة في شتى أرجاء الحكومة، من دائرة التجنيد والدفاع عن النواميس المقدسة الإسلامية والإنسانية، وإدارة الثقافة والتربية العامة، وشتات أنظمتها البالغة بالشعوب إلى أرقى مراقيها، ومن الإقتصاد وتنمية الأموال، ومن سائر الأسس التي أسستها الحكومة المحمدية الغراء الخالدة، فيما يرجع إلى الحياة في كُلّما تمسه حاجة الإنسان فرديا وجماعيا؛ حيث إن بطولات الإمام لن تقتصر على ميادين الحرب ومناضلة الشجعان؛ حتى يوصف بالشجاعة فحسب؛ فقد كان بطلاً سابقاً، في شتى ميادين الكمال والفضيلةِ، كلَّ المناوئين، كيفما كانوا وأينما كانوا.

إنّ هذه صورة تمثِّل حكومة العدل، بصميم حقيقتها ومعناها، وسلطانَ الحق الذي لا بديل له، من ظل اللّه الذي يأوي إليه كل مظلوم ويفرّ عنه كلُّ ظالم مشؤُوم.



القواعد الأربع

لعرش الخلافة الإسلامية الكبرى

للإمام أمير المؤمنين عليه السلام

القاعدة الأولي لعرش الخلافة: الولادة

ولد الإمام في قبلة الإسلام!

من كان في حرم الرحمن مولده   وحاطه اللّه من بأس وعدوان [1]

مولده خير مولد، ومنبته خير منبت، ومرماه خير المرامي...؛ فلقد وُلد في أول بيت وُضِع للناس، لَلَّذي ببَكَّةَ مباركاً وهدى للعالمين، وكانت ولادته فيه من أكبر الآيات الحاكية لمكانته العظيمة من رب البيت؛ حيث انشق جدار البيت حينما ظهر قمره المنير إلى الوجود، كما انفجر عنه فجر الإسلام بينابيع العلم والتُقى طيلة حياته النيرة.

ولد في بيت اللّه لكرامته على اللّه، واستُشهد في بيت اللّه لشدة عدله وقوة وطأته وتنمُّره في ذات اللّه، وهو بين مهده ولحده في طاعة اللّه.

فيا لمولد الإمام في بيت اللّه من تشريف، خُصَّ به، لم يسبقه إلى ذلك سابق ولم يقع للاحق وحتى القيامة! أللهم إلاّ سيّد الرّسلﷺ إذ كان أكرم من الكعبة المكرمة، حيث يقسم اللّه به دونها؛ [2] فطوبى لمكة المكرمة له مولدا، وللنجف الأشرف مثوى لجثمانه الطيب، ما أكرمَهما وأطيبهما مهدا ولحدا!

---

١ من غديرية السريجي الأوالي.

٢. حيث يقول: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد،٣] بعد قوله: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد، ١]؛ إذ ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد، ٢] حلولاً لك إياه؛ فأنت أعظم من هذا البلد، لا فحسب، بل ﴿... وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد، ٣] تعني: أفضل ما تعني ولادة عليعليه السلام عنه علميا ومعرفيا.

«... فاطمة، بنت أسد، تشتكي المخاض وأبوطالب زوجها حائر قلق، لا يدري ماذا يصنع؟ فإذا برسول اللّه صلى الله عليه وآله يصادفه قائلاً: يا عمّ، ما شأنك؟ فأخبره؛ فأخذ الرسول صلى الله عليه وآله بيده، فجاءا إليها، فذهب بها إلى الكعبة المكرمة، فأجلسها فيها قائلاً: اجلسي على بركة اللّه، على اسم اللّه. فطَلقت طلقة طيبة دون دمٍ؛ فولدت غلاما طيبا مسرورا نظيفا؛ فسماه أبوطالب عليّا، وحمله الرسول صلى الله عليه وآله حتى إذا أدّاه إلى منزلها».[١]

أجل، لقد انشق جدار البيت لفاطمة بنت أسد؛ فدخلته، ثم التأمت الفتحة. فلم تزل في البيت العتيق؛ حتى ولَدت مشرف البيت، بذلك الهبوط الميمون، وأكلت من ثمار الجنة، لم ينغلق صدف الكعبة عن درِّه الدري إلّا وأضاء الكون بنور محياه الأبلج، وفاح في الأجواء شذى عنصره الأقدس، وهذه حقيقة ناصعة، أصفَقَ على إثباتها الفريقان متواتراً.[٢]

«إن الإمام عليه السلام لا يفتح عينيه ـ من حين يولد ـ في وجه أحد إلى ثلاثة أيام، حتى جاء النبي صلى الله عليه وآله، فأخذ عليه السلام ينظر إلى وجهه المنير؛ ليقتبس من أنوار قدسه منذ البدء، فيقول الرسول صلى الله عليه وآله آنذاك: خَصَّني بالنظر وخصصته بالعلم».[٣]

ظلّ الإمام ــ من حين ولد ــ يترعرع في ظِل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ولم يكد يفتح عينيه على هذه الرسالة السامية حتى أمتعها من مهده إلى لحده، فظَلَّ يتطور في أطوار حياته النيّرة الرسالية وقبلها، استيحاءً من صميم

١. البحار: ٣٠-٣٥، الطبعة الحديثة، عن علي بن الحسين عليهما السلام، أوردناه مختصرا.

٢. المستدرك للحاكم، ج٣، ص٤٨٣؛ قال متواتر ـ الحافظ الكنجي الشافعي في الكفاية من طريق ابن النجار عن الحاكم النيسابوري ـ أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي الشهير بشاه ولي اللّه والد عبدالعزيز الدهلوي مصنف التحفة الإثنا عشرية في الرد على الشيعة قال: متواتر ـ الآلوسي صاحب التفسير في (شرح الخريدة الغيبية) ــ مروج الذهب ٢: ٢ ـ تذكرة خواص الأمة ٧ لابن الجوزي ـ الفصول المهمة ١٤ لابن الصباغ ــ السيرة النبوية، ج١، ص١٥٠؛ لنور الدين الشافعي ـ شرح الشفا، ج١، ص١٥١؛ للشيخ علي القاري الحنفي ـ مطالب السئول ١١ لابي سالم الشافعي ــ محاضرة الاوائل ١٢٠ للسكتواري ـ مفتاح النجا في مناقب آل العبا لميرزا محمد البدخشي ــ المناقب للترمذي ــ مدارج النبوة للدهلوي ـ نزهة المجالس، ج٢، ص٢٠٤؛ للصفوري ـ روائح المصطفى ١٠ للبردواني ـ نور الابصار ٧٦ للشبلنجي ـ كفاية الطالب ٣٧ للشنقيطي وطائفة آخرون.

٣. نفس المصدر، ج٤، صص٣٨-٣٩٤.

معاليهـا، ولكـي يكـون هـو المسـاعد الأول والمستشـار الأجـلّ للرسـول الألمعـي الأبطحي ﷺ.

فرسول اللّه ﷺ هو الذي يدلّ على مولده الطيـب، ثـم يخصـه بالتربيـة فـي حجـره ويصنعه على عينه ويرعاه برعايته.

أخذه من والديه قبل أن يبلغ الرابعة من سنّه، فضـمَّه إلـى نفسـه المقدسـة، وهـذه أوّل الأزمنة التي يتأهل فيها الطفل لتلقّي بذور الأخلاق الفاضلة.

«ذلـك حينمـا أصـابت قريشـاً أزمـةٌ شـديدةٌ، وأبوطالـب ذو عيـال كثيـر، فقـال رسول اللّه ﷺ لعَمِّه العباس ـ وهو من أيسر بني هاشم وأغناهم ـ: إنطلق بنـا، نخفّـف عن أخيك عيالَه، آخذ من بنيه واحداً وتأخذ واحداً؛ فأخذ الرسـول ﷺ عليـاً عليه السلام فضـمه إليه وألحقه بأسرته، وأخذ العبـاس جعفـراً فضـمه إليـه، فلـم يـزل علـيٌّ مـع الرسـول الأعظم ﷺ، يترعرع في كنف رحمته وتربيته، حتَّـى بعثـه اللّـه نبيّـا، فاكتملـت تربيتـه عنده بصبغة النبوة والوحي».[١]

إن الرسول ﷺ يستهدف في ذلك أمرين:

١ ـ ليخفف العبء عن كاهل عمّه.

٢ ـ ويضع عن نفسه المقدسة وزر الرسالة بنصرته ومعونته، تناصـرا مـن الجـانبين، وليس يحق ذلـك إلّا فـيمن يربيـه كمـا يحـب ويجـب؛ ليسـتلهمه ﷺ كيـف يـوازره وينصره في الظروف الراهنة من حياته المنيرة.

أجل، إنه لم يكن الرسول ﷺ ليأخذ عليا من والديـه بـين أولادهمـا لمجـرد التخفيـف عنهما، ولا صدقةً، وإنّما كان ينظر إليه بنور الله، فيرى فيه تلك العبقريـة العظيمـة، يسـطع نور الإيمان والنباهة وفروغ البلوغ والنبـوغ مـن صـفحات وجهـه المنيـر، وجبينـه السـاطع بالحق واليقين؛ فكل جنس يميل إلى شاكلته، والمؤمن ينظـر بنـور الله؛ فيخـرق الظلمـات إلى النور.

١. البحار ٢٤ ـ ٣٥ الطبعة الحديثة نقلاً عن مجاهد ذكرناه مختصرا.

فلقد كانت في هذه الأخذة الرابية، تخفيفٌ عن أبي‌طالب، وتخفيف عن أوزار الرسالة وأثقالها للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إذ رباه، وإظهارُ ثقلٍ عظيم للأمّة الإسلامية إلى الوجود، يوتِّد سفينة نجاة الأمة، وينجيها عن التورُّط في ورطات الهلاك.

وقد يعُدُّ الإمام عليه السلام هذه التربية الخالدة لنفسه في حجر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، من أوليات الصفوف من صنوف فضائله، ويفتخر به في مفاخره قائلاً:

«وقد علمتم موضعي مِن رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حِجره، وأنا وليدٌ، يضُمّني إلي صدره، ويكنفني في فراشه، ويُمِسّني جسده، ويُشمّني عَرْفه، وكان يَمضغ الشيء ثمّ يُلقمنيه؛ وما وجد لي كَذبةً في قول، ولا خَطلة في فعل. ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظمَ ملَكٍ يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالَم ليلَه ونهارَه، ولقد كنتُ أتّبعه اتّباع الفصيل إثر أمِّه، يَرفع لي في كلّ يوم مِن أخلاقه عَلَماً، ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كلّ سنة بِحِراءَ؛ فأراه ولا يراه غيري. ولم يجمع بيتٌ واحد يومئذ في الإسلام غير رسول‌الله صلى الله عليه وآله وخديجةَ، وأنا ثالثُهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة، ولقد سمعت رَنَّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله؛ فقلتُ: يا رسول الله! ما هذه الرّنَة؟ فقال: هذا الشيطان، قد أيِس مِن عبادته! إنّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنّكَ لستَ نبيٍّ، ولكنّكَ لوزيرٌ وإنّكَ لعلَى خيرٍ»![1]

أجل، إنّه كان يُنيمه في فراشه في طفولته؛ ولكي ينام هو وحده على فراشه في رجولته وبطولته، ذَوداً عنه وصيانةً لنفسه المقدسة، احتفاظا على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ حيث المشركون ائتمروا في قتله أو إبادته.

---

١. نهج البلاغة، الشريف الرضى، بشرح محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الخطبة: ١٩٢، ج٢، ص ١٥٨.

إذ ذاك، يدعو عليّا ويخبره بما يوحي إليه ربُّه: «أوحى إلَيَّ ربّي أن أهجر دار قـومي، وأنطلق إلى غار ثـور تحـت ليلتـي هـذه، وأن آمـرك بالمبيـت علـى فراشـي؛ ليخفـى بمبيتك عليهم أمري، وأشتمل ببردي الحضرمي».

وحينذاك يجيبه مُسرعاً فرِحاً، فيضمه الرسول إلى صدره ويعانقه، وكما ضـمَّه إليـه منذ طفولته، ولكي يذود عنه ذوداً عن الإسلام.

يقول ابن عباس، ذلك الصحابي الكبير ـ مقبول الأمة الإسلامية جمعاء ـ:
«سألت أبي عن وُلد رسول اللّه صلى الله عليه وآله الذكور، أيهم كان رسـول الله صلى الله عليه وآله لـه أشـد حبّـاً؟ فقـال: علي بن أبي طالب، فقلت: سألتك عن بنيه! فقال: إنه صلى الله عليه وآله كان أحب عليه مـن بنيـه جميعـا وأرأف، ما رأيناه زائله يوماً من الدهر منذ كان طفلاً، إلا أن يكون فـي سـفر لخديجـة، ومـا رأينا أبا أبرَّ بابن، منه صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام، ولا ابناً أطوع لأب من علي له صلى الله عليه وآله»![1]

فمن استقى عروقه من منبع النبوة المحمدية، وارتضع من ثـدي الرسـالة الختميـة، وتهدَّلت أغصانه من نبعة الولايـة الإلهيـة، ونشـأ فـي حجـر الـوحي، وربـي فـي بيـت التنزيل، ولم يفارق الرسـول صلى الله عليه وآله طيلـة حياتـه، هـل إن ذلـك العبقـرى يقـاس بسـائر الناس؟ أم هل يُقرن بنظـائر كـابن أبـي قحافـة وابـن الخطـاب وابـن عفـان؟ أم متـى اعترض الريب فيه حتى صار يُقرن إلى هذه النظائر؟!



١. البحار الطبعة الحديثة ٣٨: ٣٢٣.

علي أول من أسلم

يصرح به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فيما تواتر عنه، قال صلى الله عليه وآله: «أولكم وارداً ــ وردا ــ عليَّ الحوض، أولكم إسلاماً: عليٌّ بن أبيطالب».[١]

وقال صلى الله عليه وآله: «لقد صلَّت الملائكة عَلَيّ وعَلَى عِلِيٍّ سبع سنين؛ لأنا كنا نصلي، وليس معنا أحد يصلي، غيرُنا»،[٢] ومعهما خديجة كما ورد عنه صلى الله عليه وآله. وكما تواتر عن عليٍّ عليه السلام ــ قال عليه السلام: «أنا عبدالله وأخو رسول‌الله، وأنا الصديق الاكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب مفترٍ، ولقد صليت مع رسول‌الله صلى الله عليه وآله قبل الناس بسبع بسنين، وأنا أول من صلى معه».[٣]

ولقد روت جماعة كثيرة بطرقٍ عدَّةٍ، عن كثير من الأصحاب والتابعين: «إن عليّاً عليه السلام أول من أسلم وصلّى»،[٤] كما أخرجه العلامة المغفورُ له، في

---

١. أخرجه الحاكم في المستدرك، ج٣، ص١٣٦؛ وصححه، والخطيب البغدادي في تاريخه، ج٢، ص٨١؛ ويوجد في الاستيعاب، ج٢، ص٤٥٧؛ وشرح ابن أبي الحديد، ج٣، ص٢٥٨؛ وروى مثله السيرة الحلبية، ج١، ص٢٨٥؛ وسيرة زيني دحلان، ج١، ص١٨٨؛ ومناقب الفقيه ابن المغازلي ومناقب الخوارزمي.

٢. مناقب الفقيه ابن المغازلي باسنادين وأسْد الغابة، ج٤، ص١٨؛ ومناقب الخوارزمي وكتاب الفردوس للديلمي وشرح ابن ابي الحديد عن رسالة الإسكافي، ج٣، ص٢٥٨؛ وفرائد السمطين ب ٤٧.

٣. إسناده من طريق ابن أبي شيبة والنسائي وابن ماجة والحاكم والطبري صحيح رجاله ثقات.

٤. من المروي عنهم: أنس بن مالك ـ بريدة الاسلمي ـ زيد بن أرقم ــ عبدالله بن عباس ــ عفيف ــ سلمان الفارسي ـ أبو رافع ـ أبوذر الغفاري ـ المقداد بن عمرو الكندي جابر بن عبدالله الأنصاري ـ أبو سعيد الخدري ـ حذيفة بن اليمان ـ عمر بن عتبة ـ مالك بن الحارث الاشتر ـ عدي بن حاتم ــ محمّد بن الحنفية ــ طارق بن شهاب الاحمسي ـ عبدالله بن هاشم المرقال ـ عبدالدين حجل ـ أبو عمرة بشير بن محصن ـ عبدالله بن خباب بن الأرت ــ عبدالله بن بريدة ـ محمّد بن أبي بكر ـ عمرو بن الحمَق ـ سعيد بن قيس الهمداني ــ عبدالله بن أبي سفيان ــ خزيمة بن ثابت الأنصاري ـ كعب بن زهير ـ ربيعة بن الحرث بن عبدالمطلب ـ الفضل بن أبي لهب ــ أبو الأسود الدؤلي ـ مالك بن عبادة الغافقي ـ جندب بن زهير ـ زفر بن يزيد ـ جرير بن عبدالله البجلي ــ عبدالله بن حكيم التميمي ـ عبدالرحمن بن حنبل ـ أبو عمرو عامر الشعبي ـ أبو سعيد الحسن البصري ـ الإمام محمّد بن علي الباقر ــ قتادة بن دعامة الاكمة البصري ـ محمّد بن سلم المعروف بابن شهاب ـ أبو عبدالله محمّد بن المنكدر ــ أبو حازم سلمة بن دينار ـ أبو عثمان ربيعة بن أبي عبدالرحمن المدني ـ أبو النضر محمّد بن السائب الكلبي ــ محمّد بن إسحاق ـ جنيد بن عبدالرحمن.

الغدير.[1] وقد تربو هذه الروايات مائة رواية؛ فلا يُعبأ بما ترويه شبابة عن فرات بن السائب قال: قلت لميمون بن مهران: «أبوبكر الصديق أول إيمانا بالنبي أم عليبن أبي طالب؟ قال: لقد آمن ابوبكر بالنبي زمنَ بحيرا الراهب، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه، وذلك كله قبل أن يولد علي بن أبيطالب!»

وأصدِقْ بحديث! لم ينقل عن الرسولﷺ، ولا عن أبيبكر، ولا عن أحد من الصحابة! وقد يكذّبه نفسه؛ إذ الإيمان قبل النبوة لا نعرف له معنىً، لا سيما إن الايمان الظاهر من أبيبكر لم يكن إلّا بعد النبوة بسنتين!



عليٌ وُلِد مسلماً

حصيلةُ البحث عن ولادة الإمامؑ وتربيتِه أنَّه وُلِد مسلماً، بكلتا الولادتين؛ فولادته الجسدانية كانت في قِبلة الإسلام بدلالة نبي الإسلام، وولادته العقلية والروحانية كانت في حجر الهدى وجو الوحي والرحمة؛ حيث ننظر إلى ميلاد المعاني الإنسانية من نبوِّ الروح والعقل وأخذهما في التكامل، كما ننظر إلى ميلاد المواد الجسمانية من صدورها عن مصادرها المادية.

والإمام فتح عينيه في وجه منير من الرسول البشير النذيرﷺ قبل أن يفتحه في وجه أحد حتى والديه، وتعلّم منه عبادة اللّه الواحدِ المتعالِ قبل أن يعلم بوجود الأصنام والطواغيت، وسمع رنين العبودية للّه الواحد قبل أن يسمع رنة الشيطان؛

١. الغدير، العلامة الأميني، ج ٣، صص ٢٢٠- ٢٣٥.

واستكملت فطرته السليمة البارقة ببوارق التوحيد وأنوار اليقين قبلَ أن تتكدر بغبارات الضلال ومزلات الشياطين.

لم يزل رسول اللّه صلى الله عليه وآله يسير به سيره ومسيره المقدس، ويذهب به مذاهب الهدى إلى ان ابتعثه اللّه رسولاً صلى الله عليه وآله، فآمن به قبل الرجال وقبل رجولته وبلوغ الحُلُم، ولمّا يشمُلْه قلم التكليف في ظاهر الحال؛ فأصبح يسبق الرجال في كافة ميادين الرجولة والبطولة.

أجل، إنه صلى الله عليه وآله يصطنعه لنفسه وزيراً؛ فليُصنع على عينه ورعايته دون انفصال، ثم ليسبق المسلمين كافةً في الإسلام، وقد يَعُدّ سبقَه في الإسلام من فضائله قائلاً يوم الشورى: «لم يُسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم».[1]

فقد صُدِر الإمام عليه السلام عن مصدر الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله صدور الأشياء عن مصادرها ومعادنها الأصيلة؛ فهو استمرار للرسول صلى الله عليه وآله وشيء عظيم من كيانه؛ لأنه صلى الله عليه وآله صبغه بصبغته، وصنعه برعايته وصنعته، وكوّنه بكيانه؛ حتى جعله صِنواً من نفسه المقدسة.

من هنا وهناك، يظهر لنا هذه البارقة، أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كان من بادئ بدءٍ يمهِّد لعليٍّ عليه السلام سبيل الخلافة والقيادة الإسلامية الكبرى بوحي من اللّه؛ وحقٌّ لصنيعِ خير الورى صلى الله عليه وآله أن يكون خير الورى بعده، يحذو حذوه وينحو نحوه.



القاعدة الثانية لعرش الخلافة: الأخوة

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يولِّد ويكوِّن الإمام عليه السلام مثل كيانه، حتى يجعله أخاً لنفسه، فأكِرم بولدٍ يدعوه الوالد أخاً لنفسه، يمثله بمثاله، ويرفعه إلى مكانته؛ حيث آخى بينه وبين

---

١. نهج البلاغة، عبده، الكلام: ١٣٩، ج٢، ص٢٢.

نفسه المقدسة في مكّة المكرمة قبل الهجرة، وفى المدينـة المنـورة بخمسـة أشـهر بعـد الهجرة، إذ يواخي بين المهاجرين والأنصار مرتين هـاتين، ويتخـذ، لهـذه الغايـة الغاليـة، نفسَها عليّاً أخاه. يؤثِره بذلك علَى من سواه؛ فقد آخى بين عمر وأبىبكـر، وبـين عثمـان وعبدالرحمن بن عوف في المرة الأولى، ثم في الثانيـة بـين أبـيبكـر وخارجـة بـن زيـد، وبين عمر وعتبان بن مالك.

أمّا عليٌّ، فكان في كلتا المرتين أخا رسول اللّه ﷺ، وذلـك تفضـيلاً لـه علـى مـن سواه، كما تواتر به النقل،[١] ويقول له رسول اللّه ﷺ: «أنت أخي فـي الـدنيا والآخـرة».[٢] ويقول ﷺ: «أما أنت يا علي، فأخي وأبو ولديَّ ومِنّي وإلَيَّ».[٣]

وإلى أن حضرته الوفاة، قـال ﷺ: «أُدعـوا لـي أخـي؛ فـدعوا علياً ؑ»؛ فقـال ﷺ: «أُدنُ منّي» فدنا ؑ منه وأسنده إليه، فلم يزل كذلك، وهو يكلمه؛ حتى فاضت نفسـه الزكية؛ فأصابه بعض ريقه.[٤]

ومِـن مقالاتـه ﷺ فـي أخوَّتـه: «مكتـوب علـى بـاب الجنـة: لا إلـه إلاّ اللّـه، محمّـد رسول اللّه، عليٌّ أخو رسول اللّه... قبل أن تُخلَق السماوات والأرض بألفي عام».[٥]

أجـل، إن الشـكل ينضـم إلـى شـاكلته، ولا سـيّما أن المنضـمَّ إليـه، هـو الرسـول الأعظم ﷺ؛ فكما أن الإمام كان هنـاك بـين وُلْـد الرسـول ﷺ ولَـدَهُ الفريـد ــ ولادة

---

١. حديث المواخاة ذكره العلامة الأميني في الغدير، ج٣، صص١١٣ـ ١٢٥؛ عن خمسـين مصـدرا مـن طـرق إخواننـا، وممـن رواه ابن عباس وابن عمر وزيد بن أرقم وزيد بن أبي أوفى وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان ومخدوج بن يزيد وعمـر بـن الخطاب والبراء بن عازب وعلي بن أبيطالب ونفر آخرون عن رسول اللّه ﷺ .

٢. أخرجه الحاكم في المستدرك: ج٣، ص١٤، عن ابن عمر من طريقين صحيحين، وأخرجه الـذهبي فـي تلخيصـه مسلّماً لصحته، والترمذي فيما نقله عنه ابن حجر في ص٧٣ من صواعقه، وأرسله كل من تعرض لحـديث المواخـاة من أهل السير والأخبار، ارسال المسلمات.

٣. أخرجه الحاكم في المستدرك: ج٣، ص٢١٧؛ بسند صحيح على شرط مسلم واعترف الذهبي بذلك في تلخيصه.

٤. أخرجه ابن سعد في الطبقات: ج٢، ص٥١؛ وتجده في كنز العمال: ٤– ٥٥.

٥. مناقب أحمد ـ تاريخ الخطيـب، ج٧، ص٣٨٧؛ الريـاض النضـرة، ج٢، ص١٦٨؛ تـذكرة السـبط، ص١٤ ــ مجمـع الزوائـد، ج ٩، ص١١١؛ مناقـب الخـوارزمي، ص٨٧؛ شـمس الأخبـار، ص٣٥؛ عـن مناقـب الفقيـه ابـن المغـازلي ــ كنزل العمال، ج٦، ص ٣٩٩؛ عن ابن عساكر ـ فيض القدير، ج٤، ص٣٥٥؛ كفاية الشنقيطي، ص٣٤؛ مصباح الظـلام، ج٢، ص٥٦؛ نقلاً عن الطبراني. ر: الغدير، ج٣، ص١١٧.

روحية مقدسة ـ كذلك هنا هو أخوه الوحيد، لا يضاهيه أحد من المسلمين؛ فلقد رقى عن مرقى الولادة إلى عرش الأخوة من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ حيث كان التآخي بينه وبين نفسه المقدسة صلى الله عليه وآله روحياً، كمثل ولادته الروحية.

وحقيقة هذه الأخوة هي المماثلة والموازرة؛ إذ إنّ الأخ يماثل أخاه، وهو عونه وظهره وظهيره. أجل، إنه والرسولَ أخوان بعد أن كان عليه السلام ولدَه صلى الله عليه وآله، إلّا أنه أخوه الأصغر.

وإن حديث الوزراة والمنزلة من هذه الأخوة الرائعة لمن أثبت الآثار، تناقله الفريقان عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ومنهم الخلفاء الثلاثة والأئمة الأربعة ونفر كبير من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله.[١]



١. أخرجه، مِن إخواننا، نفر كبير واليكم البعضَ، منهم: أخرج الكراجكي صاحب كنز الفوائد علي أبي كريب عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وعن سعيد بن المسيب عنه، وأحمد بن مردويه باسناده عن أنس عنه صلى الله عليه وآله، والحافظ أبونعيم الإصفهاني عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله، والحافظ محمّدبن مؤمن الشيرازي عن صخر بن حرب عنه صلى الله عليه وآله، وعدة الطالب عن أبي‌سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله، وباسانيد أخر عن عدة عنه صلى الله عليه وآله، وأخرجه البغوي في صحيحه، ج٣، ص٥٤؛ عن مصعب بن سعد عن أبيه عنه صلى الله عليه وآله، ومسلم أيضا عنه عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله، وابن المغازلي عن عامر بن سعد عن أبيه عنه صلى الله عليه وآله.

والحاكم أبونصر الحربي في كتاب «التحقيق لما احتج به أميرالمؤمنين يوم الشورى»، وهو من عيان المذاهب الأربعة، ذكر عن نفر كبير حديث المنزلة عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله، وروي عن أبي‌العباس بن عقدة الحافظ أنه رواه عن أبي‌بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبداللّه‌بن عوف، سعد بن أبي‌وقاص والحسن‌بن علي عليه السلام وعبداللّه بن عباس، وعبداللّه بن عمر، وابن المنذر، وأبي بن كعب، وأبي اليقظان، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبداللّه الأنصاري، وأبي‌سعيد الخدري، ومالك بن حويرث، وزيد بن أرقم والبراء بن عازب، وانس بن مالك، وجابر بن سمرة، وحبش بن جنادة، ومعاوية بن أبي‌سفيان، وبريدة الأسلمي، وفاطمة بنت رسول‌اللّه عليها السلام وفاطمة بنت حمزة، وأسماء بنت عميس، أروى بنت‌الحارث بن عبدالمطلب، ويروي ابن‌الأثير في جامع‌الأصول من صحيح البخاري وصحيح مسلم وصحيح الترمذي عن سعد بن أبي‌وقاص، ورواه البغوي في المصابيح وشرح السنة، والبيضاوي في المشكاة عن الصحيحين ومسند أحمد وغير هؤلاء من أصحاب الأصول والمحدثين والمفسرين من أخواننا، وأما من طريق اصحابنا فلا تحصى كثرة وفيما نقلناه كفاية لمن هداه اللّه.

القاعدة الثالثة لعرش الخلافة:
الوزارة

علي وزير الرسول ونصيره الأوحد

هذه هي القاعدة الثالثة لعرش الخلافة الكبرى الإسلامية السليمة للإمام عليه السلام، بعد قاعدتي الولادة والأخوة، يؤسسها ويركزها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله على صعيد من الصفا والإيمان والرحمة والحنان، فمن أحاط علماً بسيرة النبي الأقدس صلى الله عليه وآله وفي تأسيس دولة الإسلام وتنظيم شؤونها عن اللّه عزّوجلّ، يجد عليّاً وزيره في أمره وظهيره على عدوه، وعيبةَ علمه، ووارث حكمته ووليَّ عهده وصاحب الأمر من بعده. ومن وقف علي أقواله وأفعاله في حِلِّه وتِرحاله، يجد نصوصه في ذلك متواترة متوالية من مبدأ أمره إلى منتهى عمره، وكما يخاطبه قائلاً:

«يا علي! أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنه لا نبي (لا نبوة) بعدي».

وهذا من رسول اللّه صلى الله عليه وآله إعلان في الأُمّة الإسلامية جمعاء، أن منزلة الإمام منه صلى الله عليه وآله كمنزلة هارون من موسى إلّا في النبوة؛ حيث ختمت بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فنتسائل عن كيان هذه المنزله وحدودها مسؤول صدق لا يكذب ولا يغدر، وهو مقبول الأمة أجمعين على شتات مذاهبهم وإليه يرجع الأمر كله: وها هو كتاب اللّه بين أيدينا يرشدنا بالوحي دون ريب أو ستار، ويفسر لنا هذه المنزلة الرفيعة في قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هارُونَ أَخِي * اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً * قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى﴾ [طه. ٢٥ ـ ٣٦]

هذه الآيات ترشدنا أن وزارة هارون لموسى أخيه، كانت في أمرين:

١ـ شدّ أزره، ومواساته في الدعوة وتبليغ الرسالة، وفي بأس الأعداء.

٢ـ مشاركته في أمر الرسالة: أن ينتجبه اللّه رسولاً يوازره في الرسالة الإلهية.

واعتباراً بآية المنزلة، فحديث المنزلة تقرر للإمام هاتين المنزلتين؛ ــ إلّا الوحي والنبوة ـ حيث ختمت بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وإلاّ لصار الإمام صلى الله عليه وآله نبيّاً، كهارون من موسى عليه السلام؛ فليكن للإمام المشاركة مع الرسول صلى الله عليه وآله في شتَّى فضائله الخاصة به اطلاقا إلّا النبوة فحسب، من العصمة العليا في العلم، والتقى، والطهارة، والإيمان، وما إليها من فضائله القدسية اللائقة بالرسالة الختمية، فهو قرينه صلى الله عليه وآله ومثيله في هاتيك الكمالات والعبقريات التي اختص بها دون العالمين، يحذو حذوه وينحو نحوه ويمثله كما يحق.

وليكن من رسول اللّه صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنوِ والذراع من العضد، قضيةً للأخوة والوزارة، وليحمل عنه أثقال الدعوة وأوزار الرسالة ويواسيه في شتى المعارك الهائلة في سبيل الدعوة.

ولقد وفى اللّه للإمام عهد الوزاره؛ فطهَّره، كما طهَّر رسوله، وأذهب عنه الرجس، كما أذهب عنه، وعصمه وتداركه برحمة منه، كما تداركه، وآتاه ما آتاه إلّا النبوة، كما تفيده آية التطهير.[١]

والإمام يفي بعهد الولاية والوزارة، ويضحّي لتركيز هذه الرسالة والدعوة المقدسة ونشرها، ولتحطيم أسس الكفر والضلال، يضحّي بنفسه ونفيسه؛ حتى نزلت في شأنه آية التضحية:

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضٰاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]

وذلك حينما بات على فراش الرسول صلى الله عليه وآله وخطر المشركين هاجم على فراشه؛ حيث يواخي اللّه بين جبرئيل وميكائيل قائلاً: «إني ءَاخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر؛ فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟» فاختار كلاهما الحياة؛ فأوحى اللّه إليهما: «ألا كنتما مثل علي بن أبيطالب، ءَاخيت بينه وبين محمّد صلى الله عليه وآله؛ فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة. اهبطا إلى الأرض؛ فاحفظاه من عدوه. فنزلا فكان

---

١. راجع تفصيل البحث حول الآية في الفرقان ويأتي هنا اختصارا عنه.

جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبرائيل ينادي: بخٍّ بخٍّ مَن مثلك يا ابن أبي‌طالب؟! يباهي اللّه بك الملائكة»؛ فأنزل اللّه في ذلك هذه الآية.[1]

ولقد منّ اللّه على رسوله أن شدّ أزره وشرح صدره ورفع ذكره ووضع عنه وزرَه، الذي أنقض ظهره، بأخيه ووزيره علي‌عليه‌السلام، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ❁ وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ ❁ اَلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ❁ وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ﴾؛ [الشرح. ١ ـ ٤] فإن الوزر الذي وضعه اللّه عن عاتق الرسول الأعظم‌صلى‌الله‌عليه‌وآله ليس وزر العصيان، كيف، وقد أذهب عنه الرجس وطهره تطهيراً؟! ولا وزر الرسالة واستقامة الدعوة فيها، كما أمَرَه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ...﴾؛ [هود. ١١٢] إذ يستلزم عَزْلَه‌صلى‌الله‌عليه‌وآله عن الرسالة قبل استكمال مدته وبلوغ أجله. وحاشاه أن يُهان بعد كرامة الرسالة، أم كيف يهان بلسان الامتنان؟ وحاش اللّه أن يعزل رسوله دون خطيئة يقترفها، أو تقصير في تبليغ الرسالة، ودون جهل به إذ ابتعثه! ومهما يكن من أمر كهذه ـ ولن يكون ـ فكيف يوحي إليه بهذه الآيات وحي النبوة بعد عزله عنها؟!

كلّا! لا هذا ولا ذاك... وإنما يقول: ﴿وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح. ٢] تعبيرا عن تخفيف أثقال الرسالة وأعبائها عن عاتقه الشريف بوضع الوزر؛ إذ لا وزر على الرسول أثقل من رسالته. ومما لا يريبه شكٌّ، أنّ وضع الوزر وتخفيفه عن المَلِك، ليس إلّا بوزير يوازره ويواسيه ويناصحه؛ فهو يشرح صدرَ الملك ويرفع ذكره ويُعلي أمره، بالتضاحي بنفسه ونفيسه لتركيز قواعد عرشه وتحقيق أهدافه.

والوزراة ـ كما نعلم ـ ليست في صميم معناها إلّا ولايةَ العهد والنيابةَ الأولى من وليِّ الأمر، ليس فوقها كيان إلّا كيان السلطان؛ فليكن الوزير هو الممثل الأول للقائد الأعظم في شتى شؤون الملك، ولا تنحصر في حينٍ، يقضي القائد نَحْبَه. لا، بل ولا يعنيه ـ فقط ـ كيان الوزراة، وإنما تخص أيام حياة القائد وقيادته، وإن كانت أحرى به بعد موته.

---

١. أخرجه اصحاب السنن في مسانيدهم وذكره الإمام الرازي في تفسير هذه الآية في ج٢، ص١٨٩.

لذلك إنّ هارون كان وزيراً لموسى عليه السلام وقد مات قبله؛ فليست الوزارة في معنى الخلافة بعد الموت فحسب، بل هى الخلافة حين الحياة وبالأحرى بعد الموت.

فنحن لا نكتفي من كيان الإمام عليه السلام بأنه وصيٌّ الرسول صلى الله عليه وآله وخليفتُه بعد وفاته، بل نخصه بولاية العهد والوزارة طيلة حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله دون الأمة، كما نخصه بالخلافة بعده.

وطبيعة الحال قاضية بتخصيص الوزير وولي العهد بالخلافة، وإن فُقِد النص على انتصابه؛ حيث إن خيرة الرسول صلى الله عليه وآله في حياته أولي أن تكون خيرته بعد مماته بلا ارتياب.

يقول الإمام في مكانته هذه، من الرسول صلى الله عليه وآله: «ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله: أني لم أردَّ على اللّه ولا على رسوله ساعةً قط، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدةً أكرمني اللّه بها، ولقد قبض رسول اللّه صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعَلَى صدري، ولقد سألت نفسه في كفي؛ فأمررتها على وجهي. ولقد ولِّيت غسله صلى الله عليه وآله، والملائكة أعواني؛ فضجَّت الدار والأفنية. ملأٌ يهبط وملأٌ يعرج. وما فارقت سمعي هينمةٌ منهم، يصلون عليه حتّى واريناه في ضريحه؛ **فمن ذا أحق به مني حيا وميتا**...؟ فواللّه الذي لا إله إلّا هو، إني لعلَى جادة الحق، وإنهم لعلَى مزلة الباطل...»![١]

ذكريات وزارة الإمام طوال حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

١ ـ النبي صلى الله عليه وآله يخرج إلى غزوة تبوك ويخلِّف عليّا على أهليهما وأهل المدينة قائلاً: «إن المدينة لا تصلح إلا بي وبك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي».[٢]

---

١. نهج البلاغة، ١ ـ ١٩٧، محمد عبده، ص١٧١ ـ ١٧٢.

٢. البحار: ج٣٧، ص٢٥٦، ح ٩و٢٦٦، ح ٣٩، الطبعة الحديثة، الأخير عن سعد بن أبيوقاص والاول كنز الكراجكي بأسانيد عن سعيد بن المسيب عنه صلى الله عليه وآله.

أجـل، إن المدينـة لا تصـلح خاليـةً عـن القائـد الأعظـم وعـن وزيـره؛ لأنهمـا المسؤولان عـن الشـعب، ولا يُغنـي بعـد القائـد إلا وزيـره وممثلـه الوحيـد فـي تدبير أمور الملك دون سائر الناس.

٢ ـ يقول النبي ﷺ لعليٍّ عليه السلام: «ألا ترضى أن تكون منـي كهـارون مـن موسـى إلّا أنه لا نبي من بعدي؟ ولو كان، لكُنْتَه»![1]

أجـل، إنـه لا يختلـف الـوزير عـن القائـد إلّا فـي المقـام الأول والمكانـة الأولـى مـن الشـعب، فـلا يَقْصُـر علـي عليه السلام عـن الرسـول الأعظـم ﷺ إلّا فـي النبـوة، ولـو لـم تختـم بـه ﷺ، لكـان الإمـام عليه السلام نبيـا بعـده؛ فهـو شـريكه فـي شـتى فضائله التي تخصه.

٣ ـــ إن هـذه المنزلـة للإمـام عليه السلام مـن الرسـول الأعظـم ﷺ، كمثـل منـازل خلفاء الأنبيـاء مـنهم، كمـا يخاطـب النبـي ﷺ عليّـاً بـذلك قـائلاً: «يـا علـي، أنـت مِنّـي بمنزلـة هبـة اللّـه مـن آدم عليهما السلام، وبمنزلـة سـام مـن نـوح عليهما السلام، وبمنزلـة إسـحاق مـن إبـراهيم عليهما السلام، وبمنزلـة هـارون مـن موسـى عليهما السلام، وبمنزلـة شـمعون مـن عيسى عليهما السلام، إلّا أنه لا نبي بعدي...».[2]

٤ ـ الرسول الأعظم يسدّ أبواب الصحابة عن مسجده إلّا باب عليٍّ، إشارةً منه بهـذا الرمز إلى اختصاصه بالرسول ﷺ دونهم، وأنه بابهم إليه، دون مـن سـواه، قصـداً منـه بذلك وزارتَه عنه، دونهم.

علي عليه السلام باب مدينة علم الرسول ﷺ

إنّ الرسول الأعظم ﷺ بعد ما يرفع عليّا عليه السلام إلى منزلته الكريمة، يبـادر إلـى سـدّ أبـواب مسجده على الصحابة، دونه عليه السلام:

١. البحار: ٣٧، ص٢٥٥، ح ٨، الطبعة الحديثة عن جابر بن عبداللّه الأنصاري.

٢. البحار الطبعة الحديثة، ج٢٧، ص٢٠٤؛ بالاسناد عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال رسول اللّه ﷺ.

سد الأبواب

فحديث سدّ الأبواب من المتواتر الذي لا يريبه شك؛ فلقد كان لنفر من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله أبواب شارعة في المسجد. قال صلى الله عليه وآله يوماً: «سدّوا هذه الأبواب إلّا باب عليٍّ»؛ فتكلم في ذلك الناس؛ فقام رسول اللّه صلى الله عليه وآله فحمد اللّه وأثني عليه ثم قال: «أمّا بعد: فإني أمرت لسدِّ هذه الأبواب، غيرِ باب عليّ؛ فقال فيه قائلكم، وإني ما سددت شيئا ولا فتحته، ولكنِّي أُمِرت بشيء؛ فاتَّبَعته».[1]

وبعد ما يسدّ أبواب المسجد عليهم دونه عليه السلام، يصرّح بما يعنيه قائلاً: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**».

يُروى عن ١٤٣ مصدرا من أعلام الحديث، وكلهم من إخواننا السنة، ولقد صحّحه جمع من الحُفّاظ وأعلام الحديث، مضافةً إلى صحته عقلياً لتواتره.[2]

---

١. أخرجه وما في معناه عن زيد بن أرقم وعبداللّه بن عمر بن الخطاب والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وعبداللّه بن عباس وأبي‌سعيد الخدري وأبي‌حازم الأشجعي وجابر بن عبداللّه وجابر بن سمرة وسعد بن أبي‌وقاص وأنس بن مالك وبريدة الأسلمي وأميرالمؤمنين علي ـ كلهم ـ عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله: أخرجه عنهم عنه صلى الله عليه وآله: النسائي في السنن الكبرى والخصائص ١٣ والحاكم في المستدرك، ج٣، ص١٢٥؛ وصححه، والضياء المقدسي في المختارة والكلابادي في معاني الأخبار وسعيد بن منصور في سننه ومحب الدين الطبري في الرياض، ج٢، ص١٩٢؛ والخطيب البغدادي في تاريخه والكنجي في الكفاية ٨٨ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٤ وابن أبي‌الحديد، ج٢، ص٤٥١؛ وابن كثير، ج٧، ص٣٤٢؛ وابن حجر في القول المسدد، ص١٧ وفتح الباري، ج٧، ص١٢؛ والسيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز، ج٦، صص١٥٢ـ١٥٧؛ والهيثمي في مجمع الزوائد، ج٩، ص١١٤؛ والعيني في عمدة القاري، ج٧، ص٥٩٢؛ والبدخشي في نزل الأبرار وابن أبي‌شيبة وأبو نعيم والحمويني في الفرائد ب٢١ وأبويعلي في الكبير وابن السمان في مواقفه والجزري في أسنى المطالب والخوارزمي في المناقب وأبو نعيم في الحلية والحافظ البزاز... قال ابن حجر في فتح الباري والقسطلاني في ارشاد الساري، ج٦، ص٨١؛ إن كل طريق من هذا الحديث صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها. (الغدير ٣: ٢٠٢-٢٠٩).

٢. صححه الحافظ أبوزكريا يحيى بن معين البغدادي المتوفى ٢٢٣ وأبو جعفر محمّد بن جريرالطبري ٣١٠ في تهذيب الآثار وأبو عبداللّه الحاكم النيسابوري ٤٠٥ في المستدرك والحافظ الخطيب البغدادي ٤٦٣ والحافظ أبو محمّد الحسن السمرقندي ٤٩١ في بحر الاسانيد، ومجد الدين الفيروز آبادي ٨١٦ في النقد الصحيح والحافظ جلال الدين السيوطي ٩١١ في جمع الجوامع والسيد محمّد البخاري في تذكرة الأبرار والامير محمّد اليماني الصنعاني ١١٨٢ في الروضة الندية، والمولى حسن الزمان عَدَّهُ من المشهور المستحسن، وأبوسالم محمد بن طلحة القرشي ٦٥٢ وأبوالمظفر سيف بن قزاوغلي ٦٥٤ والحافظ صلاح‌الدين العلائي ٧٦١ وشمس‌الدين محمّد الجزري ٨٣٣ وشمس‌الدين محمّد السنحاوي ٩٢ وفضل‌اللّه بن روزبهان الشيرازي، والمتقي الهندي علي بن حسام الدين ٩٧٥ وميرزا محمّد البدخشاني، وميرزا محمّد صدر العالم، وثناء اللّه باني بتي الهندي.

وقد يروى الفاظ أخرى كالتالي:

«أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها»،[١]

«أنا دار العلم وعلي بابها»،[٢]

«أنا ميزان العلم وعليٌّ كفَّتاه»،[٣]

«أنا ميزان الحكمة وعليٌّ لسانه»،[٤]

«أنا المدينة وأنت الباب، ولا يؤتى المدينة إلّا من بابها».[٥]

ولم يخرج الحفاظ عن الرسولﷺ أن يقول: أنا مدينة العلم وابوبكر أو عمر أو عثمان، أو أحمد، مالك، أبوحنيفة أو الشافعي بابها! ولا «عال» بابها، كما قد يُدعى![٦]

فإنّما عيَّنَ باباً واحداً إلى مدينة علمه، رمزاً إلى أنَّ الوصول إلى الرسول والدخول إلى مدينة علمه من غير باب **عليٍّ**عليه السلام غيرُ مسموح للأمّة الإسلامية.

ذلك لأنّهعليه السلام والنبيﷺ من شجرة واحدة، وسائر الناس من شجر شتَّى، كما عن الحرث وعاصم عن عليّعليه السلام، مرفوعاً عن الرسولالأعظمﷺ قوله:

---

١. أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، ج٢، ص٢١٤؛ وأبونعيم في حلية الأولياء، ج١، ص٦٤؛ والبغوي في مصابيح السنة، ج٢، ص٢٧٥؛ وجمع آخر، تربوا عدّتُهم على ستين من الحفاظ وأئمة الحديث. (الغدير)

٢. أخرجه البغوي في مصابيح السنة، كما ذكره الطبري في ذخائر العقبى ص٧٧ وآخرون.

٣. أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، ج٢، ص٢١٤؛ وأبونعيم في حلية الأولياء، ج١، ص٦٤؛ والبغوي عنه كالعجلوني في كشف الخفاء، ج١، ص٢٠٤؛ وغيره.

٤. ذكره الغزالي في الرسالة العقلية وحكاه عنه الميبدي في شرح الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنينعليه السلام.

٥. أخرجه العاصمي أبو محمد في كتابه «زين الفتى في شرح سورة هل أتى».

٦. في حوار بيني وبين نفر من إخواننا السنة في مسجد النبيﷺ حول حديث الباب قال أحد من علمائهم: «ليس الحديث (عليٌّ بابُها) وإنما (عال بابها) » قلت: «أجل، إنّ علياً عالٍ» ولكن حديث الرسول المتواتر عن ١٤٣ مصدرا ليس إلّا «علي بابها»!

«إن اللّه خلقني وعليا من شجرة: أنا أصلها وعليّ فرعها والحسن والحسين ثمرتها والشيعة ورقها؛ فهل يخرج من الطيب إلّا الطيب؟ وأنا مدينة العلم وعليّ بابها ولا تُؤتَى البيوتُ إلّا من أبوابها».[١]

ومما لا يريبه شك، أنّ إتيان البيوت من غير أبوابها آية الخيانة والسرقة؛ فليس للأمة الإسلامية عرفان الرسول وما أرسل به ولا إتيان مدينة علمه وحكمته ولا دخول الجنة، ولا... إلّا من بابه، ولا تنفتح معضلات الأمور المعقدة بأقفالها إلّا بمفتاحه.

فـ ﴿... وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة. ١٨٩]

أجل، إن الإمام عليه السلام هو السبيل الوحيد إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ومن اتّخذ من غيره سبيلاً إليه، فقد ظلم نفسه، وأخطأ طوره، وخلَّف الويلات، ودخل في المهلكات والمزلات. واللّه تعالى يقول فيهم مقالةً تدهش العقول: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۞ يا وَيْلَتىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَكانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان. ٢٧ ـ ٢٩]

أجل، إنّ من انقطع سبيله عن الرسول، تفرَّق به السبل عن المحجة، ولم تبقَ له حجة، تبلغ به إلى ما آتاه اللّه الرسول صلى الله عليه وآله؛ وقد عيَّن الرسول صلى الله عليه وآله لمدينة علمه وحكمته باباً، هو السبيل إليه، دون سائر الأبواب، وهو عليٌّ عليه السلام؛ فالتخلف عن بابه إلى متفرق الأبواب يخلِّف الويل في الأولى والآخرة.

٦ ـ يصرّح الرسول صلى الله عليه وآله في بعض تصريحاته لمكانة الإمام عليه السلام من نفسه، ووجه اختصاصه بوزارته علمياً وعملياً، أنه: «**الأذن الواعية**» و«**المخصوص بكرامة النجوى**»

---

١. حديث المدينة من المتواتر، وممن رواه: أحمد عن ثمانية طرق، وإبراهيم الثقفي من سبعة، وابن بطة من ستة، والقاضي الجعافي من خمسة، وابن شاهين من أربعة، والخطيب في تأريخه من ثلاثة، ويحيى بن معين من اثنين، ورواه السمعاني والقاضي الماوردي وأبومنصور السكري وأبوالصلت الهروي وعبدالرزاق وشريك، عن ابن عباس ومجاهد وجابر، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وما ذكرناه في المتن من مختلف العبارات الجامعة لكون الإمام باب الرسول، مذكور في البحار، ج٤، ص٢٠٠ و ج٢، الطبعة الحديثة.

أجل، إنه الأذن الواعية. وعى ما وعاه الرسول وحياً.

قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهٰا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهٰا أُذُنٌ وٰاعِيَةٌ﴾ |الحاقة. ١٢ ويدلُّنا النقلُ المتواتر عن الفريقين أنّها نزلت في علي عليه السلام.

يقول الإمام عليه السلام: «ضمني رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أمرني ربي أن أُدْنِيك ولا أقصيك وأن تسمع وتعِيَ».[1] ويقول حفيده الصديق، الإمام الصادق عليه السلام تفسيرا لهذه الآية: «وعت أذن أمير المؤمنين عليه السلام ما كان وما يكون»![2] ويُروى عن جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قوله: «هى أذنك يا علي»![3]

فحق للوزير أن يكون أذنا للقائد الأعظم؛ حتى يكون بابَه وممثّله في تدبير أمور الأمّة.

علي هو المخصوص بكرامة النجوى:

يقول الله تعالى في ذلك: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نٰاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰاكُمْ صَدَقَةً ذٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ❁ أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰاكُمْ صَدَقٰاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتٰابَ اَللّٰهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَآتُوا اَلزَّكٰاةَ وَأَطِيعُوا اَللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ﴾ |المجادلة. ١٢ ـ ١٣

وذلك حينما أكثر الأغنياء مناجاة النبي صلى الله عليه وآله وغلبوا الفقراء على المجالس عنده؛ حتى كره رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك واستطالة جلوسهم وكثرة

---

١. رواه أبو نعيم في الحلية والواحدي في اسباب النزول عن بريدة، وأبو القاسم بن حبيب في تفسيره عن زر بن حبيش عن علي بن أبي‌طالب عليه السلام.

٢. البحار الطبعة الحديثة، ج٣٥، ص٣٢٦.

٣. نفس المصدر السابق، ج٥ ويروي حديث الأذن نفر كبير منهم: الراغب في المحاضرات وفي كتاب الياقوت عن ابن عمر وغلام ثعلب والكشف والبيان عن الثعلبي وسعيدبن جبير عن ابن‌عباس: قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله، ما زلت أسأل الله تعالى منذ انزلت أن تكون في اذنيك يا علي»، وفي تفسير القشيري وغريب الهروي: «لما نزلت هذه الآية قال النبي لعلي‌بن أبي‌طالب عليه السلام: إني دعوت الله أن يجعل هذه اذنك». ومحمّد بن العباس يروي حديث الأذن في كنزه عن ثلاثين مصدرا.

مناجاتهم؛ فأنزل اللّه تعالى الآية الأولى، آمرةً بالصدقة أمام المناجاة. أما أهل العُسرة، فلم يجدوا، ولكن الأغنياء بخلوا. وخف ذلك على الرسول صلى الله عليه وآله وخف الزحام، فاستأثروا على حبه والرغبة في مناجاته حبّ الحطام، واشتد ذلك على أصحابه، فنزلت الآية بعدها، راشقةً بسهام الملام، ناسخةً بحكمها؛ حيث أحجم من كان دأبه الإقدام؛ فلم يعمل بهذه الآية إلّا الإمام علي عليه السلام دون سائر المسلمين؛ حيث استقرض ديناراً وناجى به الرسولَ صلى الله عليه وآله عشرَ نجوات حتى نُسخت الآية. وهذا الحديث مما تناقله الفريقان متواترا عن النبي صلى الله عليه وآله.[١]

فقبحاً لقومٍ قدَّموا غيره عليه، مع تقصيرهم فيما كان يتأتى بدرهمٍ! فكم فرق بين من يبخل بدرهم في مناجاة الرسول والاستضاءَة من أضوائه القدسية خشية الإنفاق، وبين من يشري نفسه ابتغاء مرضاة اللّه واستبقاء للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله!

٧ ــ ويتناصر الكتاب والسنة دلالةً على أن الإمام صلى الله عليه وآله هو الشهيد الوحيد للرسول صلى الله عليه وآله، يشهد له بالرسالة، ويمثله بما فيه فضائله، كما يقول تعالى:

﴿أَفَمَنْ كانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسىٰ إِماماً وَرَحْمَةً أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فى مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لايُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧]

---

١. أورده الثعلبي والواحدي وغيرهما من المفسرين والمحدثين، فمن ذلك ما يقوله الشيخ شرف الدين بعد نقل كثير من اخبار النجوى «إعلم: ان محمّدبن العباس ذكر في تفسيره سبعين حديثا من طريق الفريقين يتضمن أن المناجي للرسول صلى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين عليه السلام دون الناس أجمعين» وأخرجه ابن بطريق في العمدة باسانيد كثيرة عن الثعلبي وابن المغازلي ورزين وغيرهم، وفي المستدرك عن أبي نعيم بإسناده عن أبي صالح عن أبي عباس، وبإسناده عن مجاهد وعلي بن علقمة عن علي عليه السلام وابن مردويه في المناقب بأربع طرق أحدها يرفعه إلى سالمبن أبيالجعد على مثله، وفي الجمع بين الصحاح الستة قال أبو عبداللّه البخاري وروى مثله وعن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله، والحافظ أبو نعيم في كتاب ما نزل من القرآن في علي بسنده عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس إلى غير ذلك من الأسانيد...

فالإمام هو الشاهد للرسول صلى الله عليه وآله وهو منه، كما نأتي على بحثه في المقال الآتي، ويشهد له متظافر النقل.[1]

ويقول تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾ [الرعد: ٤٣]

فمستفيض النقل يدلنا على نزول الآية في الإمام.[2]

هذه نماذجُ من ذكريات وزارة الإمام عليه السلام للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهي ـ كما أسلفناه ـ القاعدة الثالثة من قواعد عرش الخلافة الإسلامية الكبرى للإمام عليه السلام.

وبعد هذه القواعد الثلاث، ولادةً وأخوةً ووزارةً، يتم للإمام استقرار عرش الخلافة بالقاعدة الرابعة، وهي أهمها فضلاً وأتمها في تركيز مكانته العليا في الأمّة الإسلامية مَحْتِداً.

فالإمام عليٌّ أمير المؤمنين عليه أفضل التحية والسلام، وليد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ فأخوه، فوزيره، ثم نفسه المقدسة وعينه ومثيله.

لا يزال الإمام يرقى مدارج الكمال في ظلّ رعاية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حتى يوصله هو صلى الله عليه وآله إلى حيث هو، فيخاطبه خطابَه لنفسه، ويعتبره عينه، فيكِل أمر الأمّة إليه إيكالَه إلى نفسه، دونما تفاوت واختلاف.

فحينما تخسر الأمّة شخص الرسول صلى الله عليه وآله، لا تخسر شخصيته صلى الله عليه وآله، لأنها متمثلة في الإمام عليه السلام فلا ينقطع عنهم بانقطاعه صلى الله عليه وآله إلّا استمرار الوحي بالرسالة. ذلك لأن الإمام ـ في صميم الحق ـ إنما هو استمرار للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وإدمان لشخصيته.

وطبيعة الحال قاضية أن قائد الأمة لا يبقى حياً ـ بعد موته ـ فيهم، إلّا إذا خلّف مَن اصطنعه ممثلاً له؛ لئلا يُزهد في أمته بعده بموته، ولا يفقدهم إلّا شخصه.

---

١. رواه ابن المغازلي يرفعه إلى علي بن عابس، وغيره.

٢. رواه الثعلبي بإسناده متصلاً عن محمّد بن الحنفية، وفي المستدرك عن أبي‌نعيم الحافظ بإسناده عنه مثله، وابن المغازلي يرفعه إلى علي بن عباس، والسيوطي في الإتقان والبغوي في معالم التنزيل وغيرهم.

كذلك الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يخلّف بعد ارتحاله شخصيته المتمثلة في الإمام أمير المؤمنين عليه أفضل التحية والسلام.

ومما يشهد لهذه القواعد الثلاث آية الشهادة بالتفاصيل التالية:

علي عليه السلام شاهد من الرسول صلى الله عليه وآله

﴿أَفَمَنْ كانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسىٰ إِماماً وَرَحْمَةً أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ |هود. ١٧

﴿مَنْ كانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ هنا هو الرسول صلى الله عليه وآله؛ فإنه هو الذي حُشِر بيناتٍ وشهودا في مثلث الزمان، دون أهل الكتاب؛ فإن البينة الأولى لهم هو كتاب موسى، وليس هو من قبله، بل هو معه، ثم ﴿أُولئِكَ﴾ جمعاً لا تناسب ﴿مَنْ كانَ﴾ المفرد، ثم لامرجع لضمير الغائب في ﴿بِهِ﴾، لا هنا ولا التي قبلها.

إذاً فهو النبي صلى الله عليه وآله حشيراً وعشيراً لبيّناتٍ وشهاداتٍ تدُلُّ على مَحْتِده الرسالي السامي.

و﴿كانَ﴾ تضرب إلى أعماق الماضي، قبل وِلاده ببينات البشارات الواردة بحقه في كتابات الوحي، وبأصل ولادِه صلى الله عليه وآله؛ حيث ظهرت عنده عجائب قاصدة، وطيلة الأربعين قبل رسالته وهى الحالة التحضيرية لرسالته، بارقة مشرقة خارقة للعادات؛ إذ لم يُرَ في حياته تلك، نقطةٌ سوداء، مما يبرهن ـ وهو في جو الإشراك وكافة الرذالات ــ على بالغ حاله واستقباله.

ومنذ ابتعاثه صلى الله عليه وآله، إذ كان يحمل من بينات الرسالة الربانية كافة اللمحات والدلالات، فحين نرى رسل المسيح يستدلون بأنفسهم على رسالاتهم أمام الناكرين: ﴿قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ |يس. ١٦ ؛ فهذا النبي أحرى أن يكون بنفسه برهانا ساطعا على رسالته، وبقرآنه وهو رأس الزاوية من ﴿بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ منقطعة النظير عن

كل بشير ونذير؛ آيات بينات خمس تلو بعضها البعض، أو مع بعضها البعض، تحشره بنفسها. ثم ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ من اللّه، أو من نفسه، أم من اللّه ثم منه بإذن اللّه، فتراه نفسه؟[١] وهو لا يتلو نفسه مهما كان شاهدا من ربه على رسالته بنفسه، وشاهدا نفسه بما اجتهد وسعى ووفقه اللّه!

أم هو جبريل عليه السلام؟[٢] وكيف يتلوه، وهو معه نازلاً بتفصيل الكتاب على قلبه؟! وليس هو شاهدا منه صلى الله عليه وآله، ولا شاهدا من ربه له؛ إذ تكفيه شهادة الوحي من ربه، وأنه هو الذي عرّفه جبريل وسيطا لوحيه، دون أن يشهد على شيء.

ولا هو شاهد من ربه للآخرين؛ إذ لم يروه؛ فلا دور له في حقل الرسالة ولا الوحي شهادةً. إنما هو وسيط في تفصيل الوحي، لا لحاجة منه إليه، بل ليعرف الناس أنه صلى الله عليه وآله ليس إلهاً يقول من نفسه، تثبيتاً لإيمانهم أنه بشر رسول: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]

أم هو لسانه الصدق:[٣] القرآن العظيم، بينة له في زمنه، ثم يتلوه ـ على مدار الزمن حتى القيامة الكبرى ـ شاهدٌ من ربه على رسالته الأخيرة؟ وهذا هو الحق؛ فإن اللّه يشهد بالقرآن على وحيه وعلى رسالة من جاء به على طول الخط.

ثم ويتلوه شاهد من اللّه كأصل، وهو شاهد منه صلى الله عليه وآله بما أذن اللّه، وهو الإمام علي عليه السلام، كما تواترت به الروايات.[٤]

---

١. المصدر عن الحسين بن علي عليه السلام في الآية قال: «محمّد هو الشاهد من اللّه»، ومثله ما عن أبي العالية وإبراهيم.

٢. المصدر عن ابن عباس انه جبرئيل ووافقه سعيدبن جبير وعطاء وابن‌عباس.

٣. الدر المنثور ٣: ٣٢٤ عن محمد بن علي بن أبي‌طالب قال: قلت لأبي: «إن الناس يزعمون في قول‌اللّه: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أنك أنت التالي»؟ قال عليه السلام: «وددت أني أنا هو ولكنه لسان محمّد صلى الله عليه وآله».

٤. المصدر أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبونعيم في المعرفة، عن علي بن أبي‌طالب عليه السلام قال: «ما من رجل من قريش إلّا نزل فيه طائفة من القرآن»! فقال له رجل: «ما نزل فيك؟»، قال: «أما تقرأ سورة هود: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ رسول‌اللّه على بينة من ربه وأنا شاهد منه.» وأخرجه عنه عليه السلام ابن عساكر، وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن علي عليه السلام قال: قال رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله: «﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ عليٌّ».

أقول: وفي تعليقات إحقاق الحق، ج٣، ص٣٥٢ ـ ٣٥٨؛ أورد هذه الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله كثير من الحفاظ منهم الثعلبي في تفسيره، والبغوي في تفسيره معالم التنزيل بهامش تفسير الخازن، ج٣، ص١٨٣؛ والرازي، ج١٧، ص٢٠١؛

من تفسيره حيث أورده عن بعض، والطبري في تفسيره، ج١٢، ص١٠؛ والقرطبي في تفسيره، ج٩، ص١٦؛ والكنجي في كفاية الطالب ص١١٠ والنيسابوري في تفسيره، ج١٢، ص١٦؛ والخازن في تفسيره، ج١٢، ص١٦ و ج٣، ص١٨٣؛ وصاحب فتح البيان على ما في فلك النجاة، ص٤٦١؛ وأبوحيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط، ج٥، ص٢١١؛ والآلوسي في روح المعاني، ج١٢، ص٢٥؛ والقندوزي في ينابيع المودة، ص٩٩.

وفي أمالي الشيخ الطوسي باسناده إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أنه إذا كان يوم الجمعة يخطب على المنبر، فقال: «والذي فلق الحبة وبرئ النسمة، ما من رجل من قريش جرت عليه المواثيق إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب اللّه عزّ وجلّ أعرفها، كما أعرفه!»؛ فقام إليه رجل، فقال: «يا أميرالمؤمنين، ما آيتك التي نزلت فيك؟» فقال: «إذا سألتَ فافهم ولا عليك ألّا تسألَ عنها غيري! أقرأت سورة (هود)؟»، قال: «نعم، يا أميرالمؤمنين!»، قال عليه السلام: «أفسمعت اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾؟» قال: «نعم» قال: «فالذي على بينة من ربه، محمّد صلى الله عليه وآله، والذي يتلوه شاهد منه وهو الشاهد وهو منه وأنا علي بن أبيطالب وأنا الشاهد وأنا منه».

وفيه عن الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يقول فيه لبعض الزنادقة، وقد قال: «وأجده يخبر أنه يتلوا نبيه شاهد منه وكان الذي تلاه عبدالأصنام برهة من دهره وأما قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فذلك حجة اللّه، أقامها على خلقه وعرفهم أنه لا يستحق مجلس النبي صلى الله عليه وآله إلا من يقوم مقامه، ولا يتلوه إلا من يكون في الطهارة مثله بمنزلته؛ لئلا يتسع لمن مسّه رجس الكفر في وقت من الأوقات انتحال الاستحقاق لمقام الرسول صلى الله عليه وآله، وليضيق العذر على من يعينه على إثمة وظلمه؛ إذ كان اللّه قد حظر على من مسّه الكفر تقلد ما فوضه إلى أنبيائه وأوليائه، بقوله لإبراهيم: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي المشركين؛ لأنه سمى الشرك ظلما بقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان، ١٣]، فلما علم إبراهيم عليه السلام أن عهد اللّه ـ تبارك وتعالى اسمه ـ بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام، قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم، ٣٥]، واعلم أن مَن آثر المنافقين على الصادقين والكفار على الأبرار فقد افترى على اللّه إثما عظيما؛ إذ كان قد بين في كتابه الفرق بين المحقق والمبطل والطاهر والنجس والمؤمن والكافر، وأنه لا يتلوا النبي صلى الله عليه وآله عند فقده إلا من حل محله صدقا وعدلاً وطهارة وفضلاً».

وفي ملحقات إحقاق الحق، ج١٢، ص٣٠٩ ـ ٣٢١؛ المستدركات التالية حول نزول الآية في الإمام علي عليه السلام، منها: ما رواه عباد بن عبداللّه عن علي عليه السلام، رواه جماعة، منهم: ابنالمغازلي في مناقبه والحسكاني في شواهد التنزيل، ج١، ص٢٧٥؛ والثعلبي في الكشف والبيان (مخطوط) والسهيلي في التكملة، ص١١٧؛ والقندوزي في ينابيع المودة، ص٩٩؛ والأمر تسرّي في أرجح المطالب، ص٦٢.

وما رواه زادان عن علي عليه السلام، رواه جماعة، منهم: الحمويني في فرائد السمطين (مخطوط) والنيسابوري في تفسيره الكشف والبيان (مخطوط) والقندوزي في ينابيع المودة، ص٧٤؛ والجري في تنزيل الآيات، ص١٣؛ والحسكاني في شواهد التنزيل، ج١، ص٢٧٨.

وما رواه الحارث عن علي عليه السلام، رواه جماعة، منهم: الحسكاني في شواهد التنزيل، ج١، ص٢٧٧؛ وابن أبي الحديد في شرح النهج، ج١، ص٢٠٨.

وما رواه جابر عنه صلى الله عليه وآله روى عنه ابن حسنويه في درر بحر المناقب (٨٥ مخطوط) والخازن في تفسيره، ج٣، ص١٨٣؛ والحمويني في فرائد المسطين (مخطوط) والحسكاني في شواهد التنزيل، ج١، ص٢٧٩؛ والترمذي في المناقب المرتضوية، ص١٢٠.

وما رواه ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله، روى عنه جماعة، منهم: الثعلبي في الكشف والبيان (مخطوط) والحسكاني في شواهد التنزيل، ج١، ص٢٧٩؛ والحمويني في فرائد السمطين (مخطوط) والجري في تنزيل الآيات (ص٤) (مخطوط)، والأمر تسري في أرجح المطالب، ص١٠٢.

وما رواه أبوذر عنه صلى الله عليه وآله، وممن رواه عنه شهابالدين الهمداني في مودة القربى، ص٨٣. وما رواه أبوالطفيل عن علي عليه السلام، روى عنه الحسكاني في شواهد التنزيل، ج١، ص٢٧٧.

فالشاهد الأصيل الدائم القائم، طول الزمن الرسالي، ما طلعت الشمس وغربت، هو القرآن؛ فإنه الثقل الأكبر والأطول والأتم والأعظم والأكمل بمتواترالسنة، ثم على ضوئه الإمام عليعليه السلام، كرأس الزواية من الأئمة الشهود حتى القائم المهديعليه السلام؛ فإنه يشهد له بما صنعه مثله وصنوه.

ولأن شاهد القرآن متَّفَقٌ عليه، فلم ترد به رواية إلّا لمحة، ثم شاهد الإمام المختلف فيه، تواترت به الرواية، الحاقاً له بما هو متفق عليه.

فهوعليه السلام شاهد صدق على هذه الرسالة السامية، يتلو الرسولَصلى الله عليه وآله نسخة ثانية طبق الأصل، صنعه رسول‌اللّهصلى الله عليه وآله كمثله بأمر ربه، ولقد حقَّ القولُ من جموع من غير المسلمين: «لو لم يكن لرسالة محمّدصلى الله عليه وآله برهان إلا عليٌّعليه السلام، كفى برهانا ساطعا قاطعا على رسالته»!

ومن الفارق بين الشاهدين، أن ﴿يَتْلُوهُ﴾ في شاهد القرآن، مِن التلو: اللحوق؛ حيث يلحقه ـ كما عاشه ـ إستمرارا لرسالته الصادقة المعصومة، لكن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ في شاهد الإمام تعني التلاوة: المتابعة، إضافةً إلى التلو؛ حيث الإمام المتابع إياه، الآتي تلوه في حَمْل هذه الرسالة دون وحي، إنما هو نسخة ثانية رسولية بخط يد الرسول بما أذن اللّه.

وإذا كان علىعليه السلام ـ وهو صنيعهصلى الله عليه وآله ـ شاهدا منه علي رسالته، فشهادتهصلى الله عليه وآله نفسه على رسالته هى الأُولى والأَولى.

فقد كان محمّدصلى الله عليه وآله آية بينة من ربه، وهو ﴿عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾، ﴿وَيَتْلُوهُ شٰاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسىٰ إِمٰاماً وَرَحْمَةً﴾؛ فهذه بينات أربع.

أم ﴿عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ هي البينة الرسالية، بينة من نفسه ومن القرآن، وهما صنوان اثنان متحدان لا يختلفان، كما لا يتخلفان عن كونهما بينة رسالية موحدة.

وما رواه أنس عنهصلى الله عليه وآله، رواه عنه الحسكاني في شواهد التنزيل، ج١، ص٢٨٠.

وما رواه أبوجعفرعليه السلام، رواه عنه ابن المغازي في مناقبه (مخطوط).

فالقرآن هو إثنان، هما: محمّد والقرآن؛ فمحمد هو القرآن والقرآن هو محمّد صلى الله عليه وآله، كما ﴿وَمٰا عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَمٰا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس. ٦٩]

فـ ﴿هُوَ﴾، هو الرسول ﴿ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾، يبين القرآن: الكتاب، بكتاب حياته الرسالية المستفادة من القرآن والسنة: «أنا القرآن والسبع المثاني، وروح الروح بل روح المعاني».

وإذا كان سائر المرسلين هم شهود بأنفسهم على رسالاتهم وكما جاء في رسل المسيح عليه السلام: ﴿قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾، [يس. ١٦] فبأحرى لرسول الهدى صلى الله عليه وآله أن يكون بنفسه شهيدا على رسالته نفسه، كيف لا، وربُّه شاهد منه على رسالته؟!

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وآله شاهداً لربه برسالته، لمكان تربيته القيمة الرسولية، فحري بعلي عليه السلام أن يكون شاهدا له صلى الله عليه وآله لمكان تربيته القيّمة الرسالية.

هنا ﴿شاهِدٌ مِنْهُ﴾ متأيّد في تفسيره بما تواتر عنه صلى الله عليه وآله من قوله: «علي مني وأنا من علي»[1] وقد قرّرَتْه آية المباهلة قرارَه نفسَه: ﴿... وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ... ﴾! [آل عمران. ٦١]

وبيانا لهذه الولادة الروحية العلوية من محمّد صلى الله عليه وآله، ما يُروى عن علي عليه السلام نفسه من قوله: «وقد علمتم موضعي من رسول اللّه صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا وليد؛ يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويُمسني جسده، ويُشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن اللّه به من لدن كان فطيماً، أعظمُ ملك يسلك به

١. حديث صحيح رجاله كلهم ثقات وممن أخرجه عنه صلى الله عليه وآله الإمام أحمد في مسنده، ج٤، ص١٦٤و١٦٥؛ بأسانيد أربعة، والحافظ ابن ماجة القزويني في سننه، ج١، ص٥٧؛ والترمذي في الجامع الصحيح، ج١٢، ص١٦٩ و ج٢، ص٤٦٠؛ وفي صحيحه، ج٢، ص٢١٣؛ والنسائي في الخصائص ص٢٦ـ٢٧؛ وابن المغازلي في المناقب بأسانيد عدة، والبغوي في المصابيح، ج٢، ص٢٧٥؛ والخطيب العمري في المناقب بأسانيد عدة والبغوي في المصابيح، ج٢، ص٢٧٥؛ والخطيب العمري في المشكاة، ص٥٥٦؛ والكنجي في الكفاية، ص٥٥٧؛ والنووي في تهذيب الأسماء واللغات، ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة، ج٣، ص٧٤؛ عن الحافظ السلفي، وسبط ابن الجوزي في التذكرة، ص٢٣؛ والذهبي في تذكرة الحفاظ، وابن كثير في تاريخه، والسخاوي في المقاصد الحسنة، والمناوي في كنوز الدقائق، ص٩٢؛ والحمويني في فرائد السمطين ب٧؛ والسيوطي في الجامع الصغير وجمع الجوامع، وابن حجر في الصواعق، ص٧٣؛ والمتقي الهندي في كنز العمال عن ١١ حافظا، والبدخشاني في نزل الأبرار، ص٩؛ والفقيه شيخ بن العيدروس في العقد النبوي، والشبلنجي في نور الأبصار، ص٧٨؛ والصبان في الإسعاف هامش نور الأبصار، ص١٥٥؛ كلهم أخرجوه ورووه عن حبشيبن جنادة وعمران وأبيذر الغفاري عن رسولاللّه صلى الله عليه وآله.

طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل إثر أُمّه، يرفع لي كل يوم علماً من أخلاقه، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بِحِراء، فأراه ولا يراه غيري؛ ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول اللّه ﷺ وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلت: يا رسول اللّه ﷺ، ما هذه الرنة؟ قال: هذا الشيطان، قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى إلّا أنك لست بنبي؛ ولكنك وزير وإنك لعلَى خير».[1]

وهكذا: «لم يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقٍّ، وصلة رحم، وعائدة كرم».

ولقد تلا علي عليه السلام رسول اللّه في الإيمان زمنا ومَحْتِداً، وكما قال ﷺ: «أولكم وارداً ـ وردا ـ عليَّ الحوض، أوّلُكم إسلاما، عليٌّ بن أبي‌طالب»،[2] «ولقد صلَّت الملائكة عليَّ وعلى عليّ سبع سنين؛ لأنا كنّا نصلي، وليس معنا أحد يصلي، غيرنا».[3]

أجل، وإنه «أول من أسلم وصلّى»، كما تواتر في زهاء مائة حديث.

فهو الأول إسلاما وصلاةً معه ﷺ؛ دون أبي‌بكر المدَّعَى إيمانُه به ﷺ قبل أن يولد علي عليه السلام، وذلك قبل الرسالة بإثنتي عشرة سنة![4]

ويا لـ ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ مِن شاهدٍ، ملتوياً بين مَن يربيه ومن يلعنه، سبّاً له على المنابر![5]

١. نهج البلاغة، بشرح محمد عبده، الخطبة: ١٩٢ (المعروف بالقاصعة)، ج ٢، ص ١٥٨.

٢. كما أخرجه الحاكم في المستدرك، ج٣، ص١٣٦؛ وصححه، والخطيب البغدادي في تأريخه، ج٢، ص٨١؛ وفي الاستيعاب، ج٢، ص٤٥٧؛ وشرح ابن أبي الحديد، ج٣، ص٢٥٣؛ والسيرة الحلبية، ج١، ص٢٨٥؛ وسيرة زيني دحلان، ج١، ص١٨٨؛ ومناقب الفقيه ابن المغازلي ومناقب الخوارزمي.

٣. مناقب الفقيه ابن المغازلي بإسنادين وأسد الغابة، ج٤، ص١٨؛ ومناقب الخوارزمي وكتاب الفردوس للديلمي وشرح ابن أبي‌الحديد عن رسالة الإسكافي، ج٣، ص٢٨٥؛ وفرائد السمطين ب٤٧.

٤. كما رواه شبابة عن فرات بن سائب قال: «قلت لميمون بن مهران: أبوبكر الصديق أول إيمانا بالنبي ﷺ أم علي‌بن أبي‌طالب عليه السلام؟» قال: «لقد آمن أبوبكر بالنبي ﷺ زمن بحير الراهب واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه، وذلك كله قبل أن يولد علي بن أبي‌طالب»!

٥. في ملحقات إحقاق الحق، ج٣، ص٤٠٧؛ فممن ذكر سبه عليه السلام على المنابر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، ج٧، ص٥٧؛ بقوله: «ثم اشتد الخطب فتنقصوه، واتخذوا لعنه على المنابر سنة، ووافقهم الخوارج على بغضه». وكذا في ج٧، ص٦٠ من قوله: «ووقع في رواية عامر بن سعد بن أبي‌وقاص عند مسلم والترمذي قال: «قال معاويه

ولقد تناست الأمة شاهداً منهﷺ وتحولوا إلى غير شاهد منه مما ابتليت به الأمة ساقطة في هوّات، وماقتة بما هوآت، وما يتأوه الإمام الشاهد على ما حصل، قائلاً في شقشقيته:

«أما واللّه لقد تقمَّصها ابن أبيقحافة! وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل، ولا يرقي إلي الطير، فسدلتُ دونها ثوبا، وطويتُ عنها كَشْحا، وطفقتُ أرتئي بين أن أصولَ بيدٍ جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه؛ فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجاً، أرى تراثي نهبا، حتى مضى الأوّلُ لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده؛ فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطرا ضرعيها! فصيرها في حوزة خشناء، يغلظ كلمها، ويخشن مسُّها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها؛ فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم. فمُنِي الناس لعمر اللّه بخبط وشماس، وتلوُّن واعتراض؛ فصبرت

لسعد: ما منعك أن تسب أباتراب؟ قال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول اللّهﷺ؛ فلن أسبه، فذكر الحديث (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى)»، وابن الجوزي في تذكرة الخواص (١١٤) والحاكم النيسابوري في المستدرك، ج٣، ص١٢١؛ أورد فيه حديثين عن أمسلمة حيث قال ما هذا لفظه بعد ذكر السند: «دخلت على أم سلمة فقال لي أ يسب رسول اللّهﷺ فيكم؟ فقلت: معاذ اللّه، أوسبحان اللّه! فقالت: سمعت رسول اللّهﷺ يقول: من سب عليا سبني.» قال: «هذا حديث صحيح الإسناد»، والحافظ الذهبي في ذيل المستدرك، ج٣، ص١٢١؛ والسيد علوي الحداد في القول الفصل، ج٢، ص٣٨٤؛ والهيثمي في الصواعق المحرقة، ج٢، ص٣٥٣؛ قال: «ثم لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بنيأمية بتنقيصه وسبه على المنابر ووافقهم الخوارج ـ لعنهم الله ـ بل قالوا بكفره ...»، والنيسابوري في صحيحه على ما في «التاج الجامع للأصول»، ج٣، ص٣٢٩؛ قال عن سعد: «أمرني معاوية أن أسب أباتراب»، والترمذي في صحيحه على ما في التاج، ج٣، ص٣٢٩؛ وابن الأثير الجزري الموصلي في أسد الغابة، ج٤، ص٢٥؛ وابن عبد البر في الإستيعاب، ج٢، ص٤٥؛ والطبري في الرياض النضرة، ج٢، ص١٨٨؛ وابن جرير الطبري في تاريخه الشهير، ج٢، ص١٢٤؛ وابن عساكر في تاريخ دمشق، ج١، ص٣٥١.

أو هكذا يؤذَى ﴿شاهِدٌ مِنْهُ﴾ واللّه يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ [الأحزاب، ٥٨]، وقد تظافرت الرواية في نزول الآية فيه﷣، كما في ملحقات إحقاق الحق، ج٣، ص٤١٧؛ وممن أوردها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص٢٤٠؛ والبيضاوي في تفسيره، ج٤، ص٤١٧؛ وممن أورده، القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص٢٤٠؛ والبيضاوي في تفسيره، ج٤، ص٤٧؛ ذكرا نزولها في المنافقين الذين يؤذون عليا﷣ وابن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة، ص٩٥؛ والترمذي في مناقب مرتضوي، ص٦٠؛ والخازن في تفسيره، ج٥، ص٢٢٧؛ والبغوي في معالم التنزيل المطبوع بهامش تفسير الخازن، والواحدي في أسباب النزول، ص٢٧٣.

على طول المدة، وشدة المحنة؛ حتى إذا مضى لسبيله، جعلها في جماعة زعم أني أحدهم! فيا لَلّه وللشورى! متى اعترض الريب فيَّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر؟! لكنني أسففت إذا أسفُّو، وطرت إذا طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره مع هَنٍ وهَنٍ، إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال اللّه خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته؛ فما راعني إلّا والناس كعُرف الضَبُع إلي، ينثالون علي من كل جانب، حتى لقد وُطئ الحسنان، وشُقّ عِطفاي، مجتمعِينَ حولي كربيضة النغم. فلما نهضتُ بالأمر نكثتْ طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام اللّه حيث يقول: ﴿تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهٰا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الْأَرْضِ وَلا فَسٰاداً وَالْعٰاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾! بلى! واللّه، لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها! أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ اللّه على العلماء ألّا يغارّوا على كِظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنزٍ...»![1] «وإنما كنت جارا جاوركم بدني أياما، وستعقبون مني جثة خلاءً ساكنة بعد حراك، وصامتة بعد نطوق؛ ليعظكم هُدُوِّي وخُفوت أطراقي وسكون أطرافي؛ فإنه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع. وِداعي لكم وداع إمرئٍ مرصد للتلاقي، غداً ترون أيامي، ويكشف لكم عن سرائري، وتعرفونني بعد خلو مكاني، وقيام غيري مقامي...»[2] ويعني من «غيره»: من يغايره في مقامه، كمعاوية.

---

١. نهج البلاغة، فيض الاسلام، خطبة شقشقية، ص٣٧. «قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فأقبل ينظر إليه، فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس: يا أميرالمؤمنين، لو إطّردت خطبتك من حيث أفضيت! فقال: هيهات يا ابن عباس! تلك شقشقة هدرت ثم قرت! قال ابن عباس: فو اللّه، ما أسفت على كلام قط، كأسفي على هذا الكلام، أن لا يكون أميرالمؤمنين ﷺ بلغ منه حيث أراد».

٢. الخطبة: ١٤٩

أجل، فهم أولاء المعصومون عليهم السلام من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله «موضع سرّه، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حِكَمِه، وكهوف كتبه، وجبال دينه. بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه»[١]

فـ «بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنمتم العلياء، وبنا انفجرتم عن السرار، وُقِر سمعٌ لم يفقه الواعية، وكيف يراعي النبأة من أصمته الصيحة! ربط جنان لم يفارقه الخفقان، ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر، وأتوسَّمكم بحلية المغترين، سترني عنكم جلباب الدين، وبصَّرنيكم صدق النية، أقمت لكم على سنن الحق في جوادِّ المضلة، حيث تلتقون ولا دليل، وتحتفرون ولا تميهون! اليوم أنطق لكم العَجماء ذات البيان، غَرَبَ رأي امرئٍ تخلف عني، ما شككت في الحق مُذ أريته. لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه، أشفق من غلبة الجهال، ودِوَل الضلال، اليوم توافقنا على سبيل الحق والباطل، من وثق بماء لم يظمأ».[٢]

ذلك، ولم يصف رسول اللّه صلى الله عليه وآله بأوصاف منقطعة النظير إلّا لهذا البشير النذير، وهي حسب ما حصلنا عليه زهاء ثلاثمائة وصفٍ منضدٍ، كالتالية حسب ترتيب حروف الهجاء ـ وقد خلفت أوصافه إياها كلها ــ رواها مئات من الرواة، وأخرجها جماهير وفيرة من مؤلفي إخواننا، في قرابة ألفين من مؤلفاتهم أم تزيد، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.[٣]

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يواصف عليّا عليه السلام في ثلاثمأه كلمة

ألف) إمام المتقين ـ أميرالمؤمنين ـ أول من يرى رسول اللّه صلى الله عليه وآله ــ أول من يصافح النبي يوم القيامة ـ أول من صدق رسول اللّه ـ أول من وحد اللّه مع رسوله ـ الإمام علي

١. نهج‌البلاغة، الخطبة ٢

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٤

٣. نقل من إحقاق الحق، وملحقات إحقاق الحق وفهرسه البالغ إلى أربع وثلاثين مجلدا ضخما، للمرجع الديني الكبير العلم الحجة السيد شهاب‌الدين المرعشي النجفي دام‌ظله. عن إحقاق الحق ج ٤ و٥ في (٤٤) صحيفة ذكر المؤلفين بمؤلفاتهم، وفي (٥٠٣) سرد الأحاديث المعنية بذلك، فتم مجلد واحد ـ ولله الحمد ـ اختصاصا بالروايات التي تحمل هذه المواصفات.

من أمة رسول الله ـ إمام خلق الله ـ إمام البرية ـ أبو ذرية رسول الله ــ أمـين رسـول اللّـه على وحيه ـ أبو هذه الأمة ـ أفضل الوصيين ـ إمام الأتقياء ـ أبو الأئمة الطاهرين ــ أقـدم الناس سلما ـ أحب الأوصياء إلى اللّـه ــ أعظـم «أشـرف» النـاس حسـبا ــ أكثـر النـاس منصبا ـ أرحم الناس بالرعية ـ أعدل الناس بالسوية ـ إمام كـل مـؤمن ومؤمنـة ــ الآخـذ بسنة رسول اللّه ﷺ ـ أولى الناس بعد رسول اللّه ـ أول الناس «المؤمنين» إيمانا ــ أوفـى الناس «المؤمنين» بعهد اللّه ـ أقوَم الناس بعهد اللّه ـ أقسم الناس «المؤمنين» بالسوية ــ أرأف الناس «المؤمنين» بالرعية ـ أعدل الناس في الرعية ـ أمين اللّه على سره ــ أعظـم الناس عند اللّه مزية ـ أول المسلمين «الأصحاب» إسلاما ـ أقدم الأمّة سـلما «إيمانـا» ــ أكثر الأمّة علما ـ أعظم الأمّة «أفضل الأمة» ـ أوفر الأمة حلما «أحلـم النـاس» ــ أحسـن الناس خُلقا ـ أعلم الأمّـة باللّـه ــ أول النـاس وردا علـي الحـوض ــ آخـر النـاس عهـدا برسول اللّه ـ أوّل الناس لقياً برسول اللّه ـ أشجع الناس قلبا ـ أسخى «أسمح» الناس كفـا ـ أصح الناس دينا ـ افضل الناس يقينا ـ أكمل الناس حلما ـ إمام أولياء اللّه ــ إمـام مـن أطاع اللّه ـ أمين رسول اللّه في القيامة ـ أمين اللّه على أرضه ـ أعلم المؤمنين بأيام اللّـه ـ أعظم المؤمنين رزية ـ أقوم الناس بأمر اللّـه ــ الأوّاه ــ أفضـل النـاس منزلـة ــ أقـرب الناس قرابة ـ أعظم الناس غنىً ـ إمام المسلمين ـ أفضل النـاس «هـذه الأمـة» ــ أعلـم الناس ـ الأمـين فـي أهـل الأرض ــ الأمـين فـي أهـل السـماء ــ أكمـل الأمـة يقينـا ــ أبوالسبطين ـ أبو الريحانتين ـ أسد اللّه في أرضـه ــ أوَّل مـن يـدخل الجنـة ــ أول مـن يقرع باب الجنة ـ أمير البررة ـ «الأخيشن»، «الأخشن»، «المخشوشن» الأخشـى فـي ذات اللّه ـ ألب الأمة ـ أمير آيات القرآن ـ إمام البررة ـ أحب الخلق إلى اللّه ورسوله ــ أحـب الرجال إلى النبي ـ أقرب الناس من رسول اللّه ـ أجود الناس منزلة ــ أعظـم النـاس عنـد اللّه عناءً ـ أعظم الناس على اللّـه ــ أمـين رسـول اللّـه ــ أقـرب النـاس إلـى الحجـة ــ أبواليتامى والمساكين ـ أول من صـدق رسـول اللّـه ــ أول مـن وحـد اللّـه ــ أبـو العتـرة الطاهرة الهادية ـ أحكم الناس حكما ـ ذلك وقد يفديه ﷺ بأبيه وأمه في مجالات عـدة

قائلاً له: «يا علي بأبي أنت ـ قم يفدي بك أبي وأمي، فالتزمه وقال بأبي وأمي ـ بأبي أبيكما وبأمي أمكما ـ بأبي أنتما وبأبي أبو كما وبأبي أمكما».[1]

وأنه «أخو النبي صلى الله عليه وآله» بمختلف التعابير ومتواترة المجالات،[2] وأنه «إمام أوليائي ـ إمام من أطاعني ـ إمام القوم ـ إمام كل مسلم ـ وأمير كل مؤمن ـ إمام الأولين والآخرين»، كما في متواترات أخرى.[3]

ب) باب رسول الله الذي يؤتى منه ـ باب الله ـ باب الحطة ـ باب الجنة ـ باب علم رسول‌الله ـ باب مدينة العلم ـ باب العلم ـ باب الحكمة ـ باب الفقه ـ باب علمي

ت) التواب الأواب ـ على رأسه تاج من نور

ر) راية الهدى ـ ركن الإيمان ـ رباني هذه الأمة ـ رفيق رسول‌الله في الجنة

ث) ثقة رسول‌الله

ج) جنب الله

ح) حبيب الله ـ حبيب رسول‌الله ـ حبيب قلب رسول‌الله ـ حجة الله على بريته ـ حجة الله في أرضه بعد النبي الحليم ـ حجة رسول‌الله ـ حجة النبي على أمّته يوم القيامة ـ حامل راية رسول‌الله ـ حجة الله على الناس بعد رسول‌الله ـ حبل الله المتين

خ) خاتم الوصيين ـ خليفة رسول الله «في أمته من بعده» ـ خير من تركه رسول‌الله ـ خير من أخلفه رسول‌الله ـ خليفة الله في أرضه ـ خليفة الله على عباده ـ خاتم الأوصياء ـ خير الأوصياء ـ خير البشر ـ خير الناس ـ خير الرجال ـ خيرهذه الأمّةِ

---

١. تجده على الترتيب في ملحقات إحقاق الحق، ج٤، ص٤٠؛ ج٧، ص٣٧٤؛ ج٧، ص٣٩؛ ج١٨، ص٥٢٤؛ ج١١، ص٤١؛ ج٩، ص٢٠١ و ٢٦٩ و ٢٦٧.

٢. نفس المصدر، ج٤، صص١٨، ٥٦، ٦٢، ٧٨، ٧٩، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٩، ١٠١، ١٣١، ١٧١، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٦، ٦: ١٥، ١٥١، ٤٦١، ٤٨٦؛ ج٧، صص٣٧١ ـ ٣٧٦؛ ج١٥، صص٤٥٠ ـ٥١٧؛ ج٢٠، صص٢٢١ ـ ٢٥٥.

٣. تجدها على الترتيب في نفس المصدر، ج٤، صص١٦٦–١٧٠ و٣٦٢؛ ج١٥، ص٨٠–٨٢؛ ج٢٠، ص٢٧٢؛ ج٤، ص١٦٧؛ ج٤، ص٢٨٤؛ ج٥، ص٥؛ ج٤، ص٣٦٢.

بعد نبيها ـ خير البرية ـ خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعد النبي ـ خليل اللّه ـ خليل رسول‌اللّه ـ خدن رسول‌اللّه

د) دافن رسول‌اللّه ـ الدال ـ ديان العرب ـ ديان هذه الأمة

ذ) الذائد عن حوض رسول‌اللّه ـ الذاب عن ملة رسول‌اللّه ـ ذو قرني الجنة

ر) راية الهدى ـ ركن الإيمان ـ رباني هذه الأمة ـ رفيق رسول‌اللّه في الجنة

ز) زوج الأرامل

س) سيد وُلد آدم ـ سيد العرب ـ سيد في الدنيا والآخرة ـ سيد المؤمنين ـ سيد الأوصياء «الوصيين» سيف اللّه ـ سيف رسول‌اللّه ـ سيف اللّه على أعدائه ـ سيد الأولين والآخرين ما خلا النبيين ـ سيد الصديقين ـ سيد المسلمين ـ سيد الأولياء

ش) شيخ المهاجرين ـ الشاهد

ص) الصديق الأكبر ـ صاحب رسول‌اللّه ـ صاحب لواء رسول‌اللّه في المحشر ـ صاحب حوض رسول‌اللّه ـ صفي رسول‌اللّه ـ صاحب راية رسول‌اللّه يوم القيامة ـ الصراط المستقيم ـ صالح المؤمنين ـ صاحب راية اللّه في المقام المحمود ـ صاحب سر رسول‌اللّه ـ صاحب لواء الحمد ـ صهر رسول‌اللّه ـ صاحب رسول‌اللّه في الجنة ـ الصديق

ض) ضامن المستضعفين

ط) الطريق الواضح ـ الطريق إلى اللّه

ظ) ظهر رسول‌اللّه وأزره

ع) عيبة علم رسول‌اللّه ـ عضد «عاضد» رسول‌اللّه ـ عمود الإسلام ـ العلَم المرفوع لأهل الدنيا ـ عالم الناس ـ العابد ـ عبقري أصحاب رسول اللّه ـ العروة الوثقى ـ عين اللّه ـ علي مني مثل رأسي من بدني ـ علي من

النبي والنبي من علي[١] ـ عليٌّ سيد العابدين[٢] ـ أنا وعلي أبوا هذه الأمة ـ علي باب الدين... ومَن خرج منه كان كافرا.[٣]

غ) غاسل رسول‌الله

ف) فاروق هذه الأمة ـ الفاروق بين الحق والباطل ـ الفتى

ق) قائد الغر المحجلين ـ قاضي دين رسول‌الله ـ القائم بأمر الله ـ قاضي عداة رسول‌الله ـ قاصم عداة رسول‌الله ـ قاتل الناكثين ـ قبلة العارفين ـ قسيم الجنة والنار ـ قائد المسلمين إلى الجنة ـ قائد الأمة إلى الجنة ـ قائد المؤمنين إلى الجنة ـ قاتل الفجرة ـ قاتل الكفرة

ك) كبير الناس ـ الكلمة التي ألزمها الله المتقين ـ كلمة التقوى

ل) لحم رسول‌الله ـ لسان الله الصادق

م) منجز وعد الله ـ موضع سر رسول الله ـ مولى البرية ـ مولى من كان رسول‌الله مولاه ـ المؤدي عن رسول‌الله ـ منار الإيمان ـ مفاتيح خزائن رحمة الله ـ مستودع مواريث الأنبياء ـ مصباح الدجى ـ منار الهدى ـ المتقدم إلى كل شديدة وكريهة ـ المثل الأعلى ـ المهدي ـ المهتدي ـ المجتبى للإمامة ـ الملك في الآخرة ـ محيي سنة رسول الله ـ ممسوس في ذات الله ـ مقيم الحجة ـ مفرج الكرب عن وجه رسول‌الله ـ المخشوش في ذات الله ـ المبلغ من الله ورسوله ـ منزلة علي من النبي منزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعده (وفيه ثلاث وعشرون حديثا) ـ مختار الله مع النبي ـ ملجأ كل ضعيف ـ مأمن كل خائف

---

١. يرويه حبشي بن جنادة، والرواة عنه تسعة وثلاثون من محدثي إخواننا، وأبوذر، وأبو رافع عنه عشرة وجابر وبريدة عنه خمسة عشر وعمران عنه إحدى وأربعون. وزيد عنه ستة وهبيرة عنه ثمانية وحسن‌بن علي عنه ثلاثة وعمربن الخطاب عنه ثلاثة والبراء بن عازب عنه تسعة وعشرون وأم سلمة وابن عباس. ملحقات إحقاق الحق، ج٥، صص٢٧٤ ـ ٣١٧.

٢. نفس المصدر، ج١٢، صص٨٤-٨٦.

٣. نفس المصدر، ج٧، ص١٤٥؛ ج٢٠، ص٣٧٠.

ن) نور جميع من أطاع اللّه ـ نور أولياء اللّه ـ النبأ العظيم ـ الناس من شجر شتَّى والنبي وعلي من شجرة واحدة

و) ولي المتقين ـ وزير رسول اللّه ـ وصي رسول اللّه ـ وارث علم رسول اللّه ــ ولي المؤمنين «كل مؤمن» بعد رسول اللّه ــ وارث النبي ــ وارث علم النبيين ــ وزير رسول اللّه «في السماء والأرض» ـ ولي اللّه ـ ولي رسول اللّه في الدنيا والآخرة ــ ولي المؤمنين بعد رسول اللّه ـ ولي كل مؤمن ومؤمنة «كل مسلم ومسلمة»

ه) الهادي

ى) يعسوب الدين ـ يعسوب المؤمنين ـ يعسوب المسلمين ـ يعسوب قريش ــ يد اللّه المبسوطة على عباده بالمغفرة والرحمة

هذا، وحق لذلك الشاهد منه، الجامع لمجاميع الصفات الحسنى الإنسانية المعصومة، أن يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني» كلمة تخصّه بعد الرسول ﷺ كما يرويها عنه عليه السلام التسعة عشر من محدثي إخواننا[1] وقد يعترف بذلك مثل عمر ومعاوية من قوله لامرأته: «ويلك ما تدرين ماذا ذهب من علمه وفضله وسوابقه»؟![2]

---

١. كما في تعليقات إحقاق الحق، ج٥، صص٦١٠–٦١٤؛ رواه جماعة من أعلام القوم في كتبهم، ومنهم: ابن عبدالبر في الإستيعاب (ج ١) قال: «أجمع الناس كلهم على أنه لم يقله أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء»، وابن أبي الحديد في شرح النهج (ج٢، ص١٧٥) و(ج٣، ص٢١٧) نقل كلام ابن عبدالبر وقال: «روى شيخنا أبوجعفر الإسكافي في كتاب نقض العثمانية عن علي بن الجعد عن ابن شبرمة الزرندي في نظم درر السمطين (٩٦). قال: ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: (سلوني) إلّا علي بن أبيطالب» روى قوله وزاد في رواية: «لا يقولها إلا كذاب أو مجنون».

وابن عبدالبر الأندلسي في جامع بيان العلم وفضله (٥٨) وابن‌سعد في الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣٣٨؛ والخطيب الخوارزمي في المناقب (ص٥٤) والجزري في أسد الغابة (ج٤، ص٢٢) والطبري في الرياض النضرة، ج٢، ص١٩٨؛ وابن الجوزي في التذكرة وفي ذخائر العقبى (ص٨٣) وابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة (ص٧٦) ومحمد خواجة البخاري في فصل الخطاب على ما في ينابيع المودة (ص٣٧٢) والسيوطي في تاريخ الخلفاء (ص٦٦) والمناوي في شرح الجامع الصغير (ص٢٤٧) والبدخشي في مفتاح النجا (ص٥٦) ومحمّد بن طولون في الشذرات الذهبية (ص٥٠) والقندوزي في ينابيع المودة (ص٢٨٦) والأمر تسري في أرجح المطالب (ص١٠٧) والمغربي في فتح العلى (ص٤٠).

٢. كما رواه عنه في المناقب ٢٧٢: «لما جاء معاوية خبر وفاة علي عليه السلام، وهو قائل مع امرأته بنت قرظة في يوم صائف، قال: ﴿إِنّا لِلّهِ وإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾، ماذا فقدوا من العلم والفضل والخير! قالت له إمرأته: تسترجع عليه اليوم؟ قال: ويلك ويلك لاتدرين ماذا ذهب من علمه وفضله وسوابقه»!

وفي كلام آخر لمعاوية: «كان النبي صلى الله عليه وآله يغر عليا بالعلم» أي: يلقمه إياه؛[١] فقد كان حقاً على الخليفة عمر أن يقول له يوم الغدير: «أصبحتَ مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»، وكما يرويه عن ستة وعشرين من محدثي إخواننا.[٢]

أجل، ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾؛ لأن «منزلته عليه السلام منه صلى الله عليه وآله هى منزلته صلى الله عليه وآله من اللّه عزّ وجلّ»، كما يرويه الخليفة ابوبكر عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله.[٣]

وهكذا يصبح علامةُ النفاق بغضَ علي عليه السلام، كما يروي عنه في ثلاثة وأربعين مصدرا، ستة وعشرون عن أبي‌سعيد الخدري، واثناعشر يروون عن جابر، وخمسة عن أبي‌ذر:[٤] «إنا كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً عليه السلام».

وهكذا يجدر بالخليفة عمر أن يقول فيه عليه السلام: «لولا علي لهلك عمر!»،[٥] «نعوذ باللّه من معضلة ليس لها أبوالحسن»، «عجزت النساء أن يلدن

---

١. رواه جماعة، منهم: ابن الأثير الجزري في النهاية، ج٣، ص١٧٦؛ والمؤدب الهروي في الغربيين (ص٥٩٠) والمحدث الصديقي الفتني في مجمع بحارالأنوار، ج٣، ص١٦؛ والأمر تسرى في أرجح المطالب (ص١٠٧)

٢. كما في ملحقات إحقاق الحق، ج٦، صص٣٦١-٣٦٨؛ ممن رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ج٨، ص٢٩٠؛ من قول عمر يوم الغدير لعلي عليه السلام: «بخّ بخّ لك يا ابن أبي‌طالب! أصبحت مولاي ومولى كل مسلم...» وابن المغازلي في المناقب والنيسابوري في فضائل الصحابة والثعلبي في تفسيره على ما في مناقب عبداللّه الشافعي (ص١٠٤) (مخطوط)، والسمعاني النيسابوري في فضائل الصحابة (مخطوط) والبيهقي كما في كتاب محمّد بن يوسف الشافعي (مخطوط) والخطيب الخوارزمي في المناقب (ص٩٣) والبيهقي في الإعتقاد (ص١٨٢) والطبري في ذخائر العقبى (٦٧) والحمويني في فرائد السمطين (مخطوط) والزرندي في نظم درر السمطين (١٠٩) والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (ص٥٦٥) والمقريزي في الخطط والآثار المقريزية (ص٢٣٠) وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة (ص٢٣) والسيوطي في الحاوي للفتاوي والكرخي في نفحات المالكي في الفصول المهمة (ص٢٣) والسيوطي في الحاوي للفتاوي، والكرخي في نفحات اللاهوت (٢٧) والصديقي في مجمع بحار الأنوار، ج٣، ص٤٦٥؛ والسهمودي في وفاء الوفاء، ج٢، ص١٧٣؛ والبدخشي في مفتاح النجا (ص٥٧) والدمشقي في ذخائر المواريث، ج١، ص٥٧؛ والقندوزي في ينابيع المودة (ص٢٠٦) والدهلوي في تجيهز الجيش (ص١٣٥) والساعاتي في بدايع المنن، ج٢، ص٥٠٣؛ وبهجت أفندي في تاريخ آل محمّد (ص٨٥).

٣. نفس المصدر، صص٢١٧-٢١٨، كما في ذخائر العقبى (ص٦٤) روي عن ابن عباس قال: «جاء أبوبكر وعمر يزوران قبر النبي صلى الله عليه وآله ـ إلى أن قال ـ: قال أبوبكر: ما كنت لأتقدم رجلاً سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: علي مني بمنزلتي من ربي»، أخرج السمان في كتاب الموافقة، وقلندر الهندي في روض الأزهر، ص٩٧؛ مثله، والأمر تسري في أرجح المطالب (ص٤٦٨) مثله.

٤. نفس المصدر، ج٧، ص٢٣٧-٢٤٠.

٥. في ملحقات إحقاق الحق ٨: ١٨٢-٢١٣ يذكره ابن قتيبة الدينوري في تأويل مختلف الحديث (٢٠٢) وابن مردويه في تظلم الزهراء (مخطوط) والبلخي على ما في التلخيص (١٧) والكركي في نفحات اللاهوت (٦٤)

بمثل علـي»، «لـو لا علـي لافتضـحنا»،[١] «يـابن أبـي‌طالـب! مازلـت كاشـفَ كـل شـبهة وموضـح كـل حكـم!»،[٢] «أللهـم لا تنـزل بـي شـديدة إلا وأبوالحسـن إلـى جنبـي!»،[٣] «أعــود باللّــه أن أعــيش فــي قــوم لســتَ فــيهم يــا أباالحســن!»،[٤] «أللهــم لا تبقنــي لمعضلة ليس لها ابن أبي‌طالب!»،[٥] و«لا أبقاني اللّه بعدك يا علي!».[٦]

يقولها جلالة الخليفة، عند المعضلات، التي كان يحلها له علي عليه السلام!

ذلك علي عليه السلام شاهد منـه صلى الله عليه وآله، ثـم فاطمتـه الزهـراء شـاهدة منـه؛ كمـا تـدل علـى مَحْتِدها آيـة التطهيـر والمباهلـة ومـا أشـبه، وبالتـالي المتـواتر عـن الرسـول صلى الله عليه وآله فـي مواصفاتها العالية الغالية، ما تجعلها قرينة صالحة لعلي عليه السلام.

والسعدي الآبي في شرح أرجوزته (٢٩٤) مخطوط والقندوزي في ينابيع المودة (٧٠) والمغربي في فتح الملك العلي (٣٥) وبهجة أفندي في تاريخ آل محمّد (١٣٥) وابن أبي الحديد في شرح النهج (٦) والقوشجي في شرح التجريـد، وأحمد العجلي في ذخيرة المآل، والفرغاني في شرح القصيدة التائية لابن فارض، والتفتازاني في المطول على شـرح تلخيص المفتاح (١٣٦) والعجلي في ذخيرة المآل، والشامي الشافعي في مطالب السؤول، والخوارزمي فـي المناقـب (٤٨) وسلطان المشايخ في الملفوظات والأمالي العرفانية.

١. المصدر رواه جماعة، منهم: الزمخشري في ربيع الأبرار ٥٤٨ والأمر تسري في أرجح المطالب (١٢٢).

٢. المصدر رواه جماعة، منهم: المتقي الهندي في كنز العمال ٥: ٤٩٧.

٣. المصدر رواه جماعة، منهم: الطبري في ذخائر العقبى ٨٢ والحمويني في فرائد السمطين، والزرندي في نظم درر السمطين.

٤. المصدر رواه جماعة، منهم: الحاكم النيسابوري فـي المسـتدرك، ج١، ٤٥٧؛ والطبـري فـي ذخـائر العقبـى (٨٢) والذهبي في تلخيص المستدرك المطبوع يذيله، ج١، ص٤٥٧؛ والمتقي الهندي في كنز العمال (٥: ٩٣) والإسـحاق في أخبار الأول (٣١).

٥. المصدر رواه جماعة، منهم: الخطيب الخـوارزمي فـي مقتـل الحسـين(٤٥) وفـي المناقـب (٥٨) والبلخـي فـي التلخيص (١٦) والگنجي في كفاية الطالب (٧٢) والحمويني في فرائد السمطين (مخطوط) والزرندي في نظـم درر السمطين (١٣٢) وابن الصباغ في الفصول المهمة (١٧) والمتقي الهندي في كنز العمـال (١٥٧) وابـن الجـوزي فـي تذكرة الخواص (١٥٧) والشبلنجي في نور الأبصار (٧٢) والقندوزي في ينابيع المودة (٧٥).

٦. المصدر رواه جماعة، منهم: الخطيب الخوارزمي في المناقب (٦٠) والطبري في ذخائر العقبى (٨٢) والحمـويني في فرائد السمطين (مخطوط) والآبي في شرح الأرجـوزة، والمنـاوي فـي شـرح الجـامع الصـغير (٢٤٨) وسـبط ابـن الجوزي في التذكرة (١٥٧) والمتقي الهندي في كنز العمال، ج١، ص١٥٧؛ والأمر تسري في أرجـح المطالـب (١٢٢) والسمهودي في جواهر العقدين في فضل الشرفين. والقسطلاني في توضيح الدلائل على ما في فلك النجاة (٤٠٩).

أقول: وهذه تصريحاته وعشرات أمثالها قالها في مختلف المآزق؛ وللتفصيل راجع المصـدر وأشـباهه، كـ«الغـدير» و«العبقات» وقد يأتي شذر منها.

منها: قوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة سيدة نساء العالمين»،[١] «فاطمة أفضل النساء من الأولين والآخرين»، «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»، «فاطمة سيدة نساء هذه الأمة» «إن اللّه يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها»،[٢] «نزل جبرئيل لإبلاغ سلام اللّه إلى فاطمة»، «إشراق الجنان من نور ضِحك فاطمة وعلي عليهما السلام»، «أول من يدخل الجنة فاطمة»، «تبعث فاطمة يوم القيامة أمام رسول اللّه صلى الله عليه وآله»، «تحشر فاطمة متعلقة بقائمة العرش وتطلب بثأر ولدها»، «فاطمة أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله»، «فاطمة أحب وعلي أعز»،

---

١. في ملحقات إحقاق الحق رواه جماعة من الأعلام، منهم: الطيالسي في المسند (١٩٦) عن عائشة قالت: «كنّا عند رسول اللّه صلى الله عليه وآله في مرضه الذي مات فيه، ما يغادر منا واحدة، إذ جاءت فاطمة، تمشي، ما تخطئ مشيتها من مشية رسول اللّه صلى الله عليه وآله شيئا! فلما رآها قال: مرحبا بابنتي! فأقعدها عن يمينه أو عن يساره ثم سارّها بشيء فبكت؛ فقلت لها أنا من بين نسائه: خصّكِ رسول اللّه صلى الله عليه وآله من بيننا بالسرار، وأنت تبكين؟! ثم سارها بشيء؛ فضحكت!» قالت: فقلت لها عليها السلام: «أقسمتُ عليكِ بحقي أو بمالي عليك من الحق لما أخبرتني؟» قالت عليها السلام: «ما كنت لأفشي على رسول اللّه صلى الله عليه وآله سرَّه!» قالت: «فلما تُوفِّي النبي صلى الله عليه وآله سألتها فقالت عليها السلام: أما الآن، فنعم، أما بكائي فإن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال لي إن جبرئيل عليه السلام كان يعرض عليّ القرآن كل عام مرة فعرضه علي العامَ مرتين، ولا أرى إلا أجلي قد إقترب؛ فبكيتُ، فقال لي: اتقي اللّه واصبري؛ فإني أنا لك نعم السلف. ثم قال: يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء هذه الأمة؛ فضحكتُ» نقل مثلها عنها ابنُ سعد في الطبقات الكبرى، ج٨، ٢٦؛ والنسائي في الخصائص (٣٤) والحاكم النيسابوري في المستدرك، ج٣، ص١٥٦؛ والنبهاني البيروتي في جواهر البحار، ج١، ص٣٦٠؛ وابن عبد البر الأندلسي في الإستيعاب، ج٢، ص٧٥٠؛ وأبونعيم في حلية الأولياء، ج٢، ٣٩؛ والموفق بن أحمد في مقتل الحسين، والبغوي في مصابيح السنة، والجزري في أسد الغابة، ج٥، ص٥٢٢؛ والذهبي في تاريخ الإسلام، ج٢، ٩٤؛ والعسقلاني في الإصابة، ج٤، ص٣٦٧؛ والسيوطي في الخصائص، ج٢، ص٢٦٥؛ والمتقي الهندي في كنز العمال، ج١٣، ص٩٥؛ وفي منتخب كنز العمال، ج٥، ص٩٧؛ والنقشبندي الخالدي في صلح الإخوان (١١٦) ومسلم في صحيحه والهندي الحنفي في الروض الأزهر (١٠٣) والزبيدي في إتحاف السادة المتقين، والقندوزي في ينابيع المودة ٢٦٠ والبدخشي في مفتاح النجا (١٢).

ورووه عن عمران بن الحصين وجابر بن سمرة وابن عباس وأبي بريدة الأسلمي وأبيهريرة وأنس، ونرى هكذا الحديث الثاني والثالث والرابع.

٢. المصدر رواه جماعة من الأعلام، منهم: الحاكم النيسابوري في المستدرك، ج٣، ص١٥٣؛ عن علي عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لفاطمة: إن اللّه يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» والطبراني في المعجم الكبير (١٤) والخطيب الخوارزمي في مقتل الحسين(٥١) واليافعي في التدوين، ج٣، ص٤٢؛ وابن الأثير في أسد الغابة، ج٥، ص٥٢٢؛ والطبري في ذخائر العقبى (٣٩) وابن الجوزي في التذكرة (٣٢٠) والگنجي في كفاية الطالب (٢١٩) والذهبي في ميزان الإعتدال، ج٢، ص٧٢؛ والسمهودي في نظم درر السمطين (١٧٧) والعسقلاني في الإصابة (١٧٧) والسيوطي في الخصائص، ج٢، ص٢٦٥؛ وفي الثغور الباسمة (١٥) والدمشقي في أخبار الدول (٨٧) والمتقي الهندي في كنز العمال (١٣) والدشتكي في روضة الأحباب (٦٦٥) والمناوي في كنوز الحقائق (٣٢) والشافعي في المناقب (٢٠٧) والعسقلاني في تهذيب التهذيب، ج١٢، ص٤٤١؛ والنقشبندي في صلح الإخوان (١٣٤) والقندوزي في ينابيع المودة (١٧٣ و١٩٨) والبدخشي في مفتاح النجا (١٠١) والصبان في «أسعاف الراغبين» المطبوع بهامش «نور الأبصار» (١٩) والحضرمي في رشفة الصادي (٦١) والنبهاني في الشرف المؤبد (٥٣).

وهكذا نجد الأحاديث (٢-٢٦) متواترة بشأنها وللإطلاع المفصل فليراجع المصدر.

«هي روحي التي بين جنبي»، «منوط لحمها بدمي ولحمي»، «فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها وينصبني ما ينصبها» «فاطمة بضعة مني، يريبني ما أرابها»، «فاطمة شجنة مني، يبسطني ما يبسطها» «فاطمه بضعة مني، يسرني ما يسرها»، «فاطمة بضعة مني، من أغضبها فقد أغضبني»، «فاطمة بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي»، «من أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخطها فقد أسخطني»، «فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها»، «فاطمة بضعة مني، يسوؤني ما ساءها»، «فاطمة بضعة مني، يسعفني ما يسعفها»، «إنها كانت أشبه الناس وجهاً برسول اللّه صلى الله عليه وآله»، و«كانت مشية فاطمة مشية رسول اللّه».

هذه شطرات من ميزات الصديقة الطاهرة عليها السلام، أنها ـ ككل ـ خير نساء العالمين من الأولين والآخرين، وأخيراً هي «أعظم نساء المسلمين رزية»![1]

ذلك، ولقد نجِدُ ذكرَ علي عليه السلام على لسان النبي صلى الله عليه وآله، مروياً في زهاء ألفين من مؤلفات إخواننا، قرابة ثلاثمائة مرة، توازي الثلاثمائة السالفة من مواصفاته، وإليكم سردا منها إختصارا، بحذف عناوينها المسرودة في ملحقات إحقاق الحق:

«أنا وعلي أبوا هذه الأمة ـ علي أبو تراب ـ علي أمير المؤمنين ــ علي إمام الأولياء ــ علي أول من آمن ــ علي أول من أسلم ــ علي أوّل شافع ــ علي أول من صدق رسول اللّه صلى الله عليه وآله ـ علي أول من صلى ـ علي أوّل من يصافحني ـ علي أول من يرد علي الحوض ـ علي أول من يلقاني ـ علي اول من وحد اللّه ـ علي أول من يقرع باب الجنة ـ علي أول من تنشق عنه الأرض بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله ـ نعم الأخ أخوك علي ــ علي أخي في الدنيا والآخرة ـ علي أسد اللّه ـ علي أصلي وجعفر فرعي ـ علي إمام الغر المحجلين ــ علي إمام البررة ـ علي إمام المتقين ـ علي إمام البررة ـ علي إمام المسلمين ــ علي إمام الخلق ـ علي أميني على مفاتيح... علي باب اللّه الذي لا يؤتى إلاّ منه ــ علي أبصرهم

---

١. رواه جماعة من الأعلام، كالعسقلاني في فتح الباري، ج٨، ص١١١؛ عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: «إن جبرئيل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المسلمين أعظم رزية منكِ؛ فلا تكوني أدنى امراة منهم صبرا» ورواه مثله النبهاني في الأنوار المحمدية (٥٨٢) والقندوزي في ينابيع المودة (١٩٨) والهيثمي في مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٣.

بالقضية ـ علي حجة اللّه ـ علي مقيم الحجة ـ علي أعظمهم حلما ـ علي أوفرهم حلما ـ علي أحلم الناس حلما ـ علي باب علمي ـ علي باب الدين... من خرج منه كان كافرا ـ أنا مدينة الجنة وعلي بابها ـ أنا مدينة الحكمة وعلي بابها ـ أنا دار الحكمة وعلي بابها ـ أنا مدينة العلم وعلي بابها ـ أنا دارالعلم وعلي بابها ـ أنا مدينة الفقه وعلي بابها ـ علي باب حطة من دخله كان مؤمنا ومن خرج عنه كان كافرا ـ إن اللّه عزّ وجل يباهى بعلي ـ ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين ـ لَمبارزةُ علي يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي ـ لِعلي من الثواب، ما لو قُسّم على أهل الأرض لوسعهم ـ حب علي حب اللّه ـ علي أحب الخلق ـ أحب الأعمال حب علي ـ ما ثبت حب علي في قلب مؤمن إلا ثبَّت اللّه قدمه ـ أول ثلمة في الإسلام مخالفة علي ـ حب علي عبادة ـ من أحب عليا أعطاه اللّه بكل عِرق في بدنه مدينة في الجنة ـ قل لمن أحب عليا أن يتهيأ لدخول الجنة ـ أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لعلي ـ إنه يترحم علَى محبي عليّ كما يترحم على الأنبياء ـ من أحب عليّاً أحبني ـ من أبغض عليا أبغضني ـ يا محمّد، إن اللّه يأمرك أن تحب علياً وتحب من يحب عليا ـ حب علي إيمان ـ حب علي براءة من النفاق ـ حب علي يأكل الذنوب ـ لو اجتمع الناس على حب علي لما خلق اللّه النار ـ أمر رسول اللّه صلى الله عليه وآله أن يمتحنوا أولادهم بحب علي ـ أحبوا عليا بحبي وأكرموه بكرامتي ـ إن اللّه يحب عليا ما لا يحب الملائكة ولا النبيين ولا المرسلين ـ عنوان صحيفة المؤمن حب علي ـ حب علي حسنة، لا تضر معها السيئة ـ لن يقبل اللّه فرضا إلاّ بحب علي ـ جناح هذه الأمة علي ـ علي خاتم الأوصياء ـ علي حبيب اللّه ـ حب علي جواز على الصراط وبراءة من النار ـ السعيد كل السعيد من أحب عليا ـ إن عليا وحزبه هم المفلحون ـ علي حبل اللّه ـ إنَّ حافِظَي عليٍّ ليفخرانِ على سائر الملائكة ـ حق علي كحق الوالد ـ أللهم بحق علي، إغفر للخاطئين من أمتي ـ يا رب بحق محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين... ـ إن لِعلي حقا لا يعلمه إلاّ اللّه وأنا ـ قسمت الحكمة عشرة أجزاء... وتسعةٌ لعلي ـ من خرج على علي فهو كافر ـ علي خير أمتي ـ علي خير أهلي ـ علي خير إخوتي ـ علي خير البشر ـ علي خير البرية ـ علي خير الأمة ـ علي خير الخلف ـ علي خير الخلق

ـ علي خير من طلعت عليه الشمس وغربت بعدي ـ علي خير الرجال ـ علي خير الناس ـ علي خير الأوصياء ـ شجرة في الجنة أصلها في دار علي وفرعها على أهل الجنة ـ علي ديان هذه الأمة ـ علي وذريته يختمون الأوصياء إلى يوم الدين ـ علي إمام أمتي ـ علي حجتي على أمتي ـ علي إمام أوليائي ـ علي أعلم الناس باللّه ـ علي عبقري أصحاب رسول اللّه ﷺ ـ عادى اللّه من عادى عليّا ـ علي عمود الإسلام ـ علي عيبة علمي ـ علي مفرج كربتي ـ علي أسخاهم كفا ـ سُمّي عليا لأنه لم يسمَّ أحدٌ قبله باسمه ـ علي سيد الصادقين ـ علي سيد العابدين ـ علي سيد الصديقين ـ علي سيد المؤمنين ـ علي رباني هذه الأمة ـ علي راية الهدى ـ علي رفيقي ـ علي ركن الإيمان ـ علي سيد الأولين والآخرين ـ علي سيد ولد آدم ـ لا فتى إلا علي ـ علي أشجع الناس قلبا ـ علي صاحب سِرّي ـ علي عوني على مفاتيح الجنة ـ أنا وعلي من شجرة واحدة ـ علي مصباح الدجى ـ علي الصديق الأكبر ـ علي صفوة اللّه ـ علي أعلم الأمة بعدي ـ علي أعظم الناس منزلة ـ علي أعظم الناس عند اللّه مزية ـ علي أعظم الناس عند اللّه غناءً ـ علي أقوم الناس بأمر اللّه ـ علي أقسم الناس بالسوية ـ علي أكرم الناس أخاً ـ علي أكرم الناس درجة ـ علي أكرم الناس نفسا ـ علي أكرم الناس يقينا ـ علي نظيري ـ علي منار الإيمان ـ علي نفسي ـ علي مستودع مواريث الأنبياء ـ علي وارثي ـ علي وزيري ـ علي وصيي ـ علي ولي اللّه ـ علي ولي كل مؤمن ـ تمام دين اللّه ولاية علي بعدي ـ علي مدينة هدىً فمن دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك ـ علي الهدى ـ علي يعسوب الدين».[1]

ذلك، وما أحسنه قول الرسول ﷺ في حقه: «لولا أني خاتم الأنبياء لكنتَ شريكاً في النبوة»،[2] وقوله ﷺ: «عليٌ مِنّي وأنا منه»،[3] و«علي مني

١. ننقل من كتاب إحقاق الحق في سبعة مجلدات وملحقات احقاق الحق في ستة وعشرين مجلدا وفهرسه في مجلد واحد، والمجموع بالغ إلى أربعة وثلاثين مجلدا، كلها تعني بيان منزلة الإمام علي عليه السلام في لسان الرسول ﷺ المذكورة في قرابة ألفين من مؤلفات إخواننا السنة، وهذا شطر يسير من الكثير الغزير.

٢. ملحقات إحقاق الحق، ج٧، ص٣٧٧ و ج١٥، ص٥٨ ـ ١٩١ ـ ١٢٨؛ و ج٢٠، ص٤٤٧؛ و ج٤، ص١١٨.

٣. المصدر، ج٤، ص٣٧ ـ ٢١٠ و ج٥، ص٢٧٤ ـ ٣١٧؛ و ج٦، ص٤١٦ ـ ٤٤٧ ـ ٥٨٦ ـ ٤٤٨؛ ج١٦، ص١٣٦ـ ١٦٧؛ و ج١٥، ص٩٤ ـ ٩٨، ١٠٣ ـ ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨ ـ ١٠٩، ١١١، ١١٥؛ و ج٢٠، ص٤١١ و ج٢١، ص١٢٢ـ ١٤٩.

بمنزلتي من ربي»،[١] و«علي وارثي»،[٢] و«علي وزيري»،[٣] «يا أبابكر! هذا الذي تراه وزيري في السماء، ووزيري في الأرض»،[٤] و «عليٌّ وصيي»،[٥] و«خاتم الوصيين ـ خاتم الأوصياء ـ وصي اللّه ـ خير الأوصياء ـ سيد الوصيين ـ سيد الأوصياء ـ أفضل الأوصياء...».[٦]

وقد جاءت «بينة» في القرآن لمصاديقَ عِدّةٍ، أصدقها القرآن:

﴿وَقالُوا لَوْ لا يَأْتِينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مٰا فِى الصُّحُفِ الْأُولىٰ﴾ [طه، ١٣٣]، ﴿قُلْ إِنِّي عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مٰا عِنْدِي مٰا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ...﴾ [الانعام، ٥٧]، ﴿وَهٰذا كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ مُبٰارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الانعام، ١٥٥]، ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنّٰا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتٰابُ لَكُنّٰا أَهْدىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جٰاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ...﴾ [الانعام، ١٥٧]، ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِى أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنٰاهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ﴾ ﴿أَفَمَنْ كانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوٰاءَهُمْ﴾ [محمد، ١٣و١٤]

فقد «... بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله بالحق؛ ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته؛ **بقرآنٍ قد بينه** وأحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليُقروا به بعد إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه، بما أراهم من قدرته، وخوفهم من سطوته، وكيف محق من محق بالمثلات، واحتصد من احتصد بالنقمات...».[٧]

---

١. نفس المصدر، ج٧، ص٢١٧ ـ ٢١٨؛ و ج١٧، ص١٩٤ ـ ١٩٥.

٢. نفس المصدر، ج٤، صص٦٩، ٧١ ـ ٧٥، ٧٩، ٩٩، ١٠٠، ١٦٠، ١٧٢، ١٧٨، ٢٢٨، ٢٧٧، ٣٥٧؛ و ج٥، صص٣٥، ٣٧، ٤١، ٥٠، ٢٧٧، ٣٥٧؛ و ج١٥، ص١٩١ ـ ١٩٥؛ و ج٧، ص٤١٤، ٢٢٠، ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

٣. نفس المصدر، ج٤، صص٢٧، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٦٩، ٧٩، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٧٨، ٢٨٥، ٣٢٦، ٣٣٧؛ و ج٥، صص٣٥، ٣٧، ٤١ ـ ٤٢، ٢٩٧؛ و ج٧، ص٣٧٦؛ و ج١٥، صص٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٥٤؛ و ج٢٠، ص٢٦٢، ٥٤٠ ـ ٥٤١.

٤. المصدر، ج٤، ص٢٧٨.

٥. ملحقات إحقاق الحق، ج٤، صص١٩، ٦١-٦٢، ٧١، ٨٢، ٨٥، ٩٩، ١٠٤، ١١٢، ١٦٠، ١٧٠، ١٩٢، ٢٢٧، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٢٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٠، ٣٨٥؛ و ج١٥، ص١٢٩ ـ ١٧٣، ٢٠٨؛ و ج٢٠، صص٢٣٠، ٣٨٠-٣٨٣، ٤١١، ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

٦. وكلّ من هذه الصيغ وارد عنه صلى الله عليه وآله بصورة متواترة، راجع فهرس ملحقات إحقاق الحق ٥٧٨ ـ ٥٨٢.

٧. الخطبة ١٤٧.

وقد عبر عن آيات القرآن بالبينات في عشرات من الآيات، مما يقرر أن القرآن هو أفضل البينات الربانية وأبينها، وهنا ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ دون «الله» أو «رب العالمين» لمحةٌ لامعة أنَّ القرآن يحمل كافة البينات الربانية، التي بالإمكان أن تنزل على الخلق. ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسىٰ إِماماً وَرَحْمَةً﴾ وتراه إماماً على القرآن ورحمةً على رسول القرآن؟ ومحمّد ﷺ هو إمام الأئمة الرسولية والرسالية على مدار الزمن، وقرآنه هو المهيمن على الكتابات الرسالية على مدار الزمن.

فحين يقال فلان إمام، يعني: على أمته، فكتاب موسى إمام على أمة موسى عليه السلام ورحمة لهم، ومن رحمته ما فيه من بشارات بحق محمّد ﷺ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ ۞ وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْراً ما سَبَقُونا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هٰذا إِفْكٌ قَدِيمٌ ۞ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسىٰ إِماماً وَرَحْمَةً وَهٰذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الاحقاف ١٠ ـ ١٢]

﴿... أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...﴾ [هود. ١٧]، ﴿كِتابُ مُوسىٰ﴾ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنّارُ مَوْعِدُهُ﴾ ثم ﴿... أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...﴾ [هود. ١٧] يعم المشركين إلى الكتابيين، بل والأصل هنا هم الكتابيون لمكان فـ ﴿كِتابُ مُوسىٰ﴾ ليس شديد التنديد هنا إلّا بهم، فهل التوراة بعدُ إمام القرآن؟ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنّارُ مَوْعِدُهُ﴾ وليس الكفر بالمأموم الفرعِ، بعد الإيمان بالإمام الأصل، مما تستحق به النار!

فالأحزاب الدينية بمختلف مبادئها، والأحزاب الإلحادية والشركية على اختلافها، ﴿مَنْ يَكْفُرْ﴾ منهم ﴿بِهِ﴾ وهو عشير بينات ثلاث وحشيرها ـ ﴿فَالنّارُ مَوْعِدُهُ﴾: ﴿فَلا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ القرآن ورسالتك به، ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ كلّه ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ مهما كان سائر الوحي أيضا حقا، ولكن أين حق يُنسخ حيث يتلوه حق آخر، ثم ويحرف، وهو شطر من الحق، أين هو من ﴿اَلْحَقّ﴾ الذي لا يُنسخ ولا يحرَّف وهو خالد إلى يوم الدين،

جامعا حق الوحي السالف كله وفيه مزيد. ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ ذلك الحقَّ المتينَ المبينَ مقصرين أو قاصرين.

ولا يعني نَهيُه صلى الله عليه وآله عن ريبة منه أنه ارتاب، كيف وهو ﴿عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ وإنما هو تسلية له صلى الله عليه وآله وتسرية عما قد يخالج نفسه المقدسة من أعباء الرسالة أمام المكذبين، ثم وهو من باب «إياك أعني واسمعي يا جارة.»

ذلك، فلا مجال لتخيلات «حدّاد» الواهية وتقوُّلاته الساهية، أنّ هذه الآية تقرر إمامة التوراة للقرآن[1] وأنه نسخة عربية للتوراة، رغم أن هذه الآية ونظيرتها:

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْراً ما سَبَقُونا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هٰذا إِفْكٌ قَدِيمٌ ۞ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسىٰ إِماماً وَرَحْمَةً وَهٰذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الاحقاف. ١١ ـ ١٢] ـ رغم أنهما ـ تنديدان اثنان بالذين يكفرون بالقرآن ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسىٰ﴾ لهم ﴿إِماماً وَرَحْمَةً﴾ يدل في بشارات على صدق هذا القرآن ونبيه.

ثم الضمير في ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ لا يرجع إلّا إلى المذكور قبله فيهما، وهو الرسول صلى الله عليه وآله، فقد كان على بينة من ربه إذ جاء ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل أن يأتي ﴿كِتابُ مُوسىٰ﴾ بينة سابقة على صدقه ﴿إِماماً وَرَحْمَةً﴾ للذين هم به يؤمنون؛ فقضية الإيمان بالتوراة، الذي هو لهم إمام، الائتمام بها في تصديق هذا الرسول صلى الله عليه وآله بقرآنه المبين وتبيانه المتين.

فهو محفوف في هندسة هذه الرسالة الأخيرة بمثلث من البينات حاليا وماضيا ومستقبلاً؛ فهل هم بعد هذه البينات ممن ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾؟ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود. ١٧]، كمثل الحداد في دعاياته المتكررة في كتاباته أن: «التوراة إمام القرآن... وهو تفصيل وتعريب للكتاب المقدس...»!

ذلك، وبالرغم من آيات بينات تقرر الرسول إماما على كافة النبيين: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ

---

١. يقوله الحداد في كتابه «القرآن والكتاب» عشرات المرات.

مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]

وأنه شهيد الشهداء يوم يقوم الأشهاد: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلىٰ هٰؤُلاءِ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْيٰاناً لِكُلِّ شيء وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]

وأن دينه ظاهر على الدين كله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفىٰ بِاللهِ شَهِيداً * مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَمٰاءُ بَيْنَهُمْ تَراٰهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوٰاناً سِيمٰاهُمْ فى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فى التَّوْراٰةِ وَمَثَلُهُمْ فى الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوىٰ عَلىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحٰاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الفتح: ٢٨و٢٩]

ثم القرآن يعرف نفسه بالهيمنة الطليقة على سائر كتابات الوحي: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمٰا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوٰاءَهُمْ عَمّا جٰاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهٰاجاً وَلَوْ شٰاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فى مٰا آتاكُمْ...﴾ [المائدة: ٤٧ ـ ٤٨]؛

وبأنه مبشَّر به في زبر الأولين: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعٰالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسٰانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمٰاؤُ بَنِي إِسْرٰائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٧].

هذه وعشرات أمثالها صريحةٌ في استقلال وحي القرآن، دونما استغلال سائر الوحي فيه، وإنه برسول يفوق كل وحي وموحى إليه.

ذلــك، والقــرآن يشــهد بنفســه أنــه أرقــى بكثيــر مــن ســائر كتابــات الســماء الأصــلية، فضــلاً عــن التحريفــات والتناقضــات الكثيــرة التــي تســربت إليهــا بأيــدي التحريف والتجديف، لِحَدّ وصلوها إلى مليون غلطٍ.[١]

ذلك، فقد ﴿كانَ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ منذ كان فطيما حتـى ابتعـث، وإلـى أن ارتحـل إلى جوار رحمة ربه، بمثلث من البينات، رأس زواياهـا القـرآن، والأخريـان نفسـاه قبـل الرسالة وبعدها.

ثم ﴿وَيَتْلُوهُ شاٰهِدٌ مِنْهُ﴾ في زاويتين: صغراها الإمام علي عليه السلام ما عـاش زمنـه وبعـده، وكبراها القرآن حيث ظل شاهدا من اللّه لرسالته الخالدة.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسـىٰ﴾، كأصـلٍ، ﴿إِماٰمـاً وَرَحْمَـةً﴾ وكفـرع كتـاب عيسـى وسـائر كتابات الوحي.

إذاً، فضمير الغائب في﴿مِنْهُ﴾ قد يرجع إلى اللّه فقط وهـو فـي شـاهد القـرآن؛ فإنـه ليس إلّا من اللّه، أم إلى اللّه كأصـل وإليـه كفـرع، وهـو فـي شـاهد الإمـام علـي عليه السلام والأئمة من وُلده المعصومين؛ فطالما الثقل الأكبر مستمر بنفسه، فالأصغر هـو مسـتمر بصنيعه الذي هو كنفسه.

فقـد انحصـر ﴿شاٰهِدٌ مِنْـهُ﴾ فـي القـرآن وعَلِـيّ، وانحسـر عـن جبرئيـل ومـن أشـبه. والشـاهدان همـا المعنيـان مـن ﴿شاٰهِدٌ مِنْـهُ﴾؛ حيـث يُعنـى منـه جـنس الشـاهد، وقـد يلمـح الإفـراد إلـى أصـل ﴿شاٰهِدٌ مِنْـهُ﴾ وهـو القـرآن، وآيـات شـهادة اللّـه فـي قرآنـه تشـهد لعنايـة شـاهد القـرآن مـن ﴿شاٰهِدٌ مِنْـهُ﴾؛ فلـيس تفسـير ﴿شاٰهِدٌ مِنْـهُ﴾؛ بالإمـام علـي عليه السلام إلّا تبيينـاً لمصـداق ثـانٍ، هـو تجسـيد للشـاهد الأول؛ كما وأن الرسول بينة من ربه كما القرآن؛ لأنه هو القرآن!

---

١. يقول «ياركز» في ج ٥ من تفسيره، إن في التوراة والإنجيل ثلاثين ألف غلطٍ، والقسيس ميل أوصلها إلـى نيـف ومائة ألف غلط، وكما يقول كريسباج، ويقول «شولز» إنها لا تحصى، وفي دائرة المعارف البريطانيـة والفرنسـية أنهـا زهاء مليون غلط، وقد اعترف بهذه الأغلاط والاختلافات علماء، مثيل: اكهارن، كيسر، هـيس، ديـون ــ ويـز، فـرش. راجع كتابنا: «المقارنات بين الكتب السماوية» تجد فيه قولاً فصلاً بهذا الصدد.

وإنما تأتي متواتر الروايات شاهدة على أن علياًعليه السلام هو ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ دون القرآن، حيث الشهادة القرآنية ثابتة متفق عليها؛ فهنا تعني الروايات إلحاق مصداق مختلف فيه، بمصداق متفق عليه.



القاعدة الرابعة لعرش الخلافة: عليٌّ نَفْسُ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

يرشدنا إلى هذه المنزله الرفيعة منه صلى الله عليه وآله شهادةُ ربّه في الذكر الحكيم وما تواتر عن الرسول الكريم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران: ٦١ .

فلقد أجمع مفسروا الفريقين ومحدثوهما، أنَّ ذلك كان في مباهلة رسول اللّه صلى الله عليه وآله نصارى نجران،[١] بعدما كتب إليهم، يدعوهم إلى الإسلام، قائلاً: «بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. مِن محمّد رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى أسقف نجران وأهل نجران. إنْ أسلمتم، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما بعد، فإني أدعوكم إلى

١. فممن أخرجه من إخواننا، مسلم في صحيحه من طرق، منها: ج٤، باب فضائل أمير المؤمنين في تفسير هذه الآية، ورواه الحميري في الجمع بين الصحيحين في مسند سعد بن أبيوقاص والثعلبي في تفسير هذه الآية عن مقاتل والكلبي وأخرجه في الدر المنثور نقلاً عن الحاكم وابن مردويه وأبونعيم في الدلائل عن جابر عنه صلى الله عليه وآله والبيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبديشوع عن ابيه عن جده عنه صلى الله عليه وآله، أقول هذا ما ذكرناه في المتن بعينه، ورواه أبونعيم في الدلائل من طريق الكلبي عن أبيصالح عن ابن عباس وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور، وعبيد بن حميد وابن جرير وأبونعيم عن الشعبي والترمذي عن سعد عنه صلى الله عليه وآله ومحمّد بن جرير عن علباء بن أحمر اليشكري، وروى ابن بطريق في العمدة، ص٩٥ و٩٦؛ نزول هذه الآية فيهم بأسانيد من صحيح مسلم وتفسير الثعلبي ومناقب ابن المغازلي وابن الأثير في جامع الأصول من صحيح مسلم عن سعد وغير هؤلاء من المفسرين والمحدثين وللزمخشري في هذه الآية ونزولها في الحسنين وفاطمة وعلي عليهم السلام كلام مفصل.

عبادة اللّه من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية اللّه من ولاية العباد؛ فإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فقد أوذنتم بحرب. والسلام».

فلما قرأ الأسقف الكتاب فظع به وذعر ذعرا شديدا؛ فبعث به إلى رجل من أهل نجران، يقال له شرحبيل بن وداعة، فدفع إليه كتاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فقرأه، فقال له الأسقف: «ما رأيك؟»؛ فقال: «قد علمت ما وعد اللّه إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون ذلك الرجل ليس لي في النبوة رأي».

فبعث الأسقف إلى واحد واحد من أهل نجران يستفتيهم في ذلك، ولا يرجع الجواب إلّا ذلك، فاجتمع رأيهم أن يبعثوا وفدا من شرفائهم إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فتساءلوا بينهم وبينه صلى الله عليه وآله؛ فنزلت آية المباهلة؛ حيث امتنعوا عن الإسلام مع وضوح الأمر لهم.

فتلاها عليهم، ثم غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها، وهو يقول لهم: «إذا أنا دعوت فأمِّنوا»؛ فقال أسقف نجران: «يا معشر النصارى، إني لأرى وُجوهاً، لو شاء اللّه أن يزيل جبلاً من مكانه، لأزاله بها؛ فلا تباهلوا فتهلكوا؛ فلم يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة»!

لذلك جاؤوا رسول اللّه صلى الله عليه وآله فصالحوه على الجزية ليبقيهم على ما هم عليه؛ فصالحهم صلى الله عليه وآله قائلاً: «إن الهلاك قد تدلَّى على أهل نجران، ولولا عنوا لَمُسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل اللّه نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا»!

ولم يكن دعاؤه صلى الله عليه وآله إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب والصادق، وإنما ضم الأبناء والنساء والأنفس لتأكيد الدلالة، ثقة بحاله واستيفاءً على خصمه بصدقه، حيث يستجره على تعريض أعَزّ أعزته وأفلاذ كبده.

وإنما خص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلب ولربما فداهم الرجل بنفسه ونفيسه.

لذلك كانوا في الحرب يسوقون مع أنفسهم الظعائن، لتمنعهم من الهَرَب، ويسمون الذادة عنها حماة الحقائق.

ثم خص أخص خواصه الذى عبر عنه بِـ﴿أَنْفُسنا﴾ رمزاً إلى أنه استمرار لنفسه المقدسة، ففديته مع نفسه تضحية لنفسه مرتين، كما أن فدية النساء والأولاد تمثل تفدية أخرى ثالثة.

فآية المباهلة من أكبر الآيات وأدلها على أن الإمامعليه السلام هو نفس الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله دون من سواه؛ حيث أجمع المفسرون والمحدثون أنه لم يصاحبه بعد إبنيه الحسنين وبنته فاطمة، إلّا عليعليه السلام.

فلم يعن من أبنائه إلّا سبطيه، ولا من نسائه إلّا فاطمته، ولا من نفسه إلّا عليَّه: وليده وأخاه ووزيره ونفسه المقدسة؛ حيث لا يدعو الإنسان نفسه كما لا يأمرها، إلا من هو كنفسه، ولم يكن معه آنذاك في المباهلة إلا من ذكرناهم من الأولاد والنساء، ولا من الرجال إلّا عليعليه السلام، كما أجمع عليه الفريقان من مفسريهم ومحدثيهم دون خلاف.

ثم وحدة المصداق لجمع الأنفس للرسولصلى الله عليه وآله، آية أنّ الإمام بوحدته جامع لجمعية ميزاته وفضائلهصلى الله عليه وآله، لا يشاركهعليه السلام أحد في هذا التمثيل المبارك.

فلو كان للرسول أنفس ـ رجال يمثلونه ـ لم يكونوا إلّا علياعليه السلام.

وكذلك النساء؛ حيث لو كانت فيهن ـ على كثرتهن ـ من أهلهصلى الله عليه وآله مَن يحق لها هذا الاختصاص مع فاطمة، لضمت إليها، فهى جامعة جمعية فضائل البيت من نسائه لا تشاركها واحدة منهن.

ذكريات مماثلة الإمامعليه السلام للرسول الأعظمصلى الله عليه وآله

الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله يصرح في شتى المناسبات والمجالات:

١. **«علي مني وأنا منه، لا يؤدي عني إلاّ أنا أو علي».**[١]

ويقول الإمام عليه السلام: «أهدى إليّ النبي صلى الله عليه وآله قُنْوَ موز فجعل يقشر الموزة ويجعلها في فمي؛ فقال له قائل: إنك تحب عليا؟ قال صلى الله عليه وآله: أو ما علمت **أنّ عليا مني وأنا منه**».[٢]

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله: **«علي مني مثل رأسي من بدني»**.[٣]

أجل، إن علياً منه صلى الله عليه وآله؛ حيث ولده واصطنعه لنفسه وعلى شاكلته، وهو من علي؛ لأنه عليه السلام استمرار لشخصيته صلى الله عليه وآله دون تخلّف عنه واختلاف قيد شعرة، إلا النبوة؛ فلا يؤدي عنه إلا شخصه أو شخصيته، وليس هو منه إلا كالرأس من الجسد!

هذا، وكما يقول: «منزلة علي مني منزلتي من اللّه تعالى».[٤] ذلك حينما يراه ابن مسعود، وكفه صلى الله عليه وآله في كف علي وهو يقبّلها فيسأله: «ما منزلة علي منك؟»؛ فيجيبه صلى الله عليه وآله: «منزلة علي مني منزلتي من اللّه»!

---

١. حديث صحيح رجاله كلهم ثقات: أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٤، ص١٦٤ ـ ١٦٥؛ بأسانيد أربعة والحافظ بن ماجة القزويني في سننه، ج١، ص٥٧ ط٢؛ مصر، والحافظ أبوعيسى الترمذي في الجامع الصحيح، ج١٣، ص١٦٩؛ و ج٢، ص٤٦٠، ط هند؛ وفي صحيحة، ج٢، ص٢١٣؛ الصاوي مصر، والنسائي في الخصائص، ص٢٦، ط النجفي الأشرف وكذا ص٢٧؛ وابن المغازلي الشافعي في المناقب بأسانيد متوفرة، والبغوي في المصابيح، ج٢، ص٢٧٥؛ والخطيب العمري في المشكاة ٥٥٦ والكنجي في الكافية ٥٥٧ والنووي في تهذيب الأسماء واللغات والمحب الطبري في الرياض، ج٣، ص٧٤؛ عن الحافظ السلفي وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٣ والذهبي في تذكرة الحفاظ وابن كثير في تأريخه والسخاري في المقاصد الحسنة والمناوي في كنوز الدقايق ٩٢ والحمويني في فرائد السمطين ب٧ والسيوطي في الجامع الصغير وجمع الجوامع وابن حجر في الصواعق ٧٣ والمتقي الهندي في كنز العمال عن ١١ حافظا، والبدخشاني في نزل الابرار، ص٩؛ والفقيه شيخ بن العيدروس في العقد النبوي والشبلنجي في نور الأبصار، ص٧٨؛ والصبان في الإسعاف هامش نور الإبصار ١٥٥؛ كلهم أخرجوه ورووه عن حبشي بن جناده وعمران وأبيذر الغفاري عن رسولاللّه صلى الله عليه وآله.

٢. البحار الطبعة الحديثة، ج٣٨، ص٢٩٨؛ أبوالعلاء العطار بإسناده إلى عبد خير عن علي عليه السلام، ورواه البخاري في ج ٤، من صحيحه عن عمر بن الخطاب وفي الجمع بين الصحاح ج ٢ من عدة طرق، ومنها: ما عن ابن جنادة عن رسولاللّه صلى الله عليه وآله أنه قال: «علي مني... الخ» نقلناه في المتن تحت العدد «٤٠» ورواه ابن المغازلي من عدة طرق بأسانيد.

أقول: هؤلاء بعض من أخرج الحديث من إخواننا، واما من طرق اصحابنا فاكثر وأكثر.

٣. رواه الإمام أحمد في مسنده وابن المغازلي بالإسناد عنه صلى الله عليه وآله وابنالأثير في جامع الأصول عن البخاري ومسلم بسنديهما عن البراء بن عازب عنه صلى الله عليه وآله البحار؛ الطبعة الحديثة، ج٣٨، ص٣٢٧.

٤. أمالي الطوسي عن ابنمسعود، البحار، الطبعة الحديثة، ج٣٨، ص٢٩٧؛ وأخرجه الحافظ ابنالمغازلي كما في العمدة لابن بطريق ص٥٣ بإسناده عن بكر بن سوادة عن قبيضة بن ذويب وأبي سلمةبن عبدالرحمن عن جابر بن عبداللّه عنه صلى الله عليه وآله، والسيرة الحلبية، ج٣، ص٣٩١.

فكما كانت منزلة الرسول ﷺ ومكانته من اللّه تعالى أقرب المنازل، لا يدانيه أحد من الملائكة الكروبيين والأنبياء والمرسلين، فكذلك منزلة الإمام منه ﷺ على سواء.

٢. حديث البراءة

يبعث رسول اللّه ﷺ بالعشر الأولى من آي البرائة مع أبيبكر ابن أبيقحافة، أذاناً من اللّه تعالى ومنه ﷺ إليهم بما فيها من الأحكام المحددة والمهددة لهم: ألّا يقرب المسجد الحرام مشركٌ، بعد عامهم هذا، لأن اللّه بريءٌ منهم ورسولُه.

حينئذ يؤمِّر الرسول ﷺ أبابكر على الحج، يحج بمن ضمه الموسم ويقرأ عليهم الآيات. فلما غادر ابوبكر المدينة إلى مكة، جاء جبرائيل الأمين إلى الرسول الأعظم ﷺ قائلاً: «إن العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول لك: يا محمّد، **لا يؤدي عنه إلاّ أنت أو رجل منك**؛ فابعث علياً، ليتناول الآيات فيكون هو الذي يقرأ الآيات، يا محمّد، ما أمرك ربك بدفعها إلى علي ونزعها من أبيبكر سهوا ولا شكاً ولا استدراكا على نفسه غلطا؛ ولكن أراد أن يبين لضعفاء المسلمين: أن المقام الذي يقومه أخوك علي، لن يقومه غيره سواك! يا محمّد، وإن جلّت في عيون هؤلآء الضعفاء مرتبته من أمتك...».[١]

فعزل رسول اللّه ﷺ أبابكر عن هذه السفارة وولّى عليا، وذلك إجماع المفسرين ونقلة الأخبار؛ حيث رووه عن رسول اللّه ﷺ أنه قال حينذاك لعلي عليه السلام: «اركب ناقتي الغضباء والحق أبابكر وخذ براءة من يده».

فلما رجع أبوبكر إلى النبي ﷺ جزع (وفي لفظ آخر فرجع يبكي)[٢] وقال: «يا رسول اللّه ﷺ، إنك أهَّلتني[٣] لأمر طالت الأعناق فيه، فلما توجهت رددتني عنه؟!»

---

١. التفسير المنسوب للامام العسكري عليه السلام والبحار، الطبعة الحديثة، ج٣٥، ص٢٩٧، ح٢١؛ ولقد أخرج حديث تبليغ البراءة ٧٣ من الحفاظ وأئمة الحديث، ذكرنا بعضهم في طيات مختلف ألفاظ الحديث، ذكرهم في الغدير، ج٦، صص٣٢٨-٣٤١.

٢. أخرجه ابن عساكر باسناده عن الحرث بن مالك.

٣. أي رأيتني لذلك أهلاً دون الأمة؛ فأرسلتني، فلماذا تعزلني بعد ذاك؟

فقال صلى الله عليه وآله: «الأمين هبط إليَّ عن اللّه عزّ وجلّ أنه: لا يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك، وعلي مني ولا يؤدي عني إلّا علي».[١]

أجل، إنّ الرسول صلى الله عليه وآله يقول حينما يسأل عن علة عزله ابن أبي قحافة: «إنه: لن يودي عنك إلّا أنت أو رجل منك»،[٢] «إنه: لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني»،[٣] «إنه: لا ينبغي أن يبلغ عني إلّا رجل من أهلي»،[٤] «إنه: لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل من أهل بيتي»،[٥] «إنه: لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني»،[٦] «إنه: لا يؤدي عني إلا أنا أو علي».[٧]

عباراتنا شتى وحسنك واحد، وكُلٌّ إلى ذاك الجمال يشير.

إن هذه التعابير العبيرة تصريحات وإشارات من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، أنّ عليّا منه كنفسه؛ فلا يؤدي عنه إلا هو أو هو، عليهما أفضل التحية والسلام.

---

١. رواه الطبري والبلاذري والترمذي والواقدي والشعبي والسدي والثعلبي والواحدي والقرطي والقشيري والسمعاني وأحمد بن حنبل وابن بطة ومحمّد بن اسحاق وأبويعلي الموصلي والأعمش وسماك بن حرب في كتبهم عن: عروة بن الزبير وأبيهريرة وأنس وأبيرافع وزيد بن نقيع وابن عمر وابن عباس.

٢. عبداللّه بن أحمد في زوائد المسند والحافظ أبوالشيخ وابن مردويه والسيوطي في الدر المنشور، ج٣، ص٢٠٩؛ وكنز العمال، ج٢، ص٢٤٧؛ والشوكاني في تفسيره، ج٢، ص٣١٩؛ والرياض النضرة، ج٢، ص١٤٧؛ وذخائر العقبى: ٦٩، وتاريخ ابن‌كثير، ج٥، ص٣٨؛ ومناقب الخوارزمي، ص٩٩ وفرائد السمطين للحمويني ومجمع الزوائد، ج٧، ص٢٩؛ وشرح صحيح البخاري للعيني، ج٨، ص٦٣٧؛ ووسيلة المآل لابن كثير، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني، ج٣، ص٩١؛ وتفسير المنار، ج١٠، ص١٥٧؛ أخرجوه عن علي أميرالمؤمنين عن طريق زيد بن يثيع رض.

٣. مسند أحمد، ج٢، ص١٣٥؛ وابن خزيمة وابن عوانة والدارقطني في الإفراد كما في كنز العمال، ج١، ص٢٤٦؛ والكنجي في الكفاية، ص١٢٥؛ نقلاً عن أحمد وأبي‌نعيم وابن عساكر، وابن كثير في تاريخه، ج٧، ص٣٥٧.

٤. الترمذي في الجامع الصحيح، ج٢، ص١٣٥؛ البيهقي في سننه، ج٩، ٢٢٤؛ الخوارزمي في المناقب، ص٩٩؛ ابن طلحة في مطالب السؤل، ص١٧؛ الشوكاني في تفسيره، ج٢، ص٣١٩؛ ابن أبي حاتم والحكم وابن مردويه والبيهقي، ابن حجر في فتح الباري، ج٨، ص٢٥٦.

٥. رواه أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري بسند متصل عن أنس عنه صلى الله عليه وآله وأحمد بن حنبل من طرق جماعة، منها: عن أنس عنه صلى الله عليه وآله، وأبو الشيخ وابن مردويه عن علي عليه السلام وجماعةٍ آخرين.

٦. رواه محمد بن جرير الطبري بسند متصل إلى حارث بن مالك أنه لقي سعد بن مالك فذكر له الحديث وابو الصباح الكتاني عن أبي‌عبداللّه عليه السلام البحار، ج ٣٥، صص٢٩١ و٧؛ والحارث‌بن مغيرة النصري عنه عليه السلام، ج٨، ص٢٩٢؛ وحريز عنه عليه السلام، ج١٥، ص٢٩٥؛ وأحمدبن حنبل في مسنده مرفوعا إلى أبي‌بكر عن النبي صلى الله عليه وآله والثعلبي في تفسيره وابن مردويه عن أبي رافع عنه صلى الله عليه وآله وابن أبي حاتم عن حكيم‌بن حميد عن علي‌بن الحسين عليه السلام وابن مردويه وابن‌حيان عن أبي‌سعيد الخدري عنه عليه السلام.

٧. ولقد تواتر النقل فيما يؤدي هذا المعنى، أخرجه ارباب الصحاح والسنن، راجع «محمد وعلي وبنوه الاوصياء» لنجم‌الدين الشريف العسكري دامت أفضاله.

يرجع ابن أبي قحافة عن رسالته معزولاً غضبان أسفا، وهو يتساءل رسول اللّه ﷺ عن ذلك ويجاب كما يلي: «يا رسول اللّه، ﷺ ما كنت ترى أني مؤدٍ عنك هذه الرسالة؟

-: أبى اللّه أن يؤديها إلّا علي بن أبي طالب...

-: كيف ذلك يا رسول اللّه وكيف...؟!

-: كيف تؤديها وأنت صاحبي في الغار!»[١]

أجل، إن هذه التضحية في سبيل رسالة الرسول بين المشركين، إنما تصلح ممن يشري نفسه ابتغاء مرضاة اللّه، فينام على فراش الرسول ﷺ حينما هاجم على فراشه المشركون، لا مَن دخل معه الغار خوفا من بأسهم، ولم يؤمن على نفسه، وهو مع الرسول الأمين؛ إذ هما في الغار، فحزن حزنا شديدا، واضطرب اضطرابا عنيفا حتى نهاه الرسول ﷺ عن ذلك قائلاً: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا﴾! [التوبة: ٤٠] فكيف يؤدي هذه الرساله الهامة الخطيرة المدهشة، وهو صاحب الغار؟!

إنما يؤديها رجل منه، ذلك الضرغام المغوار الذي يرعش من صولته الأبطال، وهو صاحب فراش الرسول ﷺ، ذوداً عن نفسه المقدسة.

ومما لا يريبه شك، أنّ نصب رسول اللّه ﷺ أبابكر هنا في هذه الرساله الجزئية وعزلَه، لم يكن إلّا بأمر ربه، رمزاً منه إلى الأمّة الإسلامية أنّ: مَن لا يصلح ولا يؤهل لرسالة جزئية في مهمة من مهام المسلمين، كيف يُستصلح للقيادة العامة الإسلامية بعد ارتحال الرسول الأعظم ﷺ؟!

---

١. رواه حسن بن أسناس في كتابه بسند متصل عن جعفر بن محمّد عليه السلام عن أبيه عليه السلام، البحار، ج٣٥، ص٢٨٧. ويدل عليه من الروايات المتواترة ما ورد في حديث البراءة من قول الرسول ﷺ: «أنت صاحبي في الغار»، رواه أكثر من روى حديث البراءة، فراجع.

صاحب الغار

قد يعتبر إخواننا صحبةَ الخليفة أبيبكر مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في الغار ــ يعتبرونها ــ من فضائله، ولا ريب أنها لا تحسب من الرذائل؛ إذ لم يكن مع المشركين الذين هاجموا على داره لكي يقتلوه، ولكن علينا أن ندرس مدى فضيلته في هذه الصحبة المباركة: قال تعالى: ﴿إِلّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِى الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلىٰ وَكَلِمَةُ اللهِ هِىَ الْعُلْيا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]

قد يقول إخواننا ـ سنادا إلى هذه الآية ـ إن الخليفة أبابكر هو صاحب الرسول الوحيدُ؛ إذ يخصه اللّه بصحبة الرسول صلى الله عليه وآله دون أن يشرك معه سواه؛ رغم أن أصحابه كانوا كثارا؛ فلا يعني هذا الإختصاص إلا منزلته العليا في هذه الصحبة المباركة.

ونحن نقول: أولاً، إن هذه الصحبة لم تكن إلا في الغار؛ كما ويدل عليه قول الرسول صلى الله عليه وآله، إذ عزله عن تبليغ البراءَة، إذ سأله: «أ فما أهلتني؟» قال صلى الله عليه وآله: «كيف تؤدي عني، وأنت صاحبي في الغار؟!» ولا ريب أنه لم يكن مع الرسول صلى الله عليه وآله في الغار إلا الخليفة أبوبكر ﴿إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ﴾ من صحبتي في الغار، وبذلك استحق اختصاصه بالصحبة لا اطلاقا، وإنما في الغار.

ثانيا، أن مجرد صحبة إنسان غيرَه لا تدل على مشاركتهما في الإيمان ومراتبه، ولا أن الصاحب يشارك صاحبه في أي شيء إلا صحبة في المكان، لا في المكانة والمنزلة، كما ويعبر القرآن عن المشرك أنه صاحب المُوَحّد لمجرد المصاحبة في الجوار والحوار قائلاً: ﴿وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَداً * وَما أَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً * قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٤ ـ ٣٧]

فهذه الآيات تعتبر كلاً من المشرك والموحد صاحبا للآخر، فمجرد المصاحبة في مكان، لا تدل على المشاركة في المكانة والإيمان؛ كما وتعتبر آيات آخرى حضرته صلى الله عليه وآله من أصحاب المشركين؛ إذ كان يصاحبهم، نحو: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مٰا بِصٰاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الاعراف. ١٨٤] ؛ وقد يعتبر الإنسان صاحبا للحيوان كالعكس ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصٰاحِبِ الْحُوتِ...﴾ [القلم. ٤٨] .

فلو لم يكلم النبي صلى الله عليه وآله صاحبه في الغار، ما عرفنا أنه إنسان فضلاً عن كونه من أصحابه المؤمنين أو أفضلهم!

ثم نرى النبي صلى الله عليه وآله ينهى صاحبه في الغار، وهو لا ينهى إلّا عن المنكر: ﴿...لاتَحْزَنْ...﴾ كأن صاحبه اقترف منكرا أو كاد، نكرا، يُطلع المشركين على مكان النبي وكما يشير إليه قوله: ﴿... إِنَّ اللهَ مَعَنا... ﴾، يحفظنا من بأس الأعداء؛ فلا يصل كيدهم إلينا.

ثم نرى السكينة النازلة هنا تخص نبي اللّه دون صاحبه: ﴿... فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ...﴾ فهل يزعم أحد أن السكينة هناك نزلت على أبي‌بكر دون النبي؟ كلا! إنها نزلت على النبي واختصت به حينذاك دون صاحبه، مع أن السكينة تعم المؤمنين أيضا.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [التوبة. ٢٦] ، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدٰادُوا إِيمٰاناً...﴾ [الفتح. ٤] ، ﴿... فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى...﴾ [الفتح. ٢٦] ، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبٰايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مٰا فى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثٰابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ [الفتح. ١٨]

نرى هنا وهنالك تنزل السكينة على المؤمنين مع الرسول صلى الله عليه وآله، ثم لا تنزل على الخليفة أبي‌بكر مع الرسول صلى الله عليه وآله إذ هما في الغار، وما أحوجه لنزول السكينة عليه؛ لكي لا يفزع، وليحافظ على النبي؛ فكيف لم تنزل عليه؟!

أللهم إلا أن يقال ما كان الخليفة بحاجة إلى نزول السكينة لأن السكينة كانت معه دوماً دون انفصال، ولكنه يعارضه أن النبي أحرى بذلك، وأن قوله: ﴿لا تَحْزَنْ﴾

برهان لا مرد له أن الخليفة كان فزعا شديدا. وإعتبارا أن السكينة إنما هى لازياد الإيمان والاطمئنان؛ فعدم نزولها على الخليفة ـ في حين تنزل على المؤمنين ـ ليس إلا لعدم صلاحيته لازدياد الإيمان والاطمئنان! أليس كذلك؟

وقد نرى النبي صلى الله عليه وآله يسند في عزله أبابكر عن بلاغ البراءة بأنه كان صاحبه في الغار: «كيف تؤدي عني وأنت صاحبي في الغار؟!»[١] «لا، أنت صاحبي في الغار!»[٢]

فلو كانت الصحبة في الغار هذه، منزلةً كريمة للخليفة، لكانت تثبت الجدارة لبلاغ البراءة، وإذا لا، فأحرى إذاً ألّا يحقّ للخلافة.

حول آية التطهير:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الاحزاب: ٣٣].[٣]

ولقد تواترت روايات الفريقين، من غير نكير، عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، نزولها في الخمسة الطاهرة: محمّد صلى الله عليه وآله وعليّه وفاطمته وحَسنيه، صلوات اللّه عليهم أجمعين.

تروي عايشة ونفر كبير من أصحاب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عنه صلى الله عليه وآله قوله صلى الله عليه وآله: «نزلت هذه الآية في خمسة: فی وفي علي والحسن والحسين وفاطمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.[٤]

---

١. رواه حسن بن أشناس في كتابه بسند متصل عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام؛ البحار، ج ٣٥٥، ص٢٨٧.

٢. أخرجه الطبري في تفسيره ١٠: ٤٦ عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله وأخرجه ابن حيان وابن مردويه كما في الدر المنثور ٣: ٢٠٩ روح المعاني للآلوسي، ٣: ٦٨، ٢؛ وفي طبع المنيرية، ١٠: ٤٠؛ وأوعز إليه ابن حجر في فتح الباري، ٨: ٢٥٦؛ من طريق عمرو بن عطية عن أبيه عن أبيسعيد والحافظ محب الدين الطبري في الرياض النضرة، ٢: ١٧٣.

٣. وضعنا رسالة فذة حول آية التطهير ودلالتها ذاتيا ومن حيث السنة المفسرة لها على نزولها في الخمسة الطاهرة، وكذلك فصلنا القول في دلالتها في موسوعتنا تفسير الفرقان، وإنما نذكر هنا نماذج يسيرة، والتفصيل إلى المفصلات، وفي تفسير الفرقان بحث مفصل كتابا وسنة فيها.

والعلامة الأميني يذكر في الغدير مائة وعشرين سندا من إخواننا في تخصيص الآية بالخمسة الطاهرة.

٤. ممن روى حديث نزول الآية في الخمسة، محمّد بن جرير الطبري عن شهر بن حوشب عن أمسلمة وبالاسناد عن أبيسعيد الخدري عنها وعن أبي هريرة وعبداللّه بن وهب بن زمعة وعمر بن أبي سلمة عنها ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه والبخاري وكذا سائر اصحاب الصحاح عنها وابو إسحاق محمّدبن إبراهيم الثعلبي في تفسيره بتسعة طرق وابو عبداللّه بن أبينصر الحميدي وموفقبن أحمد صدر الأئمة وأخطب الخطباء عند أخواننا

وتختص عايشة في حديثها بما يلي: «... يقول مجمع دخلت مع أمي على عايشة فسألتها أمي: أرأيت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنه كان قدرا من اللّه، فسألتها عن علي عليه السلام فقالت: تسأليني عن أحب الناس إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله! لقد رأيت عليا وفاطمة والحسن والحسين وجمع رسول اللّه صلى الله عليه وآله بثوب عليهم، ثم قال: أللهم هؤلآء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قلت: وأنا من أهل بيتك؟ قال تنحَّي، أنتِ على مكانك، إنما أراد اللّه تعالى بهذه الآية أنا وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام».[1]

والنقطة الرئيسية في هذه الآية المباركة أن اللّه تعالى يذكر تطهير الخمسة الطاهرة بأداة الحصر «إنما» على سواءٍ بالنسبة لأهل بيت الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله، أنهم هم المخصوصون بهذه الطهارة السامية بين المعصومين المطهرين من النبيين والصالحين، وأولى العزم منهم أيضا: من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام؛ والرسولُ نفسُه هو رأس الزاوية في ذلك البيت الرسالي.

فليس البيت هنا بيت حجر ومدر حتى يدخل في هذه الطهارة المنحصرة أهلوه أجمعون، فعايشة وأم سلمة ومَن إليهم من أزواج النبي صلى الله عليه وآله متنحَّيات عن هذا البيت الرسالي وأهله.[2]

ولا أن المراد بيت النبي صلى الله عليه وآله الروحي حتى يشمل ـ فقط ـ الأربعة الطاهرة عليهم السلام دونه صلى الله عليه وآله. إنما ذلك، بيت النبوة الختمية والولايه الكلية المحمّدية صلى الله عليه وآله، يبيت فيه ويستريح أهل هذه المدرجة العظمى وهم خمسة نزولاً، وأربعة عشر تأويلاً.[3]

وأبوالحسن رزين معاوية الأندلس، جامع الصحاح ٣٢ مكرر، كل أولاء عن أمسلمة عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله، أقول ولقد أجمع المفسرون والمحدثون من الفريقين على اختصاص نزول آية التطهير في الخمسة لا يدانيهم أحد من الأمة ولا نساء الرسول صلى الله عليه وآله وفيما نقلناه كفايةٌ، واللّه الهادي.

١. رواه الثعلبي في تفسيره بالإسناد متصلاً إلى مجمع الحارثي، والبخاري ومسلم من مسند عايشة وأخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير وابن حاتم والحاكم عن عايشه كما في الدر المنثور.

٢. كما فيما روته عايشة وأم سلمة: تنحي أنك على مكانك...

٣. ورد في أحاديثنا أن تأويلها هو التسعة الباقية عليهم السلام.

هذه الطهارة لا يشاركهم فيها أي بيت من بيوتات النبوة من نوحه وإبراهيمه وموساه وعيساه فضلاً عمن سواهم؛ ولا الملأ الأعلى، الملائكة الكروبيون المعصومون: مِن جبريله وميكاله وروحه.

فالحصر مطلق بينهم في ملاء العالمين، لا يدانيهم فيه من سواهم، وإن كانوا معصومين، وإرادة التطهير هنا ليست تشريعية فحسب،[١] وإنما هي توفيق وتأييد لهم بروح منه، منقطع النظير بين كل بشير ونذير، فتلاءم فيهم هذه الإرادة تشريعية وتكوينية.

وكذلك إذهاب الرجس عنهم، فليس المعنى منه رفعه عنهم بعد أن كان فيهم ـ وحاشاهم ـ حيث إن منهم الرسول صلى الله عليه وآله وقد كان رسولاً معصوما قبل ذاك ومعصوما عمليا قبل النبوة، وإنما هو دفعه عنهم، وتبعيده عن ساحتهم. أجل، إنه تأييد وتسديد لهم بروح القدس.

والرجس المدفوع عنهم لا يخص بعضا دون بعض، ولا مرتبة دون أخرى؛ فقضية الاستغراق المستفاد من تحلية الجنس باللام، أن الرجس مدفوع عنهم بكل ما له من معان ومصاديق: من رجس الشك والكفر، والجهل باللّه وبأحكامه، ومن الرجس العملي والعقائدي؛ فعقائدهم وعلومهم وأعمالهم لا يخالطها أي نقص وارتياب، فقد أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قدر الإمكان.

فلقد استبدل اللّه فيهم من كل رجاسة طهارةً ومن كل نقص كمالاً.

... وهذه الآية ترشدنا إلى تماثل طهارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وطهارة الثلاثة عشر من عترته عليهم السلام، ولقد كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله يكررها عند وقت كل فريضة على بيت علي وفاطمة عليهما السلام في ممره إلى المسجد على ملأ العابرين،

---

١. لأن الطهارة التشريعية لا تخص طائفة دون أخرى فإن الكل مأمورون أن يتطهروا.

مـن أربعـين يومـا إلـى سـنة،[1] وأقلهـا يطلـع مـائتي مـرةٍ وأكثرهـا ألـف وسـبعمائة وخمس وسبعين.

كان يكررها كذلك، تركيزاً في أسماع وأبصار الأمّة نزولهـا فـي الخسـمة وتأويلهـا في التسعة الباقية دون مَن سواهم، وعيانا بمرأى الأمة تفسيرا لبيانه، ولكي يهتمّوا بما يهمه ويعنوا ما عناه من تكريمهم، وقد فعلوا![2]



ذكرى عتيقة من الخمسة الطاهرة في كتاب إدريس النبي على نبينا وآله وعليه السلام

ويقول أدريس النبي في كتابه[3] مخاطبا أصحابه: «اختلفت بنـو أبـيكم آدم يومـا بمحضـر منه، في أفضل الخلائق، من هو؟ فقال بعض: إنه أبونا آدم الذي خلقـه اللّـه بيـده ونفـخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته تكريما له، وانتصبه معلما لهـم، وجعلـه خليفـة الأرض وأوجب طاعته على خلقه.

وقالت طائفة أخرى: لا، وإنما الأفضل هم الملائكة الذين لم يعصـوا، ولا يعصـون اللّه ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وقـد عصـى آدم ربـه؛ فأخرجـه اللّـه وزوجتـه مـن جنته، وإن تاب عليه وهداه ووعده ووُلده المؤمنين الجنة.

وقالت ثالثة: هو جبرئيل الأمين لرب العالمين. قـالوا وقـالوا وأكثـروا الخـلاف فـي ذلك، حتّى آتـاهم آدمعليه‌السلام بقـول فصل، قـائلاً: يا بني! ليس الأمر كما تظنـون، لا ذا

---

١. على اختلاف ما ورد فيه من الأحاديث؛ فأبوسعيد الخدري يروي الأربعين يوما وانـس سـتة أشـهر وابـو الحمـراء سبعة وابن عباس ثمانية أو تسعة، وقد يروى سنة، الأخير ذكره الغدير.

٢. للتفصيل راجع تفسير «الفرقان».

٣. المطبوع في سنة ١٨٩٥م في لندن باللغة السريانية، في صص٥١٤ و٥١٥، ونحن ننقل في المـتن هـذه البشـارة باللغة العربية إلا نصون منها في أسماء الخسمة ننقلها باللغة السريانية، كما في الأصل.

ولا ذاك؛ فإنه لما خلقني ربي بيده، ونفخ فيَّ من روحه، جلستُ ناظرا إلى عرش ربي، فإذا بأنوار خمسة في غاية العز والجمال والبهاء والكمال، وقد أغرقتني وأولهتني بوارق أنوارهم! فقلت: يا رب! من هؤلآء؟ قال: هم أشرف خلائقي وأبواب رحمتي والوسائط بيني وبين خلقي. إني لهَوْيَوْه انا لِبرين وأراخ لا الشِّماي ولا ال أرْعا ولا البِرْدِسْ ولا الكيهن ولا الشمس ولا السعر ـ (سرياني)، أي: لولاهم لما خلقتك ولا السماء ولا الأرض ولا الجنة ولا النار ولا الشمس والقمر. قلت: ربي! ما أسماؤُهم؟ قال: انظر إلى العرش حيث الأنوار القادسة. فنظرت فإذا بهذه الأسماء الطيبة: پارَقليطا، إيليا، طيطِه، شِبّر، شُبَّيْر. هليلوه لِتْ إلَهَ شُوقْ مني محمّد صلى الله عليه وآله إنوي دِألَهَ (سرياني): محمّد صلى الله عليه وآله، علي عليه السلام، فاطمة، حسن، حسين عليهم السلام ـ هلّلوني وسبّحوني يا خلائقي ـ فلا إله إلّا أنا ومحمّد صلى الله عليه وآله رسولي».

أقول: ولقد فصلنا القول في هذه البشارة وسائر البشارات الواردة في الكتب السماوية السالفة، على نبينا محمّد صلى الله عليه وآله، في كتابنا: «رسول الإسلام في الكتب السماوية».[١]

سفينة نوح والبشارة المحمّدية والعلوية على أنقاضها:

في تموز ١٩٥١ عثر على قطع متناثرة من أخشاب قديمة متسوسة وبالية، اكتشفها جماعة من العلماء السوفييت المختصين بالآثار القديمة، إذ كانوا ينقبون في منطقة بوادي قاف، مما دعاهم إلى تنقيب أكثر وأعمق، فوقفوا على أخشاب أخرى متحجرة وكثيرة كانت بعيدة في أعماق الأرض. ومن بينها عثروا على خشبة مستطيلة الشكل طولها ١٤ سنتيمترا وعرضها ١٠، سببت دهشتهم واستغرابهم، إذ بقيت سليمة غير متناثرة بين الأخشاب الأخرى!

---

١. يضم هذا الكتاب ستين بشارة بحق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والامام علي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام والإمام المهدي عليه السلام.

وفي أواخر ١٩٥٢ أكمل التحقيق حول هذه الآثار الغريبة، فتبين أن اللوحة وسائر الأخشاب هي أنقاض سفينة نوح عليه السلام التي إستوت على الجودي حسب القرآن، وقد ظلت عليها حتى القرن الحاضر.

وقد شوهد على هذه اللوحة بعض الحروف التي تعود إلى أقدم اللغات، وللكشف عنها ألفت الحكومة السوفيتية لجنة قوامها سبعة من علماء اللغات القديمة،[1] وبعد ثمانية أشهر من الدراسة لهذه اللوحة والكتابة المنقوشة عليها، أجمعوا على أنها من نفس الخشب الذي صنعت منه سفينة نوح عليه السلام وأنه وضعها في السفينة للتبرك والاستحفاظ بعد أن تحققوا أن تلك الحروف كانت باللغة السامانية أو السامية: لغة نوح عليه السلام، وترجمها العلماء الروس المعنيون باللغات القديمة إلى اللغة الروسية، ثم العالم البريطاني (اين ايف ماكس) أستاذ الألسن القديمة في جامعة (مانشستر) ترجمها إلى الإنجيليزية،[2] وهي بالعربية: «يا إلهي، ويا معيني، خذ برحمتك يَدَيّ، ولأجل هذه النفوس المقدسة: محمد، إيليا، شبر، شبّير، فاطمة؛ الذين جميعُهم عظماء ومكرمون، العالَمُ قائمٌ لأجلهم. أعنّي بحق أسمائهم، أنت تستطيع أن تهديني إلى الصراط المستقيم».

---

١. وهم: سولي نوف استاذ الالسن القديمة في جامعة موسكو، و(ايفاهان خنيو) عالم الألسن القديمة في كلية لولوهان بالصين، و(ميشانن لوفارنك) مدير الآثار القديمة، و(تانمول غورف) استاذ اللغات في كلية كيفزو، و(دي راكن) استاذ الآثار القديمة في معهد لينين، و(ايم احمد كولا) مدير التنقيب والاكتشافات العام، و(ميجر كولتوف) رئيس كلية استالين» نقلتهم مجله «البذرة» النجفية في العددين: الثاني والثالث ـ شوال وذي القعدة، سنة ١٣٨٥ هجرية قمرية في الصفحة ٧٨ إلى ٨١.

٢. ترجمتها من اللغة الانجليزية كالتالي:

يا الهى ويا معينى O my God my helper

خذ برحمتك يدىّ Keep my hands with mercy

ولأجل هذه النفوس المقدسة And with your holybodies

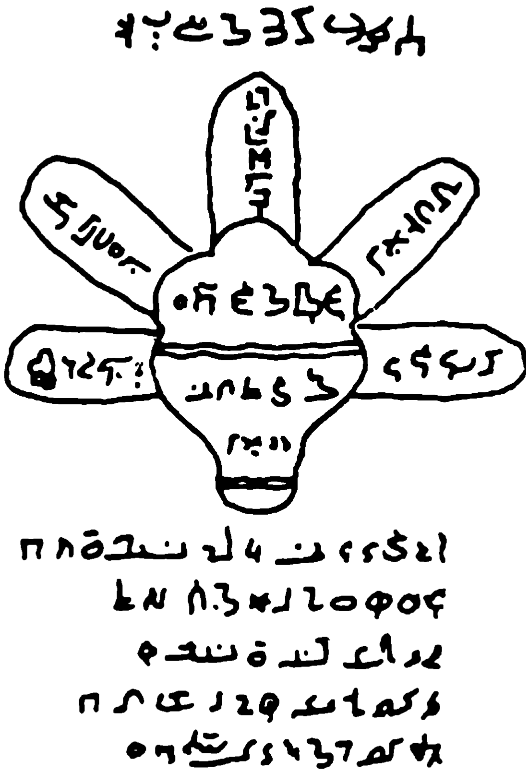
محمد Mohamed، ايليا Alia، شبر Shabbar، شبير Shabbir، فاطمة Fatma

هم جميعهم عظماء ومكرمون They are all biggest and honourables

العالَم قائم لاجلهم The world established for them

أعنّى بحق أسماءهم Help me by their names

انت تستطيع ان تهدينى إلى الصراط المستقيم you can reform to right



ولقد بقي هؤلآء العلماء في دهشة عظيمة أمام هذه اللوحة بأسمائها؛ حيث توسل بها نوح، وبقيت حتى الآن! وقع التصديق للقرآن: ﴿فَأَنْجَيْناهُ وَأَصْحابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ﴾ [العنكبوت/١٥]. هذه اللوحة موجودة الآن في متحف الآثار القديمة في موسكو، وفي خبرٍ أن المسلمين رأوها من ذي قبل.[1]

ولما اكتشف هذه البشارة المحمدية نشرتها المجلات والجرائد المهمة العالمية: الروسية، والبريطانية، والقاهرية.[2]

وإليكم صوره اللوحة الفوتوغرافية باللغة الآرامية، كما نشرت في الجرائد والمجلات وبعض الكتب، ككتاب إيليا، وأصل اللوحة موجودة الآن في متحف الآثار القديمة في موسكو:

وقد ترجمت كما سبق كالتالي:

١. الدر المنثور، ج٦، ص٢٦٠؛ عن قتادة في الآية قال: «عبرة وآية أبقاها اللّه حتى نظرت إليها هذه الأُمة، وكَم من سفينة غير سفينة نوح صارت رمما».

٢. منها؛ ١ ـ مجلة روسية شهرية (اتفاد نيزوب) صدر في موسكو تشرين الثاني ١٩٥٣، ٢ ـ مجلة (ويكلي ميرر) الاسبوعية اللندنية العدد الصادر ٢٨ كانون الاول (دسامبر) ١٩٥٣، ٣ ـ مجلة (استار) اللندنية، كانون الثاني ١٩٥٤، ٤ ـ جريدة (سن لايت) الصادرة في مانشستر ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٤، ٥ ـ جريدة (ويكلي ميرر) اللندنية في ١ شباط ١٩٥٤، ٦ ـ جريدة (الهدى) القاهرية في ٣٠ مارس ١٩٥٣ والمصادر الأربعة الأخيرة نقلت ترجمة العالم البريطاني (اين ايف ماكس) استاذ الالسن القديمة في جامعة مانشستر. ٧ ـ ومن المصادر كتاب ايليا من منشورات دار المعارف الإسلامية بلاهور باكستان برقم ٤٢ اللغة الاردية سنة ١٣٨١ هجرية قمرية في صحيفة ٤٥.

«يا إلهى ويا معيني، خذ برحمتك يديَ، ولأجل هذه النفوس المقدسة: محمد، إيليا، شبر، شبير، فاطمة، الذين جميعهم عظماء ومكرمون، العالم قائم لأجلهم، أعنّي بحق أسمائهم، أنت فقط تستطيع أن تهديني إلى الصراط المستقيم.

ولقد سبق نوحا إدريس النبيﷺ في ذكر أسمائهم باللغة السريانية: «**پارقليطا ـ إيليا ــ طيطه ــ شپّيْر ــ شُپّيْر**».[1] ﴿لِنَجْعَلَهٰا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهٰا أُذُنٌ وٰاعِيَةٌ﴾[الحاقة: ١٢] الأذن التي تعي الحقائق الناصعة، إنها تعني آية سفينة نوح، بما على لوحتها من آيات، وأوعى الآذان آذان النبيين، وأوعاها بينهم جميعا أذن الرسول الأقدس محمدﷺ؛ فحياته وعيٌ للحقائق دون نسيان، ويخلفه في وعيه الشامل أذن عليعليه السلام.

وعلى حد قولهﷺ لما نزلت آية الأذن، «سألت ربي أن يجعلها أذن علي»! قال مكحول: «فكان علي يقول: ما سمعت من رسول اللّهﷺ شيئا فنسيته»![2] وعن عليعليه السلام: «ضمني رسول اللّهﷺ وقال: أمرني ربي أن أدنيك ولا أقصيك وأن تسمع وتعي».[3] ... ثم، بعد تركيز هذه القواعد الأربع لعرش الخلافة الكبرى الإسلامية، حينذاك نأتي على تصريحات الرسول الأعظمﷺ حول صاحب العرش.



١. التفصيل في كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية).

٢. الدر المنثور، ج٦، ص٢٦٠؛ وقد أخرج في غاية المرام ستة عشر حديثا مثله عن طريق الفريقين.

٣. رواه أبو نعيم في الحلية والواحدي في أسباب النزول عن بريدة وأبوالقاسمبن حبيب في تفسيره عن زر بن حبيش عن عليعليه السلام ورواه في تفسير روح البيان، ج١٠، ص١٣٦.

تصريحات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حول صاحب العرش:

ألا وهو: وليده وأخوه ووزيره ومثيله: الإمام أميرالمؤمنين عليه أفضل التحية والسلام. وإليكم نماذج من ذكريات الخلافة كما يتناسب وكراسنا المتواضع:

ولاية الامر بعد رسول‌الله صلى الله عليه وآله

١ ـ يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۞ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ ـ ٥٦].

أطبق المفسرون والمحدثون من الفريقين دون شك وارتياب، أنها نزلت في علي عليه السلام، حينما أعطى خاتمه الشريف السائل، وهو في ركوع الصلوة، وذلك كان في اليوم الرابع والعشرين من ذي‌الحجة قبل تزوجه بفاطمة عليها السلام».[١]

فهذه الآية تخص ولاية الامر بين المؤمنين، باللّه تعالى ذاتيا، فهو ﴿... وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ثم يردفه ويثنّيه بالرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين ﴿... الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾؛ فلهما الولاية على المؤمنين، تمثيلاً لولايته سبحانه وتعالى، دونما أي استقلال واستبداد.

---

١. وقد روى نزول آية الولاية «**إنما وليكم اللّه**» في علي أميرالمؤمنين عليه السلام فيمن رواه: ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، ص١٢٣؛ وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤل، ص٣١؛ وسبط ابن الجوزي في التذكرة، ص٩؛ والكنجي الشافعي في الكفاية، ص١٠٦؛ والخوارزمي وابن عساكر عن أبي نعيم، والقاضي أبي‌المعالي الخوارزمي في مناقبه، ص١٧٨؛ والحموي في فرائده في‌الباب ١٤ من طريق الواحدي، والقاضي عبد الإيجي في المواقف ٣، ص٢٧٦ ومحب‌الدين الطبري في الرياض، ج٢، ص٢٢٧؛ وابن كثير الشامي في تفسيره، ج٢، ص٧١؛ وابن كثير في البداية والنهاية، ج٧، ص٣٥٧؛ وابن حجر في الصواعق، ص٢٥؛ والشبلنجي في نور الأبصار، ص٧٧؛ والآلوسي في روح المعاني، ج٣، ص٣٢٩.

والوالي هنا هو الأولى بالأمور إطلاقا قضيةً للحصر، ولو كانت الولاية هنا هي المحبة فحسب، لم تخص مِن بين المؤمنين مَن هذه صفته: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ حال أن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ [التوبة. ٧١] قضيةً لإيمانهم باللّه، سواءٌ أعطوا زكاتهم في ركوع الصلاة أم في سائر الحالات.

فالولاية بمعنى المحبة لمن يحب اللّه ورسوله، من الفروع الرئيسية الدينية كما أن التبري من أعداء اللّه قرينها دون نكير.

فليكن الإمام عليه السلام هو الولي على الأمة الإسلامية جمعاء بعد اللّه ورسوله، دون سائر المؤمنين، فهو الأولى بهم في أموالهم ومن أنفسهم، والأولى بهم في دينهم ودنياهم، كما أن النبي صلى الله عليه وآله كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ...﴾ [الاحزاب. ٦].

وعنوانُ إيتاءِ الزكاة حالة الركوع المخصوصِ إنطباقُه حينذاك على الإمام عليه السلام، ليس إلّا عنوانا مشيرا، لا أنه السبب لانتصابه بولاية الأمر بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فلو أعطى رجل الآلاف الأضعاف مما آتاه الإمام عليه السلام في صلاته، في ركوعه وسجوده، لما استوجب ذلك المقام.

وقد قال الخليفة عمر بن الخطاب: «أخرجت من مال صدقة، يتصدق بها عني، وأنا راكع، أربعا وعشرين مرة، على أن ينزل فيَّ ما نزل في علي عليه السلام؛ فما نزل!»[١]

أجل، ما نزل ولن ينزل إلّا فيمن نزَّله اللّه منزلة رسوله وجعله كنفسه! ومهما يكن من شيء، فنزول هذه الآية في شأن الإمام عليه السلام مما لا يريبه شك. كيف، وقد رواه الفريقان عن النبي صلى الله عليه وآله متواتراً![٢]

---

١. البحار الطبعة الحديثة، ج٣٥، ص٢٠٣؛ نقلاً عن سعد السعود لابن‌طاوس، صص٩٦و٩٧؛ عن الحسن‌بن محمد العلوي عن جده يحيى عن أحمد بن يزيد عن عبدالوهاب عن نحلة عن المبارك عن الحسن قال: «قال عمر بن الخطاب...»

٢. السيوطي في الدر المنثور، ج٢، ص٢٩٣ ـ ٢٩٤؛ قال: «أخرجه ابن مردويه والطبراني وابو نعيم بأسانيدهم عن أبي رافع عنه صلى الله عليه وآله، وابو الشيخ وابن عامر وابن مردويه عن علي بن أبي‌طالب، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ وابن عامر عن سلمة بن كهيل، وابن جرير عن مجاهد والسدي وعقبة بن حكم».

ومن ذلك ما رواه الثعلبي في تفسيره يرفعه بسنده، قال: «بينا عبدالله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله ﷺ...، إذ أقبل رجل متعمم بعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله ﷺ، إلا قال الرجل: قال رسول الله ﷺ...، فقال ابن عباس: سألتك بالله، من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: يا أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، أنا جندب بن جنادة البدري، أبوذر الغفاري، سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلاّ فصمّتا! ورأيته بهاتين وإلاّ فعميتا! يقول: عليٌّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصورٌ من نصره، مخذولٌ من خذله. أما إني صليت مع رسول الله ﷺ يوما من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئا، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: أللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحد شيئا، وكان علي في الصلاة راكعا، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان متختما فيها، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأىً من النبي ﷺ وهو يصلي؛ فلما فرغ النبي ﷺ من صلاته رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إن أخي موسى سألك فقال: رب اشرح لي صدري، فأنزلت عليه قرآنا ناطقا: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنا أَنْتُمَا...﴾ [القصص: ٣٥] أللهم وأنا محمّد نبيك وصفيك! اللهم فاشرح لي صدري ويسِّر لي أمري واجعل لي وزيرا من أهلي: عليا، اشدد به ازري»! قال أبوذر: «فما استتم رسول الله ﷺ كلامه حتى نزل جبرئيل

وفي معرفة أصول الحديث عن عبدالله بن علي بن أبي‌طالب والواحدي، في أسباب النزول عن الكلبي عن أبي‌صالح عن ابن عباس، والسمعاني في فضائل الصحابة عن حميد الطويل عن أنس عنه ﷺ، وسلمان بن أحمد في معجمه الأوسط عن عمار، وأبوبكر البيهقي في المقتطف ومحمّد الفتال في التنوير، وفي الروضة عن عبدالله بن سلام، وأبي‌صالح والشعبي والمجاهد والنطنزي في الخصائص عن ابن عباس، والابانة عن الفلكي عن جابر الأنصاري، وناصح التميمي والكلبي، وفي الجمع بين الصحاح من صحيح النسائي عن ابن سلام، والشافعي وابن المغازلي من خمس طرق، وابن بطريق في المستدرك عن الحافظ أبي‌نعيم بالإسناد إلى عمار بن ياسر والضحاك وابن عباس.

ولا خلاف أيضا بين المفسرين في ذلك، منهم: الثعلبي والماوردي والقشيري والقزويني والرازي والنيسابوري والفلكي والطبري عن السدي والمجاهد والحسن والأعمش وعقبة بن أبي‌حكيم وغالب‌بن عبدالله وقيس‌بن الربيع وعباية الربعي وعبدالله‌بن عباس وأبي‌ذر الغفاري، ورواه من أصحابنا من لا يحصى كثرة، والتفصيل موكول إلى المفصلات.

من عند اللّه عزّ وجل فقال: يا محمّد، إقرأ؛ فأنزل اللّه عليه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾».

ويقول ابن عباس: «فسمعت مناديا ينادي يا أحمد! قد أوتيت سؤلك»! أخرجه وما في معناه عشرون من الحفاظ والمفسرين عن عشرة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله عنه صلى الله عليه وآله.[1]

أولياء الامور بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

٢ ـ بعد حصر الولاية على المؤمنين في أميرالمؤمنين عليه السلام كما دلتنا عليه الآيات والروايات السالفة، نأتي على حصر الطاعة فيه بعد اللّه ورسوله، كما يقول تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اَللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩]

والقول الفصل في المعنى من ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ في هذه الآية، أنهم من يحذون حذو الرسول وينحون منحاه من المعصومين عليهم السلام؛ فقرن اللّه لذلك طاعتهم بطاعة رسوله صلى الله عليه وآله إطلاقاً ـ على سواءٍ ـ دون قيد وشرط؛ حيث إنها أفردت اللّه تعالى في طاعته ذاتياً، ثم ثنّاه بالرسول وأولي الأمر بطاعة ثانية تمثل الأولى، رسالة عنه، ودعوة إليه، دون أيّ استبداد

---

١. إن نزول هذه الآية في علي عليه السلام من المتواتر أخرجه جمع كثير من أئمة التفسير والحديث، منهم: الطبري في تفسيره، ج٦، ص١٦٥؛ والواحدي في اسباب النزول، ص١٤٨؛ والرازي في تفسيره، ج٣، ص٤٣١؛ والخازن في تفسيره، ج١، ص٤٩٦؛ وأبوالبركات في تفسيره، ج١، ص٤٩٦؛ والنيسابوري في تفسيره، ج٣، ص٤٦١؛ وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، ص١٢٣؛ وابن طلحة الشافعي في المطالب السئول، ص٣١؛ وسبط ابن الجوزي في التذكرة، ص٩؛ والكنجي الشافعي في الكفاية، ص١٠٦؛ والخوارزمي في مناقبه، ص١٧٨؛ والقاضي عضد الإيجي في المواقف، ج٣، ص٢٧٦؛ ومحب‌الدين الطبري في الرياض، ج٢، ص٢٢٧؛ وفي الذخائر، ص١٠٢؛ وابن كثير في تفسيره، ج٢، ص٧١؛ والحافظ السيوطي في جمع الجوامع، وابن حجر في الصواعق، ص٢٥؛ والشبلنجي في نور الأبصار، ص٧٧؛ والآلوسي في روح المعاني، ج٢، ص٣٢٩.

أخرج هؤلآء الأعلام نزول آية الولاية في علي عليه السلام بأسانيد عن ابن عباس وعلي أميرالمؤمنين عليه السلام وعتبة بن حكيم ومجاهد وعبداللّه بن سلام وأبي‌ذر وأنس وعمار بن ياسر وسلمة بن كهيل وسفيان الثوري عن النبي صلى الله عليه وآله.

في جنب اللّه، إلا تبليغ رسالته وبيان دعوته؛ فكما أن طاعة الرسول فرض إطلاقا لعصمته، كذلك كل من تولّى أمر الأمة بأمر اللّه ورسوله، تجب طاعته على الأمة إطلاقا، ولا يناسب إطلاق الطاعة إلّا العصمة المطلقة.

فهل تحسب أن اللّه تعالى يسمح أو يفرض طاعة كل من تولى أمر الأمة باستبداد أو رأي أكثري، بما فيهم من العصاة الطغاة، الذين لعنهم اللّه ورسوله، كمثل معاوية الطاغية ويزيد وأضرابهما، ممن سعي في صعيد الحياة للأمة الإسلامية أن يفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، ويقضي على الدين وأهله، وعلى الأموال والنفائس والنفوس والأعراض؟!

أم هل تظن أن اللّه تعالى يقرن أمثال هؤلآء الشياطين بنفسه وبرسوله؟! كلاّ! ثم كلاّ! إن في ذلك تناقضاً من القول، ونقضاً للهدف الرئيسي الديني؛ بل هذا من المستحيل عقليا لمكان التضاد بين ما يأمر به اللّه ورسوله، وبين ما ينهى عنه طاغية من طواغيت الأمة.

ولئن قلت: أجل، إلا أن فرض طاعة أولي الأمر مشروط بما يوافق الكتاب والسنة، دون اختلاف عنه وظلم، قلنا: إن هذا مزيف لأمور:

١ ـ إنه لولا العصمة العلمية والعملية لولي الأمر، لم يؤمن من الجهالة في الأمر والاشتباه في العمل وإنْ كان عدلاً مؤمنا وعالما ربانيا! فكيف يحذو حذو الرسول في الطاعة، وكيف تميِّز الأمة إصابته في رأيه عن خطأه؟!

٢ ـ لو كانت طاعتهم مشروطة، لم تقرن بطاعة اللّه والرسول، التي لا شرط فيها إطلاقا، ولبَيَّن الشرط هنا، كما بين في طاعة الوالدين: ﴿... وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨]

فما باله؟! يذكر الشرط هناك في ولاية جزئية حدها البيت في البيئة العائلية، ثم يهمله في الولاية العامة والقيادة الكبرى للأمة الإسلامية جمعاء، التي إليها تنتهي عامة أعراق السعادة الإنسانية! بينما القرينة البينة

في الآية تؤكد إطلاق الطاعة في أولي الأمر؛ حيث قرنت بطاعة اللّه ورسوله.

٣ ـ لو كان هناك قيد في الطاعة، وهو الموافقة للكتاب والسنة، لم تخص الطاعة حين ذاك بأولي الأمر: (من يلي أمور الأمة)؛ بل تجب طاعة كل من يأمر وينهى، كما يوافق الكتاب والسنة القاطعة، دون تقيُّد بولاة الأمر والقادة، وعندئذ، تكون الآية في مجرى إيجاب طاعة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر دون اختصاص.

واحتمال أن المعني من أولي الأمر هنا هم الآمرون بالمعروف ساقط، لوجوه: مِنها عدم اختصاص ذلك بهم؛ فإن الناهين عن المنكر أيضا تجب طاعتهم كالآمرين، ولا تجد آية من الذكر الحكيم تذكر أحدهما دون الآخر، لتلاصقهما في تهذيب الأمة؛ بل إن النهي عن المنكر أولى من الأمر بالمعروف، تقدُّم نفي الرذيلة على التحلية بالفضيلة؛ فأولوا الأمر هنا إنما هم من تولى أمر الأمة من اللّه ورسوله؛ فـ ﴿مِنْكُمْ﴾ في الآية، لا تعلق لها إلا بمقدر، «كائن» أو مثله، لا بـ ﴿الأمر﴾؛ لما يلي:

١ ـ الظرف والمجرور لا يتعلقان إلّا بالمضاف دون المضاف إليه، لا سيما على الحالية، كما يقول ابن مالك:

«ولا تُجز حالاً عن المضافِ له   إلا إذا اقتضى المضاف عمله»

إضافة إلى أن المضاف هو أصل الجملة؛ فليتعلق به الظرف، وإن لم يقتض عمله.

٢ ـ على احتمال تعلق المجرور بالأمر، تنحصر الطاعة بعد اللّه ورسوله فيمن تولى أمر الأمة بخيرة الأمة ليس إلّا، وهذا ينفي وجوب أو جواز طاعة من يتولى الأمر من اللّه ورسوله، فاقض ما أنت قاضٍ!

٣ ـ يزيِّف هذا الاحتمال بما سلف من لزوم العصمة العلمية والعملية في ولاة الأمر، ولا يمكن ويتيسر للأمة العمياء، بل ولا الخواص منهم، أن يختاروا، من عند أنفسهم، مَن هذه صفته. كيف وقد صادفت خيرة موسى الرسول عليه السلام من سأل الرؤية

من السبعين رجلاً من قومه، فأخذتهم الصاعقة والرجفة؛ فهل إن خيرة الأمة أفضل من خيرة الرسول؟!

والقول الفصل في الخلافة الدينية على الأمة بعد الرسول، أنها بمثابة الرسالة على سواء؛ فكما أن ليس الرساله بالشورى والرأي العام أو الأكثري، كذلك خلافتها التي تمثّلها فيما عليها وإليها من شؤون قيادة الأمة في دينهم ودنياهم.

***

ومن لطيف الدلالة في هذه الآية أنها تقرن طاعة أولي الأمر بطاعة الرسول وتوحد بينهما مرتين:

١ ـ في ردف طاعتهم بطاعة الرسول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾

٢ ـ في ذكر الرسول ﷺ، دون أولي الأمر، ثانياً: ﴿... فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ وَالرَّسُولِ ...﴾ [النساء: ٥٩]، كأنهم هم الرسول دون انفصال. ثم تفرد الآية فرض الطاعة للّه ﴿... إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ...﴾ [النساء: ٥٩]؛ اعتباراً أنّ ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ ...﴾ [النساء: ٨٠].

ثم إن طاعة ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ داخلة في ﴿شَيْءٍ﴾؛ حيث لم يُذكروا ثانية في ﴿إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾، مما يدل على أنه ثابت قرآنيا وفي السنة.

ومهما يكن من أمر، فهذه الطاعات الثلاث ليست إلّا طاعة واحدة، هى طاعة اللّه؛ فهل تظن أن طاعة كل من تولّى أمر الأمّة دون انتصاب إلهى ـ أن طاعته ـ طاعة اللّه؟!

فهذه الآية في إيجاب طاعة ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ بمثابة قول السلطان في شعبه: «أطيعوا السلطان ورئيس الوزراء وأولي الأمر منكم!»؛ فهل يَحسب أو يَحتمل أحد أن السلطان يريد بـ «أولي الأمر» كل من تولى أمر بلد من بلاده أو قرية من قراه، باستبداد منه، أو الرأي الأكثري من أهل بلده، دون انتصاب من عند السلطان نفسه؟!

فـ ﴿أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ هم من تولى أمر الأمة الإسلامية بأمر مـن اللّـه كتابـاً، وأمـرٍ من الرسول رسالةً من اللّه، هى مستفادة من دلالات الكتاب ورموزه.



هامة الخلافة الإسلامية وتبليغها

آية التبليغ وحديث الغدير:

٣ ـ يقول تعالى: ﴿يٰا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْـتَ رِسٰالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اَللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]

من أهم الضرورات لأيّة أمة من الأمم لا سيما الأمم الدينيـة، ولايـةُ أمـورهم التـي تجمع شتات أفكارهم وأعمالهم في حكم نافذ صالح، لشتى مجالاتهم في الحياة.

وكلما زادت الأمة كثـرة وخلـودا، زادت الحاجـة إلـى القيـادة الصـالحة، وهـذه هـي السيرة السائرة الخالدة في جميع المجتمعات البشرية دون شذوذ.

ومما لا يريبه شك، أن الـدين الإسـلامي الحنيـف السـامي يقـرر للبشـرية جمعـاء جميع ما يتعلق بالمعارف الأصلية والأصول الخُلُقية، والأحكام الفرعية العامـة، لجميـع حركاتهم وسكناتهم، فرادى ومجتمعين، مع الأبد.

وهذه الأنظمة تحتاج في بقائها وتطبيقها إلـى حـافظ يحفظهـا حـق الحفـظ، وهـو الرسول ﷺ طيلة حياته السعيدة؛ فهو يتولى أمور الأمة حينذاك أولاً وبالذات.

ولقد كـان ﷺ إذا يخـرج فـي غـزوة أو غيرهـا، يخلّـف مكانـه رجـلاً، يـدير رِحَـى المجتمع، كما خلّف عليا قائلاً: «**إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك**».

ولقد كان من سيرته الاجتماعية أنه ينصب الولاة الحكـام فيمـا بأيـدي المسـلمين من البلاد، كمكة والطائف واليمن وغيرها، ويؤمِّر رجالاً على السـرايا والجيـوش التـي يبعثها إلى شتى الأرجاء، وهو موجود فيهم، فضلاً عما بعد ارتحاله!

فمن كان هذا دينه وهاتيك قوانينه وسيرته في حياته، فما تظن به لما بعد مماته؟ فهل تظنه يهمل الأمة حيارى بعد ارتحاله، يعصف بهم عواصف الضلال والخلاف، دون ممثل يمثله في قيادتهم؟! مع أن الضرورة إلى ذلك بعد ارتحاله أشد والحاجة إليه آكد!

أم كيف يهمل الرسول الأعظمﷺ هذه الأمة المرحومة بعد وفاته إلى يوم القيامة، ولم يكن ليهملهم يوما واحدا؟!

أو كيف يهمل هذه الأمة بأجمعهم، ولم يكن ليهمل أهل بلد أو قرية من دون قائد يقودهم؟! إنْ هذا إلا بهتان عظيم على الرسول الكريمﷺ!

أجل، إن طبيعة الحال تقضي أن يخلّف الرسولﷺ خليفة، يخلفه بعد مماته، ولو لم يوح إليه شيء في ذلك. كيف وقد أكد له الوحي الالهي في الذكر الحكيم بتبليغ ما أنزل إليه في ذلك، يهدده قائلاً: ﴿... وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ...﴾ [المائدة: ٦٧]

ولقد تواتر النقل بين الفريقين دون نكير أن هذه الآية نزلت على الرسولﷺ، وهو راجع عن حجة الوداع، السنة الأخيرة من عمره الشريف، بوادٍ يسمى بغدير خم ــ نزلت ــ تأمره أن يبلغ ما أنزل إليه في علي بن أبيطالب من الولاية.[١] ومهما يكن من شيء فلا

١. الدر المنثور، أخرج ابن أبيحاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبيسعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾ الآية على رسولالله يوم غدير خم في علي بن أبيطالبؑ.

أقول: أخرج العلامة الأميني في «الغدير» نزول آية التبليغ في عليؑ عن ٣٠ مصدرا من إخواننا وأن رواة الغدير من الصحابة ١٢٠ صحابيا ومن التابعين ٨٤ تابعيا وأن طبقات رواة حديث الغدير من أئمة الحديث وحفاظه والاساتذة ٣٦٠ نسمة ـ وأن المؤلفين في حديث الغدير من الفريقين ٢٦. وممن أخرج حديث الغدير:

محمد بن إسحاق، وأحمد البلاذري، ومسلم بن الحجاج، وأبوالنعيم الإصفهاني، وأبوالحسن الدارقطني، وأبوبكر بن مردويه، وابن شاهين، وأبوبكر الباقلاني، وأبوالمعاني الجويني، وأبوإسحاق الثعلبي، وأبوسعيد الخركوشي، وأبوالمظفر السمعاني، وأبوبكر بن شيبه، وعلي بن الجعد، وشعبة، والأعمش، وابن عباس، وابن عبد ربه، وأبويعلى والزهري، والاقليشي، وابن البيع، وابن عبد ربه، والالكاني، وأبويعلى الموصلي من عدة طرق وأحمد بن حنبل من أربعين طريقا، وابن بطة من ثلاث وعشرين طريقا، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقا في كتاب الولاية، وأبوالعباس بن عقدة من مائة وخمس طرق، وأبوبكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقا.

وعن صاحب كتاب الكافي أنه قال: روى لنا قصة الغدير القاضي أبوبكر الجمابي عن أبيبكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، والحسن، والحسين، وعبدالله بن جعفر، وعباس بن عبدالمطلب، وعبدالله بن عباس، وأبيذر، وسلمان، وعبدالرحمن، وأبيقتادة، وزيد بن أرقم، وجرير بن حميد، وعدي بن حاتم، وعبدالله بن انيس،

ريب أن المائدة آخِر ما نزلت على الرسول الأعظمﷺ، وأن نزول هذه الآية في شأنهعليه السلام كذلك، كان من الوضوح إلى حديث يقول ابن مسعود: «كنا نقرأ على عهد رسول اللهﷺ: ﴿يٰا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسٰالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]».[١]

وليس المعنى من ذلك أن اسم عليعليه السلام كان في الآية ثم حُرّف عنها؛ بل المراد أن الشأن في وضوح نزولها في عليّعليه السلام كالشأن في أصل نزولها إلى حيث، كنا نذكر علياً، عند تلاوة الآية.

ويُستأنس من وعده سبحانه بعصمته من بأس الناس، أنه كان يخاف شرهم إن بلغ هاتيك الرسالة على رؤوس الأشهاد، وأن خوفه كان في محله، والاّ استبدل سبحانه وعده بالعصمة، بمنعه عن أن يخاف في تبليغ رسالته لومة لائم، أو تضحيته في الله؛ ولقد كان الرسول الأعظمﷺ يسمع ويذوق ألوان الأذى من بادئ بدءٍ دونما خوف وتقية، ولم يمنعه من الدعوة إلى اللّه رميه بالحجارة، وإدماء جبهته الشريفة، والتظاهر على قتله ليلة المبيت؛ حتى اضطر إلى الهجرة عن موطنه مكة المكرمة إلى المدينة المشرفة.

ولم يمنعه عن ذلك أن نسبه المشركون إلى السحر والجنون وأمثالهما من الخناء الوقح.

والبراء بن عازب، وأبيأيوب، وأبيبردة السلمي، وسهل بن حنيف، وسمرة بن جندب، وأبيالهيثم، وعبداللّه بن ثابت الأنصاري، وسلمة بن الاكوع، والخدري، وعقبة بن عامر، وأبيرافع، وكعب بن بجرة، وحذيفة بن اليمان، وحذيفة بن رافع، وأبيسعيد البردي، وحذيفة بن أسيد، وزيدبن ثابت، وسعدبن عبادة، وخزيمة بن ثابت، وحبابين عتبة، وجندببن سفيان، وعمر بن أبيسلمة، وقيسبن سعد، وعباد بن الصامت، وأبيزينب، وأبيليلى، وعبداللّه بن ربيعة، وأسامة بن زيد، وسعد بن جنادة، وحباب بن سمرة، ويعلى بن مرة، وابن قدامة الأنصاري، وناجية ابن عميرة، وأبي كاهل، وخالد ابن الوليد، وحسان بن ثابت، والنعمان بن عجلان، وأبي رفاعة، وعمرو بن الحمق، وعبداللّه بن يعمر، ومالك بن حوريث، وأبي الحمراء، وحمزة ابن الحديد، ووحشي بن حرب، وعروة بن أبي الجعد، وعامر بن النميري، وبشير بن عبدالمنذر، ورفاعة بن عبدالمنذر، وثابت بن وديعة، وعمر بن حريث، وقيس بن عاصم، وعبدالأعلى بن عدي، وعثمان بن حنيف، وأبي بن كعب. ومن النساء: فاطمة الزهراءعليها السلام، وعائشة، وأمسلمة، وأمهاني، وفاطمة بنت حمزة.

١. الدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ أخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود.

وذلك حينما كان الخطر هاجماً عليه من الأحزاب الكافرة الثائرة عليه، رغم دعوته خلاف ما يدعون؛ فكيف يخاف، وهو في المدينة في السنة الأخيرة من سِني عمره الشريف، وقد بلغ من عظمته ومكانته في أرجاء العالم أن كان يرعش من هيبته السلاطين وعروش العظماء، حينما مكَّن اللّه له دينه وآمنه من بأس أعداء الدين!

عندئذ، لماذا يخاف، ومن ذا يخافه خوفا يمنعه عن تبليغ رسالته المؤكدة، الرسالة التي لو لم يبلغها، فكأنما لم يبلغ رسالته؟

حينذاك، يبرق لنا من الآية بارقة: أنه كان يخاف ـ إن بلغ هذه الرسالة ـ أن تنفصم عرى دعوته ودعايته بمن آمن به، بأن يكذبه نفر كبير ممن آمن به في ذياك الرسالة؛ فيكفرون، بينا الرسول يغادرهم إلى جوار رحمة ربه، ويثورون عليه فيقلبون عليه الأمور في العالم الإسلامي السامي؛ فيصبح المسلمون مضطربين ويختلج فيهم الريب في رسالته.

لذلك إن الرسول الأعظمﷺ كان يرى أن يبطئ عن تبليغ هذه الرسالة؛ نَظِرةً لأمر آخر يتبعه؛ لعل اللّه يحدث بعد ذلك أمرا، ويبدله من بعد عسره يسرا؛ حتى نزلت الآية مرة ثالثة بهذا التأكيد القيم والتهديدات الهامة، ولم تكن قبل ذلك كمثلها حينذاك.[١]

---

١. ابن الفتال في روضة الواعظين عن الباقرعليه السلام في حديث مفصل، قال اللّه لرسوله: «فأقم يا محمّد، علياً عَلَما وخذ عليهم البيعة، وخذ عهدي وميثاقي لهم، الذي واثقتهم عليه؛ فإني قابضك عليّ»؛ فخشى رسول اللّهﷺ من قومه وأهل النفاق والشقاق، أن يتفوقوا ويرجعوا إلى الجاهلية، لِما عرف من عدواتهم، ولما ينطوي عليه انفسهم لعليعليه السلام من العداوة والبغضاء، وسأل جبرائيل أن يسأل ربه العصمة من الناس، وإنتظر ان يأتيه جبرائيل بالعصمة من الناس من اللّه عزّ وجل، فأخر ذلك إلى ان بلغ مسجد الخيف، فأتاه جبرائيل وأمَره أن يعهد عهده، ويقيم حجته علياً للناس، ولم يأته بالعصمة من اللّه عزّ وجل الذي أراد، حتى بلغ كراع الغميم بين مكة والمدينة، فأتاه جبرائيل، وأمره بالذي أمر به من قبل ولم يأته بالعصمة! فقال: «يا جبرائيل! إنني لأخشى قومي أن يكذبوني ولا يقبلوا قولي في علي!»، فرحل، فلمّا بلغ غدير خم، قبل الجحفة بثلاث أميال أتاه جبرائيل على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والإنتهار والعصمة من الناس، فقال: «يا محمد، إن اللّه عزّ وجلّ يقرئك السلام، ويقول لك: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة، ٦٧]؛ فأمر رسول اللّهﷺ عندما جاءته العصمة... وذكر قصة البلاغ يوم الغدير على تفصيله، إلى أن قال: «قالﷺ في خطبة الغدير: معاشر الناس، ما قصرت عن تبليغ ما أنزله اللّه تعالى إليّ، وأنا مبين لكم! سبب نزول هذه الآية: أن جبرائيل هبط إليّ مرارا ثلاثا، يأمرني عن السلام ربي، وهو السلام، أن أقوم في هذا المشهد؛ فأُعْلِمَ كل أبيض وأسود أن علي بن أبيطالب أخي ووصيي وخليفتي، وهو الإمام من بعدي، الذي محله مني محل

فلما بلغ إلى السنة الأخيرة من عمره الشريف، وهو راجع عن حجة الوداع، ومعه نفر كبير من المسلمين، وهم الوجهاء الأولون في الأقطار الإسلامية دينا ودنيا، عند ذاك يؤكد اللّه سبحانه عليه للمرة الأخيرة أن يبلغ رسالته الهامة على هؤلآء الملأ الكبير من المسلمين. ولم يكن ليحضر عنده هذه الكثرة الهامة في أي وقت من الأوقات، وأية مجالة من المجالات طيلة حياته الرسولية.

حينذاك أمره بذلك مؤكدا عليه، يعده أن يعصمه من الناس...

فماذا كانت هذه الرسالة؟

ولماذا كان يخاف أن يبلغها؟

وكيف بلغها؟

وماذا أثر هذا البلاغ؟

هذه أسئلة تحول حول هذه الآية المباركة، يسهل الجواب عنها بعد ما تقدم بما يلي:

١ ـ ما كانت الرسالة الأخيرة للرسول الأعظم يوم الغدير؟

... إنها لم تكن جميع ما أرسل إليه من ربه؛ حيث ينافى:

١) أن المائدة آخر ما نزلت.

٢) وأن الآية نازلة في السنة الأخيرة من عمره الشريف، ولم يبق شيء من شرائع الدين إلاّ بلّغها، إلا تفاصيل أحكام الحج وقد فصلها في حجة الوداع.

٣) وأن الآية تصبح آنذاك هكذا: (بلغ وإلاّ فما بلّغت)؛ وهذا توضيح للواضح البين، لا يلائم فصاحة البيان وجزالة القرآن، ومثل ذلك بعيد عن كلام اللّه المعجز في فصاحته وبلاغته، بل وعن كلمات السوقيين والجهال التافهين.

هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. هو وليكم بعد اللّه ورسوله...» إلى آخر الخطبة الطويلة، وقد طالت في الرمضاء، زهاء ساعتين في ذلك الملأ العام من المسلمين!

وكذلك ليس بعضا من أحكام الدين، أصلية أو فرعية، أللهم إلا الخلافة؛ حيث:

١ ـ لم يبق حينذاك حكم سواها إلّا وقد بلغه كما يحق.

٢ ـ وليس شيء من أحكام الدين بمثابة: لو لم يبلّغها الرسولﷺ فكأنما لم يبلّغ شيئا إطلاقا، حتى الصلاة التي هي عمود الدين، فمن يصوم ولا يصلي، صح صومه وعليه وزر ترك الصلاة...

أجل، إنما ذلك ما ينفصم بإهماله عرى الدين، ويقضى عليه من أصله؛ فلا يبقى منه شيء؛ فليست إلا الخلافة بعد الرسول الأعظمﷺ![1]

فكما أن الرسول لو لم يبعث لم يكن هناك تشريع إسلامي، كذلك لو لم يخلّف بعده من يمثّله، لم تستمر مكانته الرسالية، وقضي على رسالته بعد موته؛ فعليٌّ‌ؑ استمرار لرسالته وما أرسل به.

حيث لو أهملت الأمة بعد الرسولﷺ بلا راعٍ يرعاها حق رعايتها، ولا ممثل منهﷺ يمثله فيهم كما يجب؛ فيكون استدامة لشخصيته فيهم حينذاك، قضي على الإسلام والمسلمين، وارتجعت نعرات الجاهلية الأولى التي كانت تنتظر بالرسول الدوائر.

فكل أمر هام يقصد بقاؤه في المجتمع الانساني، يحتاج إلى علتين: علة موجدة، وعلة مبقية. ولتَكُن الثانية كالأولى لكي يستمر المعلول كما بدأ؛ فلو فقدت العلة المبقية فكأنما لم يوجد المعلول منذ البدء.

وبناية الإسلام هي من أتقن البنايات وأبقاها، وقد أسسها اللّه سبحانه على أساس، لا ينهدم، ما طلعت الشمس وما غربت.

١. القمي بالإسناد عن محمّدبن مسلم عن أبيجعفرؑ قال: «آخر فريضة، أنزلها اللّه، الولايةُ، ثم لم ينزل بعدها فريضة».

والعلـة الموجـدة لهـذه البنايـة الرفيعـة إنمـا هـو الرسـول الأعظـم ﷺ، الـذي أسســها وبـذل فـي تحكيمهـا بجهـوده وجهـاده، بنفسـه ونفيسـه، حتـى شـيدها طوال سِني رسالتِه في أمته.

ومما لا يريبه شك أن هذا الأساس لا يبقى بعد افتقاد العلة الأولى، مع توفر الدواعي على هدمه، وتظاهر الأعداء على محوه وإعفاء أثره، إلا ببقاء هذه العلة بشخصها أو بشخصيتها.

وقد قضى الرسول ﷺ نحبه، فليخلِّف من يمثِّله لإبقاء الدين على الأسس التي أسسها منذ البدء، وإلاّ، إن لم يبلغ رسالته في انتصاب الخليفة بعده، فكأنما لم يبلغ من رسالته شيئاً؛ حيث لا يقوم ما قوّمه على ساق، فسواءٌ على الرسول: إن لم يبلغ من رسالاته شيئا، أو بلّغ ولا يبلّغ ما هو استمرار لها وعلة لبقائها.

أجل، ﴿... وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ [المائدة: ٦٧] كاملةً، وقد ضيعت على الأمة والإسلام بقائهما بعد ارتحالك عنهم...!

٢ ـ لماذا كان الرسول ﷺ يخاف من تبليغها؟

... إن طبيعة الحال تقضي أن الخلافة مما تمد إليها الأعناق، وتتوفر في ابتغائها الدواعي والأعراق، والرسول الأعظم ﷺ يعرف المسلمين بمن فيهم منافقون، أنهم لايكادون يقبلون خلافةَ مَن:

١. هو أحدث سِنّاً من بينهم.

٢. وقد قتل من آبائهم وإخوانهم مقتلة عظيمة في الحروب، التي قضت على الكفار مع الرسول ﷺ.

٣. هو من يعرفون من انصهاره في اللّه، واستقامته على الحق والعدل، كيفما بلغ به الأمر؛ فهو شديد على الظالمين، لا تأخذه في اللّه لومة لائم...

لـذاك وذيـاك، كـان صلى الله عليه وآله يخـاف مـنهم أن يكـذبوه فـي رسـالته هـذه، ويتهمـوه؛ فيرجعـوا بعـد إسـلامهم كـافرين، ويقلبـوا عليـه الأمـور، وهـو فـي قيـد الحياة، فيكـون فـي تبليغـه هـذه الرسـالةَ، قاضـياً علـى حياتـه الرسـالية فـي حياتـه دُنيـاً وعقبـىً، ثـم مـاذا كـان ينتظـر مـن الكفـار بعـد ارتـداد وجـوه مـن المسـلمين، وتكذيبهم رسولهم؟ فحق له أن يحار حينذاك نَظِرَة أن يفرِّج اللّه عنه.

فلقد كان يخاف في اللّه وتبقية لدين اللّه، وهو ينتظر في هـذه الرسـالة وعـد اللّـه بنصرته حتى يأمن من تكذيبهم وبأسهم، ويشهد لذلك ما أخرجه إخواننا كما يلي:

١. أخرج ابوالشيخ في العظمة عـن الحسـن أن رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله قـال: «بعثنـي ربـى برسالة، فضِقتُ بهـا ذرعـا وعرفـتُ أن النـاس مكـذبيَّ؛ فوعـدني لأبلغـن أو ليعـذبني! فأنزل: ﴿يٰا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾»[١]

٢. وأخرج عن مجاهد قال: لما نزلت هذه الآية قـال صلى الله عليه وآله: «يـا رب! إنمـا أنـا واحـد، كيف أصنع؟ يجتمع علي الناس! فنزلت: ﴿... وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسٰالَتَهُ...﴾».[٢]

٣. ومـن كتـاب الخـالص بالاسـناد عـن حذيفـة بـن اليمـان فـي حـديث الغـدير، «... فخرجنـا إلـى مكـة مـع النبـى صلى الله عليه وآله فـي حجـة الـوداع، فنـزل جبرئيـل، فقـال: يـا محمـد، إن ربـك يقرئـك السـلام ويقـول: إنصـب عليـاً علَمـا للنـاس؛ فبكـى النبـي صلى الله عليه وآله حتـى اخضـلّت لحيتـه! وقـال: يـا جبرئيـل! إن قـومي حـديثو عهـدٍ بالجاهليـة، ضـربتُهم علـى الـدين طوعـا وكرهـا حتـى انقـادوا لـي، فكيـف إذا حملت على رقابهم غيري؟!»[٣]

أقول: ثم ذكر نزول جبرئيل مرة ثانية ثم ثالثة يعِده فيها، بـوحي مـن ربـه، النصـرةَ، فبلغ كما أُمِر...

---

١. الدر المنثور، ج٢، ص ٢٩٨.

٢. الدر المنثور، ج٢، ص٢٩٨؛ أخرجه عبداللّه بن حميد وابن جرير وابن أبيحاتم وأبوالشيخ.

٣. البحار الطبعة الحديثة، ج٣٧، ص١٢٧؛ رواه مصنف كتاب «الخالص» المسمى بـ «النشر والطي»، عن إخواننا.

٤. ومن تفسير الثعلبي: «أن الناس تنحوا (حينذاك) عن النبي ﷺ وأمر علياً، فجمعهم، فلما اجتمعوا قام، وهو متوسِّد على يد علي بن أبي‌طالب عليه السلام، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إنه قد كرهت تخلفكم عني؛ حتى خيِّل إلي أنه ليس شجرة أبغض اليكم من شجرة تليني! ثم قال: لكن علي بن أبي‌طالب عليه السلام أنزله اللّه مني بمنزلتي منه، فرضي اللّه عنه كما أنا راض عنه، فإنه لا يختار على قربي ومحبتي شيئا. ثم رفع يديه فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، أللهم والِ من والاه وعاد من عاداه! قال: فابتدر الناس إلى رسول‌اللّه ﷺ يبكون ويتضرعون ويقولون: يا رسول‌اللّه! ما تنحينا عنك الا كراهية أن نثقل عليك! فنعوذ باللّه من سخط رسوله! فرضي رسول‌اللّه عنهم عند ذلك».[1]

٣ ـ كيف بلغ رسالته الهامة؟

يقول حفيده باقر العلوم عليه آلاف التحية والسلام في كيفية البلاغ: «... ولمّا وعده ربُّه عِصمتَه من الناس في بلاغ هذه الرسالة، كان في غدير خم قبل الجحفة بثلاث أميال، وقد مضى من النهار خمس ساعات، فأمر أن يُرد من تقدم من الحجاج ويُحبس من تأخر منهم في ذلك المكان؛ ليقيم عليا للناس، ويبلغهم ما أنزل اللّه عزّ وجلّ في علي عليه السلام؛ فأمر مناديا ينادي، فنادى في الناس بالصلاة جامعة ونحى عن يمين الطريق إلى جنب مسجد الغدير، أمره بذلك جبرئيل عن اللّه تعالى، وفى الموضع سلَّمات، فأمر رسول‌اللّه ﷺ أن يقام ما تحتهن، وينصب له أحجار كهيئة المنبر ليشرف على الناس، فتراجع الناس واحتبس أواخرهم في ذلك المكان لا يزالون، وقام رسول اللّه ﷺ فوق تلك الأحجار، وقال[2] ـ ويذكر الإمام هنا حمده ﷺ وثناءه قبل بلاغ رسالته تفصيلاً ـ:

---

١. البحار الطبعة الحديثة ج٣٧ ص١٣٤.

٢. نلخص الخطبة المفصلة هنا بنماذج منها.

«أقر له (للّه) على نفسي بالعبودية، وأشهد له بالربوبية، وأؤدي ما أوحي إلي؛ خوفاً وحذرا من أن تحل بي قارعةٌ، لا يدفعها عني أحد وإنْ عظمت حيلته؛ لأنه لا إله إلّا هو، لأنه قد أعلمني إن لم أبلغ ما أنزل إليَّ فما بلّغتُ رسالته، وقد ضمن لي العصمة، وهواللّه الكافي الكريم. وأوحى إلي: بسم اللّه الرحمن الرحيم. ﴿يٰا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ (في علي)[1] مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسٰالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ...﴾ [المائدة. ٦٧] . سألتُ جبرئيل أن يستعفي لي من تبليغ ذلك اليكم! أيها الناس! لِعلمي بقلة المتقين، وكثرة المنافقين، وإدغال الآثمين، وختْل المستهزئين بالإسلام، الذين وصفهم اللّه في كتابه، بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويحسبونه هينا وهو عند اللّه عظيم،[2] لكثرة أذاهم لي غير مرة حتى سموني أذناً، وزعموا أني كذلك، لكثرة ملازمتي أياه وإقبالي عليه؛ حتى انزل اللّه في ذلك: ﴿... اَلَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ...﴾ فقال: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ...﴾ [التوبة. ٦١] ؛ فإعلموا معاشر الناس! وافهموه واعلموا أن اللّه قد نصبه لكم ولياً وإماماً، مفترضةً طاعتُه على المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين لهم بإحسان، وعلى البادي والحاضر والأعجمي والعربي، والحر والمملوك، والصغير والكبير، على الأبيض والأسود وعلى كل موحد! ماضٍ حكمُه، جائزٌ قولُه، نافذٌ أمرُه، ملعونٌ مَن خالفه، مرحومٌ من تبعه، مؤمنٌ من صدقه، قد غفر اللّه لمن سمع منه وأطاع له.

معاشر الناس! إنه آخر مقام أقوم في هذا المشهد! فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر ربكم؛ فإن اللّه عزّ وجلّ هو مولاكم وإلهكم، ثم مِن دونه رسوله محمّد ﷺ وليّكم، القائمُ المخاطِب لكم، ثم من بعدي عليٌّ وليكم وإمامكم بأمر من اللّه ربكم، ثم الإمامة في ذريتي من صلبه إلى يومٍ يلقون اللّه ورسوله، لا حلال إلا ما أحله اللّه ولا حرام إلّا ما حرمه اللّه، عرفني الحلال والحرام، وأنا أفضيت بما علمني ربي من كتابه وحلاله وحرامه إليه.

---

١. «في علي» هنا كما تقدم ليس من الآية وأنما يذكر لوضوح أمره كالآية.

٢. إشارة إلى الآية ١٥ من سورة النور. (م)

معاشر الناس! ما مِن عِلم إلا وقد أحصاه اللّه فِيّ، وكلٌّ علـم علمـت فقـد أحصـيت في إمام المتقين، إمام مبينٍ،[١] ما من علم إلّا علّمتُه علياً وهو الإمام المبين.

معاشر الناس! لا تضلوا عنـه! ولا تنفـروا منـه! ولا تسـتنكروا مـن ولايتـه! فهـو الـذي يهدي إلى الحق ويعمل به، ويزهق الباطل وينهى عنه، ولا تأخذه في اللّه لومة لائم...».

ثم قال: «إنه أول من آمن باللّه ورسوله.[٢] والذي فدى رسول اللّه بنفسه،[٣] والـذي كـان مع رسول اللّه ﷺ، ولا أحد يعبد اللّه مع رسول اللّه من الرجال غيره...

معاشر الناس! تدبروا القرآن وافهموا آياته ومحكماته، ولا تتبعـوا متشـابهه، فواللّـهِ، لن يبين لكم زواجره ولا يوضح لكم تفسـيره،[٤] إلّا الـذي أنـا آخـذ بيـده ومُصـعد إلـيَّ وشائل بعضده ومعلِّمكم أن: **من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه...**[٥]

معاشر الناس! إنه ﴿جَنْبِ اللهِ﴾ نزل في كتابه: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ ﴿... يٰا حَسْرَتىٰ عَلىٰ مٰا فَرَّطْتُ فى جَنْبِ اللهِ ...﴾ [الزمر، ٥٦].

معاشر الناس! إن عليّا والطيبين من وُلدي هم الثقـل الاصـغر والقـرآن هـو الثقـل الأكبر،[٦] كل واحد منهما منبئٌ عـن صـاحبه، موافـق لـه، لـن يفترقـا حتـى يـردا علـي الحوض، أمناء اللّه في خلقه، وحكماؤه في أرضه.

ألا وإن اللّه عزّ وجل قال، وأنا قلته عن اللّه عزّ وجل!

ألا وقد أديت!

---

١. ناظر إلى قوله تعالى: ﴿... وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ في إِمٰامٍ مُبِينٍ﴾ [يس، ١٢].

٢. قد مضت الإشارة إلى ان قصة«أنه اول من آمن» متواترٌ، رواه اخواننا من مائة طريق، أخرجه العلامة الأميني في الغدير.

٣. إشارة إلى تضحيته ليلة المبيت.

٤. يعني تفسير بطون القرآن، ومنها الحروف المقطعة الرمزية، كما منها تأويل من القرآن.

٥. هذه الجملة بخصوصها، متواترٌ نقلُها بين المسلمين، أكثرُ من كل خبر.

٦. وكما ان الثقل الاكبر أعظم من الثقل الاصغر، كذلك الجامع بينهما أعظم من كل واحد منهما وحده. إذاً، فعترة الرسول المعصومون أعظم من الثقل الاصغر ومن الأكبر وحده أيضا؛ لأنهم يجمعونهمـا معـا فـي ذواتهـم المقدسـة؛ فهم عترة وهذا أصغر وهم قرآن بتمامه في عقلياتهم وعلومهم وعقائدهم وأعمالهم وكافة تصرفاتهم، كما هو عقيدة المذهب؛ فهم أكبر. فتأمل!

ألا وقد بلَّغت!

ألا وقد أسمعت!

ألا وإن اللّه عزّ وجلّ قال وأنا قلته، وقد أوضحت!

ألا وإنه ليس أميرالمؤمنين غير أخي هذا، ولا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره»! ثم ضرب بيده على عضد علي، فرفعه؛ فكان أمير المؤمنين عليه السلام منذ، أول ما صعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وقد رفع عليا حتى صارت رجلاه مع ركبة رسول اللّه صلى الله عليه وآله! ثم قال: «معاشر الناس! إنما أكمل اللّه عز وجل دينكم بإمامته، فمن لم يأتمّ به وبمن كان من ولدي، من صلبه إلى يوم القيامة والعرض على اللّه تعالى، فأولئك الذين حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون...

معاشر الناس! قد أشهدت اللّه وبلغتكم الرسالة ﴿... وَمٰا عَلَى الرَّسُولِ إلاّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت. ١٨].

معاشر الناس! ﴿... اِتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران. ١٠٢]

معاشر الناس! النور من اللّه عزّ وجل فيَّ، ثم مسلوك في عليٍّ، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي، الذي يأخذ بحق كل مؤمن، وبكل حق هو لنا؛ لأن اللّه عزّ وجلّ جعلنا حجة على المقصرين والمعاندين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين.

معاشر الناس! إني أنذركم أني رسول اللّه إليكم، قد خلت من قبلي الرسل، ﴿... أَفَإِنْ مٰاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اَللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ﴾ [آل عمران. ١٤٤] الصابرين! ألا إنَّ عليا الموصوف بالصبر والشكر، ثم من بعده وُلدي من صلبه!

معاشر الناس! سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون.

معاشر الناس! إن اللّه وأنا بريئان منهم...

معاشر الناس! ألا وإني منذر وعليٌّ الهادي.[١]

معاشر الناس! إني نبي وعليٌّ وصيي!

ألا إنّ خاتم الأئمة منا القائم المهدي!

ألا إنه الظاهر على الدين![٢]

ألا إنه المنتقم من الظالمين!

ألا إنه فاتح الحصون وهادمها!

ألا إنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك!

ألا إنه المدرِك بكل ثأر لأولياء اللّه عزّ وجلّ!

ألا إنه الغرّاف من بحر عميق!

ألا إنه يسمي كل ذي فضل بفضله، وكل ذي جهل بجهله!

ألا إنه خيرة اللّه ومختاره!

ألا إنه وارث كل علم بكل فهم والمحيط به!

ألا إنه المخبر عن ربه عزّ وجلّ، والمنبه لأمر إيمانه!

ألا إنه الرشيد السديد!

ألا إنه المفوَّض إليه!

ألا إنه قد بشر به من سلف بين يديه![٣]

---

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وِلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، [الرعد، ٧] اعتبارا أن الهداة هم خلفاء المنذرين.

٢. يشير إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ ودِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ... ﴾، [التوبة،٣٣] و[الفتح، ٢٨ والصف، ٩] اعتبارا بان الهدف الرئيسي، من إرساله بالهدى ودين الحق، إنما هو اظهاره وتغليبه على الدين كله، يعني على طاعة اللّه كلها؛ فيجمع البشرية على طاعة اللّه كلها، ولم يتفق ذلك في أي عصر؛ فهو في زمن ممثّله الأخير خاتم الأئمة عليهم السلام.

٣. قد أخرجنا بشارات عديدة باسم الامام المهدي عليه السلام وألقابه ورسمه وأعماله في كتابنا «بشارات العهدين» المطبوعة سنة ١٣٣٧ هجرية شمسية باللغة الفارسية، ونقلناها بمزيدات ومحاورات أكثر وأغرَّ إلى العربية في كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» وقد اخرجنا فيها نحوا من ستين بشارة على خاتم النبيين محمّد صلى الله عليه وآله وعلى

ألا إنه الباقي حجة، ولا حجةَ بعده، ولا حق إلا معه، ولا نور إلا عنده!

ألا إنه لا غالب له ولا منصور عليه![1]

ألا إنه ولي اللّه في أرضه وحكمه في خلقه وأمينه في سره وعلانيته!

معاشر الناس! قد بينت لكم وأفهمتكم وهذا عليٌّ يُفهمكم بعدي!

ألا وعند انقضاء خطبتي، أدعوكم إلى مصافقتي على بيعته والإقرار به، ثم مصافقته من بعدي.

ألا إني قد بايعت اللّه وعليٌّ قد بايعني، وإني آخذكم بالبيعة له عند اللّه عزّ وجل؛ ﴿... فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ...﴾ [الفتح. ١٠].

خاتم الوصيين المهدي القائمعليه السلام وإليكم نماذج من هذه البشارات للمهدي القائمعليه السلام: تبشر بوحدة الأمم، واتفاقها على دين واحد وسنّة واحدة في دولة القائم الزبور ٣٧: ٩–٣٨، كتاب حجي النبي، ج٢، ص٧؛ وصفيناه النبي، ج٣، ص٦–٧، واشعياء النبي ٤٥: ٢٢.

ويصرح باسمه ولقبه ونسبه في جاماسب نامج المؤلّف قبل خمسين قرنا، وفي كتاب زند للزرادشت، وإنجيل متى ٢٥: ٣١–٣٤ يذكره باسم «ابن الانسان» الذي يجمع حوله القبائل بكل جبروت وقدرة، وفي الزبور ٧٢: ١–٢٠ يذكره باسم ابن الملك، ثم يصفه بانه يملأ الأرض قسطا وعدلاً، كما ملئت ظلما وجورا.

وفي اشعيا ١١: ١–٩ يصفه: بأنه من شجرة يسّي بن داود النبيعليه السلام، والمهدي منسوب من جانب الأم إليه كما في أخبارنا، ويصفه بكمال العدل وسعته في شتى أرجاء العالم، وأن من عدله تصطلح في ملكه السباع، كما في أخبارنا المستفيضة، وكذلك اشعيا ٦٥: ١٦– ٢٥ مضافا إلى قوله: ستجدد السماوات والأرض في دولته المباركة ـ فلا تأتيان إلّا بخير ـ وستطول الأعمار إلى أن يرى الوالد ولده على مائة سنة.

وفي مكاشفات يوحنا اللاهوتي، ج٢، ص٢٦–٢٨؛ يشير إلى قيامه بالسيف، وفي ١٢: ١–١٧ منها يشير إلى غيبته الطويلة خوفا من الأعداء وإلى خفاء ولادتهعليه السلام، وأنه يحكم عند ظهوره على الناس بِعَصاً من حديد.

وفي دانيال ١٢: ١–١٣ يذكر له لقب القائم وأنه أكبر الزعماء الروحيين الذي يطبق أهداف جميع الأنبياء والمرسلين في بسيط الأرض، وأنه يُحيا في دولته نفر عظيم من الأموات، وهذه هى الرجعة التي تدل عليها آيات، والروايات المتواترة. وفي أناجيل متى ٢٤: ٢٣–٤٢، ومرقس ١٣: ٣٣–٣٧، ولوقا، ج١٢، ص٣٥–٣٦؛ يصرح بلقبه المشهور ـ صاحب الدار ـ وأنه لا يظهر إلّا بغتة، وليس لظهوره وقت معين، وأنه يأتي عيانا لا يخفى على أحد، كالشمس التي تطلع على عيون الناظرين، وأنه يجمع خواصه من أرجاء الأرض في طرفة عين، وأن السماوات والأرض تزولان ولكن هذه البشارة لا تزول، كناية عن تحتُّم ظهور المهديعليه السلام صاحب الدار، ومن أراد التفصيل فليراجع إلى كتاب "بشارات العهدين" و"رسول الإسلام في الكتب السماوية."

١. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ولاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ومَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ في الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾، [الإسراء، ٣٣] المفسَّر في الحديث بالمهديعليه السلام؛ فإنه ولي دماء الطاهرين من أجداده المظلومين، وهو منصور على من ظلم وبغي ولا منصور عليه.

معاشر الناس! إنكم أكثر من أن تصافقوني بكف واحدة، وأمرني اللّه عزّ وجلّ أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدت لعلي عليه السلام بإمرة المؤمنين، ومن جاء بعده من الأئمة مني ومنه، على ما أعلمتكم أن ذريتي من صلبه، فقولوا بأجمعكم:

إنا سامعون، مطيعون، راضون، منقادون، لما بلغت من أمر ربنا وربك، في أمر علي أميرالمؤمنين عليه السلام وأمر ولده من صلبه من الأئمة عليهم السلام.

نبايعك على ذلك بقلوبنا، وأنفسنا، وألسنتنا، وأيدينا، على ذلك نحيا ونموت ونُبعث، لا نغير ولا نبدل، ولا نشك ولا نرتاب، ولا نرجع عن عهد ولا ميثاق، ولا ننقض الميثاق؛ ونعطي اللّه ونطيعك وعليا أميرالمؤمنين ووُلده الأئمة عليهم السلام الذين ذكرتهم من ذريته من صلبه بعد الحسن والحسين عليهما السلام الذَين قد عرَّفتكم مكانهما مني ومحلهما عندي ومنزلتهما من ربي عزّ وجل...

معاشر الناس! قولوا ما يرضي اللّه عنكم من القول، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فلن يضر اللّه شيئا.

أللهم ارحم للمؤمنين! واغضب للكافرين! والحمد للّه رب العالمين».

فناداه القوم: «نعم! سمعنا وأطعنا على ما أمر اللّه ورسوله، بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا»، وتداكوا على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وعلى علي عليه السلام، وصافقوا بأيديهم؛ فكان أول من صافق رسول اللّه صلى الله عليه وآله، الأولَ والثاني والثالث والرابع والخامس وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس على قدر منازلهم، إلى ان صُلِّيت العشاء والعَتَمة في وقت واحد، وأوصلوا البيعة والمصافقة ثلاثا؛ ورسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول كلما بايع قوم: «الحمد للّه الذي فضلنا على جميع العالمين».[1]



١. بحار الانوار، ج ٣٧، ص ٢١٧.

هامة الغدير

قد وفى اللّه تعالى وعده بنصرته في ذياك الرسالة، فلم يكذبـه أحـد مـن هـذه الجماعـة في ظاهر الأمر؛ بل صدّقوه وإنْ غدروا به بعد أن قضى نحبه!

ولقد هنَّأ الإمام من رؤوس المسلمين عدد غير يسير، منهم: الشيخان.

إن قصة الغدير، أثبتتها الآثار التي تناقلتها الـرواة ونقلـة الآثـار مـن الفـريقين دون اختلاف ولا نكير إلّا في المعنى من ولاية عليعليه السلام، وسنأتي على بحثه.

فنزول آية التبليغ في عليعليه السلام ينقله إخواننا عن ثلاثين مصدرا.[١]

ونزول آية تكميل الدين بعد ما عرفه الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله بـولي الأمـر، نقلـوه عـن ستة عشر مصدرا من مصادرهم.[٢]

ولقد كان عدد الحاضرين في هذه الهامة الكبرى زهاء مائة وعشرين ألفا.[٣]

٤- ماذا اثر هذا البلاغ؟

لقد كانت قصة الغدير حجة على الحاضر والغائب؛ لـئلا يكـون للنـاس حجـة، بعـد هذه الحجة البالغة.

تهنئة الشيخين علياًعليه السلام بإمرة المؤمنين:

يذكر إخواننا قصة التهنئة عن ستين مصدرا[١] من مصادرهم، أنهما قـالا للإمـامعليه السلام: «بـخ بخ لك يا علي! أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»!!!

---

١. الغدير ج١ ص٢١٤-٢٢٣.

٢. الغدير ج١ ص٢٣٠-٢٣٢.

٣. يذكر سبط بن الجوزي شيخ السنة أنه اتفق علماء السير أن قصة الغدير كانت بعـد رجـوع النبـيصلى الله عليه وآله مـن حجـة الوداع في الثامن من ذي‌الحجة، جمع الصحابة وكانوا مائـة وعشرين ألفا، وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

ومن ذلك ما رواه ابن المغازلي الشافعي في المناقب يرفعه إلى أبي‌هريرة قال: «من صام يوم ثمانية عشر من ذي‌الحجة، كتب اللّه له صيامه ستين شهرا، وهو يوم غدير خم، بها أخذ النبي ﷺ بيعة علي‌بن أبي‌طالب، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، أللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره؛ فقال له عمر بن

---

١. قد روى حديث التهنئة فيمن رواه: الحافظ أبوبكر عبداللّه بن محمّد بن أبي‌شيبة بإسناده عن البراء بن عازب، وإمام الحنابلة أحمد بن حنبل في مسنده، ج٤، ص٢١٨؛ عنه، والحافظ أبوالعباس الشيباني بالإسناد عنه، والحافظ أبويعلي الموصلي عنه، والحافظ أبوجعفر محمّد بن جرير الطبري في تفسيره، ج٣، ص٤٢٨؛ بالإسناد عن ابن عباس، والبراء بن عازب ومحمّدبن علي، والحافظ أحمد بن عقدة الكوفي في كتاب الولاية بالإسناد عن سعد بن أبي‌وقاص والحافظ أبوعبداللّه المرزباني البغدادي عن أبي‌سعيد الخدري، والحافظ علي بن عمر الدارقطني البغدادي أخرج باسناده، والحافظ أبوعبداللّه بن بطة الحنبلي عن البراء بن عازب، والقاضي أبوبكر الباقلاني البغدادي في كتابه: التمهيد في اصول‌الدين، ص١٧١؛ والحافظ أبوسعيد الخركوشي النيسابوري في شرف المصطفى عنه، والحافظ أحمدبن مردويه الإصبهاني في تفسيره عن أبي‌سعيد الخدري، وأبوإسحاق الثعلبي في تفسيره، والحافظ ابن السمان الرازي عن ابن عازب، والحافظ أبوبكر البيهقي عنه، والحافظ أبوبكر الخطيب البغدادي، بسندين صحيحين عن أبي‌هريرة، صص٢٣٢-٢٣٣؛ والفقيه أبوالحسن بن المغازلي في المناقب، وأبومحمّد أحمد العاصمي في زين الفتى، والحافظ أبوسعد السمعاني في فضائل الصحابة عن ابن عازب، وحجة الإسلام أبوحامد الغزالي في سر العالمين ص٩، وأبوالفتح الاشعري الشهرستاني في الملل والنحل واخطب الخطباء الخوارزمي الحنفي في مناقبه ص٩٤، وأبوالفرج بن الجوزي الحنبلي عن ابن عازب، وفخر الدين الرازي الشافعي في تفسيره الكبير، ج٣، ص٦٣٦؛ وأبوالسعادات مجد الدين بن الأثير الشيباني في النهاية، ج٤، ص٢٤٦؛ وأبوالفتح محمّد بن علي النطنزي في الخصائص العلوية عن أبي‌هريرة، وعزالدين أبوالحسن بن الأثير الشيباني عن ابن عازب، والحافظ أبوعبداللّه الكنجي الشافعي في كفاية الطالب، ص١٦؛ وشمس الدين أبوالمظفر سبط بن الجوزي الحنفي، وعمر بن محمّد الملاّ في وسيلة المتعبدين عن ابن عازب، والحافظ أبوجعفر محب الدين الطبري في الرياض النضرة عنه، وشيخ الإسلام الحمويني في فرايد السمطين عن أبي‌هريرة، ونظام الدين القمي النيسابوري، وولي الدين الخطيب في مشكاة المصابيح ص٥٥٧، عنه، وأبوالفداء بن كثير الشافعي في البداية والنهاية، ج٥، ص٢٠٩ ـ ٢١٠؛ عنه، وتقي الدين المقريزي المصري في الخطط، ج٢، ص٢٢٣؛ عنه، ونور الدين بن الصباغ المالكي المكي في الفصول المهمة عنه، والقاضي نجم الدين الاذرعي الشافعي في بديع المعاني، ص٧٥؛ وكمال الدين الميبدي في شرح الديوان، وجلال‌الدين السيوطي في جمع الجوامع عن ابن أبي‌شيبة، ونور الدين السمهودي المدني الشافعي في وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٢، ص١٧٣؛ عن البراء، وزيد وأبوالعباس شهاب الدين القسطلاني في المواهب اللدنية، ج٢، ص١٣؛ في معنى المولى، والسيد عبدالوهاب الحسيني البخاري، وإبن حجر العسقلاني الهيثمي في الصواعق المحرقة، ص٢٦؛ والسيد علي بن شهاب الدين الهمداني في مودة القربى بلفظ البراء، والسيد محمود الشيخاني القادري المدني في الصراط السوي في مناقب آل النبي عن ابن عازب، وشمس الدين المناوي الشافعي في فيض القدير، ج٥، ص٢١٨؛ والشيخ أحمد باكثير المكي الشافعي في وسيلة المال في عد مناقب الآل عن ابن عازب، وأبوعبداللّه ا لزرقاني المالكي في شرح المواهب، ج٧، ص١٣؛ عن سعد، وحسام الدين بن محمد بايزيد السهارنيوري في مرافض الروافض، وميرزا محمّد البدخشاني في كتابيه مفتاح النجا في مناقب آل‌العبا ونزل الابرار بما صح في أهل البيت الأطهار عن البراء، والشيخ محمّد صدر العالم في معارج العلى في مناقب المرتضى عنه، وأبوولي‌اللّه أحمد العمري الدهلوي والسيد محمّد الصنعاني في الروضة الندية شرح التحفة العلوية عنه، والمولوي محمد مبين الكهنوي في مرآة المؤمنين في مناقب أهل‌بيت سيد المرسلين، ومحمّد محبوب العالم في تفسير شاهى عن أبي‌سعد الخدري، والسيد أحمد زيني دحلان المكي الشافعي في الفتوحات الإسلامية، ج٣، ص٣٠٦؛ والشيخ محمّد حبيب اللّه الشنقيطي المدني المالكي في حياة علي بن أبي‌طالب، ص٢٨؛ عن ابن عازب.

الخطاب: **بخ بخ لك يا ابن أبي‌طالب! أصبحت مولاي ومولى كل مـؤمن ومؤمنـة!** فأنزل اللّه تعالى: ﴿... اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ اَلْإِسْلامَ دِيناً...﴾ [المائدة: ٣].

ذكرى تكميل الدين:

قد فصلنا القول في أن ما أمر الرسول صلى الله عليه وآله بتليغه يوم الغـدير، هـو هامـة الخلافـة، التـي لولاها فكأن الرسول صلى الله عليه وآله ما بلّغ شيئا!

أجل، إنه من كمال الدين وتمامه؛ ولذلك لمَّا يـتم أمـر الـبلاغ يـوم الغـدير، يتبعـه الوحي: ﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾

وأخيرا لنسأل إخواننا، هل إن هامة الغدير كذلك، تدور مدار حب الإمام فحسب؟!

وهل الحب يخصه دون المؤمنين، رغم أن ولاية المـؤمنين وحـبهم فـرضٌ دونمـا انحصار فيه عليه السلام وانحسار عمن سواه من المؤمنين؟!

وهل إن تفريع ولاية الإمام عليه السلام على اولويته صلى الله عليه وآله بمعنى المحبة فحسب؟ علـى أن ولاية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، بمعنى الأولوية على الأنفس، في قوله صلى الله عليه وآله: «ألسـتُ أولـى بكم من أنفسكم؟»

هذا تفريع ترضاه فصاحة اللفظ وبلاغة المعنى. أنصِفْ واحكم!

ولقـد روى وفسّـر الولايـةَ هنـاك بولايـة الأمـر فـي الأمّـة، نفـرٌ مـن إخواننـا مـن المحدثين وغيرهم؛ وإليكم عددا يسيرا منهم:

١ ـ عن تفسير الثعالبي بالاسناد عن الكلبي: نزل ان يبلـغ فيـه (فـي علـيٍّ)؛ فأخـذ رسول اللّه صلى الله عليه وآله بيد عليٍّ، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه...» فقوله: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ...﴾ [المائدة: ٦٧]، فيـه خمسـة أشياء: كرامة، وأمر، وحكاية، وعزل، وعصمة.

أمر اللّه نبيه أن ينصب عليا إماماً؛ فتوقف فيه لكراهيته تكذيب القوم؛ فنزلت ﴿فَلَعَلَّكَ بٰاخِعٌ نَفْسَكَ عَلىٰ آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ [الكهف. ٦] ؛ فأمرهم رسول اللّه أن يسلموا لعلي بالإمرة، ثم نزل بعد أيام: ﴿يٰا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسٰالَتَهُ...﴾ [المائدة. ٦٧] .[١]

٢ ـ الشيخان في تهنئة الأمير بالإمرة يقولان: «أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ...»؛ ولئن كانت الولاية هذه، بمعنى المحبة فحسب، لم يصح نسبتها منهما إلى الأمير فحسب دون المؤمنين؛ حيث إن المحبة عامة لهم أجمع؛ فلقد فَهَما من الولاية هناك ما فهمناه.

ومن ذلك ما رواه السمعاني في فضائل الصحابة بإسناده عن سالم بن أبي الجعد قال: «قيل لعمر بن الخطاب: إنك تصنع بعلي شيئاً لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله؟! قال انه مولاي!»[٢]

٣ ـ أجل، فهم ذلك ابن الخطاب وزملاؤه الذين نقضوا عهده، بل ومن كفر بعد هذه القصة، كالحارث بن النعمان الفهري:

«إنه لما شاع قصة الغدير في البلاد، أتى ابن الفهري رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فقال: يا محمّد! أمرتنا عن اللّه بشهادة أن لا إله إلّا اللّه، وأن محمّدا رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وبالصلاة والصوم والحج والزكاة؛ فقبلنا منك، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمّك، ففضّلته علينا، وقلت: **من كنت مولاه فعلي مولاه**! فهذا شيء منك أم من اللّه؟! فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: والذي لا إله إلا هو، إنَّ هذا من اللّه! فولّى الحارث يريد راحلته وهو يقول: أللهم إن كان ما يقول محمّد صلى الله عليه وآله حقا، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب إليم! فما وصل إليها حتى رماه اللّه بحجر، فسقط على هامته وخرج من

---

١. بحار الانوار، ج٣٧، ص١٥٣.

٢. نفس المصدر، ج ٣٧ ـ ١٥٩.

دبـره؛ فقتلـه! وأنـزل اللّـه: ﴿سَـأَلَ سٰـائِلٌ بِعَـذٰابٍ وٰاقِـعٍ﴾ [المعارج: ١] وفـى شـرح الأخبار ﴿أَفَبِعَذٰابِنا يَسْتَعْجِلُونَ﴾[1] [الشعراء: ٢٠٤ والصافات: ١٧٦]

ليت شعري، إذا فهم مثل هذا المنافق المعذّب بنفاقه وكفره ـ فَهِـم ـ مـن الولايـةِ ولايةَ الأمر، فما بال إخواننا يرتابون في ذلك؟!

كلاّ! و﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مٰا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾، وإنَّ:

١ ـ إبطاءه ﷺ عن تبليغ هذه الرسالة،

٢ ـ وخوفه من تكذيب المنافقين،

٣ ـ وتبليغها في هذا المجتمع الكبير،

٤ ـ وتهنئة الأمير بولاية الأمر وإمرة المؤمنين،

٥ ـ وتفريع ولايته على أنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم،

و... هذه وما إليها، شهود صدق على أن هامة الغدير انما هي: خلافة الأمـة الإسـلامية بعد الرسول الأعظم ﷺ، للإمام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه أفضـل التحيـة والسلام، ﴿... وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيم﴾ [النور: ٤٦]

ومهما يكن من ريب في دلالة حديث الغدير على خلافة الأمير، ـ ولا ريب فيـه ـ فمـا يقول إخواننا في حديث الثقلين المتواتر كذلك بين الفريقين،[2] الـذي يصـرح فيـه الرسـول

١. ذكره أبوعبيد الثعلبي والنقـاش وسـفيان بـن عيينـه والـرازي والقزوينـي والنيسـابوري مـن اخوانـا والطبرسـي والطوسي من اصحابنا، جميعا في تفاسيرهم.

٢. جامع أحاديث الشيعة لاستاذنا الأعظم البروجردي قدس اللّه روحه، نقلاً عن العبقـات أنـه روى حـديث الثقلـين نفر كبير من الصحابة، ثم ذكر أسماء كل واحد منهم من المائة الأولى إلى الثالثة عشر، في كـل مائـة نحـو عشـرين إلى ثلاثين رجلاً من كبار أحبار الحديث، نذكر هنا نماذج من أسمائهم:

منهم: علي بن أبيطالب عليه السلام أخرجه عنه خمسة من الأعاظم مثل الطبري والسيوطي وغيرهما؛ ومنهم: الحسن بن علي عليه السلام، وسلمان، وأبوذر، رواه عنهم ثمانية، ومنهم ابن عباس، وأبوسعيد الخدري، رواه عنهما تسعة وأربعون رجـلاً، ومنهم: جابر بن عبداللّه الانصاري رواه عنه ثلاثون رجلاً، ومـنهم: أبـوالهيثم بـن التيهـان، رواه عنـه خمسـة رجـال، وأبورافع مولى رسول‌اللّه ﷺ، وحذيفة بن اليمان، وحذيفة بن أسيد، أخرجه عنه وأحد وعشـرون رجـلاً، وخزيمـة بـن ثابت ذوالشهادتين رواه عنه خمسة رجال، وزيد بن ثابت روى عنه ستة وعشرون رجـلاً، وأبـوهريرة روى عنـه سـتة، وعبداللّه بن حنطب، ثلاثة، وجبير بن المطعم، ثلاثة، وبـراء بـن عـازب، وأنـس بـن مالـك، وطلحـة بـن عبيـد اللّـه التميمي، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، وسهل بن سعد الأنصاري، خمسة، وعدي

الأعظمﷺ: «إنه خلف بعده على الأمَّة خليفتين اثنتين: كتـاب اللّـه وعترتـه أهـل بيتـه»؛ حيث قال: «إني مخلِّف فيكم الثقلين: كتاب اللّه، وعترتي. ما إن تمسكتم بهما لـن تضـلوا أبدا. وإنهما لن يفترقـا حتـى يـردا علـي الحـوض...» يقـول عمـر بـن الخطـاب: «قلـت يـا رسول اللّهﷺ من عترتك؟» قالﷺ: «عترتي اهل بيتي».[١]

فعترة الرسولﷺ ـ وهم الأئمة الإثنا عشر ـ هم قرنـاء الكتـاب فـي الخلافـة بـين الأمّة الإسلامية، لا يفارقونه ولا يفارقهم؛ فمَن زعم أنه متمسك بأحدهما دون الآخـر، لم يكن متمسكاً بالخلافة التامة.

وهذا الحديث يجعل الخلافة في العترة إلى يوم القيامة مقرونة بالكتاب، فكمـا أن كتاب اللّه لا انفصام لعروته ولا انقلاع لحلقته ولا ختام لحكومته، كذلك العترة، لهـم الأمر والحكم مع الابد.

تذكرة:

قد يـروي إخواننـا «وسـنتي» بـدل «وعترتـي» فـي حـديث الثقلـين، ونحـن لا نرفضـها، والجمع بين النقلين أن العترة إنما هم حملـة السـنة ــ المعصـومون ــ بـين نقلتِهـا غيـرِ المعصومين، ولا نـرى أن الأئمـة مـن عتـرة الرسـول يسـتقلون بجنـب الرسـولﷺ أو يجتهدون كمن سواهم من المجتهدين الذين يجوز عليهم الخطأ. إنما نعتقد فيهم أنهـم رواة سنة الرسـولﷺ، دون زيـادة ولا نقصـان، ودون أن تخفَـى علـيهم خافيـة، أنهـم أبواب علم الرسول كما فی أحاديث الباب.



بن حاتم، وعقبة بن عـامر، وأبوأيـوب الأنصـاري، وأبوشـريح الخزاعـي، وأبوقدامـة الأنصـاري، وأبـوليلى الأنصـاري، وضميرة الأسلمي، روى حديثهم الأجلة والأحبار والأكابر من علماء أهل السنة، وعامر بن ليلي بن حمـزة روى عنـه تسعة، ومنهم عدة من الصحابيات مثل فاطمة الصديقة بنت الرسولﷺ، وأم سلمة رواه عنها ستة، وأم هـاني أخـت الأميرعليه السلام رواه عنها أربعة.

١. الذيل مروي عن عمر، رواه عنه محمّد بن علي بن بابويه القمي في كتاب "النصوص على الأئمة الإثني عشرعليهم السلام".

رزية يوم الخميس!

إن الرسول الأعظمﷺ لم يكتف من تصاريح الخلافة بهذه الذكريات في علي أميرالمؤمنين عليه السلام، التي ملأت صرختها أسماع العالمين، مع أن حديث الولادة والأخوة والوزارة والولاية، إنه لذكرى كافية ﴿... لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق، ٣٧]

لكنه قضيةً لعظيم اهتمامه بهذا البلاغ الهام، يختم حياته الشريفة بذكراه وكتابته؛ ليكون حجة مكتوبة، مضافةً إلى تصريحاته الجلية في ذلك، مع أنه لم يكتب طوال حياته ورسالته في شيء من مهام الدين، كما نعلمه منهﷺ إلّا شذرا؛[1] فقَصْدُه للكتابة حينذاك، تعبيرٌ عن اهتمام هام له بذلك الأمر، كما شهد له من قبل قصة الغدير. أخرج اصحاب الصحاح وسائر أهل السنن وأهل السير والأخبار كافةً رزية الخميس كما يلي: «**لمّا حضر رسول اللّهﷺ الوفاة، وفي البيت رجالٌ، فيهم عمربن الخطاب. قال النبيﷺ: هلم أكتب لكم كتابا، لا تضلوا بعده؛ فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب اللّه!** فاختلف أهل البيت فاختصموا! منهم من يقول: **قربوا يكتب لكم النبيﷺ كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبيﷺ، قال لهم رسول اللّهﷺ: قوموا!**»[2]

---

١. كما يروى من كتابه إلى الأمراء والسلاطين يدعوهم فيها إلى الإسلام، ولا تنافيه الآية: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ﴾، [العنكبوت، ٤٨]؛ لأنها تختص عدم التلاوة والكتابة بما قبل الرسالة، ولا تنفيهما عنهﷺ إطلاقا.

٢. أخرجه البخاري في باب قول المريض: «قوموا عني...»، كتاب المرضى، ج٤، ص٥؛ وفي كتاب العلم، ج١، ص٢٢؛ وبعض الاجزاء الأخر من صحيحه، وأخرجه مسلم في آخر الوصايا من صحيحه، ورواه أحمد من حديث بن عباس في مسنده، وكذا سائر أصحاب السنن، وسند البخاري هكذا: «إلى عبيداللّهبن عبداللّهبن عتبةبن مسعود عن ابن عباس».

هـذا! ولكـن تقـوّل ابـن الخطـاب وجرأتـه علـى الرسـولﷺ حينـذاك، لـم يكـن كمـا هنـا: «أن النبـي قـد غلـب عليـه الوجـع»؛ وإنمـا فسّـره أربـاب الحـديث بالمعنى حفظا لكرامته، وإنما لفظه الثابت: «**دعوه فانه ليهجر**»!!!

ويشهد له قول ابن عباس: «إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول اللّـهﷺ وبـين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم؛ حيث قال عمر كلمـة، معناهـا: أن الوجع قد غلب على رسول اللّهﷺ»![1]

ولقد نُقِل التصريح بنسبة الهَجْر إلى الرسولﷺ من دون ذكر قائله أيضا.

عن ابـن عبـاس أنـه قـال: «يـوم الخمـيس ومـا يـوم الخمـيس! ثـم بكـى حتـى خضـب دمـه الخصـباء، فقـال: اشـتد برسـول اللّـهﷺ وجعـه يـوم الخمـيس فقـال: ائتـوني بكتـاب أكتـبْ لكـم كتابـا لـن تضـلوا بعـده أبـدا، فتنـازعوا، ولا ينبغـي عنـد نبـي تنـازعٌ! فقـالوا: هجـر رسـول اللّـهﷺ. قـالﷺ: دعـوني فالـذي أنـا فيـه خيـرٌ مما تدعوني إليه».[2]

لماذا لم يكتب الرسول ما أراده؟

إن الرسول الأعظمﷺ حينما يُجتـرى عليـه بهـذه الكلمـة القارصـة الفاتكـة، وهـو فـي قبضة الموت، يمسك عن أن يكتب ما كان يهمه حينذاك، مخافةَ أن يكذّبوه سـناداً إلـى قولة عمر، كما وكان يبطئ عن تبليغ الرسالة الهامة يوم الغدير مخافةَ التكذيب!

إلاّ أن المنافقين لم يظهروا هناك شيئاً، رجاء تأويله بعد ارتحال الرسول إلـى جـوار رحمة ربه، ولكنهم ماذا يصنعون بنص خطهﷺ إذا كتب ما بلّغه؟!

---

١. أخرجه أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة، كما في (ج٢، ص١٠؛ مـن شـرح الـنهج للعلامـة المعتزلي) بالإسناد إلى ابن عباس.

٢. رواه البخاري في باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير من صحيحه، ج٢، ص٧؛ قال: «حـدثنا قبيضـة حـدثنا ابن عيينة عن سلمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس».

لـذلك نـرى الخليفـة عمـر، الـذي يهنـئ الأميـر بولايـة الامـر يـوم الغـدير قائلاً: «بخ بخ لك يـا علـي! فقـد أصـبحت مـولاي ومـولى كـل مـؤمن ومؤمنـة» ــ نـراه ــ لا يرضـى أن يكتـب الرسـولﷺ حـين ارتحالـه شـيئا فـي ذلـك، فيجـرؤ عليه بلفظة فحش، ما أفحشه!

أجل، إنه يجرؤُ على الرسولﷺ بخناءٍ، أدمَى قلوب المسلمين، وجرح عيـونهم، وفتّـت أكبادهم! فهل إن الرسولﷺ ليهجر، وقد صدقه اللّه تعـالى فـي جميـع أقوالـه فـي مثـل قوله تعالى وتقدس: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحىٰ﴾! [النجم: ٣ ـ ٤]

وهل إن نسبة الهجر إلى الرسولﷺ حينذاك إلاّ نسبته إلى اللّه تعالى في وحيه؟

وهـل توجـد فرصـة هامـة للوصـية أهـم مـن حـين المـوت، لا سـيّما للرسـول الأعظمﷺ؟ أفهل يجدر لعمر أن ينسب من لا ينطق عن الهوى، إلى الهجر؟!

هنالك يحق لكل مسلم ان يبكي دماً، ويقول: إن رزية الخميس الخميص، رزيتان اثنتان: أهمهما وأفجعهما ذلك الخناء والجرأة على الرسولﷺ، كارتحـال أول، إماتـةً لرسالته! ثم ارتحاله موتا في ذلك اليوم؛ إذ إن الرزية الأولى إماتـة لشخصـية الرسـول الأعظمﷺ، وليست الثانية إلاّ فقدان شخصه الكـريم! ﴿... وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].



الدين والسياسة

... لقد ابتُليت الحركة الإسلامية منذ بدئها باليهود؛ إذ بدؤوا نشاطهم المضاد بالتشويه لسمعة الإسلام، والوقيعة فيه، والافتراء عليه؛ ورأى زملاؤهم المبشرون والمستشرقون أنّ أكبر ما يمنعهم عن نيل مآربهم هو الإسلام؛ فتعاونوا من أجل تحريف حقائق الإسلام.

فرَغْمَ أنّ الإسلام دين المجاهدين الأحرار، الصامدين في خط النار، حاول هذا الاستعمار الثنائي الغادر الكافر ليجعل من المسلمين أجسادا بلا أرواح، وحاول إخماد جذوة الإسلام وتضييع طابعه الحيوي الثوري الحركي؛ لكيلا يفكر المسلمون في السعي لتحرير أنفسهم، وتنفيذ أحكام دينهم عن طريق تأسيس حكومة، تضمن لهم سعادتهم وسيادتهم في الحياتين.

بدؤوا ـ على هذه الفكرة الغادرة ـ في تفكيك الدين عن السياسة، والخلافة الدينية عن الخلافة السياسية الإسلامية؛ حتى آلَ أمرُ المسلمين إلى ألّا يفكروا في السياسة والحكم، إلّا أن يُتهموا بالفسق والخروج عن الروح الدينية والقداسة الإسلامية!

في بادئ الأمر، كانت السياسة الإسلامية تستعين بالدين! وأخيراً، استقلّت السياسة عن الدين، وظلت القيادة بكافّة جذورها بأيدي الساسة الذين لا دين لهم!

هؤلآء الذين أصبحوا عملاء الإستعمار، وقد يحاربون الدين، ورجالَ الدين؛ لكي يسكتونهم عما يصطدم وسياساتهم الجهنمية... وإلى أن أصبح المرجع الديني المجاهد الثوري الحركي يُنفى عن وطنه؛ لأنه لم يحصر الدين في أحكام الحيض والنفاس والطهارة والنجاسه والبيع والإجارة؛ بل تعداها إلى الجهاد المقدس ضد الظلم مهما كانت أعوانه أقوياء، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم إلى تأسيس حكومة إسلامية سامية...!

أصبحت الدول الإسلامية لا ترضى بوجود علماء ربانيين مجاهدين، أللهم إلا عملاء للدولة، أو سكوتاً لا ينطقون ولا ينظرون في شؤون المسلمين الجماعية، وإنما أئمة الجماعات وقراء التعازي ووعاظ السلاطين أجسادٌ فحسبُ، لا حراك لهم إلّا بما تنفع الحكومة أو لا تضرها!

كلا يا عملاء الإستعمار! ليس كما تزعمون! فإن الإسلام دين ثوري حركي نضالي وِجاه كافة المحاولات الظالمة الفاسقة، والعلماء الربانيون حركيون مناضلون؛ فمن لا حراك له نتهمه إما بالجهل بالمبادئ الإسلامية، أو بالعمالة، ولعل حراكه خفِيَ ضد الدين.

إنّ المسلمين، في هذا الزمن الشرير والجو المرير، بحاجةٍ ماسّةٍ إلى مراجع أقوياء، يستوحون القوة والبطولة من أئمة الدين الأولين، من علي أميرالمؤمنين عليه السلام...؛ ولكي يقوموا على سوقهم ولا يُخدعوا ولا يُخذلوا، ولتجري بينهم القيادة الصالحة والسيادة الإسلامية؛ فإنما الدين والسياسة في صميم الحق تعبيران عن الحكومة العادلة؛ فلا يحق لسائس أن يسوس الرعية إلّا على الأنظمة العادلة الدينية، ولا لديِّن أن يتقاعد ويتقاعس عن السياسة، اعتذار أن السياسة وقيادة الشعوب ليست على عاتق الدين والديِّنين، وإنما لكلٍّ أهلٌ وكلٌّ إنسان يعمل على شاكلته!

المؤامرة الأولى على الإسلام:

وليس زوراً من القول، أنّ تفكيك السياسة عن الدين، إنما هو تفكيك للدين عن نفسه، وأنَّ وسوسة التفكيك لَمِن المؤامرات الهدامة على الإسلام، التي انتشأت من السقيفة، وبقيت حتى الآن للمسلمين، ومذلةٌ لهم، تؤخرهم عن حقوقهم الفردية والجماعية، في الدين والدنيا.

إنه لم يكن بد أن تقترن السياسة بالدين والسلطنة بالخلافة الدينية، ويكون السائس في أمور الشعب هو القائد الديني أو ممثله؛ كي تنضبط الأمور، وتخمُدَ أطماع

الزعمـاء، الـذين كـانوا يتربصـون بالإسـلام الـدوائر، ويتحيَّنـون الفـرص لإسـترجاع وجاهاتهم المحطمة، وأهوائهم الجهنمية، التي قُضِي عليها تحت الأنظمة الدينية.

لذلك، إن الرسول الأعظمﷺ كما كان هو القائد الديني الأوّل للمسلمين جمعـاء، كذلك كان هو السائس الأوّل على سواءٍ؛ فلا سلطانَ مع سلطانه، ولا نظام دوليـاً مـع أنظمته العادلة الخالدة؛ ولـذلك كـان يـدعو السـلاطين والامـراء إلـى دينـه ونظامـه؛ فأسلم نفر، وكفر آخرون.

ولقـد بقِـيَ هـذا التقـارن والجمـع بـين هـذين التـوأمين: السياسـة، والديانـة، حتـى آخِـر عهـد الرسـول الأعظـم محمّـدﷺ. فلمـا قـبض أخـذت التـامرات علـى تفكيكهمـا فـي السـقيفة التـي اختلقـت الخلافـة، خلافـاً لمـا نـص عليـه الرسـول الأعظـمﷺ؛ فتـأمَّر علـى المسـلمين واحـد بعـد واحـد؛ حتـى آل الأمـر فـي دولـة الثالـث مـنهم إلـى التـآمر علـى أصـل الإسـلام شـيئا فشـيئا، ثـم عليـه جهـاراً فـي حكومـة معاويـة ويزيـد وأضـرابهما؛ حيـث انفصـلت السياسـة عــن الحكومـة الدينيـة انفصـالاً عنيفـاً شاسـعاً إلـى حيـث، عُـدَّت السياسـة خارجـة عـن شـؤون الديانة، وإلى حد التناقض!

الخليفتان الأُولَيان جلسا علـى عـرش الحكـم، دون نـص، أو صـلاحية وسـبق دينـي، اتكالاً على رأي الشوري، التي أخلدت على المسلمين بؤسها، ولقـد كانـت تتكـئ الشـورى في انتصاب ابن أبيقحافة على أن الرسولﷺ لـم يعـيِّن خليفـةً، ولابـد للمسـلمين مـن زعيم؛ فثم إذا ما إفتعلت هذه الفعلة، انقسمت الزعامة قسمين: دينية، وسياسية.

فالأئمة الأربعة ـ الذين اختلقَتْهم أيدي السياسـة العباسـية ــ جلسـوا علـى عـرش الإفتاء، وتلكم الساسة الخلفاء جلسوا على عرش الحكم، وقد جعلوا مراجع الدين وفق ما يريدون، كما يلائم تأمَّرهم واستبدادهم واستغلالهم!

ومِن المؤسَف جداً، أنّ واقع العالم الإسلامي الحاضر لا يـزال يتبـع خُطَـا غـابرهم؛ فيحسبون السياسـة حقـاً لغيـر القـادة الـروحيين؛ فكلمـا قـام مـنهم قـائم، ثـائراً علـى

الحكومات الظالمة غير الدينية، قام نفر من المسلمين وجهاً لهذه الوجوه المنيرة قائلين: أنتم مكانَكم ومكانَتكم من الدين والصلاة والصيام والحج والذكر والدعاء! فما لكم والسياسة الملعونة؟! ذروا السياسة للشياطين الملحدين، والديانة والقداسة لأنفسكم أيها القادة الروحيين!

والقول الفصل، في هذا الضلال البعيد والانحراف الجارف، أنّ ذلك ركيزة أفكارهم من التامرات الأولى على الإسلام في تفكيك السياسة عن الديانة.

ثم المستعمرون الغربيون وغيرهم يزخرفون هذه الفكرة الخاطئة بألوان الغدر والمكيدة حتى أصبحت هذه الفكرةُ فكرةً قادسةً دينية، وارتجع المسلمون بعد عزّهم إلى الذل، رغم أن «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»!

ألا، فانتبهوا أيها المسلمون عن نومتكم! وخذوا حذركم وأمركم بأيديكم؛ حتى يكون الحاكم عليكم هو الإسلام والقرآن العظيم. ليس إلا، وحينذاك تخلص لكم الحكومة والسيادة المستقلة، ﴿... وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ ، وليس الذل والهوان إلا نتيجة عدم الايمان كما يجب. ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

❊ ❊ ❊

مؤامرات على الإسلام في حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

كان الأمويون والهاشميون في الجاهلية يشغلون مناصب الرئاسة على سواءٍ، غير أن الهاشميين كان تصيبهم رئاسة الدين على الأسلوب الجاهلي، حينما كان الأمويون زعماء السياسة وأصحاب تجارة ورئاسة ومدنية، إلّا أن الهاشميين كانوا في ايمانهم صادقين أياً كان، دون خديعة، أو مؤاربة ـ بإجماع المؤخرين العرب والأجانب ـ وطبيعة الحال تقضي أن الزعامة الدينية، التي توارثها الهاشميون في الجاهلية، كانت مما تَلاءم وطبائعُهم وأخلاقهم المثالية...

لقد كانوا على هذا الكيان، حتى بُعث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ فكان تعبيراً طبيعيا عن البيت الهاشمي، كما كان من بعده الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام؛ فهؤلآء هم بنوهاشم.

وأما بنوأمية، فقد كانوا على النقيض منهم، حيث اختاروا السياسة والرئاسة والتجارة وما إليها من الشؤون المادية، منهمكين فيها؛ لأنها كانت تَلاءَمُ وطباعُهم المطبوعة على اللذات والشهوات.

هذا وذياك... إلى أن كانت وتمكنت دعوة النبي الهاشمي صلى الله عليه وآله ؛ فكان أبوسفيان بن حرب الأموي رأسَ أعدائه، وقائد قريش، ورئيس المؤامرات، وبطل أساليب التنكيل بأنصار الدعوة الجديدة.

ذلك، لما كان يرى قواعدَ عروش الرئاسة والحكم مهددةً بالزوال، على يدَي صاحب الدعوة الجديدة.

ذياك المؤامرات والعِداءات الطائلة منه على الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله، التي يستحي من ذكرياتها التاريخ الإنساني، حتى أسلم أبوسفيان بعد فتح مكّة وقد مُلِئ

قلبُه نفاقاً وعداءً، لمّا يرى من تقارن السياسة والديانة في قرن واحد من البيت الهاشمي؛ فهو إنما ينتظر بالإسلام ونبيه الدوائر، وقد كان يظهر من صفحات وجهه وفلتات لسانه ما كان يضمره:

«ينظر مرة إلى النبي ﷺ ـ وهو بالمسجد ـ نظرةَ الحائر، فيخاطب نفسَه قائلاً: ليت شعري بأي شيء غلبني؟! فأقبل عليه النبي ﷺ، وضرب يده بين كتفيه قائلاً في جوابه: باللّه غلبتك يا أباسفيان»!

ولقد آلَ أمر أبي‌سفيان في عدائه للنبي ـ حتى بعد إسلامه! ـ إلى أن ظَلّ المسلمون يأبون أن ينظروا إليه أو يجالسوه، مع أن النبي ﷺ ما كان ليُهينه تدليلاً على روح الحنان والتسامح والتعاطف في نفسه، وأنه رحمة للعالمين![1]

فلما قبض الرسول الأعظم ﷺ واختلف الأصحاب في ولاية الأمر بعده، طاب هذا الخلاف لأبي‌سفيان، يحسب أن له ممرّاً في ذلك، ينفذ منه إلى استعاده سلطانه وبناء أمجاد أموية جديدة على حساب الإسلام!

تآمرُ السقيفة على الإسلام قنطرةٌ لتحقيق التآمر الأموي من وجه آخر:

إنّ اختلاقَ السقيفة القيادةَ السياسية، منفصلةً عن الزعامة الدينية، كان يولّد ويخلّف بؤساً، فيه تمام البأس والتعس للأمة الإسلامية الغراء، هو أنه: قنطرةٌ لتأسيس وتركيز الحكومة الأموية القاضية على الإسلام والمسلمين بدينهم ودنياهم وذلك:

أن الامويين الذين أسلموا على نفاقهم، ما كانوا يُؤتمنون على أمر من أمور المسلمين لسوء سوابقهم على الإسلام؛ فكانوا قوما عزّلاً، ليس بأيديهم شيء من الأمر والحكم؛ فشكَوا ذلك إلى الخليفة ابن أبي‌قحافة، قائلين: «نحن مسلمون، وبنوهاشم مثلنا مسلمون على سواءٍ، فلماذا يفرّق بيننا في المناصب والقِيم، لماذا؟!»

---

١. إشارة إلى الآية: ١٠٧ من سورة الانبياء والآية: ١٥٩ من سورة آل‌عمران.

أجابهم قائلاً: «هم يشاركون في جهاد الأعداء والدفاع عن حوزة الإسلام وبيضته؛ فكونوا كما هم، حتى تشاركوهم فيما هم».

فاشتركوا في فتح الروم، وفيهم يزيد بن أبي‌سفيان قائداً لهم، فوفى لهم ابن أبي‌الخطاب بما وعدهم أبوبكر، فولّي يزيد بن أبي‌سفيان الشام وما والاها، ولمّا تُوفِّي، أقام مقامه أخاه معاوية الطاغية.

ثم استحكم ثالث الخلفاء عرشَ ولاية معاوية؛ لأنه نفسَه، كان ثمرةً ضئيلة من هذه الشجرة الملعونة الأموية؛ فاستحكم بذلك ما ضعف منه!

ومن هنا وهناك، يبدو العداء الجلي والمؤامرات الظاهرة على الإسلام، من الطُغمة الحاكمة الأموية، التي كانت تتربص بالإسلام الدوائر وفعلت ما افتعلت!

فخلفاء السقيفة وحلفاؤها، هم شركاء في هذه الشكيمة والضغينة، التي خلَّفت على الإسلام والمسلمين أشد الويلات والنكال والبأس والبؤس، حتى اليوم!

أجل، إن الخلفاء الثلاثة شركاء في التآمر على الإسلام من سوء تدبيرهم وسياستهم في انتصاب الفروع الخبيثة الأموية، وهم من يخبر عنهم أميرالمؤمنين علي عليه السلام قائلاً:

حكم بني‌أمية في نظر الإمام عليه السلام:

«واللّه، لا يزالون حتى لا يدَعون للّه محرَّما إلّا استحلوه، ولا عقداً إلّا حلُّوه، وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلّا دخله ظلمهم، ونبا به سوء رعيهم، وحتى يقوم الباكيان يبكيان: باك يبكي لدينه، وباك يبكي لدنياه؛ وحتى تكون نصرة أحدكم من احدهم كنصرة العبد من سيده، إذا شهد أطاعه وإذا غاب اغتابه...»[1]!



١. نهج البلاغة، عبده، الكلام: ٩٨، ج ١ ص ١٩٠.

ما هي الحكومة العادلة في ألوان الحكومات

هل هى الملكية، أو الجمهورية ـ المتعودتين ـ أو المشروطية، أو الاستبدادية، أو الشيوخيه وما أشبه، كالحكومة الدينية التي تستوحي حكم اللّه تعالى في خلقه وتطبِّقه في أرضه؟

أقول كلمة واحدة: إنها في صميم الحق، لا ذا ولا ذاك ولا ذياك، وإنما هى الأخيرة؛ فإنما المُلك والحُكم للّه يؤتيه من يشاء من عباده؛ فإنه هو المَلِك الحق المتعال.

فإنما المُلك هو للّه تعالى بالذات، ولمن يختاره لتطبيق أحكامه في خلقه بأمره، كما أن الهداية من شؤون الألوهية الخاصة، يصطفى لها من خلقه من يشاء وهو اللطيف الخبير.

إنّنا لسنا بحاجة إلى البرهنة على الأخير، وإنما غيره هو الجدير بالبحث؛ حيث اختلط الأمر على الشعوب المحطّمة تحت نير الذل والهوان! وإليكم آي الذكر الحكيم، تنادي بأفصح بيان: ﴿قُلِ اللّهُمَّ مٰالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشٰاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشٰاءُ...﴾ [آل عمران: ٢٦]، ﴿وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَاللّهُ عَلىٰ كُلِّ شيء قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، ﴿فَتَعٰالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ...﴾ [المؤمنون: ١١٦]، ﴿... لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فى الْمُلْكِ ...﴾ [الاسراء: ١١١] و [الفرقان: ٢] ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاٰمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبّار الْمُتَكَبِّرُ...﴾ [الحشر: ٢٣].

أجل، انه المَلِك؛ لأنه القدوس، قُدِّسَت أمّةٌ يرضونه ملكاً!

وهو السلام، يبسط السلام على خلقه وأرجاء ملكه.

وهو المؤمن، يؤمن الخائفين المظلومين وينتصر لهم من الظالمين.

وهو المهيمن، يصون الخلق عما يحق أن يصان عنه.

وهو العزيز الغالب القاهر لا يشركه أحد في ملكه، ولا ينازعه أحد في تدبيره وسلطانه، وهو الجبار يجبر كل انكسار ويعمر كل خراب.

وهو المتكبر، الكبير المتعال، له الكبرياء والعظمة والجبروت بحق وفضيلة.

وهو يؤتي ملكه من يشاء؛ ولا يشاء إلّا من عدل في خلقه.

هنا ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ تشريعي، لا تكويني يستلزم أن اللّه يؤتي ملكه بإرادة منه ومشيةٍ للظالمين؛ فينتج أن سلاطين الجور، كالعدل، منصوبون من جانب اللّه تعالى على سواء! وحاشاه!

يسأل داود بن فرقد أبا عبداللّه عليه السلام عن هذه الآية قائلاً: «فقد آتى اللّه بني‌أمية المُلك؟!» فقال عليه السلام: «ليس حيث يذهب الناس إليه، إن اللّه تعالى آتاني الملك وأخذه بنوأمية، بمنزلة الرجل يكون له الثوب ويأخذه الآخر؛ فليس هو للذي أخذه».

فمن هنا وهناك نستوحي أنّ المُلك في نظر الدين، لا يحقّ إلّا لأئمة الدين والزعماء الروحيين، فمن جلس مجلسهم عنفاً فهو غاصب، إلّا من يرتضيه الدين والزعماء الربانيون زعيماً، وهو من ليس في سلطانه وملكه إلّا تطبيق أحكام الدين والعدل في الرعية، كما يرتضيه اللّه سبحانه؛ فمثل هذا وكيل عن الزعماء الروحيين في الملك والسلطان.

ومهما يكن من شيء، فلا يحق المُلك إلّا لأعلم الناس، وأعدلهم، وأقواهم، وأتقاهم، وأبصرهم في تدبير أمور الشعوب، وقد نأتي على تفصيله.

ثم إن اللّه تعالى، هو الذي يحق له أن يصطفي لهما أو لأحدهما من يشاء من عباده؛ فالأنبياء يمثلونه في الهداية على ضوء الوحي، والسلاطين الحق يمثلونه في سلطانه، وتطبيق احكامه؛ وقد تجتمعان في واحد، وقد تختلفان، وإنْ كان اجتماعهما فيهم هو الأصل التشريعي، وإنما الاختلاف في التكون الخارجي.

فممن ابتعثه اللّه مَلِكاً رسولاً: ذو القرنين،[١] الـذي ملـك مـا بـين الشـرق والغـرب؛ وكذا: يوسف وداود وسليمان عليهم السلام.

فكما أن نبوّاتهم كانت من اللّه وبوحي منه، كذلك مُلكهم؛ فقد كـانوا يتلقَّـون أحكامـه تعالى وحيا، ثم يطبقونها بقوة المُلك والسلطان ـ بأمر من عند اللّه ـ على خلقه.

ومن الأنبياء من لم يُرسَلوا ملوكاً، وكذلك من الملوك من لم يُبعثوا أنبيـاء، كمثـل طالوت، الذي اصطفاه اللّه علـى المـلأ مـن بنـيإسـرائيل، ﴿... وَزَادَهُ بَسْـطَةً فـى الْعِلْـمِ وَالْجِسْمِ...﴾ [البقرة: ٢٤٧].

ذلك، حينما سألت مَلأٌ من بنيإسرائيل، نبياً لهم مـن بعـد موسـى، أن يبعـث لهـم مَلِكاً، يقاتلون به في سبيل اللّه كما يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى المـلأ مِـنْ بَنِـي إِسْـرٰائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسىٰ إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فى سَبِيلِ اللهِ قـالَ هَـلْ عَسَـيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتٰالُ أَلاّ تُقاتِلُوا قالُوا وَمٰا لَنٰا أَلاّ نُقاتِلَ فى سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنا مِـنْ دِيٰارِنـا وَأَبْنائِنا فَلَمّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ ❊ وَقالَ لَهُـمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنّى يَكُـونُ لَـهُ الْمُلْـكُ عَلَيْنـا وَنَحْـنُ أَحَـقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ اَلْمٰالِ قالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفٰاهُ عَلَيْكُمْ وَزٰادَهُ بَسْطَةً فـى الْعِلْـمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشٰاءُ وَاللّهُ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٦ ـ ٢٤٧].

فكما أن اللّه تعالى يبعث من عباده أنبياء، كذلك يبعث ملوكا ليطبِّقوا أحكامـه فـي خلقه، وليس ذلك تفكيكا للدين عن السياسة؛ بل إن هذا من أكبر الآيات على أنهمـا توأمان، فلا يحق المُلك إلاّ للأنبياء أو من يتّبعهم في تطبيق الدين.

وهذه الآيات ترشدنا إلى أنّ:

١. لابـد للمَلِـك أن يكـون اصـطفاؤه علـى ضـوء الـدين والأنظمـة الدينيـة، إمـا بـنص خـاص أو عـام، لا أن يسـتبد فـي ذلـك ويسـتعين بـالنفوس والنفـائس ــ بالسـيف والنـار ــ للجلـوس علـى عـرش الحكـم، ثـم يركّـز الملـك ويسـتمر بـه

---

١. على احتمال في تفسير الآيات من سورة الكهف، التي تعنيه.

في نسله كيفما كان! ولا أن تصطفيه أكثرية الآراء من الشعوب. كلاّ! وإنما يمضي الملك لمن أمضاه الدين ملكاً.

٢. إنما يحق الملك للمصطفَين عن الرذائل الخُلقية والعملية، وعن كدر الظلم والانحراف في الدين، وعن الزلات والضلالات في الحكم على الشعوب.

٣. ومن يرجح كفة ميزان علمه وقوته في الجسم: ﴿... وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ...﴾ [البقرة: ٢٤٧] والنقطة الأساسية منه العلم بتدبير أمور الرعايا وصيانتهم عن السقوط في المهاوي والمهالك، وأن يعلم أحكام اللّه تعالى وحيا أو تعلّماً من بيت الوحي حتى يطبقها على الشعوب.

وكذلك قوة الجسم ـ إن أمكن ـ ليهابه الأعداء والظالمون، وليقدر على دفعهم، والقضاء عليهم نظرة ومقدرة، وليكون هو القدوة وفي الصف القدامي عند النضال.

فالحكم الإسلامي السامي، لا تعبِّر عنه أيّةُ صيغة، صاغتها الحكومات البشرية لأنفسها من: شيوعية، وديمقراطية، واستبدادية، وجمهورية، وملكية.

وقد يمدح بعضُ الجهالِ الحكمَ الإسلامي، بأنه ديمقراطي، زعمَ أنه حكم الشعب على الشعب، وهو عدل، وليس الإسلام إلاّ حكم اللّه تعالى على عباده.

وإن شئت تعبيرا جديدا جديرا، فقل «الإسلامي الدّيمقراطي»؛ إذ لا بُدّ أن تكون الحكومة على ضوء الإسلام، وتقبّل المسلمين بصورة صالحة، مصلحةً للأمراء والشعوب.



المرجعية الدينية والسياسية

كما إن شأن الهداية في الهداة ينقسم إلى خاصة، يختصهم اللّه ويجتبيهم بالوحي والرسالة والنبوة أو الامامة، أو النبي والإمام يصطفيان للإمرة والقضاء في من يرضونه لذلك، وإلى عامة، كمرجعية الفيتا وكالقضاء وما إليهما من الشؤون العامة الدينية زمن الغيبة الكبرى؛ فكذلك الملك والسلطان، فمن خاصة بنص الوحي، كمن ذكرناهم من الأنبياء وغيرهم، وعامة لها شروط مفروضة مبينة كمثال الهداية العامة.

فكما إن النصوص الدينية تقرر وتبين للأمة الإسلامية شروط المرجعية للفتيا والقضاء، والإمامة، وما إليهما في مثل ما يلي: «فأما من كان من الفقهاء، صائناً لنفسه، حافظا لدينه، مخالفا على هواه، مطيعا لامر مولاه، فللعوام أن يُقلِّدوه»[1]؛ فلا تجوز المرجعية الدينية إلّا لمن فيه شروط الفقاهة بصميم معناها عن بصيرة واجتهاد؛ ومن كان حافظا لدينه، بنفسه ونفيسه، يضحّي في سبيل تحقيقه وتركيزه فيه وفي الأمة، ويطيع أمر ربِّه، مهما بلغ به المقام وأينما ذهبت به الأيام؛ فلا يحق الحكم والفتوى، إلّا لمن يمثل رسول رب العالمين، وأئمة الدين في جناحَي العلم والتُقي؛ فهم كما يقول الحجة القائم المهدي عليه آلاف التحية والسلام: «... فإنهم حجتي عليكم كما أنا حجة اللّه» ويقال فيهم: «الرادّ عليهم كالراد على اللّه»؛ لكنه يجب ان يكون الأعلم الأتقى على ضوء القرآن، كشخص خاص أو شورى من الرعيل الأعلى، كما تنص على ذلك آية الزمر:

﴿... فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨]

---

١. من الناحية المقدسة.

كما فصلنا البحث عنها في محالها.[١]

ومهما يكن من أمر، فهم يمثّلون الرسول صلى الله عليه وآله في هدايته، كما أنه ممثل الرب فيها...

كذلك، هنالك النصوص متوفرة على شروط الملك والسلطان في نظر الدين. والنقطة الأساسيه فيها، تمثيل سلطان اللّه في خلقه سياسة وتدبيرا، وعدلاً في الشعوب بصميم معناها؛ ومن ذلك قولهم عليهم السلام: «السلطان ظل اللّه في أرضه يأوي إليه كل مظلوم».

أجل، إنّه ظل مُلْك الحق وسلطانه، كما أن القادة الروحيين هم أظلال هدايته إلى دينه، ومما لا يريبه شك، أن هذا الكلام ليس إخبارا عن كل سلطان وإن كان يمثل الشيطان في بغيه وجوره، كمثل فرعون، ونمرود، ومعاوية، ويزيد، وأضرابهم من الملوك الظالمين، مردة الشياطين؛ فهل إن هؤلآء أظلة الحق، يأوي إليهم كل مظلوم؟! كلا! وإنما هم اذلَّة على الحق، يأوي إليهم كل ظالم!

وإنما ذلك إنشاء وحكم على الملوك؛ لكي يكونوا عدولاً في الناس، يمثلون الرب سبحانه وتعالى في العدل والنصفة، ويستظل في ظل عنايتهم الرعيةُ، ولا يريدون من الملك إلّا القضاء على الظالمين، ونصرة المظلومين، وتطبيق أحكام الدين، وإنما يمثل ذلك العدالة في الملك بصميم معناها مثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

فقد كانت حياتُه سلسلةَ معارك في سبيل إنجاء المظلومين والمستضعفين، وانتصارا دائما للشعب، دون من يريدونه من السادة الطغاة، ورثة الأمجاد الجاهلية، وثورة هدّامة على الظالمين المستبدين، مردة الشياطين.

إنّ عليّاً شرف الملك، والسلطان، الذي لولاه لكان جديرا بالملوك والقادة ألّا يرفعوا رؤوسهم حياءً من افتعالاتهم الغاشمة! إن صوت الإمام عليه السلام في معركة العدالة الإجتماعية الحقة مدوي مع الأبد، شديد، لا

١. في كتب تبصرة الفقهاء وتفسير «الفرقان» ورسالتنا العملية.

هـوادة فيـه ولا لـين. إن تلـك الحقبـة فـي تـأريخ البشـر، التـي كـان الإمـام فيهـا القائـد الأعظـم، لـم يُـرَ ولـم يُسـمع ولـن يسـمع بمثلهـا فـي القـرون والأجيـال الخاليــة والتاليــة، إلاّ فــي دولــة المهــدي القــائم، الــذي يمــلأ الأرض قســطا وعدلاً، بعد ما مُلئت ظلما وجورا ـ في الآتي ـ والدولة المحمدية سابقاً.

فإذا قيل للإمام: نحن أعزة قوم... يجيبهم قائلاً: «الـذليل عنـدي عزيـز حتـى آخـذ الحق له، والقوي عندي ذليل حتى آخذ الحق منه»!!

أجل، انه المَلِك الحق العدل، الذي يأوي إليه كل مظلوم ذليل، وهو يقضـي علـى الهوسات الجهنمية للحاكمين المتأمرين، للمرتشين في الحكم، فيلقي نظرتـه العادلـة العامة بثورة الحيـاة علـيهم، وعلـى لحـاهم الطويلـة التـي تحـرك فـي أطرافهـا ذنَـب الشيطان، ويرميهم بقسيٍّ الصـواعق القاضـية، ترعـب الغاصـبين فـي قسـمات وجهـه، وتصرعهم إلى الأرض صرعا عنيفا.

فما أقدس سوط الإمام، يرفعه على الظلم وأهله! ثم ما أعطف أيادي رحمته يضـعه على رؤوس المظلومين بكل حنان ورأفة!

فالظلم بشتى ألوانه في مذهب عليٍّ كفرٌ، وهو لا يـرى قيمـة للحكـم إلاّ أن يقِـيم به حقّاً أو يبطل باطلاً.

أجل، ليسـت الولايـة فـي نظـر الإمـام بابـاً يلجـه الـوالي إلـى خيراتـه شخصـياً، ينـال منهـا مـا يهـواه، ويتـأمر فيهـا بأهوائـه الجهنميـة الغاشـمة؛ ولا يكـون فـرض طاعته على الشعب، لأنه الوالي.

كلا! وإنما الولاية باب يلجه الوالي إلى إنصاف الناس، ولإقامة الحق، مهما كانـت أعوانه ضعفاء، وللقضاء على الباطل مهما كانت أنصاره أقوياء.

ولـيس فـرض طاعـة الـوالي فـي نظـر الإمـام إلاّ لغـرض طاعـة الحـق، وإلاّ، فـالمفروض علـى الشـعب، الثـورةُ الهدامـة علـى عـرش الحكـم، إذا كـان بـاطلاً وعلى خلاف الحق.

أجل، ليست الولاية لا بالصحابة، ولا بالقرابة، ولا بالمال، ولا بالقدرة، وليست حسبا، تشيَّد عليه الأمجاد، ولا شرفا قديما، تُبني لها العروش، ويتوسل بها إلى استعباد الناس، ولا قهرا، تخضع لها الجماعات للسيف والنار والترهيب والترغيب، ولا إرثا، يتوارثها كل خلف عن سلفه كالأموال، ولا بعدا عن الناس وانصرافا عن الشعب، وملاءً من الكبرياء والزور، واحتجابا عن النظر في الأحوال العامة وحاجات الأفراد والجماعات، وبالأخير طاغوتا، يُعبد وهو في مكانه وعلى مكانته!!

وإنما هي تمثيل الحق والعدل بصميم معناهما في الشعوب ليس إلاّ، وقد ينحصر اصطفاؤها بالانتصاب الخاص، كمن ذكرناهم من الأنبياء والسلاطين، أو العام كمن ينطبق عليهم النصوص العامة الدينيه في شرائط الولاية كما يلي:

١ ـ «السلطان ظل اللّه في الأرض يأوي إليه كل مظلوم».

٢ ـ «الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك».

٣ ـ «مجاري الأمور بيد العلماء باللّه».[١]

فلا حكم ولا سلطان إلّا للعلم والعدل، دونما انحراف عن الحق قيد شعرة.

السلطات الباطلة الغاصبة:

فالسلطات الباطلة، كيفما كانت أسباب تكوّنها، من وراثة، واستبداد، واستغلال، وثورة، ومن جمهورية، تنتخبها أكثرية الآراء، كل ذلك: من مشروطية واستبدادية، إذا لم يكن فيها تمثيل الحق والعدل، فهي بأجمعها ظلم وزور وباطل، لا يمضيها الدين وزعماؤه الروحيون.

فلا يريد الدين حكماً، إلّا لمن حكَّمه بالنص الخاص قائدا دينيا، أو ملكا كمثل داود وطالوت، وكمثل الرسول الأعظمﷺ وممثله الوحيد الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، أو

١. كما يروي عن المعصومين عليهم السلام.

من تنطبق عليه النصوص العامة أصالة، كالعلماء الربانيين الأقوياء، ذوي البصائر في تدبير الشعوب، أو وكالة عنهم تمثيلاً لأنظارهم القادسة الدينية، كالملوك العدول، أتباع العلماء، كما يقول الإمام ﷺ: «والعلماء حكام على الملوك»!

وأما الظلمة الغاشمون المستبدون المسيطرون على الشعوب، بقوة المكر والخديعة، والسيف، والمال، والترهيب والترغيب، الذين لا يستهدفون من الملك إلّا استعباد الشعوب في سبيل هوساتهم الجهنمية، فيأكلون أموالهم، ويستبيحون نفوسهم ونفائسهم وأعراضهم، ولا يدينون دين الحق، بل يستعبدونهم استبعادا للحق عنهم ما استطاعوا إلى سبيلاً، فأولئك الفسقة اللئام، أظلة الشياطين، الذين لا يريدون من التأمُّر على الشعوب إلّا تدمُّرهم، ولا يأوي إليهم إلّا كل غادر وشيطان مَريد، وإلاّ، كل ظالم مكار جبار عنيد، أو مداهن مهين، يقنطرونهم لتركيز قواعد عروشهم على سيول دماء الأبرياء العزَّل المظلومين. الذين لا يغمهم ويهزهم تحطم البلاد بمن عليها، وتذمُّر الرعية بما لها، إذا أمنوا على عرش الحكم دون زلزال واضطراب؛ فما أولئك من ولد آدم! فكيف يحق لهم الملك وتمثيل الرب المتعال في تدبير أمر الشعوب؟!

فلا ملوكية، ولا جمهورية، ولا أي من ذلك: مشروطية، ولا استبدادية، ولا...، ولا... إلّا ملك، أو رئيس جمهورية أو أي قائد يمثل الزعماء الروحيين الربانيين في ملكه ويطبق احكام الدين، ويكون ظل الله في أرضه يأوي إليه كل مظلوم، وبأحرى أن يكون القائد السياسي الزمني هو القائد الديني.



ويلات شورى السقيفة

شرائط القيادة والحكومة:

حينذاك نرجع إلى التآمر الصادر عن شورى السقيفة، حيث فصلت بين الديانة والسياسة، وغصبت الخلافة من وليد الرسول وأخيه ووزيره ونفسه المقدسة وخليفته.

والإمام عليه السلام لا يسكت عن بيان الحق حينما يُغصب حقه؛ فقد يبين شرائط الخلافة ويصرح بانه أحق الناس به نصا وصلاحية. فمما يذكر من شرائطها قوله عليه السلام: «أيها الناس! إن أحق الناس بهذا الأمر، أقواهم عليه وأعلمهم بأمر اللّه فيه». وهذا اقتباس له عليه السلام من قوله تعالى: ﴿... وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ...﴾ [البقرة، ٢٤٧]

ثم يستنتج من هذين الشرطين قوله عليه السلام: «فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبى قوتل».

يعني بذلك: إن هيَّج الفساد في الشعب شاغب، ألجأه على الرضا بالحق وإلاّ قتله، كل ذلك بالقوة والعلم.

ثم يفنِّد الآراء، مهما كانت كثيرة أو إجماعاً، في تعيين القيادة العظمي والحكم قائلاً: «ولعمري، لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس، فما إلى ذلك من سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثمّ ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب ان يختار».[1]

هذه برهنته عليه السلام البينة على تزييف ولاية الأمر بالشورى كيفما كانت حيث:

١- ليس للآراء ـ وإن لم يشذ عنها واحد ـ سبيل في اختلاق الخلافة الدينية والحكم؛ لأنه حق اللّه ليس إلاّ.

---

١. نهج البلاغة، ج١، ص١٠٤؛ محمد عبده.

٢- ولأنه لا يحضرها عامة الناس الذين لهم حق الشور في مقـدراتهم الجماعيـة، ولا يمكن حضورهم إطلاقا.

٣- ولو حضرها كل من قدر من أرجاء الملك، فما إلى قبـول آرائهـم مـن سـبيل؛ حيث إن اهلها يحكمون على من غاب عنها من الغائبين، وممـن لـم يولـد أو ليس له رأيٌ، لصغر أو خفة عقـل ودرايـة، ثـم لـيس لمـن شـهد الشـورى أن يرجع عما رآه حينها، مهما بلـغ أمـر الحكـم مـن البغـي والفسـاد لمـن أمَّرتـه الشورى، وليس لمن غاب أن يرى رأيه بعد ذاك.

فالشورى بهذه الضغينة والاستبداد، كيف يحق لها الحكم، إلّا جورا وبغيا؟

... أجل، إن صميم نظرية الإمام الصائبة الثاقبة في الشـورى، أنهـا لا تـأتي بـالحق كيفما كانت، حيث إن الملك والسلطان كمثل النبوة والإمامة مـن المناصـب الخاصـة بالمصادر الدينية، لا خيرة فيه للشعوب، كما لا خيرة لهم في انتصاب النبي والإمام.

كيف وقد صادفت خيرة موسى الرسـول المعصـوم عليه السلام، لحضـور ميقـات الـرب، مـن سألوا الرؤية، من السبعين الذين أخذتهم الرجفة والصـاعقة؛ فمـا أبعـد خيـرة الأمـة، إذا كانت خيرة موسى الرسول كهذه،[١] ثم ما أبعدها إذا انحصرت في شذاذ من الأُمة، كمـن حضر الشورى!

أجل، ليس للشعوب في شيء من القيادتين الدينية والسياسية خيرة، إلّا ما يختاره اللّـه، فكيف بخلافة الرسول صلى الله عليه وآله التي تمثل كلتا القيادتين، كما كـان الرسـول صلى الله عليه وآله طيلـة حياتـه المنيرة، حيث كان هو القائد السياسي في حين أنه الرسول الإلهي والقائد الأول الديني.



١. وهي كانت خيرة موسوية منفصلة عن وحي رباني، امتحانا له دون امتهـان، ولكـي يُعـرف أن مـن دون عصـمة الوحي خاطئ مهما كان قاصرا. فضلاً عن شورى كشورى السقيفة!

من هو الوالى؟

ليس الوالي طاغوتا يعبد؛
فله الحكم والتأمُّر كيفما كان! وعلى الرعية السمع والطاعة إطلاقـا؛
فلا فخر ولا استبداد ولا كبرياء ولا رعونة ولا منة ولا عَنَفَة ولا أنفة...!
وإنما الولاية: حنان ورحمة للحق والعدل وتمثيل للحق...!

ومن مقالات الإمام عليه السلام في تسويته بين الوالي والمولى عليه في الحق دون تفاوت ـ ما يلي: «قد جعل اللّه لي عليكم حقاً بولاية أمركم، (أن أمَّرني وولاّني عليكم) ولكم عليّ من الحق مثل الذي لي عليكم» ثم يعلل تلك المماثلة العادلة بقوله: «فالحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف، لا يجري لأحد إلّا جرى عليه، ولا يجري عليه إلّا جرى له. ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه، لكان ذلك خالصا للّه سبحانه دون خلقه؛ لقدرته على عباده، ولعدله في كلما جرت عليه صروف قضائه، ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءَهم عليه مضاعفة الثواب، تفضلاً منه وتوسّعاً بما هو من المزيد أهله».

يخص الإمام عليه السلام الاستبداد بالحق، باللّه سبحانه وتعالى، معلّلاً ذلك أنه عدل لا يجور ولا يخطئ في قضائه، فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون؛ فهو المطاع إطلاقا، لا يطيع أحدا من خلقه، وليس لأحد من عباده عليه حق، إلّا ما جعله جزاءً لما عملوا من الطاعات، فضلاً منه وحنانا ورحمةً، ولو لم يفعل لم يكن عليه سؤال، لحقّ الربوبية التي ليس معها حق لعباده عليه.

فبؤساً وبُعداً للملوك الطواغيت المستبدين بآرائهم الخاطئة الجائرة؛ حيث لا يرون لأحد عليهم حقاً ولا سؤالاً، ولا يرون لطاعة الشعوب لديهم جزاءً ولا شكورا، وإنما

يرون الحق لأنفسهم إطلاقا، وليشكرهم من يأتمر بأوامرهم، أنهم رأوه لـذلك أهـلاً، دونما جزاءٍ.

إن الإمامعليه السلام يكسر هذه الطواغيت ويركِّز أساس الحكم على أصـل العبوديـة والعـدل، ويبرهن: أن الحكم ليس غاية في نفسه، وإنما هو ذريعة له قيمته، مـا دامـت غايتـه نبيلـة؛ فإذا أُتُّخذت غاية، فقد تدنّى إلى درك الجريمة، وطلّابُه في عداد المجرمين.

الحقوق المتبادلة بين الولاة والشعوب:

يذكر الإمامعليه السلام بعد تلكم القاعده الكلية في تساوي الحقوق، طرفاً من الحقوق المتبادلـة قائلاً: «وأعظم ما افترض اللّه سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي على الرعيـة، وحـق الرعية على الوالي. فريضةٌ فرضها اللّه سبحانه لكلٍّ علـى كـلٍّ؛ فجعلهـا نظامـاً لألفـتهم وعزّاً لدينهم؛ فليست تصـلح الرعيـة إلّا بصـلاح الـولاة، ولا تصـلح الـولاة إلّا باسـتقامة الرعية؛ فإذا أدت الرعية إلى الـوالي حقـه، وأدى الـوالي إليهـا حقهـا، عـزَّ الحـق بيـنهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذيالهـا السـنن؛ فصـلح بـذلك الزمان، وظمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء.

وإذا غلبت الرعية والِيَها أو أجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهـرت معالم الجور وكثر الإدغال في الدين، وتُركت محاجُّ السـنن، فعمـل بـالهوى، وعُطِّلـت الأحكام».

ثم الإمام بعد بيان ما يصلح به الرعية والرعاة تحت ظل رعاية الحقـوق المتبادلـة، ومـا يفسدهما جميعـا علـى ذل التخلـف مـن الحقـوق، يخـتم كلامـه علـى مـا بـدأ مـن كسـر الطواغيت قائلاً: «وإن من أسخف حالات الـولاة عنـد صـالح النـاس، أن يُظـن بهـم حـب الفخر ويوضع أمرهم على الكِبْر، وقد كرهتُ أن يكون جالٍ في ظـنكم أنـي أحـب الإطـراء واستماع الثناء، ولست بحمد اللّه كذلك. ولو كنت أحب أن يقـال ذلـك، لتركتـه انحطاطـاً للّه سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبريـاء، وربمـا اسـتحلى النـاس الثنـاء

بعد البلاء، فلا تثنوا علي بجميل ثناء لإخراج نفسي إلى اللّه وإليكم من التقية في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لابد من إمضائها؛ فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي؛ فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه؛ فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل؛ فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئَ ولا آمن ذلك من فعلي، إلّا أن يكفي اللّه من نفسي ما هو أملك به مني. فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لربٍّ، لارب غيره، يملك منا ما نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا له، فأبدلنا اللّه بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى».

إن الإمام عليه السلام في تلك الكلمات المنيرة يخلِّص الملك والحكم الحق عن شتات ألوان الزور والغرور، فيخلع لباس الكبرياء والخيلاء وحب الفخر والإطراء واستماع الثناء، عن الولاة، تخصيصا للكبرياء بمن هى رداؤه دون غيره، وهواللّه تعالى شأنه وعزّ سلطانه، وتجويزا للقصور عن أداء الحقوق المفروضة على الملوك حتى جاوزه إلى نفسه المقدسة قائلاً:

«فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي»!

يقول ذلك تخضُّعا وتذللاً لربه تعالى وتقدس، كمن تقدمه من المعصومين عليهم السلام كقول يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]

ثم يستدرك ذلك بتدارك نعمة وسداد من ربه، يخلصه عن الخطأ ويعصمه قائلاً: «إلا أن يكفي اللّه من نفسي ما هو أملك به مني»، كما استدرك يوسف الصِّديق غَلَبة النفس بقوله: ﴿إِلّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ وبعد أن يضع الإمام عليه السلام نفسه موضع العبودية بصميمها، لا يكتفي بذلك، ليظن أنه يرائي ويماري به السذَّج البسطاء، بل يؤكده ناهيا أن يخاطبوه خطابهم للجبابرة المتكبرين، أو يخالطوه بالمصانعة حيث لا

يلتمس لنفسه إعظاما. ومن ذلك يعلم أن السلطان والمَلك الحق إنما يحق للمخلصين من عباد اللّه الصالحين من الأنبياء وخلفائهم ومن الصديقين والعلماء الربانيين، دونما انفكاك بين القيادة الدينية والسياسية، إلّا أن يجهل القائد الديني مداخل السياسة ومخارجها، ولا يقوى على تدبير أمور الشعوب كما يحق، فيكل أمر سياسة المُلك إلى من فيه الصلاحية التامة، على شريطة اتباع الدين دون تخلّف عنه قيد شعرة.

فلكلٍّ من القيادتين شروط على شاكلتهما، وهي مجتمعة في الأنبياء وخلفائهم المعصومين المنصوصين، ولكنها قلّما تجتمع كما يحق في القادة الروحيين والسياسيين.

فعلى قادة الدين أن ينتخبوا مِن بينهم مَن يصلح للمُلك جامعاً لشرائط القيادتين جمعاء، كما يفعلون في مرجعية الفتيا، أو يجعلوا أمرهم شورى بينهم؛ فيكلوا السياسة إلى من يصلح لها من غيرهم، تطبيقا للأنظمة الدينية على الشعوب بقوة السلطان والتدبير، عملاً بهذه المقالة الدينية: «العلماء حكام على الملوك والملوك حكام على الناس».

وقد تختلف هذه الشورى في انتخاب الملوك، عن الشورى العامة بين الشعوب، لاختلاف الأساس فيهما؛ حيث النقطة الرئيسية في الشورى الروحية والحاكم عليها إنما هو الدين وممثلوه دون غيرها.

وقد يأتي القول الفصل في نظام الحكم والملك في نظر الإسلام عند البحث عن الدولة العلوية وأنظمتها التي نظمها الإمام عليه السلام إنشاء اللّه تعالى.

الشورى وحدودها في نظر الإسلام:

آيتان في القرآن تمدح إحداهما المؤمنين أن ﴿أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ وتأمر ثانيتهما الرسول أن يشاور أمته في الأمر، يتمسك بهما إخواننا في تبرير موقف شورى السقيفة. فلندرسهما لكي نرى مدى دلالتهما في الشورى الإسلامية.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿... وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٦ ـ ٣٨].

وليست ﴿شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ في الأمور الرسالية؛ إذ كانت كلها بالوحي. إنما هي للرسول ﷺ حرمةً للمسلمين.

الشورى لغوياً:

قال في المفردات: الشورى: الأمر الذي يُتشاور فيه، والتشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض، من قولهم: شُرت العسل، إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه.

وموارد الشور لا تخلوا عن المحتملات الآتية:

١- الأمور الضرورية التي يعرفها كل الناس.

٢- الأحكام الشرعية.

٣- كيفية تطبيق الأحكام الشرعية.

فالأولى ليست بحاجة إلى الشور، والثانية تختص باللّه تعالى، لا يشاركه فيه أحدٌ ولا أنبياؤه؛ فإنهم ليسوا إلّا سفراءَه تعالى ليبلغوهم الأحكام. تبقى كيفية التطبيق، سواء من حيث الموارد الجزئية أم العامة، والثانية إنما هي على عاتق الحكومة الإسلامية ـ والأولى على فقهاء الأمة؛ فإنهم يشاورون في كيفية تطبيق الأحكام، كما يتشاورون في استنباطها عن أدلتها الشرعية.

ولقد أمر اللّه تعالى المؤمنين بأمور، منها: أنّ ﴿أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾، ولا ريب أنها هي الأمور المجهولة لديهم، لا الواضحة، ولا الأحكام الإلهية البينة؛ فإنما هي أحكام عُرفية، وطرق تطبيقها ما لم تذكر في كتاب ولا سنة، تختلف حسب اختلاف الزمن والظروف والملابسات، أللهم إلّا في أحكام تخلف فيها نظرات غير المعصومين في الفتيا.

وكما أن الرسالة ليست منصبا انتصابيا بشريا بشور أم سواه، كذلك شؤون الرسالة من الخلافة الإسلامية والأحكام والقوانين الإلهية؛ فإن الخلافة الإسلامية ــ ولا سيما منذ ارتحال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ــ إنما هى استمرارية للرسالة دون تفاوت إلّا في الوحي وليست منصبا حكوميا فحسب. إنما خلافة رسالية لها ما للرسالة من المنصب الروحي والحكومي، أللهم إلّا الوحي الرسالي في شريعة الإسلام؛ لأنها خاتمة الشرائع. والخلافة فيمن قبل الرسالة الإسلامية تعني كل ما للرسل وحتى الوحي، مهما اختلفت مراتبة من حيث الأصالة والفرعية، ومن حيث مدارجه وما يحويه.

كل ذلك يثبت أن الخلافة الإسلامية ليست بالتي تنتصبها الشورى الإسلامية ــ إضافة إلى نصوص جلية من الكتاب والسنة القاطعة ـ توضح لنا: أن الرسول أمر بتعيين الخليفة بعده، وعيّنه وسماه في مواقف هامة على رؤوس الاشهاد. فمن الآيات: آية الولاية،[١] والتبليغ،[٢] والنصب،[٣] والهداية،[٤] والوزارة،[٥] وآية الوراثة،[٦] وأمثالها.

---

١. ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة، ٥٥].

٢. ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة، ٦٧].

٣. ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح، ٧ ـ ٨].

٤. ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس، ٣٥].

٥. آية الوزارة وروايتها تنتجان اختصاص الوزارة المحمدية بعلي عليه السلام فآيتها: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي﴾ [طه، ٢٥ ـ٣٠]

وروايتها: «يا علي! أنت مني بمنزله هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» وقد فصلنا القول فيها في طيات الكتاب.

٦. ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر، ٣٢].

ومن الأحاديث متواترات بين الفريقين: كحديث الغدير، والثقلين، والباب، والوزارة.

ونظراً إلى هذه التصريحات، لو كانت الخلافة الإسلامية مما يجوز الشور فيها، كانت الشورى خاطئة؛ لأنها تناقض الأدلة القاطعة. فكيف والخلافة لا تثبت بالشورى وكما قال علي عليه السلام: «ولعمري، لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس، فما إلى ذلك من سبيل ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا لغائب أن يختار».[1]

ثم الشورى للخلافة الإسلامية ـ بعد دور المعصومين منهم ـ هذه الشورى من أهم ما يحق للمؤمنين أن يتصدوا لها، حفاظا على ما توفرت في الخلفاء المعصومين، في غير المعصومين ـ ما أمكن ـ ولا تحق هكذا شورى إلّا للرعيل الأعلى من فقهاء الأمة وساستهم، العارفين بالكتاب والسنة، وبالسياسات والمتطلبات والمصالح الجماعية الوقتية الإسلامية؛ ولكي تكون دولة الإسلام عادلة صالحة، تطبَّق فيها الأحكام الإسلامية تماما.

... هذا أملنا؛ فعلينا العمل. ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم: ٣٩ ـ ٤٠].

فسوف نرى على ضوء الحكم الإسلامي عزّنا وسيادتنا العالمية.

فإلى حكم إسلامي موحَّدٍ، يقضي على مختلف الأحكام المتضادة بين الدول الإسلامية.

ضرورة الوحدة الإسلامية

إن الاستعمار ـ منذ البدء ـ قد جزَّأ وطننا الإسلامي الكبير، وحوَّل المسلمين إلى شعوب متفرقة، وعند انبثاق الوحدة في الدولة العثمانية كدوله موحدة، سعى المستعمرون في تفتيتها، فلقد تحالف الانكلترا والسوفيات وحلفاؤهما، وحاربوا العثمانيين، ثم تقاسموا

١. ر: نفس المصدر السابق.

الغنائم، ورغم أن الدولة العثمانية كانت تنقصها الكفائة والجدارة مذهبيا وشكليا، لكنها كانت خطوة بدائية للوحدة الإسلامية، ولئلا يتسلم الحكم بعض ذوي الصلاح والحنكة من المسلمين، لذلك خاف المستعمرون هذه الخليفة الخطرة عندهم، فما لبثت الحرب العالمية الأولى أن انتهت، حتى قسموا البلاد إلى دويلات صغيرة، وجعلوا على كل دويلة عميلاً لهم. ومع ذلك، فقد خرج قسم من هذه الدويلات عن قبضة الإستعمار.

نحن لا نملك أيّة وسيلة إلى توحيد الأمة الإسلامية وإسقاط الحكومات العميلة إلّا أن نسعى إلى إقامة حكومتنا الإسلامية، وتحطيم رؤوس الخيانة، وتدمير الأوثان والطواغيت البشرية، آلهة الأرض التي تعيث الفساد في الأرض، وتهلك الحرث والنسل واللّه لا يحب الفساد.

مقالات الإمام:

حول الشورى وافتعالاتها ورجالاتها،

وحول كيان خلفائها الثلاثة ومواقفهم من الكتاب والسنة.

في خطبته المسماة بالشقشقية،[1] «إنها شقشقة هدرت ثم قرت»:

١. يروى هذه الخطبة ثمانٍ وعشرون من الأعلام والحفاظ، وهم حسب ما جمعهم العلامة الحجة المغفور له الاميني في الغدير، ج٧، صص٧٢ ـ ٨٥؛ كمن يلي: الحافظ يحيى بن عبدالحميد المتوفى ٢٢٨ ـ أبوجعفر دعبل الخزامي ٢٤٦ أبوجعفر أحمد بن محمّد البرقي ٢٧٤ ـ أبوعلي الجبائي ٣٠٣ ـ أبوالحسن علي بن الفرات ٣١٢ ـ أبوالقاسم البلخي ٣١٧ ـ أبواحمد عبدالعزيز الجلودي البصري ٣٣٢ ـ أبوجعفر بن قبة ـ الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠ ـ أبوجعفر بابويه القمي ـ أبوأحمد الحسن بن عبداللّه العسكري ٣٨٢ ـ عبداللّه المفيد ٤١٢ القاضي عبدالجبار المعتزلي ـ الحافظ أبوبكر بن مردويه ٤١٦ ـ الوزير أبوسعيد الآبي ٤٢٢ ـ الشريف المرتضى ٤٣٦ ـ الشيخ الطوسي ٤٦٠ ـ أبوالفضل الميداني ٥١٨ ـ أبومحمّد عبداللّه بن أحمد البغدادي ٥٦٧ ـ أبوالحسن قطب الدين الراوندي ٥٧٣ ـ أبومنصور الطبرسي ٥٨٨ ـ أبوالخير مصدق بن شبيب الصلحي النحوي ٦٠٥ ـ مجد الدين أبوالسعادات ٦٠٦ ـ أبوالمظفر سبط ابن الجوزي ٦٥٤ ـ عزالدين بن أبي‌الحديد ٦٥٥ ـ كمال‌الدين بن ميثم البحراني ٦٧٩ ـ أبوالفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي ٧١١ ـ مجدالدين الفيروزآبادي ٨١٦.

وإنما سُمِّيت بالشقشقية؛ حيث قام إليه رجل ضمن خطبته، إذ وصل إلى قوله: «ولألفيتم دنياكم أزهد عندي من عفطة عنز»! فناوله كتابا فأقبل عليه السلام ينظر فيه. قال له ابن عباس رضی‌الله‌عنه: «يا أمير المؤمنين! لو إطردت خطبتك من حيث أفضيت»! فقال: «هيهات يا بن عباس! تلك شقشقة هدرت ثم قرت».

«أمـا واللّـه، لقـد تقمصـها ابـن أبـىقُحافـة وإنـه لـيعلم أن محلّـي منهـا، محـلُّ القطـب مـن الرحـى، ينحـدر عنـي السـيل ولا يرقـى إلـيَّ الطيـر؛ فسـدلت دونهـا ثوبـا، وطويـت عنهـا كشـحا، وطفقـتُ أرتـأي بـين أن أصـول بيـد جـذّاء أو أصـبر علـى طخيـة عميـاءٍ، يهـرم فيهـا الكبيـر، ويشـيب فيهـا الصـغير، ويكـدح فيهـا مـؤمن، حتـى يلقـى ربـه؛ فرأيـت أن الصـبر علـى هاتـا أحجـى؛ فصـبرت، وفـي العـين قـذى، وفـي الحلـق شـجى، أرى تراثـي نهبـا؛ حتـى مضـى الأول لسـبيله فـأدلى بهـا إلـى ابـن الخطّـاب بعـده (ثـم تمثـل بقـول الأعشـى: شـتان مـا يـومي على كورها ـ ويوم حيـان أخـي جـابر) فيـا عجبـاً بينـا هـو يسـتقيلها فـي حياتـه؛ إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعيها...!»

حول الشقشقية

«أما واللّه، لقد تقمصها ابن أبيقحافـة وإنـه لـيعلم أن محلـي منهـا محـل القطـب مـن الرحى...»

أجل، إن رحى دوّار الأُمة الإسلامية، لا يـدور دورا صـالحا مفلحـا، إلاّ علـى قطـب يركزه الوحي فيهم، وهو من خلَّفه الرسول الأعظمﷺ بوحي من ربه.

فخـرِّيج السـقيفة إنمـا هـو خليفـة السـقيفة، لا خليفـة الرسـولﷺ، حيـث لـم يخلِّفـه، كمـا أجمـع عليـه إخواننـا،[1] ومـن ذكرياتـه مـا كتبـه أبوقحافـة إلـى ابنـه أبيبكر جوابا عن كتابه إليه.

حيث إن خليفة السقيفة بعدها تقمَّص قميص الخلافة، أخذ يكتب إلى أرجاء العالم الإسلامي، يدعو المسلمين إلى بيعته! وكتـب ــ فيمـا كتـب ــ إلـى أبيـه ــ وقـد كـان بالطائف حينذاك ـ ما يلي:

١. حيث أطبقوا على ان الرسول لم يخلف لا أبابكر ولا عمر!

«من خليفة رسول الله، إلى أبيه أبي‌قحافة: أما بعد فإن الناس تراضوا بي؛ فإني اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا كان أحسن بك».

فلما قرأ أبو قحافة الكتاب، قال للرسول: «ما منعكم من علي؟» قال الرسول: «هو حدث السن، وقد أكثر القتل في قريش وغيرها، وأبوبكر أسن منه!» قال أبوقحافة: «إنْ كان الأمر في ذلك بالسن، فأنا أحق من أبي‌بكر! لقد ظلموا علياً حقه، وقد بايع له النبي، وأمرنا ببيعته». ثم كتب إليه: «من أبي‌قحافة إلى أبي‌بكر، أما بعد، فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق ينقض بعضه بعضا، مرة تقول: خليفة رسول‌اللّه! ومرة تقول: خليفة اللّه! تراضى بي الناس، وهو أمر ملتبس فلا تدخلن في أمر يصعب عليك الخروج منه غدا، ويكون عقابك منه إلى الندامة وملامة النفس اللوامة لدى الحساب يوم القيامة؛ فإن للأمور مداخل ومخارج، وأنت تعرف من هو أولى بها منك؛ فراقب اللّه كأنك تراه، ولا تدعنَّ صاحبها، فإنّ تركها اليوم أخف عليك وأسلم لك».[1]

أجل، إنه كما لا حراك للرحى دون قطب، تدور عليه، كذلك لا حراك مستقيما نحو الفلاح، لأمة تخلّف رحاها عن القطب كما قال في خطبة أخرى: «**وإنما أنا قطب الرحى، تدور علي وأنا بمكاني؛ فإذا فارقته استحار واضطرب ثقلها**».[2]

ثم يشير الإمام إلى وجه، يُقدمه على غيره في إدارة رحاها، بقوله: «**ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير**». ينحدر عني سيل العلم والحكمة والتدبير، إلى غدران الأُمة الإسلامية وحياضها، بما علمني رسول اللّه وجعلني باب علمه وحكمته، ولا يرقى إلي ولا يصل من على رأسي، أي طائر من طائرات الفضيلة، وأنا الطائر القدسي إلى سماوات العلم والفضائل جمعاء.

---

١. شرح النهج للخوئي، ج٢، ص٣٩؛ نقلاً عن احتجاج الطبرسي.

٢. نهج البلاغة، ٢-١٨.

ويا عجبا! بينا ابن أبيقحافة يعلم محل الإمام من الأمة ومكانته من الرسول الأعظمﷺ، كيف تقمصها، بالرغم مما يعلم؟! أفعلى عمد يغصب الحق عن أهله ويقوم مقاما ليس له؟!

خليفة السقيفة يصف الإمام عليه السلام

قال نفر من المنافقين بعد رزية الشورى، كأنهم يستهزئون ويوبخون الإمامعليه السلام: «أنّ أبابكر تقدم عليا وهو يقول: أنا أولى بالمكان منه!» عند ذلك يقوم أبوبكر خطيباً، كما يُروى،[1] قائلاً: «صبرا على من ليس يؤول إلى دين، ولا يحتجب برعاية، ولا يرعوى لولاية، أظهر الإيمان ذلة وأسر النفاق غلة، هؤلآء عصبة الشيطان وجمع الطغيان، يزعمون أني أقول: أني أفضل من علي، وكيف أقول ذلك؟! **وما لي سابقته، ولا قرابته، ولا خصوصيته، وحّد الله وأنا ملحده، وعبدالله قبل أن أعبده، ووالى الرسول**ﷺ وأنا عدوه، وسابقني بساعات لم الحق شأوه،[2] ولم **أقطع غباره**. إنّ ابن أبيطالب فاز والله، من الله بمحبة، ومن الرسول بقربة، ومن الإيمان برتبة، لو جهد الاولون والآخرون ـ إلا النبيون ـ لم يبلغوا درجته، ولم يسلكوا منهجه» ـ إلى ان قال بعد بيان قسم من فضائله ـ: «فكان جميع الخيرات لقلبه كنوزاً، لا يدخر منها مثقال ذرة إلا انفقه في بابه. فمن ذا يأمل أن ينال درجته، وقد جعله الله ورسوله للمؤمنين ولياً وللنبيﷺ وصيا، وللخلافة راعيا، وبالإمامة قائما، أفيغتر الجاهل بمقام قمته، إذا أقامني، وأطعته إذا أمرني؟»

ثم ارسل الكلام إلى بيان مكانته الخاصة من الرسولﷺ إلى أن قال: «ود الممتّنون أن لو كانوا تراب أقدام ابن أبيطالب، أليس هو صاحب لواء الحمد، والساقي يوم الورود، وجامع كل كريم، وعالم كل علم، والوسيلة إلى الله ورسوله»؟!

---

١. شرح النهج للخوئي ٣-٤١ نقلاً عن احتجاج الطبرسي عن عامر الشعبي عن عروة ابن الزبير عن الزبير بن العوام.

٢. أي: غايته وأمده.

أجل، إن أبابكر يعلم مكانة الإمام وعلمه وفضله وسبقه، لا هو فحسب، بل والمسلمون يعلمون ذلك دونما نكير.

... ثم الإمام لما يرى حقه مغصوبا، يصبر على ذلك وفي عينيه قذاه وفى حلقه شجاه، استبقاءً للوحدة بين الأمة، وحفظاً للعقيدة الحديثة بينهم من الإسلام، وخوفاً ان يرجعوا إلى الجاهلية الأولى، وتثبيتاً منه عدم تهالكه في الجلوس على عرش الحكم،[1] قائلاً: «**فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتأي بين أن أصُولَ بيدٍ جذّاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه؛ فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى؛ فصبرت، وفى العين قذى وفى الحلق شجى، أرى تراثي نهبا**»!

يقول عليه السلام: فأرخيت ثوب الخلافة دون غصبها، وأرسلتها حيث أُرسِلت، وأعرضت عنها مهاجرا، وأخذت أتخذ الرأي الأصلح في هذه الهامة، مفكرا في ذلك: هل أَصُولُ وأقوم لارتجاع حقي بيد قصيرة مكسورة، لا تمد إلى ما يراد؛ حيث الأيادي حولي قعدت وشلّت عن تناصري، وتقاعدت عن الأخذ بحقي، أو أن أصبر على غيم مظلم، حجب الشمس عن إضائة جو الإسلام وأمّته، وظلمةٍ عمياء، تعمي المذاهب ولا يهتدي فيها الدليل؟ تلك الطخية العمياء التي يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير! فرأيت أن الصبر على هذه أحجى وأوفق عقلاً وصلاحاً حينذاك؛ فصبرت بالرغم مني وفي العين قذى وفي الحلق شجى؛ ترجيحاً لأهم المصلحتين للأمّة الإسلامية، حينما أرى تراثي تنهبه السقيفة، وتذهب بها الشورى المشؤومة!

أجل، إنّ الإمام يزهد عن أخذ حقه، ابتغاءً لمرضاة اللّه، ويصبر، ما لم يكن جور إلا عليه خاصة، وما لم ينهدم أساس الدين في المسلمين، كما

---

١. يأتي القول الفصل في البحث عن علل قعوده عليه السلام في محله إنشاء اللّه تعالى.

يقول، في كلام آخر له لمّا عزموا على بيعة عثمان: «لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري، ووالله، لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن جور إلا عليّ خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه»[١].

ثم بعد اعتراضه على رأي الشورى، يعترض على رأي الأول، بينما يخطئُ الشورى بجمعها في انتصابه، إذا هو يدلي بالخلافة إلى ابن الخطاب بعده، دونما نص او شورى ثانيةً، قائلاً: «**حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده**» ثم تمثل بقول الاعشى:

«شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر!»

«فيا عجباً! بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطرا ضرعيها؛ فصيَّرها في حوزة خشناء، يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها؛ فصاحبها كراكب الصعبة، أن أشنق لها خرم وأن أسلس لها تقحَّم. فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلوُّن واعتراض؛ فصبرت على طول المدة وشدة المحنة».

يقول عليه السلام: «وصبرت على قذى العين وشجى الحلق، حتى مضى الأول لسبيله، فإذا يدلي بها إلى الثاني، يصيِّرها في حوزة خشناء. فما أخطأ استبداده بانتصاب الخليفة بعده، وما أشنع الحوزة التي اختلقها بهواه، لذلك فيها. عجباً! بينا هو يستقيلها في حياته، كيف يعقدها لغيره بعد مماته، ولقد كان يقول: **أقيلوني أقيلوني؛ فلست بخيركم، وعليٌّ فيكم**»![٢]

١. نهج البلاغة، محمّد عبده، ٢-١٢٠.

٢. رواه اخواننا، دونما نكير حتى الفخر الرازي ـ الذي ينكر أمثال هذه حيثما يقدر ـ يصدّقه. وممن أخرجه منهم: الطبري في تاريخه، والبلاذري في أنساب الأشراف، والسمعاني في الفضائل، وأبو عبيدة في بعض مصنفاته.

الخليفة أبوبكر ابن أبيقحافة بين الكتاب والسنة:

مدى علم الخليفة بكتاب اللّه:

سُئل الخليفة عن قوله تعالى: ﴿وَفاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس. ٣١] فقال: «أيّة سماءٍ تظلني أو أية أرض تقلني، أم أين أذهب أم كيف أصنع، إذا قلت في كتاب إللّه بما لا أعلم؟ أمّا الفاكهة، فأعرفها، وأما الأبّ، فاللّه أعلم». فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام فقال: «إنّ الأبّ هو الكلأ والمرعى».[1] فأحسِن به خليفةً للمسلمين! ما أحوطه على كتاب اللّه إلّا يفسره على جهل! بالرغم من أن«الأبّ»، وهو هنا للأنعام،[2] تفسّره الأنعام، فضلاً عن الخليفة الخليعة!

غائلة فدك

وقد يبقى هنا أن نتساءل الخليفة: أن كيف حرّم فاطمة الصدّيقة عليها السلام فدكَها؟ «نحلتها أو إرثها» سنادا إلى ما يرويه هو منفردا عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله «إن الانبياء لا يورثون» وهو يناقض آيات الأرث في كتاب اللّه! كيف لم تأخذه الحائطة على دين اللّه وكتابه هنا، دونما هناك في «الأبّ»؟ وقد تعذره فتواه هذه، أنها فتوى سياسية، صدرت حفاظاً على الخلافة الإسلامية!

تُضَم بُلغَة الزهراء وأولادها ـ المادية ـ إلى بلغتهم الروحية، يستأثر بهما خليفة المسلمين، ولكي يجمده عن كل حراك ضد الحكم الإسلامي!

---

١. ذكره الزمخشري في الكشاف، ج٣، ص٢٥٣؛ والقرطبي في تفسيره، ج١، ص٢٩؛ وابن تيمية في مقدمة أصول التفسير ٣٠ وابن كثير في تفسيره، ج١، ص٥؛ وصححه في ص٦؛ وابن القيم، صص١٥٨ - ١٥٩؛ الحافظ أبو نعيم الاصبهاني، ص٤٣٠؛ في حليته الأولياء، ج٢، ص٤٠؛ والبيهقي في أعلام الموقعين، ص٢٩؛ وصححه والخازن في تفسيره، ج٤، ص٣٧٤؛ والنسفي في تفسيره هامش الرازي، ج٨، ص٣٨٩؛ والسيوطي في الدر المنثور، ج٦، ص٣١٧؛ نقلاً عن أبي عبيد في فضائله وعبدبن حميد وابن حجر في فتح الباري، ج١٣، ص٣٣٠؛ وأوعز إليه ابن جزى الكلبي في تفسيره، ج٤، ص١٨؛ ر: الغدير، ج٧، ص١٠٤.

٢. إذ قال تعالى في الآية التالية: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس، ٣٢].

ثم نرى الصديقة الزهراء عليها السلام تحتجّ على الخليفة أمام المسلمين: «...لا رغبةً في مال الدنيا، وإنما لكي يعرف المسلمون مدى رعاية الخليفة للحقوق الالهية؛ فلا يستثقلوا أن الخليفة اغتصبها عن أهلها، إذ من لا يغض النظر عن المال، كيف يغضه عن الخلافة، والملك عقيم؟!»

فتوي الخليفة في ميراث الأنبياء

ينفرد الخليفة في فتوى، تخالف كتاب اللّه وسنة رسوله وتغيض فاطمة الصديقة، التي صدقها رسول اللّه صلى الله عليه وآله ورفعها إلى درجته في العصمة والطهارة، ثم يسند هذه الفتوى إلى الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا نورث ما تركناه صدقةً»، وهذه الرواية على فرض صدقها، لا تدُلّ على ما يعنيه الخليفة منها؛ إذ المعنى الظاهر أنّ «ما تركناه»، مفعول «لا نورث»، و«صدقة» تمييز؛ أي: إنّ متروكاتنا ليست صدقةً، تُباح لجميع المسلمين؛ بل إرث لورثتنا كسائر الناس، ولو كان المعنى ما يعنيه الخليفة، لقال: «وما تركنا»، لا «ما تركناه»، ولكن الكاذبَ العجول ناسٍ!

فاطمة الزهراء عليها السلام في لسان الرسول صلى الله عليه وآله

يعارض الخليفة فاطمة الصديقة عليها السلام وهو يعرف أنها من هي؟

هي التي قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله عنها:

«فاطمة بضعة مني؛ فمن أغضبها أغضبني».

«فاطمة بضعة مني؛ يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها».

«فاطمة بضعة مني؛ يؤذيني ما آذاها وينصبني ما ينصبها».

«فاطمة بضعة مني؛ يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها».

«فاطمة بضعة مني؛ يسعفني ما يسعفها».

«فاطمة شجنة مني؛ يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها».

«فاطمة بضعة مني؛ فمن آذاها فقد آذاني».

«فاطمة مضغة مني؛ يسرني ما يسرها». وكما فصلنا من ذي قبل.

أخرجها على اختلاف ألفاظها أئمة الصحاح الستة وطائفة أخرى من رجال الحديث في السنن والمسانيد والمعاجم.[١]

فهذه فاطمة عليها السلام على لسان الرسول صلى الله عليه وآله، وقد ماتت أو استُشهدت، وهي وجداء على الخليفة أبي‌بكر، كما تواتر به النقل أيضا:

---

١. وإليكم جملة ممن رواها: ابن أبي‌ملكية المتوفى ١١٧ ـ أبوعمر بن دينار الملكي، م ١٢٥ ـ الليث بن سعد المصري، م ١٧٥ ـ ابومحمد بن عيينة الكوفي، م ١٩٨ ـ أبوالنضر هاشم البغدادي، م ٢٠٥ ـ أحمد بن يونس اليربوعي، م ٢٢٧ ـ الحافظ أبوالوليد الطيالسي، م ٢٢٧ ـ أبوالمعمر الهذلي، م ٣٣٦ ـ قتيبة بن سعيد الثقفي، م ٢٤٠ ـ عيسى بن حماد المصري، م ٢٤٨ ـ أحمد الحنبل، م ٢٤١ في مسنده، ج٤، صص٣٢٢، ٣٢٨ ـ الحافظ البخاري، م ٢٥٦ في صحيحه، ج٥، ص٢٧٤ ـ الحافظ مسلم القشيري، م ٢٦١ في صحيحه، ج٢، ص٢٦١ ـ ابن ماجة، م ٢٧٢ في سننه، ج١، ص٢١٦ ـ الحافظ أبوداود السجستاني، م ٢٧٥ في سننه، ج١، ص٣٢٤؛ الترمذي، م ٢٧٥ في جامعه ج٢، ص٣١٩ ـ النسائي، م ٣٠٣ في خصائص، ص ٣٥ ـ أبوالفرج الإصفهاني، م ٣٠٢ في الاغاني، ج٨، ص١٥٦ ـ الحاكم أبوعبداللّه النيسابوري، م ٤٠٥ في المستدرك ج٣، صص١٥٤، ١٥٨ ـ ١٥٩، الحافظ أبونعيم الاصبهاني، م٤٣٠ في حلية الأولياء، ج٢، ص٤٠، البيهقي، م ٤٥٨ في السنن الكبرى، ج٧، ص٣٠٧ ـ أبوزكريا الخطيب التبريزي، م ٥٠٢ في مشكاة المصابيح، ص٥٦٠ ـ الحافظ أبوالقاسم البغوي، م٥١٠ في مصابيح السنة، ج٢، ص٢٧٨ ـ القاضي أبوالفضل عياض، م ٥٤٤ في الشفاء، ج٢، ص١٩ ـ اخطب الخطباء الخوارزمي، م ٥٦٨ في مقتلة ج١، ص٥٣ ـ الحافظ أبوالقاسم بن عساكر، م ٥٧١ في تاريخه، ج١، ص٢٩٨ ـ أبوالقسم السهيلي، م ٥٨١ في الروض الأنف، ج٢، ص١٩٦ ـ ابن أبي‌الحديد، م ٥٨٦ في شرح النهج، ج٢، ص٤٥٨ ـ أبوالفرج بن الجوزي، م ٥٩٧ في‌الصفوة، ج٢، ص٥ ـ الحافظ أبوالحسن بن الأثير الجرزي، م ٦٣٠ في أسد الغابة، ج٥، ص٥٢١ ـ أبوسالم بن طلحة الشافعي، م ٦٥٢ في مطالب السؤل، ج٦، ص٧ ـ سبط بن الجوزي الحنفي، م ٦٥٤ في التذكرة، ص١٧٥ ـ الحافظ الكنجي الشافعي، م ٦٥٨ في الكفاية، ص٢٢٠ ـ الحافظ محب الدين الطبري، م ٦٩٤ في ذخائر العقبى، ص ٣٧ ـ الحافظ أبي‌محمّد الأزدي الأندلسي، م ٦٩٩ في شرح المختصر صحيح البخاري، ج٣، ص٩١ ـ الحافظ الذهبي الشافعي، م ٧٤٧ في تلخيص المستدرك ـ القاضي الايجي ٧٥٦ في المواقف ـ جمال الدين محمّد الزرندي الحنفي، م ٧٥٠ في درر السمطين ـ أبوالسعادات اليافعي، م ٧٦٨ في مرآة الجنان ج١، ص٦١ ـ الحافظ زين الدين العراقي، م ٨٠٦ في طرح التثريب ج١، ص١٥٠ ـ الحافظ نور الدين الهيثمي، م ٨٠٧ في مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٠٣ ـ الحافظ بن حجر العسقلاني، م ٨٥٢ في تهذيب التهذيب، ج١٢، ص٤٤١ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي، م ٩١١ في الجامع الصغير والكبير ـ الحافظ أبوالعباس القسطلاني، م ٩٢٣ في المواهب اللدنية، ج١، ص٢٥٧ ـ القاضي الديار بكري المالكي، م ٩٦٦ في الخميس ١: ٤٦٤ ـ ابن حجر الهيثمي، م ٩٧٤ في الصواعق المحرقة، صص١١٢، ١١٤ ـ صفي الدين الخزرجي في الخلاصة، ص٤٣٥ ـ زين الدين المناوي، ص١٠٣١ في كنور الدقائق، ص٩٦ وعشرات أمثالهم ذكرهم في الغدير، ج٧، صص٢٣١ ـ ٢٣٥.

اخرج في الغزوات باب غزوة خيبر، ج٦، ص١٩٦؛ عن عائشة قالت: « إن فاطمة ...» ـ إلى أن قالت: «فأبى أبوبكر ان يدفع إلى فاطمة من فدك شيئاً! فوُجِدت فاطمة على أبيبكر في ذلك؛ فهجرته؛ فلم تكلّمه، حتى تُوفّيت! وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستة أشهر. فلما توفيت، دفنها زوجها علي عليه السلام ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها».[1]

وقد بلغت من جدتها أنها أوصت بأن تُدفن ليلاً، وأن لا يدخل عليها أحدٌ، ولا يصلي عليها ابوبكر؛ فدفنت ليلاً، ولم يشعر بها ابوبكر، وصلى عليها عليٌّ، وهو الذي غسلها مع أسماء بنت عميس.[2]

ومن جرّاءِ تلك الموجدات، منعت أن تدخلها عائشة، كريمة أبيبكر، فضلاً عن أبيها؛ فجاءت تدخل فمنعتها أسماء فقالت: «لا تدخلي»، فشكت إلى أبي بكر وقالت: «هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله»؛ فوقف ابوبكر على الباب وقال: «يا أسماء! ما حملك على أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وآله أن يدخلن على بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وقد صنعت لها هودج العروس؟» قالت: «هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحد وأمرتني أن أصنع لها ذلك».[3]

ونرى الخليفة يضطر إلى الاعتذار عنها، كما فيما رواه ابن قتيبة والجاحظ، أنّ عمر قال لأبي بكر: «إنطلق بنا إلى فاطمة؛ فإنا قد أغضبناها»؛ فانطلقا جميعا فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما؛ فأتيا عليّاً عليه السلام؛ فكلّماه؛ فأدخلهما عليها؛ فلما قعدا عندها، حوّلت وجهها إلى

---

١. صحيح مسلم، ج٢، ص٧٢؛ مسند أحمد، ج١، ص٦ ـ ٩؛ تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٠٢؛ مشكل الآثار للطحاوي، ج١، ص٤٨؛ سنن البيهقي، ج٦، ص٣٠٠ ـ ٣٠١؛ كفاية الطالب، ص٢٢٦؛ تاريخ ابن كثير، ج٥، ص٢٨٥؛ وقال في ج٦، ص٣٣٣: «لم تزل فاطمة تبغضه مدة حياتها»! وذكره بلفظ الصحيحين الديار بكري في تاريخ الخميس، ج٢، ص١٩٣.

٢. طبقات ابن سعد ـ رسائل الجاحظ، ص٣٠٠؛ حلية الأولياء ج٢، ص٤٣؛ مستدرك الحاكم، ج٣، ص١٦٣؛ طرح التثريب، ج١، ص١٥٠؛ أسد الغابة، ج٥، ص٢٥٤؛ الإستيعاب، ج٢، ص٧٥١؛ مقتل الخوارزمي، ج١، ص٨٣؛ إرشاد الساري للقسطلاني، ج٦، ص٣٦٢؛ الإصابة، ج٤، ص٣٧٨ ـ ٣٨٠؛ تاريخ الخميس، ج١، ص٣١٣.

٣. الإستيعاب، ج٢، ص٧٧٢؛ ذخائر العقبى، ص٥٣؛ أسد الغابة، ج٥، ص٥٢٤؛ تاريخ الخميس، ج١، ص٣١٣؛ كنز العمال، ج٧، ص١١٤؛ شرح صحيح مسلم للسنوسي، ج٦، ص٢٨١؛ شرح الآبي لمسلم، ج٦، ص٢٨٢؛ أعلام النساء، ج٣، ص١٢٢١.

الحائط، فسلّما عليها؛ فلم تردّ عليهما؛ فتكلم ابوبكر، فقال: «يا حبيبة رسول‌اللّه! واللّه، إنّ قرابة رسول‌اللّه أحب إلى من قرابتي وإنّك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت ولا أبقى بعده! أفَتراني أعرفك، وأعرف فضلك وشرفك، وأمنعك حقك وميراثك من رسول‌اللّه؟ إلّا أني سمعت أباك رسول‌اللّه ﷺ يقول: لا نورث ما تركناه فهو صدقة»؛[١] فقالت: «أرأيتكما إن حدثتُكما حديثاً عن رسول‌اللّه ﷺ تعرفانه وتفعلان به»؟ فقالا: «نعم!» قالت: «نشدتكما اللّه ألم تسمعا رسول‌اللّه ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي؛ فمن أحَبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟» قالا: «نعم، سمعناه من رسول‌اللّه ﷺ» قالت: «فإني أشهد اللّه وملائكته، أنَّكما أسخطتماني، وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي ﷺ لأشكوكما إليه»! فقال ابوبكر: «أنا عائذ باللّه تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة!» ثم انتحب ابوبكر يبكي حتى كادت نفسه تزهق. ثم خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم: «يبيت كل رجل معانقاً حليلتَه بأهله وتركتموني وما أنا فيه! لا حاجة لي في بيتكم أقيلوني بيعتي!»[٢]

فلنتساءل الخليفة: لو كانت هذه الرواية، التي ترويها عن رسول اللّه ﷺ، حقّاً، فلماذا تبكي من سخط فاطمة أن طبَّقتَ كلام النبي ﷺ عليها؟ ليس الجواب إلّا أنها فتوى سياسية للخليفة برّرها بما أسند إلى الرسول زورا![٣]

---

١. إنما لم تعارض الصديقة أبا بكر في دلالة الحديث؛ لأنها لم تصدقه في أصله؛ فأخذت في اجتثاث الأصل بما احتجت بكتاب اللّه وروت عن رسول‌اللّه ﷺ ما يصدقها ويكذبه.

٢. الإمامة والسياسة، ج١، ص١٤؛ أعلام النساء، ج٣، ص١٢١٤.

٣. كما يقول تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ...﴾، [النمل، ١٦] والنبوة لا تورث، بل إنما هو المال، وكما يقول حكاية عن زكريا: ﴿وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾. [مريم، ٥ ـ ٦] وتزيد هذه الآية دلالة على إرث المال، أنه لو كان هنا إرث النبوة فحسب، لم يقل: ﴿... وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾؛ لأن من ورث النبوة رضيّ لا محالة؛ إذ يرضاه اللّه تعالى ويصطفيه ثم يبتعثه نبيا دون العكس.

وكيف نصدق ما انفرد الخليفة بنقله مما يختص بالصديقة وهى تنكره، وهو يعارض كتاب للّه؟ ولو روى معه كافة المسلمين لما كنا نصدّقه! ولقد احتجت الصديقة الزهراء بكتاب اللّه وأفحمت الخليفة، حتى أخذت منه سند فدك، ثم الخليفة عمر مزقها في طريقها إلى بيتها؛[1] رعايةً للسياسة الإسلامية! فما أحوطه على الإسلام!

ثم إنه يرُدّ فدكاً إلى ورثة رسول اللّه صلى الله عليه وآله في خلافته،[2] ولكن بعد اللتيا والتي، ثم تداولتها أيدي الخلفاء الأمويين والعباسيين، بين من يقطعها لمن يشاء ومن يردها إلى بني الزهراء عليها السلام.

حرق بيت الصديقة الطاهرة عليها السلام:

قال أبوبكر في مرض موته «أما إنّي لا آسي على شيء في الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهن، وددت أني لم أفعلهن! فاما الثلاث التي فعلتها، فوددت أني لم أكشف عن بيت فاطمة وتركته ولو أغلق على حرب»![3] وفي اليعقوبي: «وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وأُدخِله الرجال، ولو كان أغلق على حرب!»[4]

وذلك حينما بلغ أبابكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد غضبوا في بيعته،[5] واجتمعوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام في منزل فاطمة، بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله؛

---

۱. سبط ابن الجوزي كما في السيرة الحلبية، ج۳، ص۳۹۱.

۲. صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب فرض الخمس، ج۵، صص۳ ـ۱۰؛ صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب حكم الدفن ـ الأموال لأبي عبيد، ص۱۱؛ سنن البيهقي، ج٦، ص٤۹۹؛ معجم البلدان، ج٦، ص۳٤۳؛ تفسير ابن كثير، ج٤، ص۳۳۵؛ تاريخ ابن كثير، ج۵، ص۲۸۸؛ تاج العروس، ج۷، ص١٦٦.

۳. الطبري ج۲، ص٦۱۹؛ مروج الذهب، ج۱، ص٤۱٤؛ ابن عبد ربه، ج۳، ص٦۹؛ الكنز، ج۲، ص۱۷۱؛ الإمامة والسياسة، ص۱۸۱؛ الكامل للمبرد ـ أبوعبيدة في الأموال؛ ص۱۳۱؛ أبوبكر الجوهري في لسان الميزان، ج٤، ص۱۸۹؛ تاريخ الذهبي، ج۱، ص۳۸۸.

٤. تاريخ اليعقوبي، ج۲، ص۱۱۵.

۵. وهم حسب ما ذكره المؤرخون: العباس بن عبدالمطلب، عتبة بن أبي‌لهب، سلمان الفارسي، ابوذر الغفاري، عمار بن ياسر، المقداد بن الأسود، البراء بن عازب، أبي بن كعب، سعد بن أبي‌وقاص، وطلحة بن عبيداللّه.

فبعث إليهم ابوبكر عمرَ بن الخطاب، ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: «إنْ أبوا فقاتلهم»؛ فأقبل عمر في جماعة بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار؛ فلقيَتهم فاطمة عليها السلام فقالت: «يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟» قال: «نعم! او تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة!» وفي رواية قيل له: «يا أباحفص، إن فيها فاطمة!» قال: «وإنْ...»!!! وقد تواترت القصة بمختلف الألفاظ مع اشتراكها في أصل الرزية.[١]

... ولم يبايع عليٌّ عليه السلام أبابكر إلّا بعد أن تُوفيت فاطمة الزهراء؛ إذ لم يجد أنصارا صامدين، فيهم الكفاءة، فقد اجتمع جماعة إليه عليه السلام يدعونه إلى البيعة فقال لهم: «أغدوا علي محلقين الرؤوس»؛ فلم يغد عليه إلّا ثلاثة نفر؛[٢] فلم يجد بُدّاً من البيعة كُرهاً، وحفاظاً على الوحدة الإسلامية، كما قال: «فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى» وقال: «فنظرت فإذا ليس لي معين إلّا أهل بيتي؛ فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجى، وصبرت على أخذ الكظم، (مخرج النفس) وعلى أمرَّ من العلقم».[٣]

وعلى حد تعبير عمر «إن بيعة أبي‌بكر كانت فلتة؛ فتمت وأنها قد كانت كذلك، إلّا أن اللّه قد وقى شرها»[٤] وفي نقل اليعقوبي: «فمن عاد لمثلها فاقتلوه!»

رغم هذا نرى الخليفة عمر، يقلب الأرض ظهر بطن، ليأخذ بيعة أبي بكر من علي، ولكنها لم تكن إلّا قنطرة لخلافته نفسِه، كما رواه البلاذري في أنساب الاشراف: «بعث ابوبكر عمر بن الخطاب إلى علي عليه السلام، حين قعد عن بيعته، وقال: ائتني به بأعنف العنف! فلما أتاه جرى بينهما كلامٌ، فقال عليه السلام: احلب حلباً لك شطره واللّه، ما حرصك على إمارته اليوم إلّا ليؤثرك غداً».

---

١. ابن عبد ربه، ج٣، ص٦٤؛ أبوالفداء، ج١، ص١٥٦؛ كنز العمال، ج٣، ص١٤٠؛ الإمامة والسياسة، ج١، ص١٢؛ أنساب الأشراف، ج١، ص٥٨٦؛ الرياض النضرة، ج١، ص١٦٧؛ الخميس، ج١، ص١٧٨؛ هامش الكامل، ص١١٢؛ اليعقوبي، ج٢، ص١٠٥.

٢. تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٠٥؛ شرح النهج، ج٢، ص٤.

٣. نهج البلاغة، محمد عبده، ج١، ص٦٧.

٤. سيرة ابن هشام، ج٤، صص٣٣٦ ـ ٣٣٨؛ صحيح البخاري، ج٤، ص١١٩؛ كنز العمال، ج٣، ص١٣٩.

نبوغ الخليفة في علم التفسير:

لقد عرفنا طرفاً من نبوغه في تفسير «الأبّ»، وفي منعه فاطمة إرثها، خلافاً لكتاب اللّه، وسوف نعرف رأيه في «الكلالة»... ولم يعهد عنه في التفسير إلّا عشرة آثار[١] وهو خبط فيها وأخطأ.

نبوغ الخليفة في السنة:

جمع ابن‌كثير بعد جهود جبارة أحاديث قليلة للخليفة زهاء ٧٢ حديثا وسمّى مجموعه: «مسند الصدّيق»،[٢] ومنها ما يرويه عن الرسول ﷺ بمفرده، حفاظا على السياسة الإسلامية كالحديث: «نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة».

ومنها ما اختلقه، تبريراً لاستخلاف خليفته عمر: «لو لم أُبعَث لبُعِث عمر»؛ والخليفة عمر مَن سوف نعرفه في ثقافته وعدالته! وفي ذلك مسٌّ من كرامة الرسول ﷺ كأنه كان شاكّاً في ابتعاثه! أو أنه ما كان يعرف باب مدينة علمه عليا؟!

ومنها: «ما طلعت الشّمس على رجلٍ خير من عمر»؛ تفضيلاً له على النبيين أجمعين!

رأي الخليفة في إرث الجدة:

عن قبيضة بن ذويب قال: «جاءت الجدة إلى أبي‌بكر الصديق رضي الله عنه، تسأله عن ميراثها؛ فقال لها أبوبكر: ما لك في كتاب اللّه شيء وما علمت لك في سنة رسول اللّه ﷺ شيئا؛ فارجعي حتى أسأل الناس؛ فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول اللّه ﷺ أعطاها

١. جلال الدين السيوطي في الإتقان، ج٣، ص٣٢٨.

٢. طبقات الحفاظ للذهبي، ج٢، ص١٧؛ ترجمة أحمد في آخر الجزء الأول من مسنده.

السدس؛ فقال أبوبكر: هل معك غيرك؟؛ فقام محمّد بن مسلمة الأنصاري، فقال مثل ما قال المغيرة فأنفذه لها ابوبكر رحمه الله». [١]

احتراق قلب الخليفة من خوف اللّه:

يقال: إن عمر بن الخطاب أتي إلى زوجة أبي‌بكر بعد موته، فسألها عن أعمال أبي‌بكر في بيته ما كانت؟ فأخبرته بقيامه في الليل وأعمال كان يعملها، ثم قالت: «ألا إنه كان في كل ليلة جمعة يتوضأ ويصلي ثم يجلس، مستقبلَ القبلة، رأسُه على ركبتيه، فإذا كان وقت السحر رفع رأسه، وتنفس الصعداء؛ فيشم في البيت روائح كبد مشوي!» فبكا عمر وقال: «أنّى لابن الخطاب بكبد مشوي» [٢] وفي نقل آخر ويقول: «أخ... فيطلع الدخان مِنْ فِيه!» [٣]

فأكرِمْ بخوف من اللّه يحرق الكبد حتى يشم منه رائحة الشوي، ويصعد من فمه دخان، ما لم يؤثر عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله مع أنه أول العابدين!

اللّه يستحي من أبي‌بكر ويفضله على رسوله!

عن أنس بن مالك قال: «جاءت امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول اللّه، رأيت في المنام، كأنّ النخلة التي في داري وقعت، وزوجي في السفر؛ فقال صلى الله عليه وآله: يجب عليك الصبر فلن تجتمعي به أبدا، فخرجت المرأة باكية؛ فرأت أبابكر، فأخبرته بمنامها، ولم تذكر له قول النبي صلى الله عليه وآله؛ فقال: اذهبي فإنك تجتمعين به في هذه الليلة؛ فدخلت إلى منزلها، وهي متفكرة في قول النبي صلى الله عليه وآله وقول أبي‌بكر، فلما كان الليل، وإذا بزوجها قد أتى! فذهبت إلى النبي وأخبرته بزوجها؛ فنظر إليها نظرا طويلاً؛ فجاءه جبرائيل وقال: يا

١. موطأ مالك، ج١، ص٣٣٥؛ سنن الدارمي، ج٢، ص٣٥١؛ سنن أبي‌داود، ج٢، ص١٧؛ سنن ابن ماجة، ج٢، ص١٦٣؛ مسند أحمد، ج٢، ص٢٢٤؛ سنن البيهقي، ج٦، ص٢٣٤؛ بداية المجتهد، ج٢، ص٢٤٤؛ مصابيح السنة، ج٢، ص٢٢.

٢. محب الدين الطبري في الرياض النضرة، ج١، ص١٣٣؛ مرآة الجنان، ج١، ص٦٨.

٣. عمدة التحقيق للعبيدي المالكي، ص١٣٥.

محمّد، الذي قُلتَه هو الحق ولكن لمّا قال الصدّيق: إنك تجتمعين به في هذه الليلة، استحى اللّه منه أن يُجري على لسانه الكذب؛ لأنه صدّيق؛ فأحياه كرامة له».

فيا عجبا من مختلقي هذا الحديث كيف أرادوا كسح معرَّة الكذب عن ساحة الصديق؛ فجرّوها إلى ساحة النبي الأقدس! فكأن اللّه لا يستحيي من رسوله أن يكذبه، وانما يستحي من الصديق! فهل كانت كرامة أبي‌بكر أعظم على اللّه من كرامة رسوله عليه؟!

ثم أعجب من تعليل الرواية العليل: «أن اللّه صدق ابابكر وحقق تأويله لأنه صديق!» فهل إن الرسول كان كذابا حتى يكذبه؟!

هذه! وإلى غيرها من أحاديث مختلقة، تعني تكريم أبي‌بكر ــ بعدما سمعنا من مهانته في دينه وفي علمه ـ ترفعه إلى مقام أرفع من النبي الأقدس!

وكما يروى: أن جبريل سجد مهابة من أبي‌بكر (نقله الشيخ يوسف الفيشي المالكي) وذكر اليافعي في روض الرياحين أن جبرائيل نزل على النبيﷺ، وقال: «يا محمّد، السلام يقرئك السلام ويقول لك: وعزتِه، وجلالِه، لو أقسم علي كل أعمى بحرمة شيبة أبي‌بكر الصديق، لرددت عليه بصره، وما تركت على وجه الأرض أعمى»!

وفي نزهة المجالس أنّ «اسم أبي‌بكر نقش على خاتم النبي بخط اللّه تعالى»![1]

وعن انس بن مالك: «كان ابوبكر شيخا يعرف والنبي شاب لا يعرف»![2]

وليت شعري متى كان أبوبكر شيخاً والنبي شابّاً وهوﷺ كان أكبر منه بسنتين؟! ومتى كان يُعرف هو، والنبي لا يعرف؟! وقد عُرِّف أبوبكر والصحابة بالنبي الأقدس قبل النبوة، وعُرفﷺ قبلها بالأمانة، وعرف صاحبه بعبادة الأوثان!

---

١. نزهة المجالس للصفوري، ج٢، ص١٨٥؛ مصباح الظلام للجرداني، ص٢٥.

٢. صحيح البخاري، ج٦، ص٥٣ ـ سيرة ابن هشام، ج٢، ص١٠٩؛ طبقات ابن سعد، ج١، ص٢٢٢؛ مسند أحمد، ج٣، ص٢٨٧؛ معارف ابن قتيبة، ص٧٥؛ الرياض النضرة، ج١، ص٧٨؛ المواهب اللدنية، ج١، ص٨٦؛ السيرة الحلبية، ج٢، صص٤٦ ـ ٦١.

ثواب أبي‌بكر أكثر من النبي!

عن علي‌بن أبي‌طالب قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول لأبي‌بكر: «يا أبابكر، إنّ اللّه أعطاني ثواب من آمن بي منذ خلق آدم إلى أن بعثني، وإنّ اللّه أعطاك ثواب من آمن بي منذ بعثني إلى أن تقوم الساعة».[١]

فيا عجبا كيف يربو ثواب أبي‌بكر على ثواب النبي الأقدس وكيف؟! وإلى أمثال ذلك من المختلقات الزور، التي تشهد بأنفسها أنها مدسوسة.

هذا هو أول خلفاء الشورى، رغم أنه أعدلهم وألينهم وأحوطهم على الإسلام!

ثم تعال معي لندرس مؤامرات أخرى، هي أخطر على الإسلام!



المؤامرة الثالثة ضد الحكومة الإسلامية الغراء

بينما الإسلام لا يرضي الجمهورية والشورى في انتخاب القائد الأعظم بعد الرسول ﷺ، حيث النصوص الجلية ترشد الأمة إلى قائدها الذي يمثل الرسول الأعظم ﷺ. وكذلك لا يرضاها بعد ذاك إلّا بجمهرة الطبقة الأولى من القادة الروحيين.

بين ذا وذياك، نرى خليفة السقيفة يستبد برأيه لانتصاب الخليفة بعده دون شور واستيحاءٍ من المسلمين، كما كان يزعمه في الشورى الأولى.

فبينا كان بادئ بدءٍ ـ في ظاهر الأمر ـ قائدا جمهوريا ينتخبه جمهور الأمة، فإذا هو يختم حكومته الجمهورية بالاستبداد بكل شجاعة وجرأة! فإذا هو الحجر الأساس

١. أخرجه الخلعي والملاّ، كما في الرياض النضرة، ج١، ص١٢٩؛ والخطيب البغدادي، ج٥، ص٥٣.

للحكم الاستبدادي بين المسلمين الذي عم بلاؤه وشؤمه وبؤسه حتى زمن بعيد في أكثرية ساحقة بين المسلمين.

لشدَّ ما تشطرا ضرعي الخلافه، فلم يُبقيا لها رمقا إلّا أخذاه، ولا لبنا إلّا شرباه! أجل، إن ابن أبيقحافة، يجعل الخلافة بعده في ابن الخطاب. وهناك يصف الإمام ابن الخطاب بقوله: «في حوزة خشناء» ناحية وطبيعة خشناء، ليس في الأمّة أخشن وأغلظ منه، يغلظ على الأمّة كلمها وجرحها ويخشن مسها!

يشير، في هذين الوصفين، إلى فظاظة الخليفة عمر وغلظتِه وجفاوته وقبح لقائه وكراهة منظرة ورغبة الناس عن مواجهته ومؤانسته.

يقول الشارح المعتزلي: «روى كثير من الناس أن أبابكر لما نزل سكرات الموت به، دعا عبدالرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر، فقال: إنه أفضل من رأيت، إلا إن فيه غلظة، فقال أبوبكر: ذاك لأنه يراني رقيقاً، ولو قد أفضي إليه الأمر لترك كثيرا مما هو عليه، وقد رمقته إذا أنا غضبت على رجل، أراني الرضى عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه. ثم دعا عثمان بن عفان فقال: أخبرني عن عمر! فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله، فقال لهما: لا تذكرا مما قلت لكما شيئا، ولو تركت عمر لما عدوتك يا عثمان، **والخيرة لك أن لا تلي من امورهم شيئا ولَوددت أني كنت من أموركم خلوا وكنت فيمن مضى من سلفكم**».

أجل، إن الخليفة يريد استخلاف من هو على شاكلته، ويزيد عليه غلظةً وقساوةً، ولا يذكر ذلك إلّا لمن هو على شاكلته من مثل عثمان الأموي، ولا يرضى من ابن عوف قوله: «إن فيه غلظة»، إلّا أن يوجهه كما يحب.

أما إذا اعترض عليه في ذلك فإنه يصول صولة كما فعل بطلحة بن عبيداللّه حينما يدخل عليه قائلاً: «إنه بلغني أنك، يا خليفة رسولاللّه، استخلفت على الناس عمرَ!! وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف إذا خلا بهم وأنت غدا لاقٍ ربك فسألك عن رعيتك»؟!

فقال ابوبكر وهو في قبضة الموت: «أجلسوني» ثم قال: «أبِاللّه تخوّفني! إذا لقيت ربي، فسألني قلت: استخلفت عليهم خير أهلك!»

فقال طلحة: «أ عمر خير الناس يا خليفة رسول اللّه؟!»

حينذاك يصول الخليفة صولة السلاطين ويغضب غضب الجبارين، لما يرى من الإشارة عليه من صلاح الأمة، حيث لا يلائم هواه واستبداده، قائلاً: «إي واللّه، هو خيرهم وأنت شرهم، أم واللّه، لو وليتك لجعلت أنفك في قفاك، ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون اللّه هو الذي يضعها، أتيتني وقد دلكت عينيك، تريد أن تفتنني عن ديني! وتزيلني عن رأيي؟!»

هنالك يرى الخليفة رأيه دينه ودينه رأيه، فما هذا الدين الذي لم يؤثر في كتاب ولا سنة؟!

ثم قال: «قم، لا أقام اللّه رجليك، أما واللّه، لو عشت فراق ناقة وبلغني أنك غمضته فيها أو ذكرته بسوءٍ، لأُلحقنك بخمصات قنة[1] حيث كنتم تسقون ولا تروون، وترعون ولا تشبعون، وأنتم بذلك متبجحون راضون، فقام طلحة وخرج».[2]

ينتصب الخليفة زميله: عمر، وهو يعرفه من هو في لياقته ولباقته! في علمه وإيمانه!

يرسل الرسول الأقدس ﷺ قُبَيل وفاته بعثا على أهل المدينة ومن حولهم، وفيهم عمر بن الخطاب، ويؤمِّر عليهم أسامة بن زيد؛ فلا يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول اللّه ﷺ، فنرى عمر بعدما يتخلف عن جيش أسامة يكلم أبابكر خليفة الشورى أن يبدل اسامة بغيره. حينذاك وثب أبوبكر ــ وكان جالسا ــ فأخذ بلحية عمر وقال: «ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول اللّه وتأمرني أن أنزعه!»

---

١. الجرعات المهلكات مبعدا عن العمران.

٢. أخرجه الشارح المعتزلي كسابقه.

وصية الخلافة يكتبها ثانيهم!

... حينـذاك يحضـر عثمـان الأمـوي، والخليفـة يجـود بنفسـه، يـأمره أن يكتـب عهـده قائلاً: «اكتب:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا ما عهد عبداللّه أبوبكر بن أبيقحافة إلى المسـلمين، أما بعد»، ثم أغمي عليه، وكتب عثمـان: «قـد اسـتخلفت علـيكم عمـر بـن الخطـاب»، وأفاق أبوبكر فقال: «اقرأ»، فقـرأه فكبـر أبـوبكر وسُـرَّ وقـال: «أراك خفـت أن تختلـف الناس إن مت في غشيتي؟» قال: «نعم»، قال: «جزاك اللّه خيرا عـن الإسـلام وأهلـه» ثم أتم العهد وأمر أن يقرأ على الناس فقرأ عليهم، ثم أوصى عمر بوصايا!!!

محاكمة عادلة:

حينذاك نتساءل ابن أبيقحافة، إذا كان ما فعله ابن عفان من كتابتـه عهـد الخلافـة فـي غشية الخليفة خيرا للمسلمين، مخافة أن تختلف الناس إن مات في غشيته، فما بالـه لا يرضى بهذا الخير من الرسول الأعظمﷺ؛ فيتقلد رأي الشورى موهمـاً أن الرسـولﷺ لم يخلِّف، حيث لو كان يخلِّف لم يبق للشورى محل.

فهـل ان عثمـان الأمـوي أحـوط علـى الإسـلام والمسـلمين مـن الرسـول الأعظمﷺ؟! فليجزه اللّه عن الإسلام خيرا في زعمك دون الرسولﷺ!

ثم نتساءل ابن أبيالخطاب كيف قبل هذه الكتابـة حينمـا كُتـب! وجلالـة الخليفـة مغشى عليه، ولا يقول آنـذاك مقالتـه يـوم ارتحـال الرسـولﷺ حينمـا طلـب كتابـاً؛ ليكتب لهم كتابا لن يضلوا من بعده أبدا! حيث انبثق هناك قائلاً بكل جرأة:

«دعوه فإن الرجل ليهجر! حسبنا كتاب اللّه»!

يا ابن الخطاب! كيف يهجر الرسولﷺ حين الوصية بالوحي وحسبُ الأمة كتـاب اللّـه، دون وصيته، ولا يهجر ابن أبيقحافة حينما يريد أن يخلِّفك على الأمة، مغشيا عليه؟!

ثم إن الإمام عليه السلام يصف الثاني ثانية بقوله: «يغلظ كلمها ويخشن مسها» إشارةً إلى شدة غلظته وفظاظته، فقد تصبح الأمة الإسلامية يقودهم فظٌّ غليظ القلب، ينفض الناس من حوله، مخافةَ غلظته في كلامه وعشرته، وخشونة مسه في عشرته، وذلك بعدما كان يقودهم نبي الرحمة الذي يصفه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

ومن ذكريات غلظة الثاني أن ابن عباس يظهر ويعلن بطلان العول في الفرائض بعد موت عمر، فيقال له: «من أول من أعال الفرائض»؟ فيقول: «عمر بن الخطاب»، قيل له: «هلا اشرت عليه؟!» قال: «هِبتُه!»

أجل، إنه كان يهاب من بيان الحق، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وممثله الوحيد يهابان من افتعال الباطل، فعجبا من هيبة تسد عن الحق، وأحِسن وأجمل بما يفتحه ويغلق أبواب الباطل!

ومن ذلك ما رواه الشارح المعتزلي، ابن أبي‌الحديد، عند شرحه هذه الصفة للخليفة: «إن عمر هو الذي غلظ على جِبِلَّة بن الأيهم حتى اضطره إلى مفارقة دار الهجرة، بل مفارقة بلاد الإسلام كلها، حتى عاد مرتدا وتَنَصّر، كل ذلك لأجل لطمةٍ، لطمها عمر أياها»!

ولقد كان جبلة بن الأيهم الخساني من ملوك آل جفنة، كتب إلى الخليفة، يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له، فخرج إليه في خمسمائة من أهليه من عك وغسان، فأسلم وأسلموا. فلقد اعقبت لطمة عمر هذه على وجه جبلة، لطمة عظيمة على وجه الإسلام والمسلمين، حيث ارتد هذا الملك بمن معه بعد إسلامهم، لفظاظة الخليفة في قصة يسيرة في منازعة بينه وبين رجل من بني فزارة، وما أبعد تدبيره في رعيته عن تدبير الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حيث كان يقرب ويجلب الكفار والمشركين بحنانه ورأفته ولينه إلى الدين، وكان يكرم أعاظم الأقوام وإن كانوا كفارا، تأليفا لقلوبهم إلى الإسلام، ومِن أحسن الدعوة وأتمها، دعوةُ الزعماء والسلاطين كما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وآله؛ فإن الناس على دين ملوكهم.

الخليفة عمر بن الخطاب بين الكتاب والسنة:

«ويكثر العثار فيها والاعتذار منها»

يشير الإمام عليه السلام هنا إلى زَلّات الخليفة عمر واعتذاراته منها، فقد كان يعتذر من زلاته وقد لا يعتذر، وإليكم البعض مما قاله عند أخطائه:

«لولا علي لهلك عمر»، قالها مرات.

«أللهم لا تُبقني لمعضلة، ليس لها ابن أبي‌طالب».

«لا أبقاني اللّه بأرض لستَ فيها، يا أباالحسن» .

«أللهم لا تنزل بي شديدة إلّا وأبوالحسن إلى جنبي».

«كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي‌طالب».

«أعوذ باللّه من معضلة لا علي لها».

«عجزت النساء أن تلدن مثل علي بن أبي‌طالب».

«لا أبقاني اللّه بعد ابن أبي‌طالب».

«يا أباالحسن أنت لكل معضلة تُدعى».

«هل طفحت حرة بمثله وأبرعته؟»

«هيهات، هناك شجنة من بني هاشم وشجنة من الرسول وأَثَرَةٌ من علم يؤتى ولا يأتي، في بيته يؤتى الحكم».

«أباالحسن! لا أبقاني اللّه لشدة لست لها، ولا في بلد لست فيه. كاشف كل شبهة وموضح كل حكم».

«لولاك لافتضحنا».

«اعوذ باللّه من معضلة ليس لها أبوالحسن،... لا علي لها».

«هذا أعلم بنبينا وكتاب نبينا».

«لا عشت في معضلة لست لها يا أباالحسن».

«شعرة من آل أبي‌طالب أفقه من عدي».

«ويدٌ لك مع أياد لم أجزك بها».

«اين أبوالحسن مفرج الكرب؟»

«فرج اللّه عنك يا أباالحسن كما فرجت عنا».

«كما أنت حتى يجيء علي بن أبي‌طالب».

... لا فحسب! أنه يرى علياًعليه السلام أفقه منه، يفرج عنه كربه، بل كما ويقول في قضايا أخرى مع آخرين:

«كل أحد أفقه من عمر»!

«كل الناس أفقه منك يا عمر،... حتى ربات الحجال والمخدرات في البيوت!»

«كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر!»

«كل أحد أفقه مني»![1]

الخليفة يمنع عن دراسة القرآن ورواية السنة!

عن السائب بن يزيد قال: «أتي عمر بن الخطاب فقيل يا أمير المؤمنين! إنا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل مشكل القرآن فقال عمر: أللهم مكني منه! فبينما عمر ذات يوم جالسا يغدي الناس، فإذا الرجل جاء وعليه ثياب وعمامة صفدي حتى إذا فرغ، قال: يا أميرالمؤمنين! ﴿وَالذّارِيَاتِ ذَرْواً * فَالْحَامِلاتِ وِقْراً﴾ فقال عمر: أنت هو؟ فقام إليه وحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته! فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك! ألبسوه ثيابا، واحملوه على قتب، وأخرجوه حتى

١. قد مضى مسانيد هذه الكلمات في بداية الكتاب.

تقدموا به بلاده، ثم ليقم خطيب ثم يقول: إن صبيغا ابتغى العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعا في قومه حتى هلك، وقد كان سيد قومه»![1]

هنا نتساءل الخليفة: إن كان يعرف معنى الآية فلماذا لم يجب السائل عنها؟ أو كان يجهل فلماذا يضربه حتى يضطرب الدماء في ظهره؟

لا أجد دفاعا إلّا أن الخليفة كان يجهل وأراد ألّا يخجل! كيف يجهل خليفة المسلمين! حفاظاً على الخلافة الإسلامية، إذ إنّ الغاية تبرر الوسيلة!

الخليفة لا يعرف معنى «الأبّ»:

لذلك نراه لا يرضى أن يجاب السائل عن معنى «الأبّ» في: ﴿وَفاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس. ٣١] فعن عبدالرحمن بن يزيد أن رجلاً سأل عمر عن ﴿وَفاكِهَةً وَأَبًّا﴾، فلما رآهم يقولون، أقبل عليهم بالدِرَّة.[2]

أجل، إن حضرة الخليفة يجد الجواب الحاسم عما يجهله في منطق الدِرّة فأجمِلْ بِه جواباً وألطِفْ!

وليت شعري هل إن «الأبّ» أيضا من مشكلات القرآن، لكي يجهله وينهى عن تفسيره ويضرب بالدرة من يفسره؟!... ولكنما الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان حريصا في أن يفقِّه تلاميذه قائلاً: «لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا»! فكلٌّ حسب ثقافته، وكل إناء بما فيه ينبع!

وإذا كان هكذا جهلٍ عيباً، يجب الإختفاء عنه، فلماذا يجاهر به مَن على منبر الرسول صلى الله عليه وآله؟

---

١. سنن الدرامي، ج١، صص٥٤ ـ ٥٥؛ تاريخ ابن عساكر، ج٦، ص٣٨٤؛ سيرة عمر لابن الجوزي، ص١٠٩؛ تفسير ابن كثير، ج٤، ص٢٣٢؛ اتقان السيوطي، ج٢، ص٥؛ كنز العمال، ج١، ص٢٢٨؛ نقلاً عن الدارمي ونصر المقدسي والإصبهاني وابن الانباري واللاكائي وابن عساكر ـ الدر المنثور، ج٦، ص١١١؛ فتح الباري، ج٨، ص١٧؛ المفتوحات الإسلامية، ج٢، ص٤٤٥.

٢. مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي، ج٥، ص٨.

فعن أنس بن مالك قال: «إن عمر قرأ على المنبر: ﴿فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدائِقَ غُلْباً * وَفاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس. ٢٧ ـ ٣١]

قال: كل هذا عرفناه فما الأب؟

ثم رفض عصا كانت في يده فقال: هذا لعمر اللّه هو التكلف! فما عليك أن تدري ما (الأب)! اتبعوا ما بينٍّ لكم، هداه من الكتاب؛ فاعملوا به وما لم تعرفوه فكِلوه إلى ربه»![1]

أقول: لقد كان يكفي الخليفة أن يقتسم الفاكهة والأبّ بين ﴿مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ﴾ [عبس. ٣٢] كما قال اللّه، فالفاكهة لكم: للإنسان، والأبّ للأنعام، وهل تأكل الأنعام إلّا من العشب والكلأ؟! ولكن أشغال الخلافة الهامة منعته أن يفكّر في ساذج اللغة العربية!

الخليفة يدرس سورة البقرة طوال ١٢ سنة!

وقد يعذر الخليفة عمر أنه لم يدرس من القرآن سوى سورة البقرة، فلا يعرف إلّا إياها ـ أللهم إلّا الكثير مما نسي منها أو اخطأ فيها ـ ولذلك كان يفتي خلاف كتاب اللّه! فيخطئه عليٌّ عليه السلام وكان أحيانا لا يقبل التخطئة، لعلها لمصالح سياسية أو حفاظا على كرامة الخلافة الإسلامية! ـ فله ما له وعليه ما عليه! ـ ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعىٰ﴾ [النجم. ٣٩] أخرج الخطيب في رواة مالك والبيهقي في شعب الإيمان والقرطبي

١. أخرجه وما يضاهيه من أحاديث القصة: سعيد بن منصور في سننه ـ أبونعيم في المستخرج ـ ابن سعد وعبد بن حميد وابن حميد وابن الانباري وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان ـ ابن جرير في تفسيره، ج٣، ص٣٨؛ الحاكم في المستدرك، ج٢، ص٥١٤؛ وصححه هو وأقره الذهبي في تلخيصه ـ الخطيب في تاريخه، ج١١، ص٤٦٨؛ الزمخشري في الكشاف، ج٣، ص٢٥٣؛ محب الدين الطبري في الرياض النضرة، ج٢، ص٤٩؛ نقل عن البخاري والبغوي والمخلص الذهبي ـ الشاطبي في الموافقات، ج١، ص٢١ ـ ٢٥؛ ابن الجوزي في تفسيره، ج٤، ص٣٧٤؛ نقلاً عن سعيد بن منصور وابن أبي شيبة ـ أبيعبيد في فضائله ـ ابن سعد في طبقاته ـ عبد بن حميد وابن المنذر الأنصاري في المصاحف ـ الحاكم ـ البيهقي في شعب الإيمان ـ ابن مردويه ـ أبوالسعود في تفسيره ـ القسطلاني في إرشاد الساري، ج١٠، ص٢٩٨؛ نقلاً عن أبينعيم ـ العيني في عمدة القاري، ص١١، ص٤٦٨؛ ابن حجر في فتح الباري، ج١٣، ص٢٣٠.

في تفسيره بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمر قال: «تعلّم عمر سورة البقرة في اثنتي عشرة سنةً، فلما ختمها نحر جزورا»![١]

أقول: ليس درسه لها إلّا بعد النبي ﷺ عند بعض المقرئين من أصحابه ﷺ؛ لأن البقرة نزلت بالمدينة عند كافة المفسرين، ولقد ألف النبي ﷺ القرآن أواخر عهده، وهذه المدة (١٢ سنة) لدراسة البقرة تشمل طوال عهده «١٠ سنين» وعهد زميله الأول «سنتين» ولو أراد أن يدرس القرآن كله بهذا المنوال لطال ١٣٠ عاما!

ويؤيد ذلك في درسه القرآن ما في «عمدة القاري»،[٢] نقلاً عن «النهاية»: أن عمر كان أعلم وأفقه من عثمان ولكن كان يعسر عليه حفظ القرآن.

هذا نبوغ الخليفة في الحفظ، وإليكم ذكرى نبوغه في الذكر:

حضور قلب الخليفة في الصلوة

عن عبدالرحمن حنظلة بن الراهب: «أن عمر بن الخطاب صلّى المغرب فلم يقرأ في الركعة الأولى، فلما كانت الثانية قرأ بفاتحة الكتاب مرتين، فلما فرغ وسلّم، سجد سجدتي السهو[٣] ولمرة أخرى نسي هكذا ولم يقض في الثانية فسئل، فقال: كيف كان الركوع والسجود؟ قالوا: حسناً. قال: فلا بأس إذاً،[٤] ولمرة ثالثة اعتذر عن نسيانه القراءة

١. تفسير القرطبي، ج١، ص٣٤؛ سيرة عمر لابن الجوزي، ص١٦٥؛ شرح ابن أبي الحديد، ج٣، ص١١١؛ الدر المنثور، ج١، ص٢١.

٢. ج٢، ص٧٣٣.

٣. ذكر ابن حجر في فتح الباري، ج٣، ص٦٩؛ وقال: رجاله ثقات وكأنه مذهب لعمر وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ج٢، ص٣٨٢؛ وذكره السيوطي في جمع الجوامع كما في كنز العمال، ج٤، ص٢١٣؛ نقلاً عن جمع من الحفاظ.

٤. عن أبي‌سلمة بن عبدالرحمن أخرجه عنه البيهقي في السنن، ج٢، ص٣٤٧ـ٣٨١؛ وحكاه السيوطي عن مالك وعبدالرزاق، والنسائي في جمع الجوامع كما في ترتيبه، ج٤، ص٢١٣.

بقوله: إني جهّزت عيرا إلى الشام فجعلت أنزلها منقلة منقلة حتى قدمت الشام فبعتها وأقتابها وأحلاسها وأحمالها؛ فأعاد عمر وأعادوا»![1]

فأكرِمْ بحضرة الخليفة! كيف يتلوَّن في فتاواه في مسألة واحدة، ويعتذر أخيرا: أنني في الركعة الأولى كنت في التجارة! و﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ﴾ (الاحزاب: ٤) وقد يعذره في جهله بالكتاب والسنة وسهوه في الصلاة أنه ليس إلّا خازن المال كما قال: «الخليفة ليس إلّا خازن الأموال!»

عن علي بن رباح اللخمي قال: «إن عمر بن الخطاب (رض) خطب الناس فقال: من أراد ان يسأل عن القرآن فليأت أبيّ بن كعب، ومن أراد ان يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فاني له خازن»!

أقول: كان الخليفة يحتاط في أموال المسلمين أكثر من الواجب! كالتالي:

زهد الخليفة في بيت المال

أُتِيَ بمسك فأمر أن يقسم بين المسلمين، ثم سد أنفه! فقيل له في ذلك، فقال: وهل ينتفع منه إلّا بريحه؟ ودخل يوما على زوجته فوجد معها ريح مسك؛ فقال: ما هذا؟ قالت: إني بعت من مسك بيت مال المسلمين، ووزنت بيدي، فلما وزنت مسحت إصبعي في متاعي هذا! فقال: ناولني متاعك! فأخذه، فصبّ عليه الماء فلم يذهب؛ فجعل يدلكه في التراب ويصب عليه الماء فلم يذهب؛ فجعل يدلكه في التراب ويصب عليه الماء حتى ذهب ريحه![2]

---

١. عن إبراهيم النخعي، وفي ملك اللماء في بدايع الصنايع، ج١، ص١١١؛ «إن عثمان ترك القراءة في الأوليين من صلاة العشاء فقضاها في الأخريين وجهر».

٢. الفتوحات الإسلامية، ج٢، ص٤١٤.

هكذا فليكن الفقيه الزاهد البارع! فهل كـان الخليفـة يضـرب سـتارا أمـام مصـابيح المسلمين حتى لا يستضيء بضوئها؟! ويضرب سـدا علـى مهـبّ الصـبا، متـى حملـت ريحاً من حقول المسلمين؟! إلى أمثال هذه الانتفاعـات التـي لا دخـل لرضـا المالـك فيها؛ لأنه لا يملكها. فأما إذا كانت ريح المسك مملوكة لمالك المسك، إذ ذاك، كـان على الخليفة أن يوصلها إليه، أو يدعو المالك ليشمها حتى تنفد، ردا للمال إلى مالكه ما أمكـن، لا أن يغسـلها بالمـاء ويـدلكها بـالتراب تضـييعا لأمـوال المسـلمين وإيـذاءً لزوجته المظلومة... فأفقه بالخليفة وأزهد به!

إن الخليفة هكذا يزهد في اموال المسلمين! التـي لا ماليـة لهـا، ثـم لا يزهـد فـي فدك الصديقة الزهراء، بل يأخذه عنها عنفـاً، بعـدما أخذتـه مـن أبـيبكـر، يأخـذ سـنده ويمزقه...! وإنّها كانت فتوى سياسية كما كانت من زميله الأول!

فتوى الخليفة في أكل اللحم:

ومِن زهده وتزهيده: «أن رجلاً من الأنصار مر به، وقد تعلق لحماً، فقال له عمر مـا هـذا؟ قال: لحمة أهلي، قال: حسن، ثم مر بالرجل لليوم الثاني والثالـث، فعلـى رأســه بالـدرة! ثم صعد المنبر فقال: إيـاكم والاحمـرين: اللحـم والنبيـذ فإنهمـا مفسـدة للـدين، متلفـة للمال»![1]

وهذا فقه عجيب، وفتوى محيـرة للعقـول، تنـاقض كتـاب اللّـه وسـنة رسـول اللّـه ﷺ يناقضانهما كالتالي: عن ابن عباس: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللّه ﷺ، إنـي إذا أكلت اللحم انتشرتُ للنساء وأخذتني شهوتي فحرّمـتُ علـيَّ اللحـم، فـأنزل اللّـه: ﴿يٰـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبٰاتِ مٰا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاٰ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِـبُّ الْمُعْتَـدِينَ ❁ وَكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اَللّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧ ـ ٨٨][2]

---

١. عن ميمون بن مهران ـ ينقله عنه كنز العمال، ج٥، ص١٦١، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد، ج٣، ص٤٨٢.

٢. سيرة عمر لابن الجوزي، ص٦٧ و كنز العمال، ج٣، ص١١١؛ الفتوحات الإسلامية، ج٢، ص٤٢٤.

وما رواه عن النبي الأعظمﷺ أنه قال: «سيد الإدام في الدنيا والآخرة اللحم، وسيد الشراب في الدنيا والآخرة الماء».[١]

وقد يعذر الخليفة في فتواه هذه أن نقيضها في سورة «المائدة»، وهو لم يدرس إلّا «البقرة»! ولكن هل يعذر أن يفتي دون علم؟ ولعلها أيضا من الفتاوي الإستحسانية السياسية الوقتية!

نهي الخليفة عن رواية الحديث عن الرسولﷺ:

الخليفة يحبس المحدثين! هنا يضم خليفة المسلمين نهيه عن تفهم القرآن إلى النهي عن رواية الحديث عن الرسولﷺ؛ لكي تبقى الأمة الإسلامية في جاهليتها الأولى، رغم تأكيد الكتاب والسنة في تفقه الدين والتساؤل عن المشاكل القرآنية وسواها.

أخرج الطبراني عن إبراهيم بن عبدالرحمن: «إنّ عمر حبس ثلاثة، حبسهم بالمدينة حتى قتل»[٢] وفي لفظ الحاكم، «أن عمر بن الخطاب قال: لابن مسعود ولابي‌الدرداء ولأبي‌ذر: ما هذا الحديث عن رسول‌اللّهﷺ؟! وحبسهم بالمدينة حتى أصيب».[٣]

ومن جراء هذا المنع الباتّ عن نقل أحاديث الرسولﷺ، يقول الشعبي: «قعدت مع ابن عمر سنتين أو سنة ونصفاً؛ فما سمعت يحدث عن رسول‌اللّهﷺ إلّا حديثا»![٤]

أقول: إن نهي الخليفة هذا لم يكن بدافع الحفاظ على كتاب اللّه عن المعارضات، كما لم يكن نهيه عن تفقه القرآن بهذا الدافع؛ إذ قد نهى فيمن نهاه عن التحديث، مثل أبي‌ذر الغفاري الذي قال فيه النبي الأعظمﷺ: «ما

---

١. مجمع الزوائد، ج٥، ص٣٥.

٢. تذكرة الحفاظ، ج١، ص٧؛ مجمع الزوائد، ج١، ص١٤٩؛ وصححه محشي الكتاب فقال: «هذا صحيح عن عمر من وجوه كثيرة».

٣. المستدرک، ج١، ص١١٠.

٤. سنن الدارمي، ج١، ص٨٤؛ سنن ابن ماجة، ج١، ص١٥.

أظلت الخضراء ولا أقلَّت الغبراء على رجل أصدق لهجة من أبي‌ذر»![1] ومثل عبدالله‌بن مسعود «صاحب سر الرسول ﷺ وأفضل من قرأ القرآن وأحلّ حلاله وحرّم حرامه، الفقيه بالدين، العالم بالسنة»،[2] ومثل أبي‌الدرداء عويمر، كبير الصحابة، صاحب الرسول ﷺ.

أمر الخليفة بالحفاظ على دواوين الجاهلية:

وبينا نرى الخليفة ينهى عن تفقه القرآن وتحديث الحديث عن الرسول الأعظم ﷺ، نجده يأمر بالحفاظ على شعر الجاهلية قائلاً: «أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل!» قالوا: «وما ديواننا»؟ قال: «شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم»![3]

أجل، كل إناء يرشح بما فيه، ويعارض ما ينافيه!

فيا خليفة المسلمين! أ ترجيحاً للشعر الجاهلي ـ تفسيرا للكتاب ـ على الكتاب نفسه، وعلى أحاديث الرسول ﷺ، والله تعالى يقول: ﴿... أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾ ؟! [النساء، ٥٩ والمائدة، ٩٢ والنور، ٥٤ ومحمد، ٣٣ والتغابن، ١٢] ويقول: ﴿... وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ ...﴾ [النساء، ٨٣] ويقول: ﴿... رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ...﴾ [البقرة، ١٢٩]

اجتهاد الخليفة في الطلقات الثلاث:

عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي‌بكر وسنتين من خلافة عمر، طلاق الثلاث واحدةً، فقال عمر: «إن الناس قد استعجلوا في أمر، كانت لهم أناة؛ فلو أمضيناه! فأمضاه عليهم».[1]

---

۱. مستدرك الحاكم، ج۳، صص۳۴۲ و ۳۴۴.

۲. المستدرك، ج۳، ص۳۱۲ ـ ۳۱۵.

۳. المستدرك، ج۳، ص۳۳۷.

أقول: لقد جمع خليفة المسلمين هنا في فتواه بين مخالفة الكتاب والسنة، إذ الجمع مهما أمكن اولى! كما جمع بين النهي عن تفقه القرآن وتحديث الحديث عن الرسولﷺ؛ فما أحوطه على الكتاب والسنة!

أما القرآن فقوله تعالى: ﴿اَلطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ...﴾ ﴿فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ...﴾ [البقرة: ٢٢٩ ـ ٢٣٠

ولا تصدُقُ المّرات إلّا بالدفعات؛ فهل يفتي الخليفة لمن هو مدينٌ ثلاثة دنانير، أن يدفع دينارا واحدا قائلاً: «ثلاثاً»، أنه أدى دينه تماما؟!

وعجيب أن هذه الآية من السورة التي درسها طوال ١٢ سنة! فهل نسي الآية؟! أم لم يفهمها؟! أم لا يهمّه خلاف القرآن؟! أنا لا أدري!

فتوى الخليفة فيمن ولد لستة أشهر
«لولا علي لهلك عمر»

أخرج الحافظان ابن أبي حاتم والبيهقي عن الدئلي أن عمر بن الخطاب رفعت إليه امرأةٌ، ولدت لستة؛ فهمَّ برجمها. فبلغ ذلك علياً، فقال: «ليس عليها رجم»، فبلغ ذلك عمر؛ فأرسل إليه، فسأله، فقال: «قال اللّه تعالى: ﴿وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ...﴾ [البقرة: ٢٣٣ وقال: ﴿... وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً...﴾ [الاحقاف: ١٥]؛ فستة أشهر حمله؛ وحولين؛ فذلك ثلاثون شهرا؛ فخلي عنها»[٢] وقال: «لولا علي لهلك عمر!»

---

١. مسند أحمد، ج١، ص٣١٤؛ صحيح مسلم، ج١، ص٥٧٤؛ سنن البيهقي، ج٧، ص٣٣٦؛ مستدرك الحاكم، ج٢، ص١٩٦؛ تفسير القرطبي، ج٣، ص١٢٠؛ وصححه ــ ارشاد الساري، ج٨، ص١٢٧؛ الدر المنثور، ج١، ص٢٧٩؛ وفي معناه أيضا سنن أبيداود، ج١، ص٣٤٤؛ أحكام القرآن لجصاص، ج١، ص٤٥٩؛ وأخرجه الطحاوي.

٢. السنن الكبرى، ج٧، ص٤٤٢؛ مختصر جامع العلم، ص١٥٠، الرياض النضرة، ج٢، ص١٩٤، ذخائر العقبى، تفسير الرازي، ج٧، ص٤٨٤؛ أربعينية، ص٤٦٦؛ تفسير لنيسابوري ٣ في الأحقاف، كفاية الكنجي، ص١٠٥؛ مناقب الخوارزمي، ص٥٧؛ تذكرة السبط، ص٨٧؛ الدر المنثور، ج١، ص٢٨٨ و ج٦، ص٤٠؛ نقلاً عن جمع من الحفاظ، ج٣ ص٢٢٨؛ نقلاً عن غير واحد من ائمة الحديث، واخرج الحفاظ عن بعجة بن عبداللّه الجهني نفس الفتوى عن عثمان أيضا، وقد أدركه الإمام عليﷺ بعدما رجمت، أخرجه مالك وابن المنذر وابن أبيحاتم والبيهقي وأبوعمر وابن الديبع والعيني والسيوطي.

اتي عمر بن الخطاب بامرأة حامل، قد اعترفت بالفجور؛ فأمر برجمها؛ فتلقاها علي عليه السلام فقال: «ما بال هذه؟» فقالوا: «أمر عمر برجمها»؛ فردها علي عليه السلام وقال: «هذا سلطانك عليها. فما سلطانك على ما في بطنها؟ ولعلك انتهرتها أو أخفتها؟» قال: «قد كان ذلك!» قال: «أوما سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: لا حدَّ على معترف بعد بلاءٍ، إنه من قيد أو حبس أو تهدُّد؛ فلا إقرار له»، فخلى سبيلها ثم قال عمر: «عجزت النساء أن تلدن مثل علي بن أبي‌طالب! **لولا علي لهلك عمر!**»[1]

أقول: يسند الإمام عليه السلام في القصة الأخيرة إلى قوله تعالى: ﴿... وَلا تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ...﴾ [الانعام. ١٦٤ والاسراء. ١٥ وفاطر. ١٨ والزمر. ٧] ولم يدرسها الخليفة، ولكن الآية الأولى من البقرة!

لولا علي لهلك عمر!

أمر عمر(رض) برجم زانية، فمَرَّ عليها سيدنا علي رضى‌الله‌عنه في أثناء الرجم؛ فخلّصها. فلمّا أُخبِر عمر بذلك، قال: «إنّه لا يفعل ذلك إلّا عن شيء» فلما سأله قال: «إنها مبتلاة بني‌فلان فلعله اتاها وهو بها»؛ فقال عمر: «**لولا علي لهلك عمر!**»[2]

فتوى الخليفة في إرث الزوجة من الدية:

عن سعيد بن المسيب أنَ عمر بن الخطاب(رض) كان يقول: «الدية للعاقلة، ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئا». حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن النبي صلى الله عليه وآله كتب إليه أن يورث امرأة أشيم الضبابي من ديته؛ فرجع إليه عمر.

---

١. الرياض النضرة، ج٢، ص١٩٦؛ ذخائر العقبى، ص٨٠؛ مطالب السؤول، ص١٣؛ مناقب الخوارزمي، ص٤٨؛ الأربعين للفخر الرازي، ص٤٦٦.

٢. أخرجه عنه أرباب الصحاح والسنن وأئمة الفقه والحديث، والتفصيل تجده في الغدير، ج٦، ص١٠٢.

أقول: كأنّ الخليفة لم تقرع سمعَه آياتُ الأرث في سورة النساء: ﴿... وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ...﴾ [النساء. ١٢]

كلا! لأنها ليست من البقرة! وكذلك آية الدية في النساء: ﴿... فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ [النساء. ٩٠] أو أن الخليفة لم يعتبر الدية من المتروكات ولا الزوجة من الأهل، رغم آية الدية، وأن الآيات في [العنكبوت. ٣٣ والنحل. ٥٧ ويوسف. ٢٥ والنمل. ٧ والقصص. ٢٩ وطه. ١١] ـ هذه الآيات ـ صريحةٌ في أن الزوجة من الأهل وأحرى لها، إلّا أن هذه الآيات ليست من البقرة!

كل احد ـ كل الناس ـ أفقه من عمر

يقولها الخليفة في عدة قضايا كما يلي:

١ ـ عن مسروق بن الأجدع قال: «ركب عمر بن الخطاب منبر رسول اللّه ﷺ ثم قال: أيها الناس! ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول اللّه ﷺ وأصحابه، والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك! ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عنداللّه أو كرامة لم تسبقوه إليها، فلا أعرفنَّ ما زاد في صداق امرأة على أربعمائة درهم. ثم نزل؛ فاعترضته امرأة من قريش؛ فقالت: يا أمير المؤمنين! نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم؟! قال: نعم. فقالت: أما سمعت اللّه يقول: ﴿... وَآتَيْتُمْ إِحْدٰاهُنَّ قِنْطاراً... ﴾؟ [النساء. ٢٠] قال: «فقال: أللهم غفراً! **كل الناس أفقه من عمر**! ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس! إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ـ أو ـ فمن طابت نفسه فليفعل»![1]

١. أخرجه أبويعلى في مسنده الكبير، وسعيد بن منصور في سننه، والمحاملي في أماليه، وابن الجوزي في سيرة عمر، ص١٢٩؛ وابن كثير في تفسيره، ج١، ص٤٦٧؛ عن أبي‌يعلي وقال: «اسناده جيد قوي»، والهيثمي في مجمع الزوائد، ج٤، ص٢٨٤؛ والسيوطي في الدر المنثور، ج٢، ص١٣٣؛ وفي جمع الجوامع كما في ترتيبه، ج٨، ص٢٩٨؛ وفي الدرر المنتشرة، ص٢٤٣؛ نقلاً عن سبعة من الحفاظ ومنهم: أحمد وابن حيان والطبراني، وذكره الشوكاني في فتح الغدير، ج١، ص٤٠٧؛ والعجلوني في كشف الخفاء، ج١، ص٢٦٩؛ نقلاً عن أبي‌يعلى وقال: «سنده جيد»، وابن

أقول: وهنا صور تسع أُخرى من القصة، تشابهها في أصل الفتوى وردّها[1].

زهد الخليفة عمر!

كل الناس أفقه من عمر

٢ ـ مرّ عمرُ بشابٍّ من فتيان الأنصار وهو ظمآن، فجدع له ماءً بعسل، فلم يشربه وقال: «إن اللّه تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ في حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الاحقاف، ٢٠] فقال له الفتى: «يا أمير المؤمنين! إنها ليست لك ولا لأحد من أهل القبلة! اقرأ ما قبله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ في حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا... ﴾»؛ فقال عمر: «**كل الناس أفقه من عمر!**»[2]

أقول: هذه معجزة من الخليفة، كيف حفظ هذه الجملة من الآية، ولم يدرسها؛ لأنها ليست من البقرة! ويا ليته لم يحفظ هذا المقدار أيضا؛ إذ أفتى به دون أن ينظر إلى ما قبلها!

كل احد أفقه من عمر ـ كل احد أفقه من عمر ـ كل احد أفقه من عمر:

٣ ـ دخل عليٌّ عليه السلام على الخليفة، فإذا امرأة حبلى تُقاد ترجم؛ فقال علي عليه السلام: «ما شأن هذه؟» قالت: «يذهبون بي ليرجموني!» فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «يا أميرالمؤمنين! (عمر) لأيّ شيء تُرجم؟ إن كان لك سلطان عليها، فما لك سلطان على ما في

درويش الحوت في أسنى المطالب، ص١٦٦؛ وقال: «حديث كل أحد أعلم وأفقه من عمر ـ قاله عمر لما نهى عن المغالاة في الصداق، وقالت امرأة: قال اللّه: ﴿... وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطاراً...﴾، [النساء، ٢٠] رواه أبو يعلى وسنده جيد».

١. كما أخرجه الزبير بن بكار في الأوفقيات، وابن عبدالبر في جامع العلم كما في مختصره، وابن كثير في تفسيره، ج١، ص٤٦٧؛ والسيوطي في الدر المنثور، ج٢، ص١٣٣؛ والسندي في حاشية سنن ابن ماجة، ج١، ص٥٨٤؛ والعجلوني في كشف الخفاء، ج١، ص٢٧٠ و ج٢، ص١١٨؛ وصور أخرى أخرها جماعة كثيرة ذكرها المغفور له العلامة الاميني في الغدير، ج٦.

٢. ابن أبي الحديد، ج١، ص٦١.

بطنها!» فقال عمر: «كل احد أفقه مني» **ثلاث مرّات،** فضمها عليعليه السلام؛ حتى وضعت غلاما ثم ذهب بها إليه فرجمها.[١]

الخليفة لا يعرف حكم «الجُنُب» فاقد الماء:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه في باب التيمم بأربعة طرق عن عبد الرحمن بن ابزي: «أن رجلاً أتى عمر فقال: إني أجنبت؛ فلم أجد الماء»؛ فقال: «لا تصلّ» فقال عمار: «أما تذكّرُ يا أمير المؤمنين! إذا أنا وأنت في سرية، فأجنبنا، فلم نجد ماءً، فأما أنت فلم تصَل، وأما انا فتمعكت في التراب وصليت؛ فقال النبيصلى الله عليه وآله: «إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض، ثم تنفخ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك»؛ فقال عمر: «اتق اللّه يا عمار!» قال: «إن شئت لم أحدث به»![٢]

أقول: هذه فتوى الخليفة في حكم المجنب فاقد الماء، وبين يديه كتاب اللّه في آيتين صريحتين بفرض التيمم لفاقد الماء،[٣] لكنهما ليستا من البقرة، بل من النساء والمائدة اللتين لم يدرسهما، كباقي القرآن إلّا البقرة.

ومما يحير العقول توجيه عمدة القاري،[٤] وفتح الباري،[٥] أنّ «هذا مذهب مشهورٌ عن عمر، اجتهاداً منه؛ فهو معذور»!

فهل يعذر الخليفة في اجتهاد يضاد كتاب اللّه تعالى وسنة رسولهصلى الله عليه وآله؟![١]

١. أخرجه الحافظ محب الدين الطبري في الرياض النضرة، ج٢، ص١٩٦؛ وذخائر العقبي، ص٨١.

٢. سنن أبي داود، ج١، ص٥٣؛ وابن ماجة، ج١، ص٢٠٠؛ ومسند أحمد، ج٤، ص٢٦٥ و٢١٩؛ وسنن النسائي، ج١، صص٥٩ ـ ٦١؛ وسنن البيهقي، ج١، ص٢٠٩.

٣. ففي سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَجُنُبا إلاّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْجَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَآئطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدا طَيِّبا﴾ [النساء: ٤٣] وفي المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْجَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَآئِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدا طَيِّبا﴾ [المائدة: ٦]

٤. ج٢، ص١٧٢.

٥. ج١، ص٣٥٢.

وهل الإجتهاد إلّا منهما لا ضدهما؟ فأحرى في التوجيه أنه ما درس الآيتين، ولكنه لماذا لم يقبل من عمار وهدّده أن لا يروي هكذا عن رسول اللّهﷺ، فلعله حفاظاً على كرامة الخلافة الإسلامية وإن ضيع حكم اللّه!

قومية الخليفة في الميراث: العجم لا يرث!

روى مالك ـ إمام المالكية ـ عن الثقة عنده أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: «أَبَى عمر بن الخطاب أن يورَث أحدا من الاعاجم، إلّا أحدا ولد في العرب». قال مالك: «وإن جاءت امرأة حامل من أرض العدو، فوضعته في أرض العرب، فهو ولدُها، يرثها إن ماتت وترثه إن مات: ميراثها في كتاب اللّه».[2]

أقول: فتوى الخليفة هذه، ناتجة، عن أمرين: هما قوميته العربية، وجهله بآيات الإرث؛ لأنها في سورة النساء وليست في البقرة! وكذلك آية الشعوب فإنها في الحجرات ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]

... ولكنه كيف جهل هذه الضرورة الإسلامية ــ كالشمس في رابعة النهار ــ أنه ليست من شرط الإرث العربيةُ أو الولادة في أرض العرب؟ أنا لا ادري!

ذكاء الخليفة في فهم القرآن:

عن مسروق قال: «سألت عمر بن الخطاب عن ذي قرابة لي، ورث كلالةً؛ فقال: الكلالة الكلالة! وأخذ بلحيته ثم قال: واللّه، لأن أعلمها أحبُّ إليَّ من أن يكون لي ما

---

١. كما في البخاري، ج١، ص١٢٩؛ ومسلم واحمد، ج٤، ص٤٣٤؛ والنسائي، ج١، ص١٧١؛ والبيهقي، ج١، ص٢٩؛ وتيسير الوصول، ج٣، ص٩٨؛ وفرض التيمم على المجنب فاقد الماء من الضروريات التي يعرفها كل مسلم فكيف خفى على خليفة المسلمين؟! أنا لا أدري!

٢. الموطأ، ج٢، ص١٢.

علي الأرض من شيء. سألت رسول الله عنها؛ فقال: ألـم تسـمع الآيـة التـي نزلـت فـي الصيف، فأعادها ثلاث مرات».[١]

أقول: يظهر من إحالة الرسول ﷺ الخليفة في حكم «الكلالة» ومعناها إلـى آيتيهـا أنه ﷺ استسهل معناها أو اراد ان يظهر مدى ذكاء خليفة المسلمين!

ومن المتأكد أنه ﷺ بيَّن معنى «الكلالة» للخليفة لأنه سأله عنهـا مـراتٍ، وحـاش الرسول ﷺ أن يسأله من سوف يتقلد أزمة أمـور المسـلمين؛ فـلا يجيبـه عـن مهمـة شرعية. ولكن الخليفة لم يكن ليدرك معنى «الكلالة» رغم ظهور تفسير الرسـول ﷺ! ولقد أيس ﷺ عن أن يفهمها كما:

أخرج راهويه وابن مردويه عن عمر انه «سأل رسول الله ﷺ كيـف تـورث الكلالـة؟ فأنزل الله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلالَـةِ إِنِ امْـرُؤٌ هَلَـكَ لَـيْسَ لَـهُ وَلَـدٌ وَلَـهُ أُخْتٌ فَلَهٰا نِصْفُ مٰا تَرَكَ وَهُوَ يرِثُهٰا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهٰا وَلَدٌ فَإِنْ كانَتَـا اثْنَتَـيْنِ فَلَهُمَـا الثُّلُثـانِ مِمّا تَرَكَ وَإِنْ كانُوا إِخْوَةً رِجٰالاً وَنِساٰءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَـيِّنُ اللهُ لَكُـمْ أَنْ تَضِـلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

فكأن عمر لم يفهم؛ فقال لحفصة: «إذا رأيت رسول الله ﷺ طيِّب نفسٍ، فسـليه عنهـا؛ فلما رأت منه طيب نفس فسـألته عنهـا؛ فقـال ﷺ: أبـوك ذكـر لـك هـذا؟ مـا أرى أبـاك يعلمها حتى يموت».[٢] فكأنّ عمر يقول: ما أراني أعلمها وقد قال رسول الله ﷺ ما قال.

وعن سعيد بـن المسيب عـن عمـر قـال: «سـألت النبـي ﷺ كيـف قسـم الجـد؟ قال ﷺ: ما سؤالك عن ذلك يا عمر؟ إني أظنـك تمـوت قبـل أن تعلـم ذلـك». قـال سعيد بن المسيب فمات عمر قبل أن يعلم ذلك.[٣]

---

١. تفسير الطبري، ج٦، ص٣٠؛ تفسير الدر المنثور، ج٢، ص٢٥١.

٢. قال السيوطي في مجمع الجوامع كما في ترتيب الكنز: «هو صحيح» ورواه الجصـاص فـي أحكـام القـرآن، ج٢، ص١٠٥؛ وتفسير ابن كثير، ج١، ص٥٩٤؛ والدر المنثور، ج٢، ص٢٤٩؛ وكنز العمال ٦: ٢.

٣. أخرجه الطبراني في الأوسط والهيثمي في مجمع الزوائد، ج٤، ص٢٢٧؛ وقال: «رجالـه رجـال الصـحيح» وذكـره السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه، ج٦، ص١٥؛ نقلاً عن عبدالرزاق والبيهقي وأبي‌الشيخ في الفرائض.

... ويكأن الكلالة وإرث الجد من معضلات مسائل الجبر واللوغاريتم! فإذا أيس الرسولﷺ أن يعلم الخليفة معناها، فكيف بمعضلات المشاكل الدينية الأخرى، والسياسية المعقدة، وكيف أدرك معنى الخلافة؟! كلا! ولا عرف معنى الخلافة:

الخليفة يجهل معنى الخلافة

يقول: «ثلاث لأن يكون رسول اللهﷺ بيَّنهن أحبّ إليّ من حمر النعم: الخلافة والكلالة والربا».[1]

الخليفة يتجسس ويتسور البيوت

عن عمر بن الخطاب أنه كان يعسُّ ليلةً، فمرَّ بدارٍ، سمع فيها صوتاً؛ فارتاب وتسوَّر؛ فرأى رجلاً عند امرأة وزق خمر فقال: يا عدوالله! أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته؟ فقال: لا تعجل يا أمير المؤمنين! إن كنت أخطأت في واحدة فقد اخطأت في ثلاث: قال الله تعالى: ﴿... وَلا تَجَسَّسُوا...﴾ [الحجرات، ١٢]، وقد تجسستَ! وقال: ﴿... وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها ...﴾ [البقرة، ١٨٩]، وقد تسوَّرت! وقال: ﴿... فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ ...﴾ [النور، ٦١]، وما سلّمت! فقال: هل عندك من خير أن عفوتُ عنك؟ قال: نعم والله لا أعود! فقال: إذهب فقد عفوت عنك»![2]

---

١. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ج٦، ص٢٢٥؛ وأبوداود الطيالسي في مسنده، ج١، ص١٢؛ ورواه مرة بن شرحبيل عن عمر بن الخطاب.

٢. الرياض النضرة، ج٢، ص٤٦؛ شرح النهج لابن أبي‌الحديد، ج١، ص٦١ و ج٣، ص٩٦، الدر المنثور، ج٦، ص٩٣؛ الفتوحات الإسلامية، ج٢، ص٤٧٧.

اجتهاد الخليفة في البكاء على الميت خلاف حكم الرسول ﷺ

عن ابن عباس قال: «لمّا ماتت زينب بنت رسول اللّه ﷺ، قال رسول اللّه ﷺ: إلحقوها بسلفنا الخير، عثمان بن مظعون؛ فبكت النساء؛ فجعل عمر يضربهن بسوطه! فأخذ رسول اللّه ﷺ يده وقال: مهلاً يا عمر دعهن يبكين، وإياكن ونعيق الشيطان! إلى أن قال: وقعد رسول اللّه ﷺ على شفير القبر، وفاطمة إلى جنبه تبكي، فجعل النبي ﷺ يمسح عين فاطمة بثوبه رحمةً لها».[1]

ولا أدري، ما الذي حدا عمرَ إلى التسرُّع لضرب تلكم النسوة الباكيات وصاحب الشريعة ينظر اليهن من كثب! ولو كان بكاؤهن محظورا، كان هو الأولى بالمنع والرد. ومن أين علم الحظر في بكائهن ورسول اللّه ﷺ يخالفه؟ وهلا راجعه ﷺ في أمرهن لمّا هَمَّ بهن تأديبا؟ وما هذه الفظاظة الدافعة له إلى ما فعل؟ وكيف مد يده إلى تلكم النسوة؛ حتى أخذها النبي الأعظم ﷺ ودافع عنهن؟ والمجتمعات هناك بطبع الحال حامة رسول اللّه ﷺ وذوات رحمه ونسوته.[2]

هذه الفظاظة من الخليفة، أ فَتظُنّ أنه تركها بعد نهي الرسول ﷺ؟ كلا! إنه كان يكررها طوال خلافته دون انتهاء[3] ولئن كانت له قدرة على ضرب الرسول ﷺ أيضا لكان يضربه؛ إذ كان يبكي ﷺ على أفلاذ كبده:

كما بكى ﷺ وأجرى دموعا غزيرا على ابنه إبراهيم قائلاً: «العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلّا ما يرضى ربنا، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون»،[4] وكما بكى على

---

١. مسند أحمد، ج١، صص٢٣٧ و٣٣٥، مستدرك الحاكم، ج٣، ص١٩١؛ وصححه وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: «سنده صالح»، مسند أبي‌داود الطيالسي، ص٣٥١، الإستيعاب في ترجمة عثمان بن مظعون، ج٢، ص٤٨٢؛ مجمع الزوائد، ج٣، ص١٧.

٢. الغدير، ج٦، ص١٦٠.

٣. كما أخرج الحاكم عن أبي‌هريرة وروى سعيد بن مسيب وغيرهما من أعلام الحديث أن جلالته كان يضرب النسوة الباكيات على موتاهن بالدرة، ويبكيهن بالوجع، حزنا على حزن!

٤. سنن أبي‌داود، ج٣، ص٥٣؛ سنن ابن ماجة، ج١، ص٤٨٢.

ابنه: طاهر قائلاً: «إن العين تذرف وإن الدمع يغلب، وإن القلب يحزن، ولا نعصي اللّه عزّ وجل».[١]

وبكى ﷺ لما أصيب حمزة ﵁، وجاءت صفية بنت عبد المطلب ﵂ تطلبه، فحالت بينها وبينه الأنصار، فقال ﷺ: «دعوها»، فجلست عنده، فجعلت تبكي إذا بكى رسول اللّه ﷺ، وإذا نشجت نشج، وكانت فاطمة ﵃ تبكى، ورسول اللّه ﷺ كلما بكت يبكي، وقال: «لن أصاب بمثلك أبدا».[٢]

وقد نعى ﷺ جعفرا وزيد بن حارثة وعبداللّه بن رواحة وعيناه تذرفان.[٣]

وقد زار قبر أمه وبكى عليها وأبكى من حوله.[٤]

وهذا هو ﷺ يقبّل عثمان بن مظعون، وهو ميت، ودموعه تسيل على خده.[٥]

وهذا هو ﷺ يبكى على ابن لبعض بناته؛ فقال له عبادة بن الصامت: «ما هذا يا رسول اللّه ﷺ؟» قال: «الرحمة التي جعلها اللّه في بنيآدم، وإنما يرحم اللّه من عباده الرحماء».[٦] وهذا وهذا...

فإنما البكاء على الأموات سنة الرحمة والحنان، يمنع عنها الفظّ الغليظ، إلّا من يرجو عونه! كما أنه ترك عائشة تبكي على أبيها بين الباكيات، وضربهن ونهاهن إلّا أياها!

قال سعيد بن المسيب: «لما مات أبوبكر بكى عليه! فقال عمر: انَّ رسولاللّه ﷺ قال: إن الميت يعذب ببكاء الحي! فأبوا إلّا أن يبكوا! فقال عمر لهاشم بن الوليد: قم؛ فأخرج النساء! فقالت عائشة: إنّي أخرّج عليك، فقال عمر: ادخل فقد اذنت لكَ؛ فدخل؛ فقالت عايشة: أمخرجي أنت يا

---

١. مجمع الزوائد، ج٣، ص١٨.

٢ . امتاع المقريزي، ص١٥٤.

٣. صحيح البخاري، كتاب المناقب في علامات النبوة في الإسلام؛ سنن البيهقي، ج٤، ص٧٠.

٤ . سنن البيهقي، ج٤، ص٧٠؛ تاريخ الخطيب البغدادي، ج٧، ص٢٨٩.

٥. سنن أبي داود، ج٢، ص٦٣؛ سنن ابن ماجة، ج١، ص٤٥٤.

٦ . سنن أبيداود، ج٢، ص٥٨؛ سنن ابن ماجة، ج١، ص٤٨١.

بني؟ فقال: أما لك فقد أذنت. فجعل يخرجهنّ امرأة امرأة، وهو يضربهن بالدرة؛ حتى خرجت أم فروة وفرق بينهن»![1]

لولاك لافتضحنا

قاله الخليفة حينما ذكر عنده حلي الكعبة وكثرته، فقال قوم: «لو أخذتَه؛ فجهزت به جيوش المسلمين، كان أعظم للأجر، وما تصنع بحلي الكعبة»؟! فهمَّ الخليفة بذلك، وسأل أميرالمؤمنين عليه السلام فقال عليه السلام: «إن القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وآله والأموال أربعة: أموال المسلمين، فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفيء، فقسمه على مستحقيه، والخمس، فوضعه اللّه حيث وضعه، والصدقات، فجعلها اللّه حيث جعلها، وكان حلي الكعبة فيها يومئذ، فتركه اللّه على حاله؛ ولم يتركه نسيانا ولم يخف عليه مكانا؛ فأقِرَّه حيث أقره اللّه ورسوله»، فقال عمر يخاطب علياً: «لولاك لافتضحنا!» وترك الحلي بحاله.[2]

زلة الخليفة في سياسته:

رغم ما يزعمه بعض من لاخبرة له، لا يخص تأخر الخليفة في القيادة الدينية وعلوم الدين فحسب، بل هو متأخر في التدبير السياسي أيضا كالديني، ومِن ذلك:

الخليفة يريد الخروج إلى غزو الروم بنفسه؛ فيشاور الإمام عليه السلام في ذلك فيشير إليه بقوله عليه السلام: «وقد توكل اللّه لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة، وستر

---

١. أخرجه ابن راهويه وصححه السيوطي ـ راجع كنز العمال، ج٨، ص١١٩؛ وذكره ابن حجر في الإصابة، ج٣، ص٦٠٦؛ و «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» ج٢، ص١٥١؛ والمسند الجامع، ج١٣، ص٢٢٦؛ و جامع الأحاديث، جلال الدين السيوطى، الباب: مسندعمربن الخطاب، ج٢٨، ص ٣٩٥.

٢. النهج، ج٣، ص٢١٨؛ الكلام، ص٢٧٠؛ عبده. صحيح البخاري، ج٣، ص٨١؛ في كتاب الحج باب الكسوة وفي الإعتصام أيضا، أخبار مكة للأزرقي. سنن أبيداود، ج١، ص٣١٧؛ سنن ابن ماجة، ج٢، ص٢٦٩؛ سنن البيهقي، ج٥، ص١٥٩؛ فتوح البلدان للبلاذري، ص٥٥؛ الرياض النضرة، ج٢، ص٢٠؛ ربيع الأبرار للزمخشري، ب ٧٥؛ تيسير الوصول ـ فتح الباري، ج٣، ص٣٥٨؛ كنز العمال، ج٧، ص١٤٥.

العــورة، الــذي نصَــرَهم، وهــم قليــل لا ينتصــرون، ومــنعهم، وهــم قليــل لا يمتنعـون، **حـيٌ لا يمـوت**، إنـك متـى سـرت إلـى هـذا العـدو بنفسـك فـتلْقَهم بشخصــك فتنكــب، لا تكــن للمســلمين كانفــةٌ دون أقصــى بلادهــم، لــيس بعدك مرجع، يرجعـون إليـه، فابعـث إلـيهم رجـلاً مِحرَبـاً، واحْـفز معـه أهـل الـبلاء والنصـيحة، فـإن أظهـرك اللّـه، فـذاك مـا تحـب، وإن تكـن الأخـرى كنـت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين».[1]

من أين يبدأ تاريخ الإسلام؟

جمع الخليفة الناس، يسألهم: «من أي يوم نكتـب؟»، فقـال علـيعليه السلام: «مـن يـومٍ، هـاجر رسول اللّه، وترك أرض الشرك».[2] ذلك لأن النبي الاقدسصلى الله عليه وآله قـدم المدينـة فـي شـهر ربيع الأول؛ فأمر حينذاك بالتأريخ؛ فكانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمـه إلـى أن تمت له سنة. فالإمام يشير ـ بما أشار ــ إلـى ألّا يبتـدعوا فـي التـأريخ ولا يتخلّفـوا عمـا صنعه رسول اللّهصلى الله عليه وآله.

لا عشت في أمة لست لها يا أباالحسن!

يقولها الخليفة، حينما يحكم على خمسة أنفار بـالرجم؛ فيخطئـه الإمـامعليه السلام فـي ذلـك؛ حيث يقدمعليه السلام واحدا يضرب عنقه، والثاني يرجمه، والثالث يضربه الحـد، والرابـع نصـف الحد خمسين جلدة، والخامس يعزره.

فقال عمر: «كيف ذلك؟» فقالعليه السلام: أما الأول فكان ذمياً، زنى بمسلمة؛ فخـرج عـن ذمته، وأمّا الثاني، فرجل محصن زنى؛ فرجمناه؛ وأمـا الثالـث، فغيـر محصـن؛ فضـربناه

---

١. نهج البلاغه، عبده، الكلام، ١٣١؛ أقول: وهذا نموذج من حسن سياسية الإمام وتدبيره سياسيةً عادلةً، دونما مكرٍ وخديعة! وقد يأتي القول الفصل في ذلك في بيان تأسيس الدولة العلوية، انشاء اللّه.

٢. أخرجه الطبري ومجاهد في تاريخيهما، وذكره الشاريخي عن ابن شهاب، مناقب آل أبيطالب، ج١، صص٣٣٨ و٣٣٩.

الحد، وأمّا الرابع، فعبد زنى؛ فضربناه نصف الحد، وأما الخامس فمغلوب على عقله مجنون فعزرناه». فقال عمر: «لا عشتُ في أمّة، لستَ لها، يا أباالحسن!»[١]

رأي الخليفة في بيت المقدس:

عن سعيد بن المسيب قال: «إستأذنَ رجلٌ عمرَ بن الخطاب في إتيان بيت المقدس فقال له: إذهب فتجهز؛ فاذا تجهّزتَ، فأعلمني، فلمّا تجهّز جاءه؛ فقال له عمر: إجعلها عمرة. قال: ومرّ به رجلان وهو يعرض إبل الصدقة فقال لهما: من أين جئتما؟ قالا: من بيت المقدس؛ فعلاهما بالدِّرة وقال: أحج كحج البيت؟ قالا: إنا كنا مجتازين»![٢]

أقول: وهذه الفتوى تعارض ما ثبت عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجدالاقصى».[٣]

رأي الخليفة في الأسماء والكنى وتعريضه فيها على رسول اللّه ﷺ

عن زيد بن أسلم عن أبيه: «أنّ عمر بن الخطاب ضرب ابناً له، تكَنّى أباعيسى، وأن المغيرة بن شعبة تَكَنّى بأبيعيسى؛ فقال عمر: أما يكفيك أن تُكَنّى بأبيعبداللّه؟ فقال: إنّ رسول اللّه ﷺ كنّاني؛ فقال: إن رسول اللّه ﷺ قد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإنا في جَلْجَلَتِنا (جَلجَبِيَّتنا) فلم يزل يُكْنى بأبي عبداللّه حتى هلك...»[٤]

١. مناقب آل أبيطالب، ج١، صص٤٩٢ ـ٤٩٣، عن الأصبغ بن نباته.

٢. أخرجه الازرقي كما في كنز العمال، ج٧، ص١٥٧.

٣. أخرجه أحمد في مسنده، ج٢، صص٢٣٨ و٢٧٨؛ والبخاري في صحيحه كما في السنن الكبرى، ج٥، ص٤٤؛ ومسلم في صحيحه، ج١، ص٣٩٢؛ والدارمي في سننه، ج١، ص٣٣٠؛ وأبوداود في سننه، ج١، ص٣١٨؛ وابن ماجة في سننه، ج١، ص٤٣٠؛ والنسائي في سننه، ج٢، ص٣٧؛ والبيهقي في سننه، ج٥، ص٢٤٤؛ والبغوي في مصابيحه، ج١، ص٤٧؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج٤، ص٣؛ رواه أحمد البزاز والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد ثقات اثبات، والنسائي في سننه، ج٣، ص٣٤؛ والترمذي في صحيحه، ج١، ص٦٧؛ والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح، ص٦٠؛ أخرجوه عن أبيسعيد الخدري وأبيالجعد الضميري وأبيهريرة وبصرة بن أبيبصرة الغفاري، وميمونة مولاة النبي ﷺ عن النبي ﷺ.

٤ . سنن أبي داود، باب من يتكنى بأبي عيسى، ج٤، ص٤٤٦. وسنن البيهقي، باب من يتكنى بأبي عيسى، ٢، ص ٢٣٤.

وفي لفظ: «ان النبي غفر له وإنا لا ندري ما يفعل بنا»... وفي لفظ: «ويلك هل لعيسى أب؟ أما تدري [أنّ] ما كني العرب: أبومرة، أبوحنظلة...» وفى لفظ: «كتب إلى أهل الكوفة: لا تُسمّوا احدا باسم نبي، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسمائهم المسمين بمحمّد، حتى ذُكر له أنه صلى الله عليه وآله أذن لهم في ذلك؛ فتركهم»![1]

أقول: مواقف الخليفة هذه في الأسماء والكنى تكشف عن مدى جهله وقوميته العربية، ومنها:

١ـ أنه يرى التكني بأبيعيسى ذنباً؛ لأن عيسى عليه السلام ما كان له أب، رغم أنّ النبي صلى الله عليه وآله كنى المغيرة أباعيسى! يرى هذه التكنية ذنبا من رسول اللّه صلى الله عليه وآله مغفوراً، وقد أخطأ في المعنى من ذنب الرسول صلى الله عليه وآله المغفور[2] وأخطأ في أن التكنِّي بابيعيسى ليس ذنباً، يغفر أو لا يغفر؛ لأنّ عيسى لا يختص بابن مريم عليهما السلام.

٢ـ ينهى عن التسمي باسم النبي صلى الله عليه وآله ويغير أسماء المتسمين به، رغم قول الرسول صلى الله عليه وآله: «إذا سميتم محمداً، فلا تضربوه ولا تحرموه»! وقال: «إذا سميتم الولد محمداً، فأكرموه، وأوسعوا له في المجلس، ولا تقبّحوا له وجها»![3] ـ ومثله كثير في الأحاديث ـ ورغم أنه صلى الله عليه وآله سمى غير واحد من ولدان عصره محمدا.[4]

---

١. سنن أبيداود، ج٢، ص٣٠٩؛ سنن البيهقي، ج٩، ص٣١؛ الإستيعاب، ج١، ص٢٥٠؛ تيسير الوصول، ج١، ص٣٩، الكنى والأسماء للدولابي، ج١، ص٨٥؛ زاد المعاد لابن القيم، ج١، ص٢٦٢؛ نهاية ابن الأثير، ج١، ص١٩٨؛ الإصابة ج٢، ص٤١٣؛ ابن أبي الحديد، ج٣، ص١٠٤؛ عمدة القاري، ج٧، ص١٤٣.

٢. الذنب لغويا: ما يستفضح عقباه دنيويا أو اخرويا، والثاني هو العصيان والأول قد يكون من أفضل الطاعات. وكان الرسول صلى الله عليه وآله مذنبا بهذا المعنى بين المشركين؛ إذ كانوا يتربصون به الدوائر ليقضوا عليه؛ فغفر اللّه أي ستر هذا الخطر بما فتح مكة المكرمة؛ فآمن قوم من هؤلآء والقلة الباقية لم يجسروا بعد على ايذائه. راجع كتابنا «الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنّة» وكذلك «عقائدنا».

٣. مجمع الزوائد، ج٨، ص٤٨؛ السيرة الحلبية، ج١، ص٨٩؛ المدخل لابن الحاج، ج١، ص١٢٩؛ وأخرجه ابن عساكر وذكره المناوي في فيض القدير، ج٦، ص٢٣٧؛ والحلبي في السيرة النبوية، ومسند أحمد، ج٣، صص٣٦٩ ـ ٣٠٣ ـ ٣٨٥؛ وغير ذلك من الكتب.

٤. مثل محمد بن ثابت بن قيس الأنصاري، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، ومحمّد بن عمارة بن حزم الأنصاري، ومحمّد بن انس بن فاضلة الأنصاري ومحمّد بن يقديدويه الهروي.

٣ـ حينما ينهى عن التكني بأبي‌عيسى، يأمر بكنى العرب كأبي‌مرة، وهو من كُنى الشيطان!

فهل إن الخليفة يقصد من وراء ذلك أن يخفي أسماء الأنبياء ويُنسيها، كما منع عن حديث الرسولﷺ وسمح في أشعار الجاهلية؟! فهل لكي يرجع المسلمون إلى الجاهلية الأولى؟! فلعله لم يكن إلّا بدافع جهله العارم، وهذا خير المحامل لأعمال الخليفة، إذا أردنا استبقاءَه في الإسلام.

ويدٌ لك مع أيادٍ لم أجزك بها

يقولها الخليفة، مخاطباً الإمامعليه السلام، حينما أتي بمال، فقسمه بين المسلمين، ففضُلت منه فضلة؛ فاستشار فيها مَن حضره مِن الصحابة؛ فقالوا: «خذها لنفسك؛ فإنك إن قسمتها لم يصب كل رجل منها إلّا ما لا يلتفت إليه»، فقال عليعليه السلام: «اقسمها، أصابهم من ذلك ما أصابهم، فالقليل في ذلك والكثير سواءٌ»، ثم التفت إلى عليعليه السلام وقال: «**ويد لك مع أياد لم أجزك بها**».[١]

فرَّج اللّه عنك يا أباالحسن، كما فرَّجت عنا!

يقولها حينما تنازعت عنده امرأتان في طفل، ادعته كل واحدة منهما ولدا لها، دونما بينة ولا منازع فيه غيرهما، فاستدعىعليه السلام المرأتين، ووعظهما، وخوّفهما؛ فأقامتا على التنازع والاختلاف؛ فقالعليه السلام عند تماديهما في النزاع: «ائتوني بمنشار!» فقالت المرأتان: «وما تصنع؟» فقالعليه السلام: «أقُدُّه نصفين، لكل واحدة منكما نصف!» فسكتت إحداهما، وقالت الأخرى: «اللّه اللّه يا أباالحسن! إن كان لا بد من ذلك فقد سمحتُ به لها!» فقالعليه السلام: «اللّه اكبر! هذا ابنك دونها؛ ولو كان ابنها لرَقَّت وأشفقت»؛ فاعترفت المرأة الأخرى أن

١. القاضي نعمان في شرح الأخبار عن يزيد بن خالد بإسناده إلى طلحة بن عبداللّه.

الحق مع صاحبتها، والولد لها دونها. فسُرِّيَ عن عمر، ودعا لأمير المؤمنين عليه السلام، بما فرج عنه في القضاء.[١]

عود على بدءٍ في وصف الخليفة عمر:

ثم ان الإمام يصف هذه الحوزة الخشناء بأنه: «كراكب الصعبة» ركب مركباً، لا يحق له، ولا يذلُّ لراكبه. فإن شدد عليها، يجذب زمامها؛ لتبطئ عن سرعتها وتسير على شاكلة راكبها، خرم أنفها، وضيعها حينذاك. وإن أسلس لها وأرسلها حيثما تريد، تقحمت به فلم يملكها.

أجل، إن قميص الخلافة الذي تقمَّصه، لأطول من قامته القصيرة بكثير، فإن قصر ذيله فقد نزَّل الخلافة دون مكانتها، وإن أرسله ـ كما هو ـ دفع به إلى الزلاّت.

ولكن الخليفة أرخى زمام الخلافة الصعبة بكل طاقاته الجبارة؛ فرمى به في أودية الضلالة، وتقحمت في ورطات الهلاكة، فلم يمكنه الخروج عنها والتخلص منها، فما يُنتظر لأمةٍ، هذا قائدها إلاّ أن يُمنوا ويُبتَلوا بخبط وشماس وتلوُّن واعتراض، على حد قول الإمام.

فلقد كان يسير بهم على غير معرفة وإلى غير جادة؛ حيث كان مركوب الخلافة شماساً، تحت من ليس من أهلها، فما أتى بسيره السريع إلاّ تلونا واعتراضا.

أجل، و«إن العامل على غير بصيرة لا يزيده سرعة السير إلاّ بعدا عن الطريق»!

ثم يختم الإمام عليه السلام وصف الثاني بما وصف، ويقول: «فصبرت على طول المدة وشدة المحنة!» فلقد كانت المحنة في خلافة الثاني على الإمام علي عليه السلام، الذي يحسّ بالمسؤولية، أكثر من كل احد، حيث يجب عليه أن يراقبه في حكومته دون غفلة، ولا لحظة؛ فإنْ هو إلاّ كولي طفل أو ذي جنة، أمَّره الاستبداد الغاشم والجهل العارم على أمة كبيرة، لا يتمكن عزله والقيام مكانه، ولا الانعزال عنه ليصنع في الأمة بما لا يرضاه اللّه.

---

١. الإرشاد للمفيد، ج١، ص٢٠٥؛ ومناقب آل أبي‌طالب، ج١، صص٤٩٧ و ٤٩٨.

رأي الخليفة في علی أمير المؤمنين عليه السلام

عن ابن عباس قال: «وردَتْ على عمر بن الخطاب واردةٌ، قام منها، وقعد، وتغير، وتربَّد، وجمع لها أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، فعرضها عليهم، وقال: أشيروا علي! فقالوا جميعا: يا أمير المؤمنين أنت المَفْزع[1] وأنت المنزع![2] فغضب عمر وقال: ﴿...اِتَّقُوا اللّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمٰالَكُمْ...﴾ [الاحزاب. ٧٠ ـ ٧١] ؛ فقالوا يا أميرالمؤمنين ما عندنا مما تسأله عنه شيء! فقال: أما واللّه، إني لأعرف أبا بُجُدتها[3] وابن بجدتها واين مفزعها واين منزعها؟ فقالوا: كأنك تعني ابن أبيطالب؟ فقال عمر: للّه هو! وهل طفحت حرة بمثله وأبرعته؟ انهضوا بنا إليه؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين أتصير اليه أو يأتيك؟ فقال: هيهات هناك شجنة من بني هاشم، وشجنة من الرسول، وأثرةٌ من علم يؤتى لها ولا يأتي، في بيته يؤتى الحكم؛ فاعطفوا نحوه! فألفَوهُ في حائط، وهو يقرأ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسٰانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾ [القيامة. ٣٦] ويرددها ويبكي؛ فقال عمر لشريح: حدث أباالحسن بالذي حدثتنا به؛ فقال شريح: كنت في مجلس الحكم فأتى هذا الرجل فذكر أن رجلا أودعه امرأتين حرتين مهيرة (: غالية المهر) وأم ولد؛ فقال له: أنفقه عليهما حتى أقدم. فلما كان في هذه الليلة وضعتا جميعا إحداهما إبناً والأخرى بنتا، وكلتاهما تدعي الابن وتنتفى من البنت من أجل الميراث...؛ فقال له: بم قضيت؟ فقال شريح: لو كان عندي ما أقضي به بينهما لم آتكم بهما؛ فأخذ علي عليه السلام طينة من الأرض فرفعها؛ فقال: إن القضاء في هذا أيسر من هذه، ثم دعا بقدح؛ فقال لإحدى المرأتين: إحلبي! فحلبت؛ فوَزَنَه، ثم قال للأخرى: إحلبي!؛ فحلبت؛ فوزنه؛ فوجده على النصف من لبن الأولى؛ فقال عليه السلام لها: «خذي أنت ابنتكِ!» وقال عليه السلام للأخرى: «خذي أنت إبنك!» ثم قال عليه السلام لشريح: أما علمت أنّ لبن الجارية على النصف من لبن الغلام، وأنّ ميراثها نصف

---

١ . أي: الملجأ (الصحاح للجوهرى، ج٣، ص١٢٥٨).

٢ . أي: المنزع بالكسر: السهم والمنزعة بالفتح: ما يرجع إليه الرجل من أمره و رأيه و تدبيره. (الصحاح للجوهرى، ج٣، ص١٢٩٠).

٣ . أبا بجدتها: وقولهم: هو عالم ببجدة أمرک و بُجُدة أمرک أي: بدخلة أمرک و باطنه. و يقال: عنده بجدة ذالک بالفتح، أي: علم ذالک. و منه قيل للعالم بالشيء المتقن: هو اين بجدتها. الصحاح، ج١، ص٤٤٠.

ميراثه، وأن عقلها نصف عقلـه وأن شـهادتها نصـف شـهادته، وأن ديتهـا نصـف ديتـه؟ وهي على النصف في كل شيء. فأُعجِب به عمر اعجابا شديداً، ثم قـال: أبـا الحسـن! لا أبقاني اللّه لشدة لستَ لها! ولا في بلد لستَ فيه!»[1]

فتوى الخليفة في حد البلوغ

عن ابن أبيمليكة أن عمر كتب في غلام من أهـل العـراق، سـرق؛ فكتـب أن: «اشـبروه فإن وجدتموه ستة اشبار فاقطعوه»! فشُبر؛ فوجد ستة أشبار، تنقص أنملة؛ فتُرك.[2]

فتوى الخليفة في المتعتين:

نجد الخليفة في طيات فتاواه يتلوّن: فتارة يفتي خلاف الكتاب والسنة عن جهل؛ فيدلُّـه علي أميرالمؤمنين أو غيره من المسلمين، حتى العوام والنسـاء؛ فيقبـل ويشـكر، وأخـرى يطيش ويغضب على من يدله، كما في قصة عمار، لمّا روي له حكم الجنب فاقـد المـاء، وعندما سُئل عن معنى «الأبّ»؛ فلما رأى الحاضرين يجيبـون، علاهـم بالـدرة يضـربهم، وثالثة يفتي بفتاوى متناقضة، وإلى غير ذلك من مواقفه المحرجة في فتاواه.

وقد نراه يفتي خلاف كتاب اللّه وسنة رسـول اللّـه مصـرِّحاً بـالخلاف ومهـدِّداً مـن يخالفه ويرده إلى الكتاب، كما في قصة المتعتين:

تحريم الخليفة متعة الحج:

قال عمر: «قد علمت أن النبيﷺ قد فعله وأصحابه؛ ولكنـي أكـره أن يظلـوا مُعرسـين بهن في الأراك، ثم يروحون في الحج، تقطر رؤوسهم»![1]

---

١. كنز العمال، ج٣، ص١٧٩؛ مصباح الظلام للجرداني، ج٢، ص٥٦.

٢. أخرجه ابن أبي شيبة وعبدالرزاق ومسدد وابنالمنذر في الأوسط كما في كنز العمال.

وقد تواتر النقل أنّ عمرَ حرّم متعة الحج، وقد نزل وجوبها في كتاب اللّه وعمل بها رسول اللّه صلى الله عليه وآله لمّا استحسنه![٢]

ومن ذلك ما عن سالم قال: «إني لجالس مع ابن عمر في المسجد، إذ جاءه رجل من أهل الشام، فسأله عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال ابن عمر: حسن جميل! قال: فإن أباك كان ينهى عنها، فقال: ويلك فإن كان أبي نهى عنها، وقد فعله رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأمر به! أ فَبِقول أبي آخذ أم بقول رسول اللّه صلى الله عليه وآله؟ قم عني»![٣]

وما عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «تمتع رسول اللّه صلى الله عليه وآله؛ فقال عروة: نهى ابوبكر وعمر عن المتعة؛ فقال ابن عباس: ما يقول عرية؟ قال: يقول: نهى أبوبكر وعمر عن المتعة؛ فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون، أقول: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله ويقولون: قال أبوبكر وعمر!»[٤]

---

١. أخرجه مسلم في صحيحه، ج١، ص٤٧٢؛ وابن ماجة في سننه، ج٢، ص٢٢٩؛ واحمد في مسنده، ج١، ص٥٠؛ والبيهقي في سننه، ج٥، ص١٧ و ٢٠؛ والنسائي في سننه، ج٥، ص١٥٣؛ ويوجد في تيسير الوصول، ج١، ص٢٨٨؛ وشرح الموطا للزرقاني.

٢. عن أبي‌رجاء قال: «قال عمران بن حصين: نزلت آية المتعة في كتاب اللّه وأَمَرنا بها رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ثم لم تنزل آية تنسخ أية متعة الحج ولم ينه عنها رسول اللّه صلى الله عليه وآله حتى مات، قال رجل برأيه بعدُ ما شاء». أخرجه مسلم في صحيحة، ج١، ص٤٧٤؛ والقرطبي في تفسيره، ج٢، ص٣٦٥؛ وصححه، قال البخاري، كما في تفسير ابن كثير، ج١، ص٢٣٣؛ وقال القسطلاني في الإرشاد ٤: ١٦٩ والنووي في شرح مسلم: ان عمر كان ينهى الناس عن التمتع، وأخرج ما في معناه في السنن الكبرى، ج٥، صص٢٠ و٣٤٤؛ والنسائي في سننه، ج٥، ص١٥٥؛ وأحمد في مسنده، ج٤، صص٤٣٤ و٤٣٦؛ وفتح الباري، ج٣، ص٣٣٨؛ والدارمي في سننه، ج٢، ص٣٥؛ والمالك في الموطأ، ج١، ص١٤٨؛ والشافعي في الام، ج٧، ص١٩٩؛ والنسائي في السنن، ج٥، ص٥٢؛ والترمذي في صحيحه، ج١، ص١٥٧؛ وصححه، والجصاص في أحكام القرآن، ج١، ص٣٣٥؛ وابن القيم في زاد المعاد، ج١، ص٨٤؛ والزرقاني في شرح المواهب، ج٨، ص١٥٣.

٣. تفسير القرطبي، ج٢، ص٣٦٥؛ عن الدار قطني، وأخرج ما في معناه الترمذي، ج١، ص١٥٧؛ وزاد المعاد لابن القيم، ج١، ص١٩٤؛ والزرقاني في هامش شرح المواهب، ج٢، ص٢٥٢؛ والسنن الكبرى، ج٥، ص٢١؛ ومجمع الزوائد، ج١، ص١٨٥.

٤. مسند أحمد، ج١، ص٣٣٧؛ كتاب مختصر العلم لأبي‌عمر، ص٢٢٦؛ تذكرة الحفاظ للذهبي، ج٣، ص٥٣؛ زاد المعاد لابن القيم، ج١، ص٢١٩.

ولقد نهاه أُبيّ بن كعب ـ فيمن نهاه ـ عن هذه الفتوى. إذ همّ أن ينهى عن متعة الحج؛ فقام إليه أُبَيّ بن كعب فقال: «ليس ذلك لك؛ قد نزل بها كتاب اللّه واعتمرناها مع رسول اللّه ﷺ؛ فنزل عمر».[1]

أقول: وما ذكرناه ليس إلّا قليلا من كثيرٍ، مما أخرجه الحُفّاظ وأعلام الحديث، أنّ الخليفة عمر حَرّم متعة الحج فيما حرَّمه! والأصل في حل عمرة التمتع قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ فِى الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ ذلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

هذا، وقد حكم الخليفة عمر بخلاف هذه الآية، وهي من السورة التي درسها! ثم ماذا نصنع بالايات التالية: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ *... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ *... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٤ ـ ٤٧]

فهل نُكذّب كتاب اللّه؟ أم نحكم بظلم وفسق وكفر الخليفة؟ لا فحسب، بل إنه أظلم وأفسق وأكفر؛ لأنه حكم ضد ما انزل اللّه!

... إن اللّه يأمرنا بضم الحج إلى العمرة، والخليفة ينهانا قائلاً: «افصلوا بين حجكم وعمرتكم. اجعلوا الحج في أشهر الحج واجعلوا العمرة في غير أشهر الحج، أتمّ لحجكم وعمرتكم».[2]

---

١. أخرجه أحمد، ج٥، ص١٤٣؛ والهيثمي، ج٣، ص٢٤٦؛ وقال: «رجاله رجال الصحيح»، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه، ج٣، ص٣٣؛ والدر المنثور، ج١، ص٢١٦؛ نقلاً عن مسند إبن راهويه وأحمد.

٢. موطأ مالك، ج١، ص٢٥٢؛ سنن البيهقي، ج٥، ص٥؛ تيسير الوصول، ج١، ص٢٧٩؛ وأخرجه ابن أبي‌شيبة، كما في الدر المنثور، ج١، ص٢١٨.

تحريم الخليفة متعة النساء

عن عمر أنه قال: «ثلاث كن على عهد رسول اللّه ﷺ، أنا مُحرِّمُهن ومُعاقِبٌ عليهن: متعة الحج، ومتعة النساء، و(حيَّ على خير العمل) في الاذان»![١]

أقول: احاديث المتعتين تربو على أربعين حديثا بين «صحاح» و«حسان» تعرب عن أن المتعتين كانتا على عهد رسول اللّه ﷺ، ونزل فيها القرآن، وثبتت إباحتهما بالسنة، وأول من نهى عنهما عمر.[٢]

وانما نهى عن متعة النساء، أواسطَ خلافته، في شأن عمرو بن حريث؛ اذ قدم الكوفة، فاستمتع بمولاة، فأتى بهَا عَمْرو حُبْلَى؛ فسأله فاعترف، فذلك حينَ نهى عنها عمر.[٣]

وأخرج ابن الكلبي: «أنّ سلمة بن أمية بن خلف الجمحي استمتع من سلمى مولاة حكيم بن أمية بن الأوقص الأسلمي؛ فولدت له؛ فجحد ولدها؛ فبلغ ذلك عمر؛ فنهى عن المتعة».[٤]

نهى عنها الخليفة، إلى حيث، اعتبرها سِفاحاً، رغمَ حليتها في الكتاب والسنة، كما في قوله لمن فعلها: «اما والذي نفسي بيده، لو كنت تقدمت في نهى لرجمتك، بينوا حتى يعرف النكاح من السفاح».[٥]

وقد يرى نفسه مقابل كتاب اللّه وسنة رسوله، ناقلاً لهما في حلية المتعتين، ثم يحرمهما رَغْمَهما ومستهزءً بهما!

فعن أبي نضرة عن جابر رضي الله عنه، قال قلت: «إن ابن الزبير ينهى عن المتعة وإنّ ابن عباس يأمر به». قال: «على يدي جرى الحديث: تمتعنا مع رسول اللّه ﷺ ومع

١. أخرجه الطبري في المستبين، والقوشيجي في شرح التجريد، وحكاه عن الطبري الشيخ على البياضي في كتابه «الصراط المستقيم».

٢. عده العسكري في أولياته، والسيوطي في تاريخ الخلفاء، ص٩٣؛ والقرماني في تاريخه هامش الكامش الكامل، ج١، ص٢٠٣؛ أول من حرّم المتعة.

٣. أخرجه الحافظ عبدالرزاق في مصنفه عن ابن جريج قال: «أخبرنى ابوالزبير عن جابر...»؛ وفتح البارى، ج٩، ص١٤١.

٤. الاصابة، ج٢، ص٦٣.

٥. عن سليمان بن يسار عن أم‌عبداللّه ابنة أبي‌خثيمة، وأخرجه كنز العمال، ج٨، ص٢٩٤؛ من طريق الطبري.

أبي‌بكر، فلما ولى عمر خطب الناس، فقال: إنّ رسول اللّه ﷺ هذا الرسول! وإنّ القرآن هذا القرآن! وإنهما كانتا متعتان على عهد رسول اللّه ﷺ، وأنا أنهى عنهما، وأعاتب عليهما: إحداهما متعة النساء، ولا أقدر على رجل تزوج امرأة إلى أجل إلّا غيّبتُه بالحجارة! والأخرى متعة الحج».[1]

وقد يرى نفسه حاكماً، كما اللّه يحكم، دون أن يخص الحكم به تعالى، كما عن عمر، أنه قال: «إن اللّه عزّ وجلّ كان يحل لنبيه ما شاء، وإن القرآن قد نزل منازله؛ فافصلوا حجكم من عمرتكم واتبعوا نكاح هذه النساء؛ فلا أوتى برجل تزوج المرأة إلى أجل إلّا رجمتُه»![2]

إنّ الخليفة عمر ينهى عما أحله اللّه إلى يوم القيامة، كما في صحيحة سراقة، قال: «قام رسول اللّه ﷺ خطيباً، فقال: ألا ان العمرة قد دخلت في الحج إلى يوم القيامة».[3] وقد رواه الخليفة أيضا عنه ﷺ.[4] ولقد عارض الخليفة ـ فيمن عارضه وجاه رأيه في تحريم المتعتين ـ نفر كبير من الصحابة والتابعين.[5] وأهم من كل المذكورات

١. سنن البيهقي، ج٧، ص٢٠٦؛ وقال: «أخرجه مسلم في الصحيح من وجه آخر عن همام».

٢. مسند أبي‌داود الطيالسي، ص١٤٧، ولقد أخرج وروى تحريم المتعين نفر كبير من الحفاظ واصحاب الصحاح والسنن بألفاظ مختلفة، يجمعها أصل تحريمه من الخليفة عمر، رغم أنهما كانتا محلَّلتين على عهد رسول اللّه ﷺ! وممن أخرجه: مسلم، ج١، ص٣٩٥؛ جامع الاصول لابن الأثير، تيسير الوصول لابن الديبع، ج٤، ص٢٦٢؛ زاد المعاد، ج١، ص٤٤٤؛ فتح الباري، ج٩، ص١٤١؛ كنز العمال، ج٨، ص٢٩٤؛ الموطا، ج٢، ص٣٠؛ الام، ج٧، ص٢١٩؛ السنن الكبرى، ج٧، ص٢٠٦؛ تفسير الطبري، ج٥، ص٩؛ تفسير الثعلبي، تفسير الرازي، ج٣، ص٢٠٠؛ تفسير أبي‌حيان، ج٣، ص٢١٨؛ تفسير النيسابوري، الدر المنثور، ج٢، ص١٤٠؛ بداية المجتهد لابن رشد، ج٢، ص٥٨؛ النهاية لابن الأثير، ج٢، ص٢٤٩؛ الغريبين للهروي، الفائق للزمخشري، ج١، ص٣٣١؛ تفسير القرطبي، ج٢، ص١٤٠؛ لسان العرب، ج٩، ص١٦٦؛ تاج العروس، ج١٠، ص٢٠٠؛ مسند أحمد، ج٣، ص٣٨٠؛ البيهقي، ج٧، ص٢٠٦؛ مسند أحمد، ج٣، صص ٣٥٦ و٣٦٣؛ الجصاص، ج٢، ص١٧٨؛ كنز العمال، ج٨، ص٢٩٣؛ البيان والتبيين للجاحظ، ج٢، ص٢٢٣؛ السرخسي الحنفي في المبسوط، ضوء الشمس، ج٢، ص٢٩٣؛ وعشرات أمثال هؤلآء! وقد جمعهم العلامة المغفور له الاميني في الغدير، ج٦، صص٢٠٥، ٢١٣.

٣. مسندأحمد، ج٤، ص١٧٥، سنن ابن ماجة، ج٢، ص٢٢٩؛ سنن البيهقي، ج٤، ص٥٥٢، سنن الدرامي، ج٢، ص٥١؛ صحيح الترمذي، ج١، ص١٧٥؛ سنن أبي‌داود، ج١، ص٢٨٣؛ سنن النسائي، ج٥، ص١٨١؛ تفسير ابن‌كثير، ج١، ص٢٣٠.

٤. أخرجه البيهقي في سننه، ج٥، ص١٣؛ وقال: «رواه البخاري في الصحيح».

٥. وهم: عمران بن الحصين ـ جابر بن عبداللّه ـ عبداللّه بن مسعود ـ عبداللّه بن عمر ـ معاوية بن أبي‌سفيان ـ أبوسعيد الخدري ـ سلمة بن أمية بن خلف ـ معبد بن أمية ـ الزبير بن عوام ـ خالد بن مهاجر ـ عمرو بن حريث ـ أبي‌بن كعب ـ ربيعة بن أمية ـ سمير ـ سعيد بن جبير ـ طاووس اليماني ـ عطاء أبومحمّد المدني ـ السدي ـ مجاهد ـ

كتاب اللّه في قوله تعالى: ﴿... فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيمٰا تَرٰاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [النساء: ٢٤]

وإضافةً إلى صراحة الآية في متعة النساء، نجد تصريحاتٍ وفيرةً مِن نفر كبير من الحفاظ وأرباب السنن والتفاسير، أنها نزلت في متعة النساء، بين من خصها بها، ومن عمها بالنكاحين الدائم والمنقطع،[١] ومن احتمل اختصاصها بالدائم، رمياً له بالشذوذ، أنّه خلاف المتواتر من السنة، الظاهر من الآية.

فضائل مختلقة للخليفة عمر بن الخطاب، مكافحةً لما قرأت

١ ـ مهانة الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله، بغية إكرام عمر!

«الشيطان يفر من عمر ولا يفر من رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله»!

عن بريدة: «خرج رسول اللّه صلى الله عليه وآله في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول اللّه صلى الله عليه وآله، إني كنت نذرت إن ردك اللّه صالحا أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى؛ فقال رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله إن كنت نذرتِ فاضربي وإلاّ فلا، فجعلَتْ تضرب، فدخل ابوبكر، وهى تضرب، ثم دخل علي، وهى تضرب؛ ثم دخل عثمان، وهى تضرب، ثم دخل عمر؛ فألقت الدف تحت أستها، ثم قعدت عليها؛ فقال رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر! إني كنت جالسا، وهي تضرب، ثم

زفر بن أوس المدني ـ علي بن أبي‌طالب عليه السلام، سلمان الفارسي، عمار بن ياسر ـ مقداد ـ أبودجانة الأنصاري ـ مالك الأشتر ـ وعشرات امثالهم كما نجد في طيات الروايات.

١. كالإمام أحمد في مسنده، ج٤، ص٤٣٦؛ وأبوجعفر الطبري في تفسيره، ج٥، ص٩؛ أخرجه عن قتادة وعن شعبة عن الحكم وعن عمر بن مرة ومجاهد وأبي‌ثابت، كلهم رووه إلى أجل مسمى، وأبوبكر الجصاص، ج٢، ص١٧٨؛ والحافظ أبوبكر البيهقي، ج٧، ص٢٠٥؛ والحافظ البغوي في هامش تفسير الخازن، ج١، ص٤٢٣؛ وأبوالقاسم جار اللّه الزمخشري في الكشاف، ج١، ص٣٦٠؛ والقاضي أبوبكر الاندلسي في أحكام القرآن، ج١، ص١٦٢؛ أبوبكر يحيى بن سعدون القرطبي في تفسيره، ج٥، ص١٣٠؛ وفخرالدين الرازي، ج٣، ص٢٠٠؛ والحافظ أبوزكريا النووي في تفسيره، ج١، ص٢٥٩؛ وعلاء الدين البغدادي في تفسير الخازن، ج١، ص٣٥٧؛ وابن جزي في التسهيل، ج١، ص١٣٧؛ وأبو حيان في تفسيره، ج٣، ص٢١٨؛ وابن كثير في تفسيره، ج١، ص٤٧٤؛ والسيوطي في الدر المنثور، ج٢، ص١٤٠؛ وأبوالسعود العمادي في تفسيره، ج٣، ص٢٥١؛ والقاضي الشوكاني في تفسيره، ج١، ص٤١٤؛ وشهاب الدين الآلوسي في تفسيره، ج٥، ص٥؛ وغيرهم من أعلام السنة في التفسير والحديث.

دخل أبوبكر، وهي تضرب، ثم دخل علي، وهي تضرب، ثم دخل عثمان، وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر، ألقت الدف»!!!

أقول: وليت شعري بماذا يدين هذا الجعال الدجال، الذي يمس من كرامة الرسولﷺ ولا يبالي، بغية اختلاق مكرمة لعمر؟! ولماذا لم يكتف باختلاق فضائل للخليفة لا تمس من كرامة الرسولﷺ؟! فليس لنا إلّا أن نقول: هذه روايات إسرائيلية، يُقصد من ورائها تشويه سمعة الإسلام، والقضاءُ على كرامة الرسالة المحمديةﷺ.

٢ ـ عمر لا يحب الباطل واللّه ورسوله يحبان الباطل!

عن الأسود بن سريع قال: «أتيت النبيﷺ، فقلت: قد حمدت ربي بمحامد ومدح، وإياك؛ فقال: إن ربك عزّ وجلّ يحب الحمد؛ فجعلت أنشده، فاستأذن رجل طويل أصلع، فقال لي رسول اللّهﷺ: اسكت! فدخل، فتكلم ساعة، ثم خرج؛ فأنشدته، ثم جاء؛ فأسكتني النبيﷺ، فتكلم، ثم خرج؛ ففعل مرتين أو ثلاثا؛ فقلت يا رسول اللّهﷺ! من هذا الذي أسكتّني له؟ فقال: هذا عمر، لا يحب الباطل»![1]

أقول: هل إن حمد اللّه ومدح رسوله باطل، لكي يبغضه عمر؟ فكيف إذاً يحبه اللّه رسوله؟ أم إنه حقٌّ، يراه الخليفة باطلاً، ويتبعه الرسول في رأيه، كأنه الشارع دون اللّه! «فهل علمَتْ رواةُ السوء بالذي تلوكه بين أشداقها؟ أم درت فتعمدت؟ أم إن حب عمر والمغالاة في فضائله، أعماهم عن تبعات هذا القول الشائن؟»[2] فما أسرع الأسود في فريته السوداء على الرسول الأقدسﷺ! ﴿... فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

---

١. أخرجه أبونعيم في حلية الأولياء، ج٢، ص٤٦؛ من طريق الأسود بن سريع ومن طريق آخر عن الأسود التميمي.

٢. العلامة المغفور له الأميني في الغدير، ج٨، ص٩٠.

٣ ـ فَرَقُ الشيطان من عمر دون الرسول ﷺ!

عن سعد بن أبي وقاص قال: «إستأذن عمر على رسول اللّه ﷺ، وعنده نساء من قريش، يكلمنه ويستكثرنه، عاليةً أصواتُهن، فلما استأذن عمر، قمن، يبتدرن الحجاب؛ فأذن له رسول اللّه ﷺ، ورسول اللّه ﷺ يضحك؛ فقال عمر: أضحك اللّه سنّك يا رسول اللّه ﷺ! قال ﷺ: عجبت من هؤلآء، اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك، إبتدرن بالحجاب...! ثم قال ﷺ والذي نفسي بيده، ما لقيك شيطانٌ قطُّ، سالكاً فجّا إلّا سلك فجّا غير فجك».[١]

أقول: وأنا لا املك شيئا وراء هذه الأسطورات الكافرة، إلّا أن أردد اللعنة على الكذابين، الذين يمسون من كرامة الرسول الأقدس ﷺ، وعجب من البخاري كيف يذكرها في صحيحه؟ أحُبّاً للخليفة وبُغضاً للرسول ﷺ؟!



الشورى الثانية

هنا يعطف الإمام عليه السلام بالكلام إلى الشورى الثانية، التي بيَّضت وجه الأولى؛ حيث خلفت الويلات بانتصاب جرثومة أموية ضئيلة، تتقوى بشتى الفروع من هذه الشجرة الملعونة في القرآن! ألا وإنه حجر الأساس لبناء الحكومة الأموية التي أضمرت العداءَ لنبي الإسلام، والقضاءَ على الإسلام، منذ البدء!

هذه الشورى، هي التي تجدد مجد أمية ونعرات الجاهلية الأولى، وتنتقم من محمّد ﷺ ومَن معه، أشدَّ الانتقام.

---

١. أخرجه البخاري في صحيحه، ج٥، ص٨٩؛ وفي المناقب، ج٥، ص٢٥٦.

هذه التي تعترك المعارك ضد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتقلّب أمور الأمة ظهرَ بطنٍ، لا على خلاف كتاب اللّه وسنة نبيه فحسب، بل خلافاً لسيرة الشيخين، اَلْـذَيْنِ كانا يحافظان على الإسلام في ظاهر الأمر، أحياناً كثيرةً.

تلك التي قلَّبت أمور الأمة الإسلامية إلى حيث، يصعب الأخذ بزمامها، حتى في حكومة الإمام عليه السلام؛ فلقد كان عليه السلام لا يكاد يقبل الإمرة بعد مقتل عثمان، رغم الثورة الكبيرة من الأمّة جمعاء لقبول بيعته عليه السلام؛ فيقول الإمام حينذاك:

«... حَتَّى إِذا مضَى لِسبيلِه، جعلها في جماعةٍ زعم أَنِّي أَحدُهم! فيا لَلَّهِ ولِلشُّورى! متى اعترضَ الرّيبُ فيَّ مع الأَوّل منهم؛ حتَّى صرت أُقْرَنُ إلى هذه النظائرِ؟! لكنِّي أَسْففتُ إِذ أَسَفُّوا وطِرْتُ إذ طاروا؛ فصغا رجلٌ منهم لضغنه، ومال الآخَر لصهره مع هَنٍ وهَنٍ ...»

فبُؤساً وبُعداً للشورى الأولى؛ حيث تولدُ مواليد كهذه التي ـ على عمد أو جهل ـ تبني قواعد عرش أمية الكافرة، الذي كلّف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لتحطيمها النفائس والنفوس بجهوده وجهاده المقدس.

الخليفة الذي اختلقته يد الاستبداد من خليفة الشورى الأولى، يمضي لسبيله ولا يرضى ويقنع بويلات الخلافتين؛ حتى يجعل الخلافة بعده في شورى انتصابية في اختلاف واختناق.

ذلك حيطةً منه: (مِن عمر) على انتصاب خليفة، كشاكلته، يرمي مرماه وينحو منحاه، إلّا أنه لم يستبد في ظاهر الأمر لشخص خاص بعينه، رَغمَ ما فعله خليفة الشورى الأولى، مخافةَ اعتراض المسلمين بأن الخلافة لا تكون إلّا بالنص أو الشورى.

لذاك وذياك، ينتخب للشورى خمسةً، سادسُهم الإمام عليه السلام. خمسةٌ يزيف مكانتهم من الخلافة علانيةً على علم منه أنهم يسدون باب الخلافة على الإمام عليه السلام بطبيعة الحال، وبما يشترط للشورى من الشروط المستبدة

الغاشمة، وبما يهددها ــ إن لم ترض بما اشترط ــ بالقتل، على يدي أبي‌طلحة الأنصاري رئيس الشورى وحفيظها، وهو في خمسين رجلاً من الأنصار حول نادي الشورى، حاملين سيوفَهم على عواتقهم!

كيان أعضاء الشورى وشرائطها:

تصريح جلالة الخليفة، أنّ الرسول الأعظمﷺ مات وهو راضٍ عنهم، ثم تقبيحه كل واحد منهم ما خلا الإمامعليه السلام حاصراً نقصهعليه السلام ـ وحاشاه ـ أن به دعابة.

يقول الشارح المعتزلي: «إنّ عمرَ لمّا طعنه أبولؤلؤة وعلم أنه ميت لا محالة، استشار فيمن يوليه الأمر بعده؛ فأشير إليه بابنه عبداللّه (إشارة ملوكية وراثية)؛ فقال: لا هاء اللّه! لا يليها رجلان من وُلد الخطاب، حسب عمر ما حمل، حسب عمر ما احتقب، لا هاء اللّه! لا أتحملها حيا وميتا! ثم قال: إن رسول اللّهﷺ مات وهو راضٍ عن هذه الستة من قريش: عليٌعليه السلام، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبدالرحمن بن عوف، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم؛ ليختاروا لأنفسهم.[١] ثم قال: إن استخلف، فقد استخلف من هو خير مني، يعني: أبابكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، يعني رسول‌اللّهﷺ»!!! وحاشاه من هذه النسبة الزور!

هنالك نتساءل الخليفة، إن لم يتسخلف الرسول الأعظمﷺ ،كما تزعم؛ فلماذا تستخلف أنت خلافاً عليه وتخلفاً عن سنته؟ وإذا استخلف قرينك؛ فهل إنّ هذا يرجِّح سنة الإستخلاف؛ حتى تقلده في ذلك وتترك سنة الرسولﷺ؟!

أفهل تظن الرسولﷺ ترك سنة حسنة، يعمل بها ابن أبي قحافة؟!

---

١. ورواه البلاذري في انساب الأشراف، ج٥، ص١٨.

الخليفة يقبِّح أعضاء الشورى الانتصابية

وهو بذلك: يفنّد رأي الرسولﷺ في حبهم كما زعم، كما يرجح فعلة ابن أبيقحافة في الاستخلاف.

يروي الشارح المعتزلي عن الشيخ أبيعثمان الجاحظ، أن عمر حينذاك قال:

«ادعوهم لي؛ فدعوهم؛ فدخلوا عليه؛ وهو ملقى على فراشه يجود بنفسه. فنظر إليهم فقال: أكلكم يطمع في الخلافة بعدي؟ فوجموا؛ فقال لهم ثانية؛ فأجابه الزبير قائلاً: ما الذي يبعدنا منها، وليتها أنت، فقمت بها! ولسنا دونك في قريش ولا في السابقة والقرابة»!

فانظر إلي هذه الكلمة الخبيثة، يداهن بها الزبير الخليفة تقرباً إليه، وشكراً لأياديه، أن جعله من أعضاء الشورى، على علمه بما لعليٍّ عليه السلام من الفضيلة والسابقة.

أجل، إن الخليفة ينتخب للشورى رجالاً على شاكلته، ينحون نحوه، ويحذون حذوه، إلّا علياً عليه السلام؛ إذ لا يرضاه خليفةً، مهما دخله فيهم بظاهر الأمر.

الخليفة يخبر أعضاء الشورى عن أنفسهم:

زبير!

الجاحظ يسوق القصة كما يلي: «أفلا أخبركم عن أنفسكم؟ قال الزبير: قل؛ فإنا لو استعفيناك لم تعفنا».

فلقد بلغت الفضيحة من الخمسة أصحاب الشورى إلى حيث يتقون تصريحات الخليفة عن كيانهم؛ فهذا رأي الطالب والمطلوب، والناخب والمنتخب؛ فكيف بهذه الأمة المظلومة؟! فبؤساً لقوم، يرعاهم مَن لا يرى نفسه أهلاً!

﴿... إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ...﴾ [الرعد: ١١]

«كما أنتم، يولى عليكم».

«لا تتركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون؛ فلا يستجاب لكم».[١]

حينذاك، يقول الخليفة، مخاطباً أعضاءً الشورى، واحداً تلو الآخر: «أما أنت يا زبير، فوعق لقس، مؤمن الرضا، كافر الغضب؛ يوماً إنسانٌ، ويوماً شيطان، ولعلها لو أفضت إليك، ظلِتَ يومك تلاطمُ بالبطحاء على مُدّ من شعير! أ فرأيت إن أفضت إليك، فليت شعري من يكون للناس يومَ تكون شيطانا ومن يكون يومَ تغضب! وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة وأنت على هذه الصفة»!

فهذا زبير أحد أعضاء الشورى، يصفه الخليفة بخبث الطينة، وسوء الخُلق والسريرة، وأنه شيطان! فهذا عمل الخليفة وكل إنسان يعمل على شاكلته!

طلحة!

ثم اقبل على طلحة، ولقد كان بينهما ما كان،[٢] قائلاً: «أقول أم أسكت؟ قال: قل؛ فانك لا تقول من الخير شيئا! قال: أما إني أعرفك منذ أصيبت أصبعك يوم أحد، والباد الذي حدث لك، ولقد مات رسول اللّه ﷺ، ساخطاً عليك، للكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب».

قال الجاحظ: «لما نزلت آية الحجاب قال طلحة بمحضرٍ ممن نقل عنه إلى رسول اللّه ﷺ: ما الذي يغنيه حجابهن اليوم! سيموت غدا فننكحهن...»!

وفي رواية البلاذري قال: «أنفه في السماء وأسته في الماء»![٣]

---

١. من وصية الإمام للحسنين عليهما السلام.

٢. أنه اعترض على أبي‌بكر انتصابه لعمر، فهو يكمن له العداء بطبيعة الحال، ويظهرها له حينذاك وعداءه للإسلام بانتصابه، أحد أعضاء شورى الخلافة.

٣. ج٥، ص١٧.

سعد!

ثم اقبل الخليفة على سعد بن أبي وقـاص قـائلاً: «إنّمـا أنـت صـاحبُ مقنـب مـن هـذه المقانب، (أي صاحب جيوش وفي كتاب الالفـين، أنهـم ثلاثمائـة) تقاتـل بـه، وصـاحب قنصٍ، وقوس وأسهم، وما زهرة والخلافة وأمور الناس»!

عبدالرحمن بن عوف!

ثم أقبل على ابن عوف قائلاً: «وأمّا أنت يا عبدالرحمن، فلو وزن نصف ايمان المسـلمين بايمانك، لرجّح ايمانك به، ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضـعف كضـعفك، ومـا زهرة وهذا الأمر»!

عثمان بن عفان!

ثم خاطب عثمان ـ هدفه الأساسي من الشـورى ـ قـائلاً: «هيهـا إليـك! (بؤسـاً ودناسـةً ورجاسةً) كأني بك قد قلَّدتْكَ قريشٌ هذا الأمرَ لحبها أياك، فحملت بني‌أمية وبنـي‌أبـي معيط على رقـاب النـاس، وآثـرتهم بـالفيء، فسـارت إليـك عصـابة مـن ذؤبـان العـرب؛ فذبحوك على فراشك ذبحاً! واللّه، لـئن فعلـوا لـتفعلن ولـئن فعلـت لـيفعلن!» ثـم اخـذ بناصيته قائلاً: «فإذا كان كذلك، فاذكر قولي؛ فإنه كائن».[١]

الإمام أميرالمؤمنين علي عليه‌السلام!

وأخيـرا! أقبل على الإمـام عليه‌السلام قـائلاً: «للّـه أنـت، لـولا دعابـة فيـك! أمـا واللّـه، لـئن وُلِّيتَهم، لتحملنَّهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء!»

الخليفة! يخلّف عثمان الأموي مرتين

مرةً بما مر من بيان كيان الستة أعضاء الشورى، وأخرى بمـا انتصـبهم أعضـاء للشـورى وما شرط لها!

١.لعله مما سمعه من رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أو من علي عليه‌السلام ؛ فإنه من أنباء الغيب وعمر ما كان ليعلم الشاهد فضلاً عن الغيب.

فالأول: ما يظهر من بيان شخصية الأعضاء؛ فيرى الأول شيطاناً، لا يرضى اللّه له الخلافة، فكيف يولّى حينذاك؟!

ويـرى الثـاني رادّاً علـى رسـول اللّـه آيـة الحجـاب، مسـتهزئاً بـهﷺ، وقـد سخط عليه الرسولﷺ، فيكف يقود الأمةَ مَن هذه صفته؟!

ويـرى الثالـث صـاحب جنـد وقـوة، فيكـف يـولّى مـن لـه جنـود وسـلطان، والخلافـة تنـافي الاسـتبداد بـالقوة؟! بـل يحـق لهـا أن تتقـوى بسـلطان التقـوى ورضى الشعوب.

ويرى الرابـع ضـعيفا، بـالرغم مـن ايمانـه ــ علـى زعمـه ــ ولـيس تصـلح قيـادةُ الأمر لضعفاء الأمة.

ثم لما يخاطب الخامس، يرى استخلافه ثابتاً، بقوله: «كأني بـك، قـد قلّـدتْكَ قـريشٌ هذا الأمرَ لحبها إياك...!» فيُعلنُ مَيله إليه، وأنَّ قريشاً تحبـه ولـذلك تسـتخلفه، وإن كـان يذكر سوء تدبيره في أيامه إلى حيث يجهز عليه عمله فيقتله، إلاّ انه مـع ذلـك يقـول فيـه مقالته الصريحة في ميله وميل قريش إليه، ميلَ كل إنسان إلى شاكلته!

وحينما يقبل على الإمام عليعليه السلام لا يرى فيه نقطة سـوداء، يعترضـه بهـا، ولا أيّـةَ منقصة، يعيِّره فيها، ولذلك يستحسن ويستجمل ولايتَه بعـده، علـى تـردده فيهـا مـن وجهين، دون أن يعلن رغبته فيها أو ميله إليها:

١. فريته على الإمامعليه السلام، أن بـه دعابـةٌ قـائلاً: «للّـه أنـت»: حقيـق أنـت بالخلافـة وحريٌّ بها، لولا دعابة ومزاح!

يعنـي الخليفـةُ ــ مـن خلايـا هـذه الجملـة المشـحونة بشـتى المكائـد والحيـل ـ أنّ قيادةَ المسلمين لا تصلح لمن فيه دعابةٌ؛ فلا تولُّوه الأمر!

الخليفــة يســمي العطــفَ والحنــانَ والخُلُــقَ العظــيم، الــذي يعرفــه مــن الإمــامعليه السلام، ــ يسـميه ــ دعابـةً، ثـم يجعلهـا مـن الأسباب الهامـة لعـدم تأهلـهعليه السلام

للخلافة، إلى حيث يعبر عن ولايته بـ «لو» اشارةً إلى امتناع توليه أمر الأمة له عليه السلام والحال هذه.

إن الخليفة لحوزته الخشناء التي يغلظ كلمها ويخشن مسها، يحسب كل حنانٍ دعابةً، وكلَّ رأفة مزاحا ومضحكة، حينما يداعب الدين والمسلمين في خلافته ويستهزئُ بهم في صورة خشناء.

ذلك! بالرغم من أن الرسول الأعظم كانت به دعابة وابتسام، كما قال اللّه تعالى في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فهل إنه صلى الله عليه وآله ما كان يحق للرسالة؟!

إنه ليرى الدعابة مِن موانع الولاية، وهو يداعب ويلاعب الأمة الإسلامية بهذه الشورى الانتصابية السوداء!

٢. سكوته عن حب الأمة للامام عليه السلام، حيث يضيفه إلى رأيه في عدم تأهله للخلافة!



الهيئة التنفيذية للشورى وشرائطها

ثم بعد أن يأخذ أعضاء الشورى، كلٌّ مأخذَه من الخليفة، ينتخب هيئةً تنفيذيةً عنيفة، لإنتاج الشورى كما يريد، على الشرائط التالية قائلاً:

«ادعوا لي أبا طلحة الأنصاري»؛ فدعوه له، فقال: «انظر يا أبا طلحة! إذا عدتم من حفرتي فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم، فخذ هؤلآء النفر بإمضاء الأمر وتعجيله، واجمعهم في بيت، وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحدا منهم. فإن اتفق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه! وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب أعناقهما! وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة، فانظر الثلاثة التي فيها عبدالرحمن، فارجع إلى ما قد اتفقت عليه، فإن أصرت الثلاثة الأخرى على خلافهما فاضرب أعناقهم!»

وأخيرا بعد هذه الفتاوى القاتلة المستبدة، يفتي بقتل الجميع قائلاً: «وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر؛ فاضرب أعناق الستة، ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم»!

محاكمة عادلة، في الشورى الدامية:

يا خليفة المسلمين! بأي سناد تسند في هذه الآراء القاتلة، تستبيح به دماء الرعيل الأول من وجهاء المسلمين ـ على زعمك ـ الذين تؤهلهم للخلافة؟! وهذه بدعة منك سيئةٌ على خلاف كتاب اللّه وسنة نبيه، وسيرة خليفة السقيفة الذي تتبع أثره!

تصنع الشورى على شاكلة، تدلي بها إلى ابن عفان بعدك، وقد وصفته أنه يحمل بني‌أميه على رقاب المسلمين!

تجعل الشورى في ستة، تزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام أحدهم، تذليلاً منك لساحته، فمتى اعترض الريب فيه مع الأول منكم ـ وهو خيركم ـ حتى صار يقرن إلى هذه النظائر؟ فلتك لم تُدخله فيهم، مصرحاً: أيها المسلمون لا تولوا علياً! فلعمر اللّه، كان ذلك أحسن إليه وأوفق لكيانه، من قرنه لهذه الخمسه الذين تصف كلاً منهم بألوان الرذائل!

فيا للّه وللشوري التي بداية أمرها كهذه، وختامها أن البيعة إنما هى لمن يسير بسيرة الشيخين، وحاش لعلي أن يقبل حقه المنصوص على شريطة الباطل!

عملية الشورى

دُفن عمر، فوقف شُرطة الشورى على باب البيت، وقد جمع الستة! وقف بالسيف في خمسين من الأنصار، حاملي سيوفهم!

طلحة!

ثم اتكل القوم وتنازعوا؛ فقام طلحة يشهدهم على نفسه أنه وهب حقه من الشورى لعثمان، حيث يعلم أن الناس لا يعدلون به علياً وعثمان، فليقف جانب عثمان تضعيفاً لجانب علي ولا أقل برأي واحد!

الزبير!

حينذاك يقوم الزبير، يعارض طلحة، ويشهد على نفسه أنه وهب حقه من الشورى لعلي، حميةَ النسب،[1] وخلافا على عثمان، فإلى هنا رأيان يكافئان في علي وعثمان؛ فبقي أربعة.

---

١. حيث إنه ابن صفية عمة أمير المؤمنين.

سعد!

قال سعد: «وأنا وهبت حقي من الشورى لابن عمي عبدالرحمن»؛ حيث يرى أن الأمر لا يتم له، وأنهما من بني زهرة.

عبدالرحمن!

إذ ذاك، يخاطب عبدالرحمن علياً﴿ع﴾ وعثمان قائلاً: «أيكما يخرج نفسه من الخلافة، ويكون إليه الإختيار في الباقين؟»؛ فلم يتكلم منهما أحد؛ فقال: «إني أشهدكم قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن أختار أحدهما»؛ فأمسكا؛ فبدأ بعلي﴿ع﴾ وقال له: «أبايعك على كتاب اللّه وسنة رسولاللّه وسيرة الشيخين أبيبكر وعمر»!

علي﴿ع﴾

«بل على كتاب اللّه وسنة رسوله»؛ فعدل عنه إلى عثمان فعرض ذلك عليه، فقال: «نعم!»؛ فعاد إلى علي، فأعاد قوله ذاك ثانيا ثم ثالثا، فلما رأى أن عليا﴿ع﴾ غير راجع عما قاله، وأن عثمان ينعم له بالإجابة، صفق على يد عثمان وقال: «السلام عليك يا أميرالمؤمنين»!

هذه صنيعة الشورى! ولقد كان من المستحيل أن توافق علياً على الإمرة؛ حيث إن جلالة الخليفة صبغها بصبغة واحتال فيها بحيلة، لا توافق ولا تشاكل إلّا ابن عفان، كما أنه رأى رأيها له قبل ذلك.

فمن شرائط الإمرة فيها أن تكون على سيرة الشيخين كيفما ساروا، وفقاً لكتاب اللّه وسنة نبيه أو خلافا لهما! ولقد كانت هذه هي النقطة الأساسية لعدم توافق الإمام﴿ع﴾ لقبول الإمرة وإن أصرّوا عليه مرات ثلاث في ظاهر الأمر؛ حيث قنطروا للخلافة ما لا يقبله إلا من لا يبالي بالدين.

ولكن الإمام لا يقبل الخلافة على شريطة الباطل.

فلقد يُتساءل الإمام عليه السلام كما يلي:

يا أمير المؤمنين، هب إن الشيخين غصبا حقك المنصوص في الغابر، فأما الآن وقد يبايعك رابع الأربعة بالخلافة، فلِمَ لم تقبله في الحاضر، وتركته لابن عفان وهو من تعرفه؟!

الإمام: ما لي والباطل؟! وإن كان في طريق الحق، فإني لا أريد الخلافة إرادة بالذات ـ لا ـ إلّا لإقامة الحق، فكيف أقبلها على سيرة الشيخين!

ـــ: أجل، ولكنه تَقْبَله على الشرط الباطل في ظاهر الحال، ثم تخالف الشرط إذا تم لك الأمر!

الإمام: ما لعلي والخديعة؟! ليست الخديعة من ديني ولو للوصول إلى الحق.

كيف وقد نقضوا بيعتي بعد ما بايعني الناس وتداكوا عليّ في ذلك تداكَّ الإبل الهُيَّم، يوم ورودها ـــ بعد الثالث ـــ وأنا إمام الأمة بالنص والإجماع! فكيف إذاً، بايعوني على شرط أخالفهم فيه، أ فلا أكون حينذاك ألقيت بيدي إلى التهلكة، ولهولآء الناس ـــ الجاهلين، أو المتجاهلين ـــ وللناس عليَّ الحجة في نقضي شريطة البيعة؟!

لهذا وذاك، لا يكاد الإمام ليقبل الإمرة على هذه الشريطة الفاسقة. كيف، ولا يكاد يقبلها بعد الثالث أيضاً؛ حتى ثاروا إليه أن يقبل، كما سيأتيك نبأه بعد حين.

ومع الغض عن هذه الشريطة الخاطئة، فإنّ شاكلة الشورى، شرطاً ومشروطاً، لا تلائم الإمام عليه السلام، كما يشير إلى شطر منها، قائلاً: «ولكني أسففت إذا أسفّوا وطِرت إذا طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره مع هن وهن»!

أجل، إنه مال واحد من أعضاء الشورى عن حق الإمام، لضغن غابر وعداوة حاضرة على الإمام، وقد يتردد هذا بين رجلين منهم:

أحدهما: طلحة؛ حيث وهب حقه لعثمان باديَ البدء؛ لأنه تيمي وهو ابن عم أبي‌بكر، وقد كان حصل من بني‌تيم حنق شديد على بني‌هاشم لأجل الخلافة.[١]

ثانيهما: سعد بن أبي وقّاص؛ حيث قتل الإمام عليه السلام أباه يوم بدر ــ ونفراً من إخوانه ــ فكان ذلك ضغينة عريقة في نفسه على الإمام عليه السلام، ولذلك يهب حقه من الشورى لعبد الرحمن، هذا الذي يرجح جلالة الخليفة جانبه؛[٢] حيث يعلم أنه لا يصيب مرماه إلّا به.

أجل، إن سعداً هذا، يحتال في انحراف الأمر عن الإمام عليه السلام نسخةً طبق الأصل، ويتخلف عن بيعة الإمام أيضا بعد رجوع الأمر إليه![٣]

«ومال الآخر لصهره مع هن وهن»، وهذا هو عبدالرحمن، الذي يهب حقه من الشورى، على أن يكون له الخيرة في انتخاب واحد من الباقين: علي عليه السلام وعثمان. والمصاهرة بينه وبين عثمان من جهة أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي‌معيط، كانت تحته، وهي أخت عثمان من أمه.

أجل، إن شيطان الشورى يميل إلى عثمان مع هنٍ وهنٍ: هن يقبح ذكره وقد أجمل عنه الإمام عليه السلام: هو الشريطة الباطلة على سيرة الشيخين؛ حيث جعلها قرينة لكتاب اللّه وسنة نبيه، كما جعل الخليفةُ هؤلآء الأشرار قرناء الإمام!

ثم هنٌ آخر هو عثمان نفسُه، يتقمص قميص الخلافة باستبداء بقية السوء للشورى: عبدالرحمن، لأنه... ولانه كان أخت عثمان تحته ولأنه...

هنالك يظهر أن الخليفة إنما عيّن عثمان قبل الشورى، فأدلى بالخلافة إليه بالشاكلة التي ألقى على الشورى أجزاءً وشروطا، فيا للّه وللشورى!

---

١. ذهب إليه الشارح المعتزلي.

٢. حيث قال: «وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبدالرحمن؛ فارجع إلى ما قد اتفقت عليه؛ فإن أصرت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها»!

٣. انطباق قول الإمام: «فصغا رجل لضغنه» على سعد أظهر، لما ذكر من الضغينة القديمة، وأنه النقطة الاساسية في انحراف الشورى وإن كان الجمع بينهما لا بأس به، لولا منافاة قوله عليه السلام: «رجل» فإنه لا يوافق إلّا واحد منهما.

هـذه الشـورى التـي ينتهـى أمرهـا إلـى واحـد، هـذه صـفته، وهـو يسـتبد بانتصـاب عثمان الأموي، فالويل على الإسلام من هذه الشجرة المعلونة الأموية.

يقول الإمام في قيام عثمان حينذاك بالخلافة:

«إلى أَن قام ثالث القوم، نافجاً حضـنَيْه بـين نَثِيلِـه ومُعْتَلِفِـه، وقـام معـه بنـو أَبيـه يخضمون مال اللَّهِ خِضْمَةَ الإِبل نِبْتَةَ الرَّبيع، إلى أَن انتكث عليـه فتلُـه، وأَجهـز عليـه عملُه، وكبَت به بِطْنَتُه».

حصيلة الشورى خلافة أمية

كان أبوه عفان ممن يضرب بالدف ويتخنث بـه ويلعـب،[١] وهـا هـو ابنـه، يلعـب بالـدين وبالمسلمين ولا يبالي، يتبع إثر أبيه وأفضح منه!

قام عثمان بالأمر نافجـاً حضـنيه، رافعـا مـاً بـين إبطـه وكشـحه، متهيئـاً أن يأكـل بالخلافة مأكلاً عظيماً، ويملأ بطنه وبطون أمية من مـال اللّـه، أمـوال الشـعب العـزَّل المظلومين، ولقد كان يتحيَّن الفُرَص لذلك!

قام بالأمر ولم يكن قيامـه إلّا حِراكـاً بـين نثيلـه ومعتلفـه ـ فلـم يكـن همُّـه مـن الخلافة إلّا الأكل والرجيـع ـ كالبهيمـة المربوطـة، همُّهـا علفهـا أو المرسـلةِ، شـغلُها تَقَمُّمُها، تكترس من أعلافها، وتلهو عما يراد بها، ترك الأمـةَ وأمْرُهـا سـدىً، وأهملهـا عابثاً، يجر حبل الضلالة على عاتقه، ويعتسف طريق المتاهة[٢] دونما تفكيـر فـي قيـادة الأمة إلى مراميها اللائقة بها، ودون أن يرى أمامَه مسؤوليةً في الأمر، في جنـب اللّـه وعباده، الذين استعبدهم بخلافته الظالمة الغاصبة!

---

١. رواه العلامة في كشف الحق، ومؤلف كتاب إلزام الناصب عن هشام بن محمّدبن السائب الكلبي.

٢. هذه من كلمات الإمام في خطبة أخـرى يقـول فيهـا: «أ أقنـع مـن نفسـي بـأن يقـال أميرالمـؤمنين»! ثـم هـذه الجملات مشيرا إلى عثمان وأشكاله ممن لم يرد بالخلافة إلّا بطنه وفرجه.

الخليفة عثمان بين الكتاب والسنة

فتوى الخليفة برجم امرأة ولدت لستة أشهر:

تزوج رجل بامرأةٍ من جهينة؛ فولدت له تماماً لستة اشهر؛ فانطلق زوجها إلى عثمان؛ فأمر بها أن تُرجم؛[1] فبلغ ذلك علياًعليه السلام؛ فأتاه فقالعليه السلام: «ما تصنع؟ ليس ذلك عليها شيء قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿... وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً...﴾ [الاحقاف. ١٥] وقال: ﴿... وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ...﴾ [البقرة. ٢٣٣]؛ فكم تجده بقي إلّا ستة أشهر؟» فقال عثمان: «واللّه، ما فطنت لهذا! علي بالمرأة!» فأمر بها عثمان أن تُرَدَّ؛ فوَجَدوها قد فُرِغَ منها.

وكان من قولها لأختها: «يا أخية، لا تحزني! فواللّه، ما كشف فرجي أحد قطُّ غيرُه».

قال: «فشبّ الغلام بعدُ؛ فاعترف الرجل به، وكان أشبه الناس به!» وقال: «فرأيت الرجل بعدُ يتساقط عضواً على فراشه»![2]

وفي نقل آخر: «فلما رآه أبوه قال: إبني والله لا أشک فيه. و أبلاه الله بالقرحة الأكلة فما زالت تأكله حتى مات».[3]

---

١. فحتى لوثبت زنا عليها بعلم قاطع، من شهادة غير صالحة وروية، لم يثبت حدٌّ عليها، لأنه منحصر ــ حسب القرآن ـ بشهادة رجال أربعة وهم عدول، على شروط أخرى ومنها وحدة الشهادة على زمان وكيفية الزنا! ــ ثم الرجم ـ إسلاميا ـ لا يعني القتل بالاحجار! بل هو رميٌ باحجار صغار ما صدق الرجم وقد كفى كما قال الامام الصادقعليه السلام

٢. أخرجه مالك، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي، وأبوعمر، وابن كثير، وابن الديبع، والعيني، والسيوطي، وغيرهم، أخرجوه عن بعجة بن عبداللّه الجهني. على سبيل المثال، ر: الدر المنثور، الباب: ١٥، ج٩، ص١٥٠.

٣ . تفسير اين أبي حاتم، سورة الأحقاف، ج١٢، ص٢٢١. و تفسير ابن كثير، الباب: ١٥، ج٧، ص٢٨٠.

فتوى الخليفة بالنداء الثالث

عن السائب بن يزيد: «أن النداء يوم الجمعة، كان أوله في زمان رسول اللّه ﷺ وفي زمان أبي‌بكر وفى زمان عمر: إذا خرج الامام وإذا قامت الصلاة، حتى كان زمان عثمان، فكثر الناس؛ فزاد النداء الثالث على الزوراء؛ فثبتت حتى الساعة»![١]

وفي لفظ البلاذري: «... ثم إن عثمان نادى النداء الثالث في السنة السابعة من خلافته؛ فعاب الناس ذلك وقالوا: بدعة!»[٢]

رأي الخليفة في الجنابة:

أخرج مسلم في الصحيح بالاسناد عن عطاء بن يسار، أن زيد بن خالد الجهني أخبره أنه سأل عثمان بن عفان، قال: «أ رأيت إذا جامع الرجل امرأته ولم يُمنِ؟» قال عثمان: «يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ويغسل ذَكَرَه»![٣]

هكذا يفتي الخليفة وبين يديه كتاب اللّه! ﴿... وَلا جُنُباً... حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا... أَوْ لامَسْتُمُ النِّسٰاءَ...﴾ [النساء/ ٤٣]

هكذا! وبين يديه السنة المتواترة عن رسول‌اللّه ﷺ: «إذا التقى الختان بالختان، وجب الغسل، أنزل أو لم ينزل»[٤] وما في معناه.

١. صحيح البخاري، ج٢، صص٩٥و٩٦؛ صحيح الترمذي، ج١، ص٦٨؛ سنن أبي‌داود، ج١، ص١٧١؛ سنن ابن ماجة، ج١، ص٣٤٨؛ سنن النسائي، ج٣، ص١٠٠؛ كتاب الأم للشافعي، ج١، ص١٧٣؛ سنن البيهقي، ج١، ص٤٢٩ و ج٣، ص١٩٢و ٢٠٥؛ تاريخ الطبري، ج٥، ص٦٨؛ كامل ابن الأثير، ج٣، ص٤٨؛ فيض إلاله المالك للبقاعي، ج١، ص١٩٣.

٢. في الأنساب، ج٥، ص٣٩؛ عن السائب بن يزيد.

٣. صحيح مسلم، ج١، ص١٤٢.

٤. صحيح البخاري، ج١، ص١٠٨؛ صحيح مسلم، ج١، صص١٤٢ و١٤٣؛ سنن الدارمي، ج١، ص١٩٤؛ سنن البيهقي، ج١، ص١٦٣؛ مسند أحمد، ج٢، صص ٢٣٤ و٣٤٧ و٣٩٣؛ ج٦، ص١١٦؛ ج٤٧، صص ١١٢ و١٦١؛ المحلى لابن حزم، ج٢، ص٢ و ج٣، ص٣؛ مصابيح السنة، ج١، صص ٣٠ و٣٢؛ الإعتبار لابن حازم، ص٣٠؛ تفسير القرطبي، ج٥، ص٢٠٠؛ تفسير الخازن، ج١، ص٣٧٥؛ الموطأ لمالك، ج١، ص٥١؛ الأم للشافعي، ج١، ص٣١ و٣٣، سنن البيهقي، ج١، ص١٦٤؛ المدونة الكبرى، ج١، ص٣٤؛ صحيح الترمذي، ج١، ص١٦ وصححه، سنن إبن ماجة، ج١، ص٢١١؛ نيل الأوطار، ج١، ص٢٧٨.

ثم لماذا يأمر بالوضوء، وليس إلّا من الحدث الأصغر؟ ولماذا أمر بغَسل الذكر وليس إلّا من النجاسة والرجل لم يُمن؟! أنا لا أدري!

كتمان الخليفة حديث النبي:

أخرج أحمد[١] عن أبي‌صالح قال: «سمعت عثمان(رض) يقول على المنبر: أيها الناس إني كتمتكم حديثا سمعته من رسول‌اللّه‌ﷺ، كراهية تفرقكم عني، ثم بدا لي أن أحدثكموه ليختار امرؤٌ لنفسه ما بدا له، سمعت رسول اللّه‌ﷺ يقول: رباط يوم في سبيل اللّه تعالى خير من ألف يوم في سواه من المنازل».

أفلم يدر الخليفة بعد أنه اجتلب بكتمانه حديث الرسول‌ﷺ ــ اجتلب ــ لعنة اللّه عليه والملائكة والناس أجمعين. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة. ١٥٩]؛ فإن الرسول ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ❁ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم. ٣ ـ ٤]

ثم إذا كتم الخليفة حديث الرباط، فهل كان بإمكانه كتمان آيات الرباط التي تتلى على المسلمين ليلَ نهارٍ؟ وإلى عشرات من هذه التساؤلات.

الخليفة يقدّم خطبة العيد على صلاته:

روى ابن المنذر عن عثمان بإسناد صحيح إلى الحسن البصري قال: «أول من خطب قبل الصلاة عثمان، صلى بالناس بعد ما خطبهم، فرأى ناساً لم يدركوا الصلاة ففعل ذلك، أي: صار يخطب قبل الناس».[٢]

---

١. في مسنده، ج١، ص٥٧ و٦١ و٦٥؛ في موضعين باللفظين، وذكرها غير واحد من الحفاظ أخذا من مسند أحمد.

٢. ابن حجر في فتح الباري، ج٢، ص٣٦١؛ الشوكاني في نيل الأوطار، ج٣، ص٣٦٢؛ وأخرجه ابن أبي‌شيبة عن أبي غسان والسيوطي في الأوائل وتاريخ الخلفاء، ص١١١؛ والسكتواري في محاضرة الأوائل، ص١٤٥.

يفتعل الخليفة هذه البدعة خلافا على رسول اللّه ﷺ لمصلحة درك الناس الصلاة، كأن الاحكام الإلهية تتغير حسب المصالح الوقتية التي يراها الخليفة! وقد ثبت عن الرسول الأعظم ﷺ انه كان يخطب بعد العيدين على عكس الجمعة.[١]

ولقد مضى الشيخان ومولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام وعثمان نفسه ردحا من أيامه على هذه السنة[٢] ثم خالفه لرأي، رآه دون أية حجة من كتاب اللّه أو سنة رسول اللّه ﷺ.

ثم بنو أمية، زملاء خليفة أمية، مشوا مشيته في هذه البدعة وحبّذوها؛ ليضطرّ الناس إلى استماع الخطبة قبل الصلاة إذ كانوا يسبون ويلعنون أمير المؤمنين عليا عليه السلام في خطبهم، بالرغم من عدم استباحة المسلمين هذا القول الشائن، لما وعوه من حديث رسول اللّه ﷺ «من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب اللّه».[٣]

خصومة يرفعها الخليفة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام

«إن يحَنَّسَ وصفية كانا من سَبْي الخُمُس؛ فزنت صفية برجل من الخمس وولدت غلاما فادعاه الزاني ويحَنَّسَ؛ فاختصما إلى عثمان، فرفعهما عثمان إلى علي بن أبي‌طالب عليه السلام فقال: أقضي فيها بقضاء رسول اللّه ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر. وجلدهما خمسين خمسين».[٤]

١. كما رواه ابن عباس وعبداللّه عمروأبوسعيد الحذري وعبدالدين السائب وجابر بن عبداللّه وانس‌بن مالك وبراء بن عازب وأبوعبيد مولى بن أزهر، ومعهم وفوقهم أئمة أهل بيت الرسول ﷺ، أخرجه الحفاظ وأصحاب الصحاح والسنن والأسانيد: صحيح البخاري، صص١١١ و١١٢ و١١٦؛ صحيح مسلم، ج١، صص٣٢٥ و ٣٢٦؛ سنن أبي‌داود، ج١، صص١٧٨و ١٧٩و١٨٠؛ سنن ابن ماجة، ج١، صص٣٨٥ و٣٨٦ و٣٨٧؛ سنن النسائي، ج٣، صص١٨٣و ١٨٤ و١٨٥؛ سنن البيهقي، ج٣، ص٢٩٦ و ٣٠١؛ موطأ مالك، ج١، ص١٤٦و١٤٧؛ مسند أحمد، ج٢، ص٣٨؛ الأم للشافعي، ج١، ص١٧١ و٢٠٨؛ سنن البيهقي، ج٣، ص٢٩٦ و٢٩٧؛ سنن الترمذي، ج١، ص٧٠؛ المحلّى لابن حزم، ج٥، ص٨٥ و٨٦، بدايع الصنايع، ج١، ص٢٧٦؛ المدونة الكبرى لمالك، ج١، ص١٥٥.

٢. أخرجه الشافعي في الأم، ج١، ص٢٠٨؛ والبخاري في صحيحه، ج٢، ص١١٢.

٣. رواه في الصحيح ابن عباس وأم سلمة عنه ﷺ كما أخرجه في المستدرك، ج٣، ص١٢١.

٤. أخرجه أحمد في مسنده، ج١٥، ص١٠٤؛ والدرقي من طريق الحسن‌بن سعد عن أبيه وفي تفسير ابن‌كثير، ج١، ص٤٧٨ وكنزالعمال.

وليت شعري إذا يجهل الخليفه قضاء الرسول هنا، كيف يجهل وتغرب عنه آية حد الرقيق والاماء،[1] رغم أنه جامعُ القرآن، كما يُزعم؟! كلا، لا جمعه هو ولا حفظه! فأَكْرِمْ به خليفة للمسلمين وأسْعِدْ بهم!

فتوي الخليفة في عدة المختلعة

عن نافع أنّه سمع رُبَيِّعَ بِنْتَ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاَءَ، وهي تخبر عبداللّه بن عمر أنها اختلعت من زوجها على عهد عثمان، فجاء معاذ بن عفراء إلى عثمان، فقال: «إنَّ ابنة معوِّذ اختلعت من زوجها اليوم أ تنتقل»؟ فقال له عثمان: «تنتقل ولا ميراث بينهما ولا عدة عليها إلّا أنها لا تنكح حتى حيضة، خشية أن يكون بها حبل»، فقال عبداللّه عند ذلك: «عثمان خيرنا وأعلمنا».[2]

فانظر إلى الخليفة الأموي ـ أعلم من في حزبه وشيعته ـ كيف يفتي خلاف نص القرآن في خشية الحمل، فضلاً عن خشية الولادة: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ...﴾ [البقرة، ٢٢٨]، يفتي به الأكبر الأعلم على حد تعبير عبداللّه بن عمر ــ وجامعُ القرآن كما يزعمون!

تفقه الخليفة في القرآن:

إن رجلاً سأل عثمان بن عفان عن الأختين من ملك اليمين هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: «أَحَلَّتْهما آيةٌ وحرَّمَتْهما آيةٌ! فأما أنا، فلا أحب أن أصنع ذلك»![3] وفى لفظ: «كل

---

١. ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمِناتِ فَمِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِناتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَناتٍ غَيْرَ مُسافِحاتٍ وَلا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ فَإِذا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ مِنَ الْعَذابِ...﴾ [النساء، ٢٥]

٢. سنن البيهقي، ج٧، صص٤٥٠ و٤٥١؛ سنن ابن ماجة، ج١، ص٦٣٤؛ تفسير ابن كثير، ج١، ص٢٧٦؛ نقلاً عن ابن أبي‌شيبة، زاد المعاد لابن القيم، ج٢، ص٤٠٢؛ كنز العمال، ج٣، ص٢٢٣؛ نيل الأوطار، ج٧، ص٣٥.

٣. أخرجه مالك في الموطأ، ج٢، ص١٠؛ عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذويب والبيهقي عنه.

شيء حرمه اللّه تعالى من الحرائر، حرمه اللّـه تعـالى مـن الإمـاء، إلاّ الجمـع فـي الـوطء بملك اليمين».[١]

أقـول: لا نجـد آيـة فـي القـرآن تعـارض آيـة التحـريم: ﴿حُرِّمَـتْ عَلَـيْكُمْ أُمَّهٰـاتُكُمْ و... وَأَنْ تَجْمَعُـوا بَـيْنَ الْـأُخْتَيْنِ...﴾ [النساء. ٢٣] ! أللهـم إلاّ مـا يشـير إليـه الخليفـة فـي فتـواه بالتحليـل بعـد توقفـه فـي الأول «إلاّ الجمـع بملـك اليمـين» وهو قوله تعالى: ﴿... إِلاّ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ...﴾! [النساء. ٢٤]

وهنـا نتسـاءل الخليفـة: كيـف يفتـي فـي البدايـة بوجـود التنـاقض فـي القـرآن «أحلتهمـا آيـة وحرمتهمـا آيـة»، واللّـه تعـالى يقـول: ﴿أَفَـلا يَتَـدَبَّرُونَ الْقُـرْآنَ وَلَـوْ كـانَ مِـنْ عِنْـدِ غَيْـرِ اللهِ لَوَجَـدُوا فِيـهِ اخْتِلافـاً كَثِيـراً﴾؟! [النساء. ٨٢] ؛ إذ يـرى أن فيـه تناقضا، فكيـف يسـتند إلـى كتـاب الله مـا لـيس مـن عنـد اللّـه؟! ثـم كيـف يتوقـف فـي حكـم الجمـع بـين الأختـين للآيتـين، ولا معارضـة بينهمـا! إذ الأولـى تحـرم الجمـع بـين الأختـين بعـدما تحـرم الأمهـات والبنـات والأخـوات والعمـات والخـالات وبنـات الأخ وبنـات الاخـت والامهـات مـن الرضـاعة، وأمهـات النسـاء والربائـب مـن المـدخول بهـن وحلائـل الأبنـاء الصـلبيين؛ والثانيـة تحلـل مـا ملكت الأيمان بعد ما تحرم المحصنات من النساء.[٢]

فهـل يشـك الخليفـة أم يفتـي بالحليـة فيمـا عـدا الأختـين ممـا ملكـت الأيمـان، كمـا يشـك أو يفتـي فيمـا ملكـت الأيمـان: أن تحـل الأمهـات والبنـات والأخـوات و... إذا كـنّ ممـا ملكـتهن أيمـان الأولاد والآبـاء والإخـوة، كـل ذلـك سـنادا إلـى آيـة ملـك اليمـين؟! أو أنـه يخـتص الحليـة مـن بـين هـؤلآء بالأختين؟! فأفقه بالخليفة وأسْعِد بالأمة الإسلامية؛ إذ يرأسها هكذا خليفة!

---

١. ملك العلماء في البدايع.

٢. راجع: الآية ٢٣ و٢٤ من سورة النساء.

إن قوله تعالى: ﴿إِلاّ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ﴾ لم يكن ليخصص تحريم الجمع بين الأختين في آيتها، كما لا يخصص التحريم في سائر المحارم؛ لاختلاف الموردين في التحريم والتحليل.

فآية التحريم تحرم كل المحارم نسبيا وسببيا، ورضاعيا في ثنتين من الأختين، ولا تستثني، والآية الثانية، التي هى تلو الأولى ومن تتمتها، تعطي ضابطة عامة لتحريم غيرِ مَن ذُكِرْنَ من النساء في عداد المحرمات. ﴿وَالْمُحْصَنٰاتُ مِنَ النِّسٰاءِ﴾ [النساء: ٢٤]، أي: من غير من ذكرن من المحارم في الأولى.

تعني من المحصنات: الطاهرات الزكيات غير الزانيات ولا متخذات أخدان، لا الحرائر، كما في بعض الآيات، لمكان استثناء ما ملكت الأيمان؛ فهن معنيات بين المحصنات، ولا ذوات الأزواج، كما في آيات اخرى، لضرورة حرمتهن إطلاقا دون اختصاص بالحرائر.

إذاً، فالمحصنات هنا الطاهرات غير المزوَّجات، فلا يحللن إلاّ بسبب شرعي من زواج أو ملك يمين، أشارت إلى الثانية بقوله: ﴿... إِلاّ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ...﴾، وإلى الأولى: ﴿... وَأُحِلَّ لَكُمْ مٰا وَرٰاءَ ذٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوٰالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسٰافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ فِيمٰا تَرٰاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [النساء: ٢٤]

إذاً، فلا مساس بين الآيتين ولا تعارض حتى يشك الخليفة أو يفتي بالحلية! وكما لا خلاف بين المسلمين في حرمة الجمع بين الأختين إطلاقا؛ فأفقه بالخليفة وأكرِمْ به!



بداية عمليات الخليفة: الإصلاحية!

قصر الخليفة: طمارد الزوراء! معتلفه الواسع!

أول ما قام به الخليفة الأموي من عملياته الإصلاحية(!) أن اهتم ببناية معتلف وقصر ملكي كبير على عيون الفقراء العزَّل المحطَّمين، ولقد كان هذا أول ما نقضه من سيرة الشيخين، التي شرطها لقبول الإمرة!

وأول من يعترض عليه هو عبدالرحمن، ذلك الحجر الأساسي لإمرته، لمّا ينظرُ إلى القصر، وإلى ألوان الطعام التي صنعها، قائلاً: «يا ابن عفان! لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك! وإني أستعيذ اللّه من بيعتك». فغضب عثمان وقال: «أخرجه عني يا غلام!»؛ فأخرجوه، وأمر الناس ألا يجالسوه، فلم يكن يأتيه أحد إلّا ابن عباس، كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض، ومرض عبدالرحمن؛ فعاده عثمان فكلمه، ولم يكلمه حتى مات».[1]

وهذا أول حجر يضعه ابن عفان لبناية الملكية الجبارة؛ فيركز قواعد عرش الخلافة على تحطيم النفوس والنفائس والأعراض؛ فيؤسس دولة أموية عنيدة قاضية على شرف الإسلام والإنسانية!

قام ابن عفان بالأمر وقام معه بنوأمية، يخضمون مال اللّه خضم الإبل نبتة الربيع، يأخذون شبعهم بعد الجوع، ويملؤون بطونهم بعد الجفو، كالإبل تستلذ نبتة الربيع بشهوة صادقة، وتملأ منه أحناكها بعد طول مدة الشتاء، ويبست الأرض فيها.

أجل، إن خلافة عثمان هي المرحلة الأولى التي اجتازها بنو أمية لتحقيق مطامعهم، ولقد قنطروه إلى استعادة مجدهم، وأبوسفيان رأس هذه السلسلة، لمّا يشعرُ بعود المجد

---

١. رواه ابن أبي الحديد في نقله قصة الشورى.

للعائلة الأموية وتركيزه من جديد، يمشي بـه الحـق الثـاري المسـتفز إلـى قبـر حمـزة عـم النبي ﷺ وأبي‌طالب ويخاطبه راكلاً له برجليـه: «انهـض، فقـد صـار إلينـا الملـك الـذي حاربتنا عليه»!؛ فاجتمع حوله حينـذاك شـملُهم الشـامل، وأبعـدوه عـن كـل اتصـال مباشـر بالشعب، ومنعوا الناس أن يوصلوا إليه شكاياتهم، وجعلوا لـه بطانـة أمويـة خالصـة، وعلـى رأسها مروان بن الحكم؛ فأحاطت بالخليفة الأموي ـ بدء السلسلة الاموية الملعونـة ــ مَـن على شاكلته، فأصبحت وزارة البلاط لسلطان أمية أمويةً خالصة.

ثم أخذ عثمان بِخَيله ورِجْله يستبدل الولاة والعمال الهاشـميين، الـذين كـانوا مـن عهد الشيخين أولياء أمور الدولة الإسلامية، يستبدلهم بالشباب الأجلاف الفسقة اللئام من بني‌أمية، يـوليهم أمـور المسـلمين، اسـتبدال الخلافـة والولايـة الدينيـة بالخلاعـة اللادينية الاستثمارية الظلماء، يستعوض بذلك بطابع الإسـلام طـابع الدولـة الأمويـة؛ فلقد كان أول الغيث بحرا، وأول النار رمادا ودمارا!

ولقد ظلت عامة الناس، في هذه الحكومة الجبـارة الأرسـتُقراطية، فقـراءَ مهملـين، والهيئة الحاكمة في نعيم مقيم.

لذلك أخذ ينهض التحرريون من الشعب المسلم، مثل أبي‌ذر الغفاري، قائلاً جهاراً، دونما مداهنة أو تقية: «لقد حدثت أعمال ما أعرفها! واللّه، ما هى فـي كتـاب اللّـه ﷺ ولا سنة نبيه ﷺ! واللّه، إني لأرى حقا يطفأ، وباطلاً يحيى، وصدقاً مكذباً، وأثَرةً بغيـر تقىً، يا معشر الأغنياء وأسوأ الفقراء! وبشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونهـا في سبيل اللّه بمكاوٍ من نار، تُكوى بها جباههم وجنـوبهم وظهـورهم! اتخـذتم سـتور الحرير ونضائد الديباج، وألفتم الاضطجاع على الصوف الأذربي، وكان رسول اللّـه ﷺ ينام على الحصير، واختلف عليكم بألوان الطعام، وكان رسـول اللّـه ﷺ لا يشـبع مـن خبز الشعير»!

ولقد بلغ بهذا الصحابي الحر الدِّين كُرهه للأثرة الأموية الداميـة، أن تـرك الحجـاز وذهب إلى الشام؛ لكي لا يرى بعينه إسراف عثمان ومروان في أموال الشعب؛ فإذا بـه

من أمر معاوية ما يهون به لديه أمر الخليفة ومستشاره! رآه مطلق العنان في أموال المسلمين أكثر فأكثر فازداد سخطا وثورة.

فلما بنى معاوية قصر الخضراء في الشام، بعث إليه أبوذر قائلاً: «يا معاوية، إن كانت هذه من مال اللّه فهي الخيانة، وإن كانت من مالِكَ، وأنّى ذلك، فهي الإسراف!»

وأخيرا يؤول أمر أبي‌ذر أن يوكل الخليفة أمر تأديبه إلى معاوية؛ فأخرجه من مجلسه، ونهى الناس عن الاجتماع به وخاطبه قائلاً: «يا عدواللّه! تؤلّب الناس علينا وتصنع ما تصنع، فلو كنت قاتلاً رجلاً من أصحاب محمّدﷺ من غير إذن أمير المؤمنين، لقتلْتُك!» فقال أبوذر: «ما أنا بعدوٍّ للّه ولا لرسوله؛ بل أنت وأبوك عدوّان للّه ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر...» ثم يؤول أمر أبي‌ذر إلى نفيه إلى الربذة وموتِه أو قتلِه فيها!

قطائع خليفة أمية وعطاياه إلى حزبه

الخليفة الأموي ـ بعد أن يوطئَ بني‌أمية رقاب المسلمين ويوليهم الولايات ـ يفتح صناديق بيت مال المسلمين إليهم:

١ ـ يأخذ خمس إفريقية التي افتتحت في أيامه، ويهبه كله لمروان، مشاوره الأول.[١]

٢ ـ يطلب إليه عبدُاللّه بن خلد بن أسيد صلةً؛ فيعطيه أربعمائة ألف درهم.

٣ ـ يعيد الحكم بن العاص ويعطيه مائة ألف درهم، بعد أنّ رسول اللّهﷺ قد سيره ونفاه. ثم لم يردّه لا هوﷺ ولا الشيخان.

٤ ـ يُقطع عثمانُ مهروز ـ موضع سوق بالمدينة ـ الحرثَ بن الحكم أخا مروان، وقد تصدَّقَ به رسولاللّهﷺ على المسلمين.

---

١. العقد الفريد، ج٢، ص٢٦١.

٥ ـ يُقطع فدكَ مروان، وقد كانت تطلبها فاطمة عليها السلام بعد وفات أبيها صلى الله عليه وآله بالميراث والنحلة، وكان حقها دون المسلمين، أو حق المسلمين دون اختصاص بأحد، كما كان يزعمه ابن أبيقحافة، ولقد عدّه ابن قتيبة في المعارف[١] وأبو الفداء في تاريخه[٢] مما نقم الناس على عثمان. ولم تزل فدك في يد مروان وبنيه إلى أن تولّى عمر بن عبدالعزيز؛ فانتزعها من أهله وردّها صدقة.[٣]

٦ ـ يحمي المراعي حول المدنية كلها عن مواشي المسلمين إلّا عن بنيأمية.

٧ ـ يعطي عبداللّه بن أبيسرح جميع ما أفاء اللّه عليه من فتح أفريقية بالمغرب، وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة، من غير أن يشركه فيه أحداً من المسلمين.

٨ ـ يعطي أبا سفيان بن حرب ـ أعدى أعداءِ الإسلام ونبي الإسلام ــ مائتي ألف من بيت المال؛ لأن زوجه هي ابنته أمّأبان، وأخيرا:

جاء زيد بن أرقم ـ صاحب بيت المال ـ بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان باكيا؛ فقال عثمان: «أتبكي أن وصلت رحمي»! قال: «لا، ولكن أبكي لأني أظنك أخذت هذا المال عوضا عما كنت انفقته في سبيل اللّه في حياة رسول اللّه صلى الله عليه وآله! واللّه، لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيرا!» فقال: «ألق المفاتيح، فإنّا سنجد غيرك».

٩ ــ يأتيه أبوموسى بأموال من العراق جليلة، فيقسمها جلالة الملك الأموي كلها في بنيأمية.

١٠ ـ ينكح الحرث بن الحكم ابنته عايشة؛ فيعطيه مائة ألف من بيت المال بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه.[٤]

---

١. المعارف، ص٨٤.

٢. ج١، ص١٦٨.

٣. البيهقي في السنن الكبرى، ج٦، ص٣٠١؛ العقد الفريد، ج٢، ص٢٦١؛ شرح النهج لابن أبي الحديد، ج١، ص٦٧.

٤. هذه العطايا العشر ذكرها ابن أبي الحديد في شرح النهج.

هذه وعشرات كهذه من عطايا خليفة الشورى الملعونة، يعطيها جلالته من بيت المال، كأنها من أمواله الشخصية، وإن كانت كذلك لم يكن الخليفة ليبذلها كهذه البذلة المبتذلة، فكيف ذا والمال مال الله! أموال الشعب الفقير!

وحينما يعترض عليه شركاؤه في الشورى ومنهم الإمامعليه السلام: «ما هذا التبذير في أموال المسلمين ولم يفعله الشيخان؟!» حينذاك ينبثق قائلاً: «إن أبابكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما، وأنا احتسب في إعطاء قرابتي»!

أجل، إن ابن عفان يفتح بين المال على مصراعيه يغدقه على المنافقين ليلتفوا حوله، وأحيانا على الضعفاء الأذلاء ليستمروا معه، لا إليه ولا إلى المناجزة، وهذا هو أسّ البلاء الذي مكَّن الذل من رقاب المسلمين، وسن لهم إلى يوم القيامة الجبن عن نصرة الحق، والتضحية في سبيله، والاستخذاء لدعاة الباطل، والقهقرة بين يديه.

محاكمة عادلة:

أيا خليفة الشورى! أتحتسب عند الله وتتقرب إليه بصلة أرحامك فحسب من أموال المسلمين؟! وهل إن فعلتك هذه إلّا كسارق يقطع الطريق على المسلمين، ثم يصل، بما كسب، أرحامَه؟ أفلا تُقطع يده؟ فكيف تجترئ أنت بهذه الفعلة الغاشمة ثم تستصلحها بهذه الكلمة الخاطئة الفاسقة؟!

أجل، ﴿ثُمَّ كانَ عٰاقِبَةَ الَّذِينَ أَسٰاؤُا السُّواىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيٰاتِ اللهِ وَكانُوا بِهٰا يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ [الروم:١٠

تخلف الخليفة عن سيرة النبي صلى الله عليه وآله والشيخين في دولته

قضيّة الحكم بن أبي العاصي:

الخليفة يؤوي ويكرم طريد الرسولصلى الله عليه وآله ولعينه وعدوه اللدود:

كان الحكم أحد جيرانه ﷺ بمكة، من أولئك الأشداء عليه ﷺ، البالغين في إيذائه شاكلة أبي‌لهب، وكان يجلس عند النبي ﷺ، فإذا تكلم اختلج وغمز النبي ﷺ بإصبعه ويحكيه ويخلج بأنفه وفمه، وإذا صلى قام خلفه، فأشار بأصابعه، لذلك دعا عليه النبي ﷺ قائلاً: «كن كذلك، مختلجا»، فكان كذلك حتى مات، وقال ﷺ: «من عذيري من هذه الوزغة اللعينة، لا يساكنني ولا ولده»؛ ففرّ بهم جميعا إلى الطائف، وقال ﷺ: «عليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين، وما يخرج من صلبه يشرفون في الدنيا ويترذلون في الآخرة».[١]

نرى الخليفة يكرم هذا الطريد لعين الرسول ﷺ، يعطيه صدقات قضاعة البالغة ثلاثمائة ألف درهم، وكان هذا مما أنكر على عثمان.

خليفة المسلمين يكرم هذه الشجرة الملعونة في القرآن وعلى لسان النبي الأقدس ﷺ؛ لأنه عمه، ولأنه يريد أن يتبنى دولة أموية خالصة، قاضية على الإسلام!

يكرمه بعد ما طرده زميلاه أبوبكر وعمر، اتّباعاً للرسول الأعظم ﷺ!

روى هذه من روَى وأخرج ما سبق؛ فلا نعيد ذكرهم.

صحيفة سوداء من نماذج الفوضى في مال اللّه:

هنا نجمل القول عن تفصيل ما أقطعه، ووهبه خليفة أمية لحزبه، لحدٍّ أجهز عليه عمله وكبت به بطنته! وإليكم جدولاً من جداول الفوضى العثمانية في مال اللّه:

---

١. روى وأخرج لذلك كله: البلاذري في الأنساب، ج٥، ص٢٧؛ وسيرة إبن هشام، ج٢، ص٢٥؛ وأخرجه الطبراني من حديث عبدالرحمن بن أبي‌بكر ومالك بن دينار في السيرة الحلبية، ج١، ص٣٣٧ وأسد الغابة، ج٣، ص٣٤؛ وابن حجر في تطهيرالجنان هامش الصواعق، ص١٤٤؛ وبسند رجاله رجال الصحيح عن عبداللّه‌بن عمر، الحاكم في المستدرك، ج٤، ص٤٨١؛ وصححه من طريق عبداللّه بن الزبير، كنز العمال، ج٦، ص٩٠؛ ابن عساكر من طريق محمّدبن كعب القرظي، تفسير القرطبي، ج١٦، ص١٩٧؛ تفسير الزمخشري، ج٣، ص٩٩؛ تفسير ابن كثير، ج٤، ص١٥٩؛ تفسير الرازي، ج٧، ص٤٩١؛ نهاية ابن الأثير، ج٣، ص٢٣؛ تفسير النيسابوري، ج١٣، ص٢٦؛ تفسير النسفي، ج٤، ص١٣٢؛ الصواعق، ص١٨٠، حياة الحيوان للدميري، ج٢، ص٣٩٩؛ تفسير الشوكاني، ج٥، ص٢٠؛ وعشرات غيرها.

الأعلام	الدنانير
مروان بن الحكم	٥٠٠/٠٠٠
ابن أبي سرح	١٠٠/٠٠٠
طلحة	٤٢٠/٠٠٠
عبدالرحمن	٢/٥٦٠/٠٠٠
يعلى بن امية	٥٠٠/٠٠٠
زيد بن ثابت	١٠٠/٠٠٠
إبن أبي وقاص	٢٥٠/٠٠٠
الزبير	٥٩/٨٠٠/٠٠٠

الأعلام	الدنانير
الحكم بن أبي العاص	٣٠٠/٠٠٠
الحارث	٣٠٠/٠٠٠
سعيد	١٠٠/٠٠٠
الوليد	١٠٠/٠٠٠
عبدالله	٩٠٠/٠٠٠
آل الحكم	٢/٠٢٠/٠٠٠



ثورة العامة على خليفة أمية

يقول الإمام عليه السلام بعد الإشارة إلى تلكم التبذيرات في أموال المسلمين: «إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته».

انتكث وانتقض ما فتله طيلةَ حكومته الغاشمة، أن ثار عليه الشعب المسلم يطالبونه بحقوقهم المحطَّمة، وأجهز وأسرع عليه بالقتل، عملُه العارم، وإصراره واستبداده على الجور وسوء التدبير، وأسقطته ـ مكبا على وجهه المظلم ـ بطنتُه، وإسرافه في أكل وإيكال أموال المسلمين.

مقايسة بين خليفة الشورى والشيخين:

كانا في ظاهر الأمر على سنة الرسولﷺ عمليّا وفى الفُتيا إلا ما استبد بـه الأول وأكثـر منه الثاني، وكانا قد يقبلان النصح من الإمامعليه السلام إذا اشار عليهما بالمصـلحة الخاصـة أو العامة، كما سلف يسير من ذلك.

ولكن شيخ أمية ليس ليقبل النصح إلا ويجابهـه بكـل خشـونة وتمنُّـع، ولا يلـين إلا لإدارة أعضاء البلاط الأموي وعلى رأسهم مروان: ذلك المكار الأفاك الفتاك الأثيم.

من ذكريات استبداد لشيخ أمية :

إصطاد أهل الماء حَجَلاً فطبخوه وقدموا إلى عثمان وأصحابه، فأمسـكوا، فقـال عثمـان: «صيد لم نصده ولم نأمر بصيده، اصطاده قوم حِل، فأطعموناه؛ فما به بأس»؛ فقال رجـل: «إن عليا يكره هذا»؛ فبعث إلى عليعليه السلام فجاء، والخليفـة غضـبان ملطـخ يديـه بـالخبط؛ فقال: «إنك لكثير الخلاف علينا»! فقال الإمامعليه السلام: «اذكـروا اللّـه! مـن شـهد النبـيﷺ أتي بعجز حمار وحشي، وهو محرم؟» فقال: «إنا محرمون، فأطعموه أهـل الحِـلّ»، فشـهد اثنا عشر رجلا من الصحابة، ثم قالعليه السلام: «اذكر اللّه رجلا شهد النبـيﷺ، أتـي بخمـس بيضات من بيض النعام، فقال: إنا محرمون فأطعموه أهل الحِل، فشـهد اثنـا عشـر رجـلا من الصحابة، فقام عثمان ودخل فسطاطه وترك الطعام على اهل الماء».[١]

انظر إلى جحيم بطن الخليفة، كيف يغضب من حكم اللّه، إذا خالف بطنـه، وكيـف يجترئ على الإمام الناصح، إذا يدله إلى الحق!

هذا وأشباهه من استبداد شيخ أمية، حتى نأتي على آخر عهده، حينما يثور عليه القشـور المحطمة المظلومة من الشعب العـزّل المسـلم: حينـذاك ــ وقبـل الحادثـة ــ يستسـفرون

---

١. مسند أحمد، صص١٠٠ ـ ١٠٤؛ كتاب الامام للشـافعي، ج٧، ص١٥٧؛ سـنن أبـيداود، ج١، ص٢٩١؛ سـنن البيهقـي، ج٥، ص١٩٤؛ تفسير الطبري، ج٧، صص٤٥ ـ ٤٦، المحلّى لابن حزم، ج٨، ص٢٥٤؛ كنز العمـال، ج٣، ص٥٣؛ نقـلاً عـن أحمـد وأبيداود وابن جرير وقال: «صححه» وعن الطحاوي وأبييعلى والبيهقي، أخرجوه بألفاظ مختلفة منها ما في المتن.

الإمام ﷺ بينهم وبينه ليخرج عن مظالمهم: فيؤدي الإمام السفارة حقها بمواعظ بليغة مع الأدب البالغ، لكي يرجع ويستخلص عن مظالم المسلمين وحقوقهم؛ ولكنه مُصِرٌّ على فِعْلته، لا يتأثر ولا يرتجع!

نصائح الإمام لشيخ أمية ذودا عن الثورة

حينذاك يخاطبه الإمامﷺ قائلاً: «إن الناس ورائي، وقد استفسروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك! ما أعرف شيئا تجهله ولا أدلك على شيء لاتعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وقد رأيتَ كما رأينا، وصحبتَ رسول اللهﷺ كما صحبنا، وما ابن أبيقحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك، وأنت اقرب إلى رسول الله وشيجة رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا. فالله الله في نفسك! فإنك والله ما تُبَصَّر من عمىً، ولا تُعَلَّم من جهل، وإن الطرق لواضحة، وإن أعلام الدين لقائمة».

إن الإمامﷺ في تلكم الكلمات المنيرة، مع تمام الأدب والحرمة لجانب مقام الخلافة، ينصح الخليفة دون أن يبتغي استئثارا عليه، ولا تخجيلاً إياه، قائلاً: «وإنّ الطرق لواضحة»، إشارةً منه إلى أن الذي تناله من فقراء المسلمين، حرمته واضحة المنار، ليس عليها غبار، وعلى ذلك يحمل مثل قولهﷺ: «ما أعرف شيئا تجهله... لتعلم ما نعلم... ما سبقناك إلى شيء...» يعني بذلك: أننا وأنت سواء في علمنا بهذه الحقوق والمظالم، وحرمة ما اقترفته من الآثام في حكومتك.

لا أنه ـ وحاشاه ـ يريد تسويته مع ابن عفان في العلوم التي استأثر بها! كيف، والأمة مجمعة على أنه أعلم وأفضل منهم أجمع، وقد يشهد لذلك اعترافات الشيخين، وشيخ أمية نفسه، ومَن اليهم! وقد أسلفنا طرفا يسيرا منها.

ثم خاطبه حينذاك قائلاً: «فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُدي وهَدى، فأقام سنة معلومة، وأمات بدعة مجهولة، وإن السنن لنيرة لها أعلام، وإن

البدع لظاهرة لها أعلام، وإن شر الناس عند اللّه إمام جائر ضل وضُلَّ به؛ فأمات سنة مأخوذة، وأحيى بدعة متروكة، وإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، يُلقى في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحى، ثم يرتبط في قعرها. يقال: يقتل في هذه الأُمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمورها عليها، ويثبت الفتن فيها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يموجون فيها موجا، ويمرجون فيها مرجا، فلا تكونن لمروان سيِّقةً يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضّي العمر»!!

فقال له عثمان: «كلّم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج اليهم من مظالمهم»، فقال الإمام: عليه السلام «ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه».[١]

فلقد ترون نصائح الإمام الشافية لعثمان الطاغية، يذكّره بما يعلم من وجوب العدل والنصفة في الرعية، ويحذّره عما لا يجهله من غضب اللّه سبحانه وانقلاب القشور المظلومة المتراكمة أن يقتلوه؛ فينفتح باب القتال في هذه الأمة المرحومة!

ولكن الخليفة لم يكن ليسمع النصح فأجهز عليه عمله!

وأخرج ابن السمان من طريق عطاء أن عثمان دعا عليا عليه السلام فقال: «يا أباالحسن، إنك لو شئت لاستقامت علي هذه الأمة؛ فلم يخالفني أحد»، فقال علي عليه السلام: «لو كانت لي أموال الدنيا وزخرفها، ما استطعت أن ادفع عنك وأكف الناس؛ ولكني سأدلُّك على أمر، هو أفضل مما سألتَني: تعمل بعمل أخويك أبيبكر وعمر، وأنا لك بالناس لا يخالفك أحد».[٢]



١. نهج البلاغة، عبده، الكلام، ١٦٤، ج ٢، ص ٦٨.

٢. الرياض النضرة، ج٢، ص١٢٩.

الإمام لا يثور ولا يثير للخلافة

نظرية الإمام في الثورة والقتل:

ومهما حدث من أمر فالإمام لم يكن ليرضى قتله حينذاك، كما لم يرض أثرته في أموال المسلمين، قائلاً: «ولو أَمَرتُ به: ـ قتل عثمان ـ لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصرا، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير مني. وأنا جامع لكم أمره: استأثر فأساءَ الأَثَرَة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع».[١]

فلقد ترون الإمام لا يرى مقتل عثمان رغم طغيانه؛ حيث كان هناك طريق آخر في دفع مظالمه إذا لم يرض بالعدل، وهو عزْله عن الخلافة، لا أن يقتلوه فينفتح بذلك باب الفتنة؛ ولقد استفاد معاوية الطاغية من مقتله مجالاً واسعا في محارباته على الإمامعليه السلام وما إلى ذلك من سوء الآثار المشؤومة.

أجل، إن الإمام ليس ممن ينتقم من الخليفة مهما بلغ عليه الظلم حين خلافته، صيانةً للمسلمين، واستبقاءً للأمن، وذوداً عن الاضطراب، قائلاً: «... فوالله لأسلِّمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليَّ خاصة ...».[٢]

علي والخلفاء!!!

كيف يصنع الإمام مع الخلفاء في خلافتهم؟

ذلك رأى الإمام في حكومة الإسلام، ولعمري إن هذه هي التضحية التامة في سبيل الحق، أن يقعد زعيم الأمة عن التسلط على عرش الحكم، الذي تتسابق إليه الرغبات،

---

١. نهج البلاغة، عبده، الكلام: ٣٠، ج ١، ص ٧٦.

٢. نفس المصدر، الخطبة: ٧٤، ج ١، ص ١٢٤.

وتمُدُّ إليه الأعناق، وتفنى دونه النفائس والنفوس، وتهتك له الأعراض وتُسلب الأموال.

يقعد الإمام عن ذلك، ما لم يكن جور إلا عليه خاصة، لا على الرعية والشعب. ولقد بلغ من حنانه للثلاثة الغاصبين حقه، أن سمى ثلاثة من أبنائه بأسمائهم مقابلةَ السوء بالحسن،[١] والقسوة بالرحمة، وأعانهم طيلة ربع قرن أيام خلافتهم برأيه وعلمه، وسياسته العادلة الصالحة، دونما خديعة وشكيمة، ولا عملية تخريبية على إمرتهم، رعاية للإصلاح رغمَ ما يرى من حقه مغصوبا.

ولم يؤثر عنه ضربة هدامة قوليا ولا عمليا على الخلفاء، يقلِّب بها أمورهم ويثير الشعوب عليهم، أللهم إلا بعد أيامهم، إيقاظا للمسلمين فيما مضى عليهم من هذه الحكومات الجاهلة الجائرة، وحملاً لهم على الحكم العدل، لكي لا يستنُّوا بسنن هؤلاء الخلفاء، احتسابا لها سنة الإسلام!

أجل، إن الإمام عليه السلام لا يهدف في أموره إلا صالح الإسلام والمسلمين، دون رعاية لحقوقه الشخصية، لذلك يسير مع سير الخلافة الإسلامية حثيثا، مرشدا مصلحا داعيا إلى الحق رويدا.

طرف من علل قعوده عليه السلام عن الأخذ بحقه المنصوص:

إن الإمام لم يكن ليقعد عن الأخذ بحقه، لضعف في ذلك يعتوره، كيف، وهو القائل: «واللّه، لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها...»![٢] والقائل: «إني واللّه، لو لقيتهم واحدا وهم طِلاع الأرض كلها، ما باليت ولا استوحشت؛ وإني من ضلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه، لعلَى

١. تلميح إلى قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون، ٩٦] و أيضاً: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ [الفصلت، ٣٤]. (م)

٢. نفس المصدر، الكتاب: ٤٥، ج ٣، ص ٧٣.

بصيرة من نفسي، ويقين من ربي؛ وإني إلى لقاء اللّه لمشتاق، وإلى حسن ثوابه لمنتظر راج».

أم كيف يتوانى عن مناضلة الثلاثة وأضرابهم، وهو مَن نعرفه من القوة والشجاعة التي يرعش بها جثمان الشجعان الأقوياء، وترعد بها فرائص أُسْد غابات الجدال والنضال!

أجل، إن الإمام يقعد عن قوة ويسكت عن قدرة، ولماذا؟

لئلا ينتقض حصن الوحدة في المسلمين، وكي لا يرتدوا كفارا لحداثة عهدهم بالإسلام؛ فإذا رأوا خلافا بعد ارتحال الرسولﷺ بادئ البدء، بادروا إلى الرجعة على الجاهلية الأولى.

هذا وذياك لِمَن في المسلمين من المنافقين ومِن السذج ضعفاء الإيمان، ومن الذين نال الإمام من نفوس ذويهم وأقربائهم في مختلف الحروب مع المشركين.

فثارت ألوان الضغائن على الإمامعليه السلام من جانب، وحيل شورى السقيفة من آخر، وجهل الأكثرية الهامة وهَوانُهم عن تناصر الحق من ثالث، واستثقالهم صميم الحق علَى عواتقهم طيلة حياة الرسول الأعظم محمدﷺ من رابع؛ فاستراحوا عنه إلى شوب الباطل!

فتعاضدت هذه وأمثالها من العلل العليلة؛ حتى أقعدت الإمام ومنعته عن حقه؛ فصبر وفى العين قذى، وفى الحلق شجًى، يرى تراثه نهبا، صبر على طول المدة وشدة المحنة، فطار إذ طاروا، وأسفَّ إذ اسفّوا؛ حتى إذا ثارت الأمة جمعاء على شيخ أمية يقتلونه، ويخاطبون الإمامعليه السلام: «لا نجد غيرك يا علي! ولا نرضى إلا بك...»!!!



انقلاب الثوار

تقضّي خلافة الزور بأيدي الانقلاب:

الخليفتان الأوَّلان جلسا على عرش الحكم، دونما نص أو صلاحية لهما في نظر الدين، اتكالاً على رأي الشورى التي نعرفها أو استبداد رأي! ومنطق الشورى في انتصاب الأول أن الرسول الأعظمﷺ لم يعين خليفة من بعده، ولا بد للمسلمين من زعيم، افتراءً على الرسولﷺ بإهماله الأمةَ حيارى ـ وحاشاه! ـ فضلاً عن استبداد الثاني.

وقد استمر أمر الإسلام ظاهريا في خلافة الأوّلَين، فبينا الثاني أخذ يوطّد أركان الدولة الإسلامية على أنقاض عروش كسرى وقيصر، فإذا ثالثهم أخذ تآمرا ثانيا، وهو على الإسلام نفسه، فقد خالف في خلافته الكتاب والسنة وسيرة الأوّلين؛ حتى قضت عليه أيدي الانقلاب الاسلامي الكبير.

مقتل عثمان:

فلما جاءته وفود الأمصار، تشكو إليه عمالَه واستبدادهم وركوبهم الأهواء، راجين أن ينصفهم بعض الإنصاف الذي كان بعهد الأوّلين؛ فوعدهم خيرا في ظاهر الأمر، وبطن لهم حيلة القضاء على قادة الوفود؛ فلما كانوا في بعض الطريق إلى ديارهم ضبطوا كتابا من مروان بن الحكم يأمر به العمالَ بقتل زعماء الوفود ساعةَ يصلون!

فارتدّوا حينذاك إلى المدينة، وطلبوا من عثمان مُشيرَه الأوّل، هذا الكذاب الأشر ـ طلبوا إليه ـ أن يسلمهم مروان؛ فأبى وأصرّوا، وأصرّ ألا يجيب لهم طلبا، واشتد سخطهم وزادت بهم النقمة، حتى إضطر الخليفة إلى ملازمة داره أربعين يوما!

وعلـيّ بـن أبـيطالـبﷺ يسـعى طيلـة هـذه الأيـام أن يحسـم مـادة الخـلاف بطريقــة صــالحة، يقرهــا المنطــق الصــحيح؛ فقــال لــه: «إن النــاس ورائــي...» ذلك النصح البالغ السالف؛ فلم ينفعه إلا عنادا وإصرارا!

ثم قوِي جانب الوفود الانقلابيين، حتى انضم اليهم خلق كثير مـن العاصـمة ومـن غيرها وحاصروا قصر الخلافة بكل ضراوة وشراسة.

فلما تعاظم الخطـر علـى مـن فـي الـدار، تخلَّـى عـن الخليفـة حتـى أبنـاءُ عائلتـه الأمويين، الذين كانوا هم السبب الرئيسى فيما صار إليه أمره وأمـر المسـلمين، فـآثروا أن يهربوا خفية إلى الشام، حيث ينتظرهم نسيبهم معاوية، عامل الخليفة عليها.

وبقي الحسنانﷺ على رأس القـوم، الـذين يلازمـون أبـواب دار الخلافـة؛ لعلهـم يمنعون عن الخليفة الأذى وسوء المصير حتى يخرج من مظالم الناس!

ولقد طال الحصار على الخليفة أربعين يوما، والثائرون يتكاثرون يومـا فيومـاً؛ إلـى ان تسلَّقوا سور الدار وفتكوا به.

«ولقد بقي بعد مقتله مطروحا في خندق اليهود إلى ثلاثـة أيـام لا يصـلَّى عليـه»[١] ولا يستحل أحد دفنه، ولا يقدم أحد على ذلك خوفا من المهـاجرين والأنصـار؛ حتـى نهبته بنوأمية ودفنوه.

ويقال: كان في هذه الثلاثة مطروحا في مزبلة اليهود حتى أكلـت الكـلاب إحـدى رجليه؛ فاستأذنوا علياﷺ فأذن في دفنه، «ودفن في حش كوكب، وهـي مقبـرة، كانـت لليهود بالمدينة، فلما تولَّى معاوية وصلها بمقابر أهل الإسلام»[٢]!

ولـم يحضـر دفنَـه المحظـورَ مـن ناحيـة المسـلمين إلا أربعـةٌ مـن حزبـه لـيلاً علـى تخـوُّف مـنهم. فعـن عثمـان بـن محمـد الأخنسـي عـن أم حكيمـة قالـت:

١. أخرجه أبوعمر في الاستيعاب من طريـق مالـك ومحـب الـدين الطبـري فـي الريـاض عـن الخجنـدي، وذكـره الصفدي، في تمام المتون ٧٩ عن مالك، واليعقوبي.

٢. أخرجه الطبري من طريق أبيبشير العابدي.

«كنت مع الأربعة الذين دفنوا عثمان بن عفان: جبير، حكيم، أبوجهم، نيار الأسلمي؛ وحملوه على باب واسع قرع رأسه على الباب، كأنه دباة، ويقول: دب دب؛ حتى جاؤوا به حش كوكب؛ فدُفِن به، ثم هُدم عليه الجدار وصلي عليه هناك».[1]

ولم يَستبح المسلمون قتل الخليفة ومهانته هكذا بعد قتله، ومنعَه عن أن يصَلَّى عليه ويُغسل ويدفن ــ لم يفعلوا ذلك كله بالخليفة ــ إلا لأنهم رأوه خارجا عن الإسلام أو لا أقل مفسدا في الأرض حتى يستباح دمه! وهل هنا وجه آخر، أن المسلمين أجمعين فسقوا بما فعلوا، بمن فيهم من الصحابة الكرام والتابعين والذائدين عن حوزة الإسلام؟!



١. طبقات ابن سعد طليدن، ج٣، ص٥٥؛ انساب البلاذري، صص٨٣ و ٨٦ و ٩٩؛ الامامة والسياسة، ج١، ص٤٠؛ تاريخ الطبري، ج٥، صص١٤٣ــ ١٤٤؛ تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٥٣؛ الإستيعاب، ج٢، صص٤٧٨ ـ ٤٧٩؛ صفة الصفوة، ج١، ص١١٧؛ الكامل لابن الأثير، ج٣، ص٧٦؛ الرياض النضرة، ج٢، صص١٣١ــ ١٣٢؛ معجم البلدان، ج٣، ص٢٨١؛ شرح ابن أبي الحديد، ج١، ص١٦٨؛ تاريخ ابن كثير، ج٧، صص١٩٠ــ ١٩١؛ حياة الحيوان للدميري، ج١، ص٥٤؛ وفاء الوفاء للسمهودي، ج٢، ص٩٩؛ السيرة الحلبية، ج٢، ص٨٥؛ تاريخ الخميس، ج٢، ص٢٦٥.

تعاضد النص والرأي العام في خلافة الإمامعليه السلام

يقول عليه السلام حينذاك: «... فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إليّ، ينثالون علَيّ؛ حتى لقد وطئ الحسنان، وشق عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم...».[١]

الطامة الكبرى والثورة الانقلابية العظمى يحتِّم على الإمام قبول الخلافة، ولكن هل يُقبِل الإمامعليه السلام إلى الخلافة فيَقبلها دون شرط؟ وهل كان ينتظر الجلوس على عرشها، يعدد لذلك الآنات، ويتحين الفرص؟ كلاّ...!

الثائرون لا يرون حينذاك للشورى معنى ولا حاجة؛ حيث افتعالات الشورى الدامية والسقيفة الخاطئة فعلت ما فعلت، وقلّبت الأمور كما قلبت!

آنذاك قام المسلمون عن نومتهم التي طالت طيلة ربع قرن بعد أن ذاقوا وبال أمرهم؛ فقضوا على الآراء المستبدة الجبارة، وثاروا، وأخذوا أزمة الأمور بأيديهم، يلحُّون على الإمام قبول البيعة؛ فللانقلاب حساب غير ما تنتظمه الأفكار الجهنمية من الساسة الشياطين، فقارن حينذاك النص والرأي العام في تأمير الأمير عليه أفضل الصلوات والسلام.

ولكن هيهات أن يقبل الإمام البيعة وهيهات...!

أنّى، وهو ليس ممن يريد الخلافة إرادةً بالذات، إلا أن يقيم به حقا أو يبطل باطلاً؛ فيبتغي بها مرضاة الله، ولا يهواها للتأمر والحكم، والالتذاذ بالمقام والرعونة والجاه، والانتفاع من فوائدها وعوائدها وتشطُّر ضرعيها!

ومن ذكريات ذلك من ذي قبل:

١. نهج البلاغة عبده، الخطبة: ٣، ص٣٥ ـ ٣٦.

١ ـ يقرأ الرسول الأعظمﷺ قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ...﴾[النمل: ٦٢] وعليٌّ؏ يسمع، فارتعد واضطرب، ينتفض انتفاض العصفور؛ فضرب النبيﷺ على كتفيه وقال: «ما لك يا علي؟! ما شأنك تجزع؟!» فقال: «وما لي لا أجزع والله يقول: إنه يجعلنا خلفاء الأرض»؛ فقالﷺ: «لا تجزع! والله، لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا كافر»![1]

أجل، إن الإمام ـ علي طهارته وعصمته وسداده ـ حينما يسمع أمر الخلافة يجزع، استثقالاً لما يمليه عليه فرض الخلافة، إلا بعصمة من الله، وعظة لمن يتهالك فيها ويتكلف شتى الوسائل للتآمر على الناس دون صلاحية، كمثل ابن الخطاب الذي كان حاضرا عنده حينذاك، ومن يحذو حذوه من المتآمرين.

٢ ـ يقول حبر الأمّة ابن عباس: «دخلت على أمير المؤمنين علي؏ بذي قار، وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ قلت: لا قيمة لها، فقال؏: والله، لهي أحب إلي من إمرتكم هذه، إلا أن أقيم به حقا أو أبطل باطلاً».

فليكن نعله؛ المخصوف ـ الذي لا يسوى درهما ولا فلساً، لكثرة الرُّقع فيها، حتى صارت كانها رقع كلها ـ هذا أحب إليه من إمرة المسلمين، حيث يمشي بنعله نحو مقاصده ومراميه، ويتقي بها أن يصيب رجله إصابة. ولكنه ماذا يصنع بالخلافة، إذا لم يتمكن أن يُقَنطرها نحو أهدافه المقدسة من إحقاق الحق وإزهاق الباطل؟! وليس هو ممن يستدر بها على نفسه وأهليه، كمثل خليفة أمية: ابن عفان، أو أن يلتذ بها وهميا، كمثل الشيخين وأضرابهم.

فإذاً، لا يريد الخلافة إرادة بالذات، لا... إلا أن يقنطرها إلى الحق؛ فلو سلم الحق وهو من أهون الرعايا، لكان ذلك أهنأ إليه ألّا يسلم، وهو القائد الأول.

---

١. رواه الطوسي في أماليه ص ٤٧، وفي إرشاد المفيد، ص٥١؛ بالإسناد عن عمران بن حصين قال: «كنت أنا وعمر بن الخطاب جالسين عند النبيﷺ وعليٌّ جالس إلى جنبه...».

أجل، إن نظرية الإمام في الخلافة إيجابيا وسلبيا تختلف عن نظرات الآخرين القائلين: «إنما نريد الخلافة للخلافة، والملك عقيم»، الذين يستحلون كل دمار وبوار وكل عصيان حتى الكفر، للوصول إلى الخلافة، ثم يبيحون كل محظور لاستبقائها فيهم، وفي نسلهم، ومن يَهْوُونه لذلك.

يستبيحون القضاء على كل من لا يلين لسلطاتهم الجبارة الكافرة، زجّاً في السجون ونفياً وقتلاً وإنْ كان من المؤمنين الأبرار، أو من القادة الروحيين الأحرار، أو الأئمة المعصومين الأطهار!

فلا يرون في العالم، بمن فيه وما فيه، إلا أشخاصهم وشخصياتهم، وإلا ما ينتفعون به لتركيز قواعد عروشهم؛ فما أولئك من وُلد آدم، إنْ هم إلا أذناب الشياطين!!!

... نرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لا يتهالك في البيعة منذ ارتحال الرسول صلى الله عليه وآله، رغم أنه كان المنتصَب حينذاك رسولياً بأمر اللّه، وإنما يلقي الحجج: أنه أحق بالامر، ولمكان الوصية.

فقد روى ابن سعد:[1] أن العباس قال لعلي عليه السلام: «امدد يدك أبايعك؛ يبايعك الناس، فلا يختلف عليك اثنان»؛[2] فقال عليه السلام: «لنا بجهاز رسول اللّه صلى الله عليه وآله شغل».[3]

وأصْبِرْ به وأكرِمْ! كيف لا يمد يده احتراما لرسول اللّه صلى الله عليه وآله، وتطبيقا لوصيته صلى الله عليه وآله: «أنك بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإن أتاك هؤلآء القوم، فسلموا لك الأمر، فاقبله منهم».[4]

١. في الطبقات (٢:٣٨).

٢. الطبقات، ج٢، ص٣٨؛ مروج الذهب، ج٢، ص٢٠٠؛ تاريخ الذهبي، ج١، ص٣٢٩؛ ضحى الإسلام، ج٣، ص٢٩١؛ الإمامة والسياسة، ج١، ص٤؛ الطبري، ج٣، ص٢٩٤؛ العقد الفريد، ج٣، ص٧٤.

٣. ابن أبي‌الحديد، ج١، ص١٣١؛ عن كتاب السقيفة.

٤. أسد الغابة، ج٤، ص٤١.

إنه لا يأتي الناس الا إذا أتوه وبايعوه ـ لا رغبةً عن وصية الرسـول ﷺ؛ بـل رغبـة عن أن يقال: «إن عليا يتهالك من أجل الإمرة» ولأن الناس كـانوا يسـتثقلون إمرتـه؛ اذ كان علَى مُرِّ الحق، والناس لا يريدون الا أضرابهم! ذلك بأن اللّه لم يك مغيرا مـا بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.



أنى يريد الخلافة وقد ...!

ثم الإمام عليه السلام أنى يريد ويقبل الخلافة، وقد أصيبت بشـتى الجـوارف الهدامـة فـي زمـن الثلاثة؛ فأصبحت على شفا جرف هار؛ فانهـارت بهـا الثـورة القاضـية إلـى نيـران غضـب الشعوب الثائرين؛ فأحرقتها!

أنّى؛ وقد رُضِّي جثمانها تحت أقدام ظلمة غاشمين، أظلة الشياطين!

أنّى؛ وقد تشطرت الخلفاء ضرعيها ودمَّرتها، وقضت عليها إلى أن تصـورت بصـورة الغيلان، يُخاف عنها ويُفر منها!

أنّى، وقد حرفت وبدلت ألوان الأمّة الإسلامية عن صبغة اللّه إلى ألوان مائلـة عـن الحق، طوال ربع قرن بعد ارتحال الرسول الأعظم ﷺ؟!

أنّى، وقد ابتدعت البدع وضُيّعت السنن، وحُرِّفت عن جهات أشـراعها؟! حوّلهـا عـن مراكزها الثالثُ: خليفةُ أمية، يـدر عليهـا القطـايع والأرزاق، يـروِّي بـذلك أعـراق هـذه الشجرة الملعونة تقويةً لها.

هذه التي كانت تتحين الفرص للقضاء على الإسلام ونبيّ الإسلام؛ فارتجعت أمـور الأمة الإسلامية حينذاك إلى أسوأ وأظلم وأطغى مما قبـل الإسـلام؛ فأصـبحت قيـادة الأمة أصعب مما بدأ بها الرسول الأعظم ﷺ!

أنّى؟! وهو يريد ليحمل الناس على صميم الحق، وهم قد أنسوا بما يرونه قبله من استبدال الخلافة بالسلطنة الكسروية والقيصرية؛ حيث يبني شيخ أمية قصوراً سبعة بمدينة الرسول، داراً لنائلة وداراً وقصراً وقصوراً وقصوراً، لنفسه وذويه، ومروان: مشيره الأول ـ يبني القصور ـ بذي خشب ويفعل ما يريد!!

... بعد ذا وذياك، تدق الخلافة باب الإمام، وليس لها رمق، يضطرب في سكراتها، ولا للأمة إلا رهق، تلتعب في هفواتها وتلهو عما يراد بها!

تدق بابه وتتشبّث، وهي في رمقها الأخير من الحياة! فماذا يصنع الإمام، هذا الطبيب الدوار بطبه، بمريض هو في قبضة الموت، وعلى رأسه قتلة جبارون من العنصر الأموي؟ أيأخذ في إصلاح ما أفسدته الثلاثة في الغابر، أم يهم بقطع أيادي الجبارين وضرباتهم الهدامة على الدين والدينين، في الحاضر؟ أو هل يبدأ بالقضاء على البِدَع الجبارة السالفة والموجوده، أو يحمل الأمة على كتاب اللّه وسنة نبيه؟!

ثم هل يتحمل أوضار الخلافة وأوزارها هذه، دون راحة ولا انتفاع ولا التذاذ، وجهادا دائما وتضحية في شتى ألوانها ومراحلها؟!

أو يترك الأمة بلا راع يرعاهم، أو قائد يقودهم، يتركهم سدىً، ويذرهم فيما هم فيه يعمهون، وفى عيهم وغيهم يترددون؟!

فحينذاك لم يبق للخلافة العادلة لأميرالمؤمنين إلا تضحية في سبيل الحق ونجاة الأمة؛ فهو يريد بقبض يده عنها إصرار الشعب عليها؛ حتى يدلهم على عدم ميله اليها ورغبته فيها.

يريد ليرشدهم إلى أن حكومته لا تنحرف عن صميم الحق ولو قيد شعرة، ولو استغلت به الغوائل وقضت عليه بالفناء والدمار؛ ولكنهم لا يتحملون محض الحق إلا بشوب الباطل.

هامة البيعة الانقلابية

يقول الإمام في وصف بيعته:

١ ـ «وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثـم تـداككتم علـيَّ تـداكَّ الإبـل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى انقطعت النعل، وسقط الـرداء، ووطـئ الضـعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج اليها الكبير، وتحامـل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب».[١]

٢ ـ «فأقبلتم إلي إقبال العوذ المطافيل على أولادها، تقولون: البيعة البيعة، قبضـت يدي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فحاذبتموها».[٢]

٣ ـ «فما راعني إلا انثيال الناس حـولي، كعـرف الضـبع، ينثـالون علـيَّ؛ حتـى لقـد وطئ الحسنان، وشُقَّ عطفاي، مجتمعين حولي، كربيضة الغنم».[٣]

أجل، إن الإمام ليس ممـن يمـد يـده حمـلاً للشـعب علـى بيعتـه، وإنْ كـان حقـه المنصوص، ولا من الـذين يبسـطون بأيـدي عاديـة طاغيـة علـى رؤوس كـل مـن لا يبايعهم على الإمرة الجبارة، ولا ممن يحتال في الوصول إلى هذه البغية بشتى الحيل الإبليسية ومختلف ألوان المكيدة التي يسمونها بالسياسة الوقتية.

كيف! وهو لا يكاد يقبلها وقد تداكت عليه الأمة ــ علـى عطشـها مـن ريٍّ الحيـاة العادلة ـ تداكَّ الإبل الهيم على حياضها، وأقبلت عليه إقبال العوذ المطافيـل بهيمانهـا وحبها البالغ علـى أولادهـا؛ حتـى سـقطت فـي هـذه الحركـة الانقلابيـة الجماهيريـة أرديتهم، ووطـئ الضـعفاء تحـت الأقـدام، وانقطعـت النعـال؛ حتـى لقـد واللّـه، وطـئ

١. نهج البلاغة، عبده، الكلام: ٢٢٩، ج ٢، ص ٢٢٢.

٢. نفس المصدر، الكلام: ١٣٦، ج ٢، ص ٢٠.

٣. من خطبة الشقشقية.

الحسنان، وشق عطفا الإمام من وفر هجمة الثائرين للبيعة، كأنهم من كثرة زحامهم عرف الضبع، كشعر عنق الضبع في الوفرة والكثرة. اجتمعوا حوله، اجتماع الغنم الهارب من الذئاب، حول راعيها العطوف الرحيم.

أجل، إنه كان يحق للأمة هذا الإقبال البالغ! كيف لا، وقد بقيت عطشى من حياة الأمن والإيمان والرَّوح والرضوان، تفترسها الذئاب الضارية وتحطِّمها وترضُّها الحكومات الزائفة! وذلك طيلة ربع قرن... وما مقالته حينذاك الا أن:

٤ ـ «دعوني والتمسلوا غيري؛ فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول. وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت! واعلموا إن أجَبْتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل، وعَتْب العاتب. وإنْ تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً».[1]

«دعوني والتمسوا غيري»!

إن الإمام في خطابه هذا، يخالف الخلفاء في تحرُّجه عند البيعة واستقالته منها؛ فإن كل من تقمَّص الخلافةَ قد اعتملوا لها، واحتالوا اليها، وحرصوا عليها، قبل أن يتحرجوا فيها ويستقيلوا منها! فإن الإمام رفض الخلافة يوم الشورى دون إلحاح في ابتغائها؛ حيث علم أنه لا يكون بها حراً، وبين يديه عثمان يتهالك عليها. الإمام ليعلم أنه إن رفضها، قبلها عثمان بلا منازع أو منافسة.

يقول ابن أبي قحافة بعد جلوسه على عرش الخلافة: «أقيلوني...» وذلك بعد أن تم له الأمر، عِلْماً منه أنه لا يقبلها زميله إن رفضها هو، والإمامعليه السلام يقول: «دعوني»! وهو يعلم أنه إن رفضها، تلقَّفها غيره تلقُّف الكُرَة.

١. نفس المصدر، الكلام: ٩٢، ج١، ص ١٨٢.

وأما عمر فانه لم يقلها؛ لأنه تولّى الخلافة بالنص من خليفة الشورى، لا بالانتخاب، ولأنه يأمن منافسة الإمامعليه السلام، قبلها عثمان على الشرط، وبالرغم من الشرط فإنه خالف في خلافته كتاب اللّه وسنة الرسولصلى الله عليه وآله وكذا سيرة الشيخين.

ومهما يكن من شيءٍ، فالإمام يذكر الظروف الهائلة في خلافته وما هو فاعله، قائلاً: إن آفاق الأمة الإسلامية قد أغامتها غيم الظُلْم والظُلَم، فأزالت عنها قيَم العدل، وأن المحجة الواضحة، التي أتى بها الرسول الأعظم،صلى الله عليه وآله أصبحت متنكرة، بما تدخلت فيها من البدع والأهواء، وأنا أستقبل في الإمرة أمرا له وجوه وألوان، لا تقوم له هذه القلوب المقلوبة الدخيلة، ولا تثبت عليه ذياك العقول المدخولة، وإني لا أقوم في الإمرة إلا بالحق الذي أراني اللّه، دون إصغاءٍ لقول قائل، أو عتب عاتب، كيفما بلغ به المقام، وطالت له الأيام؛ فالأمة حينذاك لا تصلح لخلافتي أنا! لذلك كله دعوني وما أنا فيه، والتمسوا للخلافة غيري؛ فإن تركتموني فأنا كأحدكم، وأسمع وأطوع لمن تولونه أمركم، إن كان على جادة الحق.[1]

حينذاك أنا لكم وزيراً لِمن تولونه، انصره في الحق وأدلّه إلى الرشاد، وألزمه على المحجة، خيرٌ مني لكم أميرا؛ إذ لا تقوم القلوب لإمارتي، ولا تثبت عليها العقول.

إن الإمام،عليه السلام ذلك الطبيب الدوار بطبه، يريد ليداوي الأمة؛ ولكنه يطالبهم ألا يتدخلوا، ويحملوا عليه آراؤهم وآواؤهم، بأن يطيعوه ويسلموا له الخيرة في الأمور إطلاقا، كما خلفه الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله بولاية الأمر إطلاقا، دونما شريطة، إلا ما هو ركيزة نفسه المقدسة من تطبيق الكتاب والسنة النبوية على الشعب في شتى ظروفه.

فكما أن اللّه سبحانه وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وليحكم بين الناس بما أراه اللّه، ولا يكون للخائنين خصيما، كذلك ممثله الوحيد، الإمامُ أمير المؤمنينعليه السلام على سواء، لا

---

١. هذه الشرطية مستفادة من قولهعليه السلام: «لعلي أسمعكم»؛ إذ لم يحتِّم السمع والطاعة على نفسه إلا بكلمة الترجي، و«لعلي» إشارة منه إلى أمرين: أحدهما، أن يولوا عدلاً وثانيهما، أنه يسمع له ـ إذا ـ ويطيعه أكثر من غيره.

يختلف عن الرسول ﷺ إلا بالنبوَّة، يريد ليحكم بين الناس بما يريه اللّه تعالى، لا ما يراه هو نفسه ويهواه الشعب، حيث يرون ما لا يحق ولا يصلح، ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ...﴾ [المؤمنون: ٧١]

عقد الخلافة المنيرة العلوية:

إن الإمام ليرى أن الامة لا يصلحها مهما جهدت وألبَّت إلا قيادته؛ فقبلها على كُرهٍ من الخلافة كراهيةً بالذات قائلاً: «إني إلى لقاء اللّه وإلى حسن ثوابه لمنتظر راج؛ ولكنني آسى أن يلي هذه الأمة سفهاؤها وفجارها؛ فيتخذوا مال اللّه دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حربا، والفاسقين حزبا؛ فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام، وجلد حدا في الإسلام، وإنّ منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ، فلولا ذلك، ما أكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم، ولتركتكم إذا أبيتم وونيتم».[1]

«.. اما والذي فلق الحبة، وبرئ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ اللّه على العلماء، أنْ لا يقارّوا على كِظة ظالم ولا سَغَب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز».[2]

أجل، إن الإمام لا يأسى أنه لم يَلِ أمر الأمة، وإنما يأسى أن يلي أمرها سفهاؤها وفجارها، تسوقها إلى سبيل الجهالة وطريق المتاهة سفها، وتقودها إلى وَقود الجحيم وسعيرها ـ الذي سجره جباره لغضبه ـ فجورا.

---

١. نهج البلاغة، عبده، الكتاب ٦٢، ص ١٢٠.

٢. نهج البلاغة، عبده، تتمة الخطبة الشقشقية، صص ٣٦ ـ ٣٧.

الخليفة عمر يشرب الخمر!

فمِن هؤلآء مَن شرب الخمر بعد ما تُليت عليه آيات التحريم؛ فلم يقنع والتمس زيادة البيان، مثل: ابن الخطاب.

فعن عمر أنه ـ لما نزل تحريم الخمر ـ قال: «أللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا؛ فإنها تُذهب المال والعقل»، فنزلت الآية: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمٰا إِثْمٌ كَبِيرٌ...﴾ [البقرة، ٢١٩]؛ فدعى عمر، فقرئت عليه، فقال: «أللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا» فنزلت الاية: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارىٰ...﴾؛ [النساء، ٤٣] فكان منادي الرسول ﷺ، إذا أقيمت الصلاة، ينادي أنْ لا يقربنَّ الصلوة سكارى؛ فدعي عمر وبيدَ أنّ الآية قرئت عليه، فقال: «أللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا»! فنزلت آية المائدة: ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصٰابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* إِنَّمٰا يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدٰاوَةَ وَالْبَغْضٰاءَ فى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾؛ [المائدة، ٩٠ ـ ٩١] فدعي عمر، فقرئت عليه، فلما بلغ: ﴿فهل أنتم منتهون﴾، قال عمر: «إنتهينا! إنتهينا!»[١]

وفي رواية اخرى «يشربها ــ أي: الخمرَ ــ عمرُ قبل الآية الأخيرة؛ فأخذ بلحى بعير، وشجَّ به رأس عبدالرحمن بن عوف، ثم قعد ينوح على قتلى بدر! فبلغ ذلك رسولاللّه ﷺ؛ فخرج مغضبا يجرّ رداءه، فرفع شيئاً كان في يده، فضربه به؛ فقال: أعوذ باللّه من غضبه وغضب رسوله؛ فأنزل اللّه

١. أخرجه أبوداود في سنة، ج٢، ص١٢٨؛ واحمد في المسند، ج١، ص٥٣؛ والنسائي في السنن، ج٨، ص٢٨٧؛ والطبري في تاريخه، ج٧، ص٢٢؛ والبيهقي في سننه، ج٨، ص٢٨٥؛ والجصاص في أحكام القرآن، ج٢، ص٢٤٥؛ والحاكم في المستدرك، ج٢، ص٢٧٨؛ و ج٤، ص١٤٣؛ وصححه وأقره الذهبي في تلخيصه، والقرطبي في تفسيره، ج٥، ص٢٠٠؛ وابن كثير في تفسيره، ج١، ص٢٥٥؛ وج ٢، ص٥٠٠؛ نقلا عن أحمد وأبيداود والترمذي، والنسائي وابن أبيحاتم وابن مردويه وعلي بن المديني في إسناد صالح صحيح، وفي تيسير الوصول، ج١، ص١٢٤؛ وتفسير الخازن، ج١، ص٥١٣؛ وتفسير الرازي، ج٣، ص٤٥٨؛ وفتح الباري، ج٨، ص٢٢٥؛ والدر المنثور ١: ٢٥٢، والضياء المقدسي في المختارة، والحاكم في المستدرك، ج٤، ص١٤٣؛ والترمذي في صحيحه، ج٢، ص١٧٦؛ من طريق عمروبن شرحبيل، والآلوسي في روح المعاني، ج٧، ص١٥.

تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ... فَهَلْ أَنتُمْ مُنتَهُونَ﴾ [المائدة، ٩١]، فقال عمر: انتهينا! انتهينا!»[1]

أجل، إن الخليفة لا تكفيه آية البقرة: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، رغم أن اللّه تعالى حرّم الاثم قائلاً: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ [الاعراف، ٣٣] ورغم أن الرسول صلى الله عليه وآله نهى عنها، لمّا نزلت آية البقرة، كما عن عائشة،[2] هنا لا يكفيه بيان اللّه تعالى وبيان الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله؛ فيسأل في الخمر بيانا شافيا! ولا تكفيه آية النساء: ﴿... لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ...﴾، رغم أن الرسول صلى الله عليه وآله قرأها عليه كحجة ثانية؛ حتى تنزل آية المائدة!

ولم يكن ذلك لجهله أو تجاهله الحرمة المنصوصة في آياتها، بل لحبه الشديد لها وكونه أشرب الناس في الجاهلية![3]

لذلك كلِّه، نرى النبي صلى الله عليه وآله يخصّ عمر بالدعوة لاستماع آيات الخمر؛ لأنه ما كان ليتركها ولو رددت عليه قوارع النهى في آيات اللّه البينات، فأخيراً، عندما قُرِئت عليه آية المائدة قال: «انتهينا انتهينا...»؛ ولكنه رغم ذلك لم ينته عن شرب النبيذ الشديد وكان يقول: «إني رجل معجار البطن أو مسعار البطن، وأشرب هذا النبيذ الشديد؛ فيسهل بطني»![4]

... كان الخليفة يشربه طوال حياته إلى آخر نفس كما عن عمرو بن ميمون: «شهدتُ عمر، حين طُعِن، أتِيَ بنبيذ؛ فشربه»![5]

---

١. في لفظ الزمخشري في ربيع الابرار وشهاب الدين الابشيهي في المستطرف، ج٢، ص٢٩١.
٢. أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه، ج٨، ص٣٥٨؛ وحكاه عنه في الدر المنثور، ج١، ص٢٥٢.
٣. كما أخرجه ابن هشام في سيرته، ج١، ص٣٦٨؛ والبيهقي في السنن الكبرى، ج١٠، ص٢١٤.
٤. أخرجه وما في معناه إبن أبيشيبة كما في كنز العمال، ج٣، ص١٠٩؛ وجامع مسانيد أبيحنيفة،ج٢، ص١٩٠ ـ ٢١٥.
٥. تاريخ الطبري، ج٦، ص١٥٦.

ذلك رغم أنه كان يَحدُّ من يشربه كما عن الشعبي: «شرب أعرابي من اداوة عمر؛ فأغشِيَ؛ فحده عمر، ثم قال: وإنما حده للسكر لا للشرب»![١] رغم أن النبيذ محرم بالضرورة كما عن النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ ما أسكر كثيرُه، فقليلهُ حرام».[٢]

ومن هؤلآء من لم يُسْلم حتى رضخت له وأعطِيت على إسلامه العطايا، كعمرو بن العاص، المشير الأول لمعاوية الطاغية؛ فإنه لم يسلم حتى طلب من النبي صلى الله عليه وآله عطاءً، فلمّا أعطاه أسلم، ومنهم... ومنهم...

ولولا هذه النكبات فيمن تولَّى أمر الأمّة الإسلامية، ما أكثرتُ تأليبكم وتحريضكم عليهم وتنفيركم عنهم ولتركتكم على ما أنتم فيه، إذا سلم دينكم وإمرتكم عن خلاف الحق والعدل.

أجل، إن مقالة الإمام في الإمرة كهذه: فواللّه لأسلِّمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن جور إلا عليَّ خاصةً.

ولكن الإمام يرى نفسه المقدسة أمام مسؤولية خطيرة، وقد يرى الناس حوله، كربيضة الغنم، خوفا من الذئاب، وقد تداكُّوا عليه تداكَّ الإبل الهيم التماساً لماء الحياة، والإمام عليه السلام، ذلك الأسد الضرغام، وذياك البحر القمقام، يرى ترك الغنم بين الذئاب تفترسها، والعطاش في الفلوات، تموت عطشا؛ ليرى ذلك في مذهبه ظلما، والقيام بالخلاص فرضاً عليه، عدلاً، وإنْ كان في القيام بخلاص الهلكى تعبٌ بالغٌ وتكلفٌ زائدٌ!

أجل، إن صميم الأمر في القيادة العادلة، لا سيما في أمة متشتتة كهذه، ليست إلا التضحية في سبيل الحق بالنفس والنفيس، دونما راحة أو فائدة وعائدة شخصية، وإن

---

١. أخرجه وما في معناه العقد الفريد، ج٣، ص٣١٦؛ والجصاص في احكام القرآن، ج٢، ص٥٦٥؛ وحاشية سنن البيهقي لابن التركماني، ج٨، ص٣٠٦؛ وكنز العمال، ج٣، ص١١٠؛ والقاضي أبو يوسف في كتاب الآثار، ص٢٦٦؛ من طريق أبي‌حنيفة عن ابراهيم أبي عمران الكوفي التابعي.

٢. أخرجه الدارمي في سننه، ج٢، ص١١٣؛ والنسائي في سننه، ج٨، ص٣٠١؛ والبيهقي في سننه، ج٨، ص٢٩٦؛ وأبوداود في سننه، ج٢، ص١٢٩؛ وأحمد في مسنده، ج٢، ص١٦٧؛ والترمذي في صحيحه، ج١، ص٣٤٢؛ وإبن ماجه في سننه، ج٢، ص٣٣٢؛ والبغوي في مصابيح السنة، ج٢، ص٦٧؛ والخطيب في تأريخه، ج٣، ص٣٢٧؛ وإبن الأثير في جامع الاصول كما في التيسير، ج٢، ص١٧٣؛ وعشرات أمثالهم.

انتظار قبول الناس وإقبالهم بالتعظيم والتكريم، وتقبيل الأيدي والأرجل، انتظار لا توافقه طبيعة الحال، وليست حالة مَن هذه نظرته إلا كسابح خلافَ السيل الجارف، وهو يرجو أن يمشي معه السيل سيرا حثيثا رفيقا؛ فلا يحتاج إلى تكلف السباحة المُتعبة، أو يتمنى الخلاص القاطع وهو هاجم ضد مسيره... كلاّ!

وإنما المؤمن في هذه الحياة الدنيا المظلمة، كلما ازداد إيمانه وإحساسه للمسؤولية ــ أمام الخالق والمخلوق ـ ازدادت نقماته، لمكان الأمواج الهامة الهدّامة من الأكثرية ضد الإيمان عمليا وعقائديا؛ فكيف بمن يريد قيادة أمة كبيرة، قيادةً عادلةً في صميم الحق!

فالإمام إنما تروِّعه وتضطره إلى قبول الأمر هذه المسؤوليةُ الهامةُ؛ فلولا حضور الحاضر من هؤلآء الثائرين المضطهَدين للبيعة، وحضور الوقت الذي وقَّته الرسولﷺ للقيام بالإمرة؛ ولولا قيام هذه الحجة بوجود الناصر في إمرته، بالرغم من المنافقين، ولولا ما أخذ اللّه على العلماء ألا يقارّوا، ولا يتراضوا ويسكتوا على بطنة ظالم، يأكل الأموال ويهتك الأعراض ويهدر النفوس، ظالم قوي في ظلمه وجوره؛ وألّا يصبروا على شَغَب مظلوم، على جوعه وتعبه، ورضِّه تحت نير الذل والجور... لولا ذلك وذياك، لألقيتُ حبل هذه الناقة على عاتقها، ترعى حيث شاءت، ولتركتُ الخلافة يأخذ بزمامها من أراد، ولسقيت آخر هذه الأمة بما سُقِيَتْ أوّلُها من كأس مملوءة الزقوم، وشِرْبُها السموم، ولَتركتُها تشرب من كأس الحيرة والضلالة، متعسّفةً طريق المتاهة، وهم في سكرتهم يعمهون، ولألفيتم دنياكم هذه، أهونَ عندي من عفطة عنز.

هذه ظروف خلافة الإمام القلقة! فحينذاك يقوم بالأمر لِتلكم الجهاتِ، دون أن يرغب فيه رغبةً بالذات، محتسبا عند اللّه عناءه، يبتغي بذلك مرضاة ربه وخلاص الأمة، وهو أعرف الناس بما يجري في خلافته وكيف يجب عليه أن يعمل، وكما يقول بما بويع: «ذمتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم، إن من صرحت له العِبَر عما بين يديه من المثلات، حجزته التقوى عن تقحُّم الشبهات. ألا وأن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث اللّه نبيكمﷺ؛ والذي بعثه بالحق، لَتبَلْبِلُنَّ بَلْبَلَةً ولَتُغَرْبِلُنَّ غَرْبَلَةً

ولَتُسَلِّطُنَّ سوط القدر؛ حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقنَّ سابقون كانوا قصَّروا، وليقصِّرنَّ سَبَّاقون كانوا سبقوا! والله ما كتمت وشمة [كلمة] ولا كذبت كذبة، ولقد نُبِّئْتُ بهذا المقام وهذا اليوم! ألا وإن الخطايا خيل شمس خمل عليها أهلها وخلعت لجمها؛ فتقحمت بهم في النار! ألا وإن التقوى مطايا ذلل، عليها أهلها، وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة. حقٌ وباطلٌ ولكلٍّ أهلٌ، فلئن أمر الباطلُ، لقديما فعل، ولئن قَلَّ الحق فلربما ولعل، ولقلما أدبر شيء فأقبل».[1]

دولة الإسلام في حكم مهرجان الإمام عليه السلام في أرجاء أرض الوطن الإسلامي الكبير تلو الرأي العام على بيعته بالخلافة؟!

حينما يلين الإمام لقبول الخلافة كما يُمليها عليه الواجب الديني، عندئذٍ يصف سرور المسلمين بأجمعهم لقبوله الخلافة، قائلاً: «... وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب».[2]

أجل، إن المسلمين يبتهجون ببيعة الإمام من صغيرهم وكبيرهم، وصحيحهم وعليلهم، ورجالهم ونسائهم؛ فقد «ابتهج بها الصغير» وكان رمزا إلى أمرين: أحدهما، ما بلغ به الظلم والهرج في الأيام الخالية زمن الثالث، إلى أن اضطرب بها حتى الصغار! وثانيهما، ما سطع به عدل الإمام، ولما يأخذ زمام الخلافة، أن عرفه الصبيان! فأكْرِمْ به وأحْسِن!

«وهدج اليها الكبير» مشياً في ارتعاش، لشدة الرغبة؛ حيث لا يمشي الكبير الهرم إلا إلى ما يضطر إليه من ضروراته الحيوية.

---

١. نهج البلاغة، عبده، الكلام ١٦: (ومن كلام له عليه السلام لما بويع بالمدينة)، ص ٤٦ ـ ٤٨.

٢. نهج البلاغة، عبده، الكلام ٢٢٩ (ومن كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة)، ص ٢٢٢.

«وتحامل نحوها العليل» على علّته تعبانا حَرِجا، لا يدرك علته في جنب العلل التي شاهدها في الغابر، وطلايعِ الصحة والشفاء التي يرجوها في الحاضر، تحامل عليها تحامُلَ الأصحاء الأقوياء.

«وحسرت إلى بيعته الكعاب» عن الأردية للإسراع إلى البيعة، أو حسرت اليها، وكشفت عن وجهها، وخرجت عن خدرها الشابات، متجهات إلى البيعة، بلا استيحاءٍ في حسرها، لشدة الرغبة، والحرص على إتمام الأمر لأمير المؤمنين عليه أفضل الصلوة والسلام.

فكأنما يسيل إليه سيل الجمع والجماعة دونما خيرة إلا اختيار بيعة الإمام عليه السلام، لايحسون هرما ولا ضعفا ولا علة، بل ولا النساء حسرا، لا لعدم اهتمامهن بالحجاب، بل لكثرة الشغف نحو الهدف، كمثل أم، ترى ولده ساقطا في البئر، وهي على السطح؛ فهي تسقط نفسها من السطح رغبةً في تخليص مهجة قلبها وثمرة فؤادها؛ فلا تهم وتغم عن كسر رجلها أو شيء من بدنها، دون خلاص ولدها.

كذلك ترى هذه الأمة المضطهَدة المحطَّمة المرضوضة برضاض البلايا والمحن. ترى شفاءً حاضراً، ودواءً حاسما لأدوائها؛ فلا يهمها نحو البيعة ما تصطدم أو تتعب، ولا الشابات ألّا تأخذ بستارتها؛ حيث تنحو حينذاك نحو ستار الرحمة والحجاب عن كل نقمة.

مهرجان ومهرجانات

فأجْمِلْ وأحسِن بذياك المهرجان! الذي ينشأ من أعماق القلوب، ويبدو في المقال والفعال، في إطلاق الرغبة والاختيار، دونما جبر واضطرار.

ثم فكِّر في: هل إن هذا المهرجان يقاس بالمهرجانات التي تتخذها الظلمة المستبدون المسيطرون على الشعوب، بقوة السيف والنار والترغيب والترهيب والغيلة والحيلة؟

إن هؤلآء الفراعنة الجبارين، كما سيطروا على الناس بالظلم والزور، كذلك همَّ المسيطرون عليهم فيما يهوونه، فقد يتخذون المهرجانات الكبيرة، بالرغم من عزاء الشعوب في حكومتهم! يتخذونها في كل مناسبة سنويا، لذكرى يوم جلوسهم على عرش الحكم، أو ميلادهم، أو غلبهم على الثائرين عليهم من الأحرار الأبرار، الذين لا يكادون يصبرون على الظلم والزور، وما إلى ذلك من مظالمهم الغابرة!

إنهم يتخذون تلك المهرجانات ويكلفون فيها من أموال الشعب المظلومين، دونما حد أو نهاية، ويضطرونهم باتخاذها في أنديتهم وأسواقهم بذات أيديهم، وأن يتكلفوا فيها، ولو بالاستدانة!

و انهم ليدعون، في هذه المهرجانات المشؤومة الخاطئة، من الراقصات واللاعبات والمغنيات، من شتى ألوان الملاهي والمناهي والمنكرات، فيعلنون فيها ويُبدون الخلاعة والاستهتار وألوان الفجور اللادينية واللاإنسانية، كما في زمن الشاه عليه لعنة اللّه.

فما أقبحهم بَدْءاً وعوداً! وما أظلمهم أخذا في القيادة وفي ذكرياتها الملعونة!

فهذه مهرجانات... ومهرجان الحكومة العلوية مهرجان!

أجل، إنّ الحكومة العلوية عيدٌ للشعوب الأحرار حينما قام بالأمر، وإنّ ذكراها عيدٌ لجميع الأجيال حتى نهاية العالم؛ والحكومة الأموية وما إليها عزاءٌ وخِزْيٌ ودمار وبوار، يحق أن تُتَّخذ لها التعازي، والمآتم المتواصلة!

ولا يزال المسلمون في تلكم المآتم حتى يسفر صبح العدالة الإنسانية بصميمها في دولة المهدي القائم عليه السلام أو يسفر أحيانا على ضوء التضحيات من الحركيين التحرريين الأبرار؛ فإنه: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلاّ مَا سَعىٰ﴾

النجم. ٣٩

عود على بدء في بداية الحكم العلوي العادل:

ومن مقالاته في قيامه بالأمر:

«فقمت بالأمر حين فشلوا، وتطلَّعت حين تقبّعوا، ونطقت حين تعتعوا، ومضيت بنور اللّه حين وقفوا. وكنت أخفضهم صوتا، وأعلاهم فوتا. فَطرت بعنانها، واستبددت برهانها، كالجبل لا تحركه القواصف، ولا تزيله العواصف. لم يكن لأحد فيَّ مهمز، ولا لقائل فيَّ مغمز. الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه. رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله أمره...».[1]



طليعة الدولة الإسلامية

يقوم زعيم هذه الدولة الغراء، حينما شلَّت أركان الحكومة والأمة، وتفسخت أوصالها، حينما ضعفت رجالها عن القيام بحقها، وإقامة الدين بصميمه في مرماها، خيفةً من استبداد الحكومة، كما نفت أباذرها، ورضّت جثمان آخرين، رغم قيامهم في مجابهة الظلم!

تتطلع هذه الشمس المنيرة وتطلع حينما تقبع واختبأ الحاكم والمحكوم: تقبّع الشيخان تحت ستار التراب واختبَآ وخمل ذكرهما إلا بغير الصواب، وتقبَّع شيخ أمية بالثورة القاضية، واختبأت الأمة برجالاتها الحاضرين عن القيام بالقيادة عجزا وقصورا.

وينطق ذياك الناطق بصميم الحق والصواب، حين تمتنع متكلموا الأمة في أمور العامة عن الكلام، وتخرَّس عن التدخُّل في هذا الأمر الهام.

---

١. نهج البلاغة، عبده، الخطبة ٣٧، (ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة) ص ٨٨.

ويمشي ويمضي بنور اللّه الذي حباه لإيمانه وشدة وطأته وانصهاره فـي ذات اللّـه؛ فيسير بالأمة إلى الصواب، حين وقفوا عن الحراك لظلام ذلك الجو، وعمى السائرين؛ حيث الآفاق أغامت، والمحجة قد تنكرت!

يمضي ويمشي بالأمة رُوَيداً، سيرا سريعا إلى مسيرة المقدس. من ذا؟ من كان قبل ذاك أخفضَ الأمةِ صـوتاً، دونمـا جهـر بـالخلاف علـى مغتصـبي الخلافـة أو تحـرُّض للقضاء عليهم، ودونما أية غوغاء وضوضاء أو جزع، طيلة ربع قـرن، وهـو أعلـى الأمـة فوتا؛ حيث لم يفُتْ من الأمة، في هذه الأيـام المظلمـة، مـا فـات الإمـام مـن خلافتـه مقاماً، ومن فدك فاطمة مالاً ومِن... ومِن... !

أجل، يقوم بالأمر حينذاك متطلعاً ناطقاً ماضياً بنور اللّه، يطير بجناحَيِ العلـم والإيمـان، بالخلافة، دونما أية وقفة أو فتور؛ يسير بها سيرا زائـدا نحـو الإصـلاح، يجبـر بـه الوقفـات، والرجعات السوداء الغـابرة، ويسـتبدّ ويسـتقل برهـان الخلافـة فـي شـتى ميـادين رهانهـا؛ فيؤسس حكومة عادلة لم تك تعدوا الخيال، تلـك المدينـة الفاضـلة، التـي لا تماثلهـا أيـة دولة في القرون الخالية والآتية، إلا دولة المهدي الثاني عشر من العترة الهادية عليهم السلام.

أجل، يستبد ذلك الحاكم المغوار بالحكومة العادلة، استبداد ربـه ورسـوله بهـا، بمـا أراه اللّه، كالجبل الراسخ لا تحرّكه القواصف ولا تزيله العواصف!

ذاك وذياك الطامات الكبرى في تلك الحكومة العادلـة، التـي قلّبـت الأمـور ظهـراً لبطنٍ، تُصلحها وتُرجعها إلى ما بدأت به في الحكومة المحمديـة صلى الله عليه وآله، ولـم يكـن فـي ذلك القائد العدل لأحد مهمز ووقيعة، يعيبه بها، ولا مغمز!

برامج الحكومة للعزيز والضعيف:

فلا عزة ولا قوة في هذه الدولة العادلة الا للحق، ولا ذلـة ولا ضـعف الا للباطـل؛ اذ لا يحكم فيها حاكم الأثرة الظالمة، ولا استئثار فيها بالأموال والسلاح والجبـروت والسـيف والنار؛ وإنمـا الحـاكم فيهـا هواللّـه بعدلـه وفضـله وقضـائه الصـالح، يمثلـه الإمـام فـي

دولته عليه السلام تمثيلاً ثانيا بعد الرسول صلى الله عليه وآله؛ فعجوزة مقعدة دميمة، وهي بين الحياة والموت، لا مال لها ولا جمال، ولا أهل ولا أية قوة أو ناصر وعاذر، وقد غُصِب حقها وظُلمت في شيء يسير من مالها... هذه المرأة عزيزة قوية في حكم الإمام حتى يأخذ بحقها! في حين أن رجلاً شجاعا قويا مليا من المال والأهل والعشيرة، وهو في حظيرة القدرة والجبروت، وقد أخذ شيئا من حق تلك العجوزة؛ ذلك الجبار ذليل ضعيف في حكومة الإمام عليه السلام حتى يأخذ الحق منه.

«... رضينا عن اللّه قضاءه وسلمنا للّه أمره ...».

فلا ترضى هذه الحكومة إلا قضاء اللّه، ولا تسلم إلا لأمره، مهما بلغت به الأمور؛ حتى تستسلم لأمر ربه مجيبة دعوته إلى جواره.

الظلم في مذهب الإمام كفر والانظلام هوان وتقوية للكفر!

ومن ذكريات ذلك:

١ ـ يقول للحسن والحسين عليهما السلام حينما يوصيهما بوصية الهامة:

«وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً».[١]

... خذوا على يد الظالم السفيه بكل قدرة؛ حيث إنّ مقاومة الظالم حق مشروع للناس، وخلّصوا المظلومين الضعفاء عن أيدي هؤلآء الظلمة الطغاة؛ إذ لا يقدرون على التخلص، دونما عون ونصير.

٢ ـ يقول لممثل الحكومة في بعض الأقطار الإسلامية:

«استعمل العدل واحذر العسف والحيف؛ فإن العسْف يعود بالجلاء، والحيف يدعو إلى السيف»![٢]

---

١. نفس المصدر، الكتاب: ٤٧، ص ٧٦ (م)

٢. نفس المصدر، الحكمة: ٤٧٦، ص ١٠٩ (م)

يعني الإمامعليه السلام هنا وهناك: النزوعَ بالمظلومين إلى القتـال لإنقـاذ أنفسـهم، ومِـن هذا الباب قولهعليه السلام مخاطبا من وقع عليهم الظلم وظُلموا ساكتين:

٣ ـ «ألا تسخطون وتنقمون أن يُتـولّى علـيكم السـفهاء الظـالمون؛ فتُعَمُّـوا بالـذل وتقروا بالخسف، ويكون نصيبكم الخسران!؟»

وكذلك يقرر مثل هذا الحق في أقوال أُخر كالتالية:

٤ ـ «ألا إن لكل دم ثائرا ولكل حق طالبا...».[١]

٥ ـ «ردوا الحجر من حيث جاء؛ فإن الشر لا يدفعه إلا الشر»![٢]

وهذه كناية عن مقابلة الشر بالشر، ما لم ينفع الحِلم إلا ازدياد قوةٍ وجـرأةً للظـالم؛ فمن يستسلم للظالم، وهو يقدر على الأخذ بحقه منه، فقد ترك حقـا شخصـيا، ونعمـة أنعمها ربه عليه، هي تقويته على الأخذ بحقه.

وضيّع حقا ثانيا جماعيـا؛ حيـث قـوى الظـالم بانظلامـه علـى ظلـم غيـره، فليَجْبَـه المظلوم الظالم بما في إمكانه، ولو بلفظة قول، أو تظُلّمٍ عند من يرجو عونه ونصـرته، أو بفضيحة الظالم جهارا، ويقول اللّه تعالى: ﴿لاَ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَـوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ...﴾ [النساء: ١٤٨]

٦ ـ «الوفاء لاهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله».[٣]

٧ ـ «من قضى حق من لا يقضي حقه فقد عبده».[٤]

٨ ـ «... فمكنتم الظلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزمتكم، وأسلمتم أمور الله فـي أيديهم. يعملون في الشبهات، ويسيرون في الشهوات. وأيم الله، لو فرقوكم تحت كـل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم».[١]

---

١. نفس المصدر، الخطبة: ١٠٥، ص٢٠١.

٢. نفس المصدر، الحكمة: ٣١٤، ص٧٤.

٣. نفس المصدر، الحكمة: ٢٥٩، ص٥٧.

٤. نفس المصدر، الحكمة: ١٦٤، ص٤١.

٩ ـ «لئن أُمهل الظالم فلن يفوت أُخذه».[٢]

... أجل، إن الإمام يؤمن بحق المظلوم بقتال الظالم والقضاء عليه؛ حتى ولو تفرق الظالمون في أرجاء الأرض، ويمعن في ايقاظ حمية المظلوم وإنقاذ نخوته للدفاع عن حقه، بهذه المقالات المنيرة.

إن مذهب علي عليه السلام ألّا يصبر المظلوم على كِظَّة الظالم؛ فإن هذا ايضا ظلم من ناحية أخرى من المظلوم، هي تقوية الظالم، وتشجيعه على تخليده، والإكثار من ظلمه، وهذا معنى:

١٠ ــ «الظالم والمظلوم كلاهما في النار... القاتل والمقتول كلاهما في النار...». إن الإمام عليه السلام يمكّن فكرة مقاومة الظلم في النفوس تمكينا شديدا؛ إذ يجاوب في الناس روح الجزع من المصير، إذا هم فشلوا في دفع الظلم ومقاومة الجور، قائلاً:

١١ ـ «بقية السيف أبقى عددا وأكثرهم ولدا».[٣]

يعني بذلك: أن الذين يقاومون الظلم بحقهم فيُقتل أكثرهم، يكون الباقون منهم شرفاء، ويعيشون في كرامة أنفسهم وحفظ حقوقهم؛ فإذاً بعددهم أبقى وبأولادهم أكثر، بخلاف الأذلآء الذين يُظلمون فيرضون بالظلم والذل والهوان؛ فإنّ مصيرهم إلى المحو والفناء جميعا، بل هم بَدَدٌ على بقائهم، وأموات على حياتهم؛ فليست الحياة في الذل حياة الأحرار...

وعلى أية حال، فإن مقال الإمام في كل حال:

١٢ ـ «لنا حق فإن أعطيناه، وإلا، ركبنا أعجاز الابل، وإن طال السرى».[٤]

---

١. نفس المصدر، الخطبة: ١٠٦، ص ٢٠٥.

٢. نفس المصدر، الخطبة: ٩٥، ص ١٨٦.

٣. نهج البلاغة، عبده، الحكمة: ٨٤، ج ٤، ص١٩.

٤. نفس المصدر، الحكمة: ٢٢، ج ٤، ص ٦.

ثم يُوغل في هذا المعنى؛ فيجعل مقاومة الظلـم فرضـا علـى النـاس، لا حقـاً لهـم يجوز لهم تركه، قائلاً:

١٣ ـ «العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به شركاء ثلاثة».

١٤ ـ «رحم الله إمرءاً ... أو رأى جورا فرده ...».

أجل، إن حياة الإمام وحكومته كلها سلسـلةُ معـاركَ فـي سـبيل نجـاة المظلـومين والمستضعفين، وانتصار دائم للشعب، دون من يريدونه إنتاجا لهم، وحـرزا مـن السـادة الأقوياء، ورثة الأمجاد الجاهلية!!!

وبدايةُ الأمر ونهايته في هذه الحكومة أنها: ملجأ المظلومين!

ومن ذكرياته قول الإمام عليه السلام:

«... ارفعوا إليَّ مظالمكم...».[١]

«يوم المظلوم على الظالم أشدُّ من يوم الظالم على المظلوم».[٢]

«يوم العدل على الظالم أشد من الجور على المظلوم».[٣]

«... وظلم الضعيف أفحش الظلم...».[٤]

«... ولا تَظلم كما لا تحب أن تُظلم...».[٥]

«... واللّه، لئن أُبيت على حَسَك السعدان مسهَّداً[٦] وأُجَـرُّ فـي الأغـلال مصـفَّداً،[١] أحـب إلي من أن ألقى اللّه ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، وغاصبا لشـيء مـن الحطـام! وكيف أظلم أحداً لنفس، يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها...».[٢]

---

١. موسوعة الإمام علي بن أبي‌طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، الباب: المراقبة لدفع مظالم الجنود، الحـديث: ١٦٣٦، ج٥، ص ١٩٥.

٢. نهج البلاغة، عبده، الحكمة:٢٤١، ج٤، ص ٥٣.

٣. نفس المصدر، الحكمة:٣٤١، ج ٤، ص ٨٠.

٤. نفس المصدر، الرسالة: ٣١: ومن وصية له للحسن بن علي عليهما السلام، ج٣، ص٥٢.

٥. نفس المصدر، ج٣، ص ٤٥.

٦. الحسك: الشوك، والسعدان: نبت ترعاه الإبل له شوك، والمسهَّد: المسهر.

ضرورة إنقاذ المظلومين

لقد استعان المستعمرون بعملائهم في بلادنا الإسلامية من أجل تنفيذ مآربهم الاقتصادية الجائرة، ونتج عن ذلك وجود الملايين من الجياع يفتقدون أبسط الوسائل الصحية والثقافية، وجاه أقلية ذات ثراء ونهمة وفساد عريض، والجياع من الناس في كفاح مستمر بُغيةَ تحسين أوضاعهم، وتخليص أنفسهم من وطأة جور حكامهم المعتدين، إلا أن الأقليات الحاكمة، وأجهزتها الحكومية هي الأخرى، تسعى إلى إخماد هذا الكفاح؛ ولكننا مكلفون بإنقاذ المحرومين المظلومين، وعلماءُ الإسلام مكلفون بمناضلة الظالمين والقضاء عليهم.

معونة الظالمين!..

ولقد بلغت معونة الظالم في المعاصي حدّاً لا يدانيه شيء، وقد يقرر الإسلام أن عون الظالم ظلم، ليس في ظلمه فحسب، بل إنّ عونه في شيء من أمره ظلم، وإنْ كان مباحا أو راجحا ذاتيا؛ بل ومن بنَى لظالم مسجدا، أو لاق له دواةً، أو شاركه ولو في أية طاعة!! لماذا؟

لكي لا يكسب الظالم بذلك وجاهة زائدة لدى الجماعات، ويتستر بما يختلس من حقوق الشعب وأموالهم، يُلقي بذلك سدلاً على جوره، ويتمثل بمثال الأتقياء الدينين!

لذلك إن الإسلام لا يبيح التولي عن الجائر، إلا فيما ليس له وجاهة وتقوية، وإنما يهدف في التولي عنه نصرة المظلومين، والقضاء على الظالمين؛ ولا يسمح نصرة الظالم والدخول في جمعه، وإن كان فيما يندب إليه الإسلام.

---

١. مصفدا: مقيداً.

٢. نفس المصدر، الكلام، ٢٢٤، ج ٢، صص ٢١٦ ـ ٢١٧.

فالظالم إذا بنـى مسـجدا، أو أقـام مأتمـا دينيـا، أو حـج بيـت اللّـه الحـرام، أو نشـر المصحف الشريف، أو فعل أمثال ذي وذياك، حينذاك ليس لمسلم حرٍّ، أن يدخل فـي مأتمه، أو يحج معه البيت، أو يأخذ مصحفه.

... فالشريعة المقدسة الإسلامية إنما يستهدف، بهذه الأنظمة العادلة، القضـاءَ علـى الظلم والظالمين، ومجابهتهم بكل قوة وقدرة، كي لا يتقوّوا ويكثروا؛ فيـدمِّروا الـبلاد بمن عليها، ويأكلوا الرعية بما لَها...!

الإمام يعادي الظلم أشد العداء؛ لأنه... ولأنه ذاقه أكثر من كل أحد!

أقوى الأقوياء وأشد المظلومين:

بينا الإمام عليه السلام، بين بَدْئه وعوده، عونٌ للمظلومين وهو عدوٌ للظـالمين، فـإذاً يصـبح أشـدَّ المظلومين، ومن ذكرياته ما يقول عليه السلام:

١ـ «ما رأيت منذ بعث اللّه محمدا رخاءً ـ فالحمد للّه ـ ولقد خفت صغيرا، وجاهـدت كبيرا، أقاتل المشركين، وأعادي المنافقين حتى قـبض اللّـه نبيـه صلى الله عليه وآله؛ فكانـت الطامـة الكبرى، فلم أزل محاذرا وجِلاً، أخاف أن يكون ما لا يسعني فيه المقام، فلم أرَ بحمـد اللّه إلا خيراً حتى مات عمر، فكانت أشياءٌ، ففعل اللّه مـا شـاء، ثـم أصـيب فـلان، فمـا زلت بعد فيما ترون دائبا، أضرب بسيفي صبيا حتى كنت شيخا»![1]

٢ ـ قال عليه السلام: «ما زلت مظلوما منذ كنت!» قيل له عليه السلام: «عرفنـا ظلمـك فـي كبـرك، فمـا ظلمك في صغرك»؟ فذكر: «أن عقيلاً كان به رمد فكان لا يَذُرُّهما حتى يبدؤوا بي».[2]

يُظلم في صغره ويظلم في كبره! يظلمـه الخلفـاء ومنـاوئوه، لا فحسـب، بـل ويظلمـه رعيته أيضا، وكما يقول عليه السلام: «.. أمَا والذى نفسي بيده، ليظهرن هؤلآء القوم علـيكم؛ لـيس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقي»![1]

١. بحارالانوار، ج ٢٨، ص ٦٧ (الناشر: مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان) (م)

٢. مناقب آل أبي‌طالب في حديث عمروبن حريث.

٣ ـــ ويقـــول: «لـــوددت والله، أن معاويـــة صـــارفني بكـــم صـــرف الـــدينار بالـدرهم فأخـذ منـي عشـرة مـنكم وأعطـاني رجـلا مـنهم. يـا أهـل الكوفـة منيـت بكـم بـثلاث واثنتـين؛ صـم ذوو أسـماع، ولقـد أصـبحت الأمـم تخـاف ظلـم رعاتهـا، وأصـبحت أخـاف ظلـم رعيتـي! أسـتنفركم للجهـاد فلـم تنفـروا، وأسمعتكم فلـم تسـمعوا، ودعـوتكم سـرا وجهـرا فلـم تسـتجيبوا، ونصـحت لكـم فلـم تقبلـوا، أشـهود كغُيّـاب وعبيـد كأربـاب؟! أتلـو علـيكم الحِكَـم فتنفـرون منهـا، وأعظكـم بالموعظـة البالغـة فتتفرقـون عنهـا، وأحـثُّكم علـى جهـاد أهـل البغـي؛ فمـا آتـي علـى آخـر القـول حتـى أراكـم متفـرقين أيـادي سـبا، ترجعـون إلـى مجالسـكم: وتتخـادعون عـن مـواعظكم. أقـوِّمكم غـدوةً، وترجعـون الـي عشـية كظهـر الحيـة، عجـز المقـوِّم، وأعضـل المقـوَّم، أيهـا الشـاهدة أبـدانهم، الغائبـة عقـولهم المختلفـة، المبتلـى بهـم أمـراؤهم، صـاحبكم يطيـع اللّـه وأنـتم تعصـونه! وصـاحب أهـل الشـام يعصـي اللّـه وهـم يطيعونـه! لـوددت ــ واللّـه ــ أن معاويـة صـارفني بكـم صـرف الـدينار بالـدرهم، فأخـذ منـي عشـرةً مـنكم وأعطـاني رجـلاً منهم...»![٢]

... ويقول كهذه المقالة في مواضيع شتى، ليس المقام يناسب تفصيلها.

٤ ــ ومـن ذاك فـي نكـث طلحـة والزبيـر: «... أللهـم إنهمـا قطعـاني وظلمـاني ونكثـا بيعتـي فاحلـل مـا عقـدا، ولا تحكـم لهمـا مـا أبرمـا، وأرهمـا المسـاءة فيمـا أمـلا وعمـلا، ولقـد اسـتثبتهما قبـل القتـال، واسـتأنيت بهمـا أمـام الوقـاع، فغمـط النعمة ورد العافية».

٥ – ومما يشكوا فيه مظالم قريش قوله عليه السلام: «أللهم إنـي أسـتعديك علـى قـريش؛ فإنهم ظلموني في الحجر والمدر».[٣]

---

١. نهج البلاغة، عبده، الخطبة: ٩٧، ج١، ص ١٨٧.

٢. نفس المصدر، الخطبة ٩٧ ص ١٨٨.

٣. بحارالانوار، ج٤١، ص ٥١.

الحكومة العلوية تعدل في الحاضر وتصلح الآتي والغابر:

إن الإمام عليه السلام لا يكتفي بردّ الظلم في حكومته فحسب؛ بل يرده وإنْ كان في الأيام الخالية، كأيام خليفة أمية، وحينذاك يقوم قائلاً:

«ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكلما أعطاه من مال اللّه، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفرق في البلدان، لرددته؛ فإن العدل في سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق».[١]

إن الإمام ليراعي في حكومته حتى البهائم! فكيف بالناس؟! ومن مقالاته المنيرة في ذلك:

«... إن اللّه تعالى أنزل كتابا هاديا، بيّن فيه الخير والشر، خذوا نهج الخير تهتدوا، وأصدفوا عن سمت الشر تقصدوا الفرائض. الفرائض أدوها إلى اللّه تؤدكم إلى الجنة. إن اللّه حرم حراما غير مجهول، وأحلّ حلالاً غير مدخول، وفضَّل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها؛ فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، ولا يحل أذىً إلا بما يجب.[٢] بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم، وهو الموت؛ فإن الناس أمامكم، وإن الساعة تحدوكم من خلفكم، تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر بأولكم آخركم، **اتقوا اللّه في عباده وبلاده؛ فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم.** أطيعوا اللّه ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه».[٣]

... أجل، إنه ليرعى حتى البهائم... وكيف يقاس بمن لا يراعي حق المسلمين الأبرياء، أو حق الإنسانية كيفما كانت، وإنْ كانوا ليعلنون بألفاظ،

١. موسوعة الامام عليّ بن ابىطالب عليه السلام، ج ٥، ص ٦ وص ٩٣، وأيضاً بهذا المضمون: بحارالانوار، ج ٣١، ص ٢٢٣، ونهج البلاغة، عبده، الكلام: ١٦، ج ١، ص ٤٦.

٢. كظروف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إذا اقتضيا أذاه.

٣. نهج البلاغة، عبده، الخطبة: ١٦٧، ج٢، ص ٨٠ (م)

مثل: «حماية الحيوانات» أو يحمون حيوانات خاصة، في حين أنهم لا يرون للإنسانية وللمسلمين مكانةً وشأنا!

يرحمون ويحمون الكلاب، ولا يذودون عن حمى الفقراء والضعفاء، بل ويقضون عليهم! قضى اللّه عليهم، وأخذهم اخذ عزيز مقتدر!

برنامج آخر في هذه الحكومة:

كما أن الإمام لم يكن ليتولى أمر المسلمين بالخديعة، ولا لينتصر لحقه بالباطل، فهو كذلك الآن ـ وقد تم له الأمر ـ لا يقنطر الباطل لتركيز قواعد عرش الحكم، ولو في لفظة قول، أو سكوت عن حق، أو بذل درهم في غير حقه، أو مداهنة مع الظالمين الأقوياء؛ كي يوافقوه في الحكم، أو لا يثوروا عليه ويزاحموه. ومن مقالاته النيرة هنا:

«أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟!»

يقولها حينما يعاتَب على التسوية في العطاء، وأنّ الأنسب لتركيز الحكم بين الناس إقناع وإرضاء الوجوه الأقوياء، ذوي الأقدار والشؤون في الشعب؛ فينبثق قائلاً: «أتأمرونّي أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟! واللّه، ما أطور به ما سَمُرَ سميرٌ، وما أُمَّ نجم في السماء نجما! لو كان المال لي لسويت بينهم؛ فكيف، وانما المال مال اللّه! ألا، وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة، ويُكرمه في الناس، ويُهينه عند اللّه. ولم يضع امرؤٌ ماله في غير حقه، ولا عند غير أهله إلا حرمه اللّه شكرهم، وكان لغيره ودهم؛ فإن زلت به النعل يوما، فاحتاج إلى معونتهم، فشر خدين وألأم خليل».[1]

---

١ . نفس المصدر، الخطبة ١٢٦، ج٢، ص ٦.

التسوية فى العطاء:

وهذه من البرامج الثابتة للإمام عليه السلام طوال حكمه، وما أم نجمه في سماء الشعب، أنه لا فضل لأحد على أحد في بيت المال بهجرة ولا نصرة، ولا صحبة الرسول صلى الله عليه وآله، فضلا عن أن يستأثر أحدا بالأثرات الجاهلية من القوة والعشيرة!

كما يقول: «أيها الناس! ألا، لايقولن رجال منكم غداً: قد غمرتهم الدنيا، فامتلكوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف المرفقة، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأخرتهم إلى حقوقهم التي تعلمون، يقولون: **حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا!** ألا، وأيُّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على سواه بصحبته، فان الفضل غداً عند اللّه؛ فأنتم عباد اللّه، والمال مال اللّه، يقسم بينكم بالسوية، ولا فضلَ لأحدٍ على أحد»!

أجل، إنما الفضل في التقوى. وصحبةُ الرسول إنما يفضِّل المكانة عند اللّه في اليوم الآخر، وعند أهل الدين في الحرمة والعزة، لا في بيت المال؛ حيث لا يرتبط بالقوت ولا حكمَ فيه إلا القسم بالسوية.

وهذا الأسلوب وأشباهه، الذي يلجأ إليه الإمام في التسوية بين الناس جميعا في الحقوق العامة، هو الدافع الأول، الذي حمل أولئك الوجهاء المترفين على ترك الإمام عليه السلام، والالتحاق بابن أبي‌سفيان، وبثِّ العرقلات الجاهلة عليه؛ فإنّ عليّاً عليه السلام لا يكاد يستميل أحدا بمال الأمة، ولا يصانع الرؤساء وزعماء القبائل، كما كان يفعله ابن هند.

فإذاً، ليس الإمام عليه السلام ممن يركِّز قواعد عرش حكمه بالتفضيل في العطاء من بيت مال المسلمين، ثم يعتذر، ويختلق وجوها شرعية في ذلك، أنّ هذه أموال المسلمين، فلتصرف في صلاحهم، ومِنه تقوية هذه الحكومة العادلة! كلا! إنّ الإمام عليه السلام يحكم ليعدل؛ فكيف يقنطر الظلم لعدله؟

أجل، إن الحكومة العلوية لا تساير الظلم ولا الظالمين تحت أيّ ستار واعتذار، وأي عنوان ثانوي، كما يفعله أشباه العلماء حفاظا على اعتباراتهم الشخصية والجماعية.

اجتمع عليه مرةً كبارُ المهاجرين، وفيهم وعلى رأسهم طلحة والزبير، يريدون إقناعه بمسايرة معاوية الطاغية إلى أن يستتب له الأمر، فيخلعه على يسر وعافية؛ فخالفهم جميعا مترفعا عن الحيلة والمؤاربة.

وقد جاءه المغيرة بن شعبة بعد مبايعته بالخلافة، وهو من ذوي الحَنَكة والحيلة والتدبير، فقال له: «إن لك حق الطاعة والنصيحة، وإن الرأي اليوم تحرز به ما في غد، وإن الضياع اليوم يضيع به ما في غد، أقرر معاوية على عمله، وأقرر ابن عامر على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا اتتك طاعتهم وبيعة جنودهم، استبدلت أو تركت»؛ فمكث الإمام غير بعيد، ثم أعلن عن إبائه الحيلةَ والخديعة، ولو لتركيز قواعد حكمه الحق! فقال: «**لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنيّة في أمري**»!

ثم لما ظهرت حيلة معاوية الطاغية بمكائده الفاتكة، وقد زعم أنه أدهى منه عليه السلام حينذاك، يقول: «واللّه، ما معاوية بأدهى منّي، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر، لكنت من أدهى الناس»!

أجل، كيف يرضى الإمام بقاءَ عمال الخليفة الأموي، عثمان، على أعمالهم إلى حين، ولو لساعةٍ، وهم من يعرفهم، وعلى رأسهم معاوية، وقد أضمروا العداء على الإسلام قديما، وكانوا يتحيَّنون الفُرَص للقضاء عليه، فكيف يثبتهم؟! وما يصنع بخلافة تقوم على قواعد ظالمة، مثل: معاوية وابن عامر ومن اليهم من الطغاة اللئام؟! أمسايرة للظالم، وتثبيتا للظلم بُغية تبديده؟!

إنّ الإمام عليه السلام في حكومته الغراء إنما يقبض يده على الدين دون إفراط بشيء منه قيدَ شعرة، في تأليف القلوب النافرة، فينقض أقوى المنافقين شكيمة، معاوية، عن إمارة الشام، فناصَبه هو ومن على شاكلته العداء وظاهروا عليه.

وأما معاوية أخو عثمان، فقد فتح بيت المال على مصراعيه، وراح يغدقه على المنافقين ليلتفُّوا حوله، وعلى الضعفاء ليستمروا مع القواعد، لا إليه ولا إلى مناجزته، ولعمري، إن هذا هو أسّ البلاء الأول، الذي مكَّن الذل من رقاب المسلمين، وسنَّ لهم إلى ما هم على هذه الشاكلة: الجبن عن نصرة الحق، والتضحيةِ في سبيله، والإستخذاءِ لدعاة الباطل، والتقهقر بين يديه عن ثائر نبيهم، والاعتصام بكتابهم، والثبات على دينهم.

تلك هي ثمرة الشجرة الملعونة التي غرسها أبوسفيان، وغذاها الشيخان، وقوّاها عثمان بتسامحه، وضعفه، وسوء تدبيره؛ ثم استغلها معاوية لهواه، وساعده على ذلك الاستغلال نفاق فريق، وضعف آخرين!

وزراة المالية

برامج الإمام في بيت المال، وزارة المالية في هذه الحكومة:

قد يخلط الأمر على الفقراء المؤمنين مما يزيِّنه لهم الرأسماليون الأشقياء غيرُ الدينين، الذين يأكلون أموال الشعب بالزور والباطل، كما يلي:

... إن كنتم فقراء، فإنما ربكم معكم يكفيكم... لو كنا نحن كأمثالكم فنشارِكُكم في هذه الفضيلة! ... أنتم اليوم فقراء، وغدا أغنياء، على العكس منا، وأمثال هذه المخدِّرات البراقة!

ولكن الإمام يحرض الناس على العمل، وينهاهم عن التبتل، وأن يصبروا على انهضام حقوقهم؛ ولذلك فإننا نراه يحسم مواد الفقر كما يمليه عليه الواجب الديني.

فلا يرى الاستئثار إلا بالحق والعمل، كما يهديه إليه كتاب اللّه تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] .

ومن هجماته على الفقر، وعلى الاختلاف الطبقي العارم، تسويته في العطاء، وأنه يساهم في توفير الخبز والماء والكساء للمجموعة البشرية وفى رفع الحاجة عن العامة.

أجل، إنه يقتل الفقر بالعدل في القسمة؛ كي لا يقتلَ الفقرُ الشعب، كما قتل الرأسماليون الأشقياءُ الفقراءَ المضطهَدين، يأكلونهم وحقوقهم، ويحطمونهم وكيانهم!

فما أقدس سوط الإمام يرفعه على الفقر، وعلى الذين يزينونه من المنافقين، أولي النَّعمة والأثرة! إذ يقول: «**لو تمثل لي الفقر رجلا لقتلته**»

إنه يقاتل الفقر ودوافعه بالتحريض على العمل، ومحاربة الأثرياء الذين يأكلون أموال الفقراء؛ أكلة الأراضي المواتِ والأموالِ العامة، وسرّاق أموال الشعب.

عدل الإمام في بيت المال:

هل إن الإمام يستأثر أهله وذويه في بيت المال؟ كلا! إن الإمام لا يرى لأهله فضلا في بيت المال مهما كانوا فضلاء في دين اللّه:

١ ـ استدعت إحدى بناته من خازن بيت المال أن يعيرها سترا لضيف، أتاها في عيد، وهي شريكة في هذا الستر، فلما يطلع الإمامﷺ يقول: «يا بنت ابن أبي‌طالب! لا تذهبي بنفسك عن الحق! **أكلّ نساء المهاجرين والانصار يتزيّنّ في مثل هذا العيد بمثل هذا؟!**»

٢ ـ يأتي إليه أخوه فقيرا، كهلاً، أعمى، مع صبيانه، شُعثَ الشعور، غُبر الألوان مِن فقرهم ـ يأتيه ـ ملتمسا منه، وهو الخليفة وكفيل بيت المال، أن يزيده ويستأثره بصاع من البُر. والإمام يجيبه بحديدة يحميها ويدنيها من جسده! كما يقول في قصته هذه:

«واللّه، لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعا، ورأيت صبيانه شعث الشعور، غبر الألوان من فقرهم، كأنما سوِّدت وجوههم بالعِظْلِم، وعاودني

مؤكدا، وكرر علي القول مرددا؛ فأصغيت إليه سمعي؛ فظن أني أبيعه ديني، وأتّبع قيـاده مفارقا طريقتي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضـجيج ذي دنف من ألمها، وكاد يحترق من ميسمها، فقلت ثكلتك الثواكل يا عقيـل! أ تـئنُّ مـن حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه! أتـئنّ مـن الأذى، ولا أئنُّ من لظى! وأعجب مـن ذلـك طـارق طرقنـا بملفوفـة فـي وعائهـا، ومعجونـة شنأتها كأنما عُجنت بريق حية أو قيئها؛ فقلت: أصلة أم زكاة أم صدقة؟! فذلك محـرم علينا أهل البيت! فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية؛ فقلت: هبلتك الهبول! أعَنْ ديـن اللّه أتيتني لتخدعني؟! أمختبط أنت أم ذو جُنةٍ أم تهجر؟! واللّه، لـو أُعطيـت الأقـاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي اللّه في نملة أسلبها جِلب شعيرة، مـا فعلـت! وإنّ دنياكم عندي لَأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لِعليٍّ ونعيم يفنَـى، ولـذةٍ لا تبقى؟! نعوذ باللّه من سبات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين».[1]

٣ ــ يقـدم عليـه عبداللّـه بـن زمعـة، وهـو مـن شـيعته، يطلـب منـه مـالاً، فيجيبـه قـائلاً: «إن هـذا المـال لـيس لـي ولا لـك، وإنمـا هـو فـيء المسـلمين، وجلب أسـيافهم؛ فـإن شـركتهم فـي حـربهم كـان لـك مثـل حظهـم، وإلا، فجنـاة أيديهم، لا تكون لغير أفواههم».[2]

أجل، إنه ﴿وَأَنْ لَيسَ لِلْإِنْسٰانِ إِلّا مٰا سَعىٰ﴾، وإنما جناة كل يد لِفيه، دون غيره ممـن لا يجنيه؛ فما أفاده المسلمون في محاربة الأعداء، إنما هم المشتركون فيـه، دون مـن لم يشاركهم في الحرب.

هذه ضابطة عامة يسنُّها الإمام عليه السلام في الأموال التي أنتجتها المسـاعي؛ فليسـت إلا للساعي على قدر سعيه، سـواءٌ أكانـت مـن التجـارة أو الزراعـة أو غيرهـا مـن الحِـرَف والأعمال المباحة.

---

١. نهج البلاغة، عبده، الكلام: ٢٢٤، ج٢، صص٢١٧ ـ ٢١٨.

٢. نفس المصدر، الكلام: ٢٣٢، ج ٢، ص٢٢٦.

وإن كان هناك أموال في بيت المال، يشترك فيها الفقراء القاصرون عن قُوْتهم، من زكوات وصدقات وما إليها من الإنفاقات الواجبة أو المندوبة. ولتفصيلها محلٌ آخر.

٤ ــ طلحة والزبير، هذان الداهيتان أهل السؤدد والقدرة، يأتيانه في بيت المال ليلاً، في مذاكرةٍ شخصيةٍ لهما، فيقوم الإمام حينذاك يطفئ السراج، ثم يأخذ يكلمهما في الظلام!

فيقولان له معترضين ـ حائرين ـ على ما فعله بهما وهما ضيفان، أهكذا... بدلَ أن تزيد سراجا وتبسط بساطا وتتكلف طعاما، ثم تصلنا صلة، تليق بنا...؟!

فينبثق عليه السلام قائلاً: «ليس لي ولا لأحد أن يستضيء في ضوء هذا السراج إلا لمصلحة الفقراء؛ إنه من مال الفقراء!»

٥ ـ أتي بمال مساءً فقال لعمال بيت المال: «اقتسموه»؛ فقالوا: «قد أمسينا يا أمير المؤمنين، فأخره إلى غدٍ»؛ فقال لهم: «تقبلون لي أن أعيش إلى غد؟» قالوا: «ماذا بأيدينا؟»؛ فقال: «لا تؤخروه حتى تقسموه».[1]

هل يأخذ وزير المالية (الإقتصاد) من بيت المال شيئا لذات نفسه وأهيله، مستأثرا به على من سواه؟

كلاّ، ولا فلساً! بل وكان عليه السلام يضرب بالمَرِّ، ويستخرج الأرضين، وينفق في سبيل اللّه، ويعيش كأفقر من في أرجاء الحكومة الإسلامية!

٦ ــ مضت عليه أحيان، ليس عنده ثلاثة دراهم، يشترى بها إزارا، وما يحتاج إليه، ثم يقسم كل ما في بيت المال على الناس، ثم يصلي فيه فيقول: «الحمد للّه الذي أخرجني منه كما دخلته»![2]

---

١. بحارالانوار، ج٤٠، ص٣٢١؛ و ج ٤١، ص١٠٧.

٢. نفس المصدر، ج٤٠، ص ٣٢١.

٧ ـ يراه الخولاني جالسا على برذعة[١] حمارٍ مبتلّة؛ فيقول لأهله في ذلك: «هل إن أميرالمؤمنين، خليفة الإسلام، يجلس على مثل هذا؟!»؛ فيجـاب: «لا تلـومُني! فواللّـه، ما يرى شيئا ينكره إلا أخذه، فطرحه في بيت المال».[٢]

٨ ـ يراه عنترة بالخورنق، وهو عليه السلام يُرعَد تحت سمل[٣] قطيفـة؛ فيقـول لـه: «يـا أميـر المؤمنين، إن اللّه تعالى قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ما يعم، وأنت تصـنع بنفسك ما تصنع!»؛ فقال: «واللّه، ما أرزؤكم من أموالكم شيئا، وإنّ هذا لَقطيفتي، التي خرجت بها من منزلي من المدينة، ما عندي غيرُها».[٤]

٩ ـ علي بن رافع يقول: «كنت على بيت مال علي بن أبي‌طالب عليه السلام وكاتبَه، وكـان في بيته عِقْدُ لُؤلُؤٍ، كان أصابه يوم البصرة، فأرسَلتْ إليَّ بنتُ الإمـام عليه السلام قائلـة: بلغنـي أن في بيت مال أميرالمؤمنين عليه السلام عقد لؤلـؤ، وهـو فـي يـدك، وأنـا أحـب أن تعيرنيـه، أتجمل به في أيام عيد الأضحى؛ فأرسلت إليها، وقلت: عاريـةٌ مضـمونةٌ، يـا ابنـة أميـر المؤمنين؛ فقالت: نعم، عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام؛ فدفعتـه اليهـا. فـاذا أميـرُ المؤمنين رآه عليها، فعرفه قال: مِن أين صار اليكِ هـذا العِقـد؟! فقالـت: إسـتعرتُه مـن ابن أبي‌رافع خازن بيت مال أميرالمؤمنين، لأتزين به في العيد، ثم أرده». قـال: «فبعـث إليَّ اميرالمؤمنين عليه السلام؛ فجئتُه؛ فقال: يا ابن رافع! أتخون المسـلمين، يـا ابـن ابـي‌رافـع؟ فقلتُ: معاذ اللّه أن أخون المسلمين! فقال: كيف أعَرْتَ بنت أمير المؤمنين العقدَ الذي في بيت مال المسلمين، بغير إذني ورضـاهم؟! فقلـتُ: يـا أميرالمـؤمنين! إنهـا ابنتـك! وسألتني أن أعيرها إياه تتزين به، فأعرتها إياه عارية مضـمونة مـردودة، وضـمنتُه فـي مالي، وعلَيّ أن أرده مُسَلَّماً إلى موضعه! فقال: رده من يومك، وإيـاك أن تعـود لمثـل هذا، فتنالك عقوبتي! ثمّ أولَى لابنتى لو كانت أخذت العِقد على غيـر عاريـة مضـمونة

---

١. كساء يلقى على ظهر الدابة.

٢. نفس المصدر، ج٤٠، ص ٣٢٤.

٣. أي: ثوب خَلِق بالٍ.

٤. نفس المصدر، ج٤٠، ص٣٣٤.

مردودة، لكانت إذَن أوّل هاشميّة قُطِعت يدُها في سَرِقة. فبلغ مقالتُه ابنتَه؛ فقالتْ له: يا أميرالمؤمنين، أنا ابنتك وبضعةٌ منك! فمن أحقُ بلُبسه منّي؟ فقال لها اميرالمؤمنينعليه السلام: يا بنت عليّ بن أبيطالب، لا تذهبي بنفسك عن الحق! أكلُّ نساء المهاجرين تتزيَّنَّ في هذا العيد بمثل هذا؟ فقبضتُه منها ورددتُه إلى موضعه».[1]

أنّى لك هذا؟ مِن أين، ولم يكن؟

هذا سؤالٌ يُسأل به كل من ولّي أمرا، صِفر اليد، ثم أصاب أموالاً ودُوراً وقصورا، فالحكومة العادلة الإسلامية تحتِّم عنه هذا السؤال: أنّى لك هذا؟!

أيها القائد! الملك! رئيس الجمهورية! رئيس الوزراء!

يا وزير الدفاع! وزير الثقافة والإرشاد! وزير الاقتصاد! وزير المالية! وأيها الرئيس...! أيها المدير...! أيها الملازم...! أيها التاجر...! أنّى لكم هذا...!

ارفع إلي حسابك، إرفع إلى القانون، إلى العدل، إلى الدين، إلى أميرالمؤمنينعليه السلام حسابَك.

يكتب الإمامعليه السلام إلى بعض عماله: «بلغني عنك أمر! إن كنت فعلتَه، فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك! بلغني أنك جردتَ الارض، فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فارفع اليَّ حسابك، واعلم أن حساب اللّه أعظم من حساب الناس! والسلام».[2]

أجل، إنّ هيئة الدولة، والأنظمة الدولية في مذهب الإمامعليه السلام، لا شأن لها إلا تسهيلَ الأمور على الشعب، وحفظَ حقوقهم، والذَودَ عنهم، لا أن يسيطروا عليهم بكل أنفة وكبرياء، ويأكلوهم ويأكلوا أموالهم؛ فكلما

١. نفس المصدر، ج٤٠، ص ٣٣٨.

٢. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٤٠، ج٣، ص ٦٤.

استبدلت الهيئة الحاكمة سرقت أموالاً، وحطّمت حقوقا، وهتكت أعراضا ونفوسا، جملة بعد أخرى، كما نراه من الحكومات الجابرة اللادينية واللانسانية، ولا سيّما باسم الدين!

هذه البربرية الوحشية والرجعية السوداء، الهدامة للحريات والحقوق، أصبحت تسمى حكومة وتقدمية بيضاء، إلى حيث يقال لمن تُولّى أمرا، ولم يصب مالاً، ولا منالاً: كل أمرك في فَشَل، وعقلك في خَبَل، ولم تكن أهلاً لما توليت! فليتك لم تكن على هذا الأمر! فقد ضيّعتَ المقام دون فائدة وعائدة!

وبجنب هذه الحكومات الظالمة، تلمع الحكومة العلوية، قائلاً ﷺ لعزيزته: «أكلُّ نساء المهاجرين تتزيّنَّ بمثل هذا؟» حالَ أنها استعارتْه عارية مضمونة!

ويُجابه أخاه المُعوِزَ الفقيرَ، عقيلاً، اذ يسأله زائدا عن حقه؛ فيجازيه بحديدة، يحميها؛ فيئنُّ منها!

هذا وذياك...، ولا ينتفع من بيت المال، ولا فلسا؛ بل ويزيده من ذات يده، وكدِّ يمينه، وعرق جبينه، وينفقه على فقراء المسلمين.

أجل، ولا يشبع هو وأهله من خبز، قائلاً: «ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز؛ ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيُّر الأطعمة! ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطانا، وحولي بطون غرثى، وأكباد حرّى؟!

أو اكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة   وحولك أكباد تحن إلى القِدِّ



أ اقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين(!)

ولا أشاركهم في مكاره الدهر؟! أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش؟! فما خُلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة، همُّها علفها، أو المرسلةِ، شغلُها تقممها، تكترس من أعلافها، وتلهو عما يراد بها، أو أترك سدى، أو أهمل عابثا، أو أجُرَّ حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة؟!».[1]

صلوات اللّه عليه إماماً عاليَ السلطان، واسعَ الإمكان؛ فلو أراد التمتع بأي اللذائذ شاء، لأمكنه، ولكنه كيف يشبع، ويلتذ، ويتمتع، ولو من أمواله الشخصية، ولعل في أرجاء المملكة الواسعة الإسلامية بطونا، لا عهد لها بالشبع، ولا طمع لها في القُرَص؟!

وكيف ترضى عاطفته الإنسانية، فضلاً عن الخلافة الدينية، أن يبيت مبطانا، وحولَه البطونُ الغرثى، والأكباد الحرّى؟!

أم كيف يلبس خيار الملابس، ويسكن خير المساكن والقصور، وأمامه عراةٌ، لا يسكنهم لا بيت خَرِبٌ، ولا حجرة صغيرة!؟

... أيقنع الإمام من نفسه بأن يقال: «أمير المؤمنين»؛ فيجلس على عرشه ويسكن في قصر الخلافة؟! ولا يقوم بالمسؤولية الهامة أمام الشعب في دينه ودنياه؟! كلا! ثم كلا!

ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته

إنّ علَى كل مسلم مسؤوليةً جماعيةً ـ بعد شخصه ـ مهما كانت مكانتُه عاليةً. وطبيعة الحال قاضية أنه كلما كانت مكانة الإنسان ـ الاجتماعية ــ أتم، كانت مسؤوليته أهمّ، وجريمته، لو ترك شيئا مما عليه، أكثر وأعم؛ فالزعماء الروحيون، وساسة الشعب لا

١. نفس المصدر، الكتاب: ٤٥، (من كتاب له كتبه إلى عثمان بن حنيف) ج٣، صص ٧٠ ـ ٧٢.

يحل لهم أن يتركوا أنفسهم سدىً، ويهملوها عـابثين، دون عمليـة إصـلاحية فـي أمـور الشعب.

هنـاك أميرالمـؤمنين عليه السلام يفـرض علـى نفسـه مـا أمـلاه عليـه فـرض الخلافـة الكبـرى الإسـلامية، أن يشـارك المسـلمين فـي مكـاره الـدهر، ذوداً لهـا عـنهم، مشـاركاً لأضـعف الرعيـة فـي عيشـته، وأن يكـون أسـوة لهـم فـي جشـوبة العـيش، ونعومتـه، ورغَـده؛ لكـيلا يطـروا فيهـا، ويزلـوا، أو يُضـلوا بهـا عـن المحجـة؛ فتردى بهم النعيم إلى الجحيم!

بذل الإمام وسماحته:

لعل جاهلاً بصميم الأمر في خُلُق الإمام عليه السلام، يزعم أنه يجعل يـدَه مغلولـةً ممسـكةً عـن العطاء والبذل لذوي الحاجات إلا على قدر أقواتهم الضرورية.

لكننـا نجـد الإمـام سـمِحاً بـذولاً، دون أن يمسـك بشـيء، وإن كـان مـن أموالـه الشخصـية! وإن ذكريـات سـماحته، وبذلـه مـن أموالـه، وكـدِّ يـده، لا تُحصَى! وإليكم شيئا منها يسيرا:

١ ـ يصيب الإمام عليه السلام ـ من قسمة الفيء التي قسمها رسول الله صلى الله عليه وآله ـ أرضاً، فـاحتفر فيها عيناً، فخرج ماءٌ ينبع في السماء، كهيئة عنق البعير، فجاء البشير يبشره بذلك.

حينـذاك هـل يستبشـر الإمـام عليه السلام بهـذه العـين الفـوارة فـي ذيـاك الأرض الجـرداء الحـراء؟ أجـل، يستبشـر، لا لأنـه يملـك الملايـين؛ فيبنـى قصـورا، ودورا، ويمـلأ البنـوك، ولـو مـن ذات يـده وملكـه الخـاص بـه! كـلاّ! مـا لِعلـيٍّ ونعيمٍ يفنَى، ولذة لا تبقى؟!

إنـه لا يفـرح لنفسـه أن ملـك الملايـين، وإنمـا يفـرح أن امتلـك مـا يـدرُّ بـه علـى الشـعب ذوي الحاجـة، قـائلاً: «بشّـر الـوارث! هـي صـدقة بتـة بـتلاء، فـي

حجيج بيت اللّه، وعابري سبيل اللّه، لا تباع، ولا توهب، ولا تورث؛ فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل اللّه منه صرفا، ولا عدلاً».[١]

أجل، إنه كما كان الإمام عليه السلام يقف نفسه المقدسة لخدمة الخالق وخلقه، كذلك يقف أمواله الشخصية لذوي الحاجات منهم.

٢ ـ «إنه أعتق الف نسمة من كد يده، جماعة لايحصَون كثرة...» ويكد، ويتعب نفسه لينفق على البائسين! «رأى رجلٌ عنده عليه السلام وسق نوى، فقال: ما هذا يا أبا الحسن؟ قال: مائة ألف نخلة إنشاء اللّه. غرسه فلم يغادر منه نواة واحدة، فهو من أوقافه. ووقف مالاً بخيبر وبوادي القرى، وكذلك مال أبي‌نيرز، والبغبغية، وأرباحاً، وأرنية، ورغداً، ورزيناً، ورياحاً، وقف كل ذلك على المؤمنين، وأمر بذلك أكثر ولد فاطمة عليها السلام من ذوي الأمانة والصلاح. وحفر آباراً في طريق مكة والكوفة، وبنى مسجد الفتح في المدينة، وعند قبر حمزة، وفى الميقات، وفى الكوفة، وجامعَ البصرة، وفي عَبّادان، وغير ذلك».[٢]

هذا شيء يسير من بناياته، وحفرِه الآبارَ، وإخراجِه العيونَ، وغرسِه الأشجار، وعتقِه النسمات، ومِن أوقافه، وصدقاته، التي لا تُحصَى كثرة!

٣ ـ كانت له أربعة دراهم من الفضة، وما عنده شيء غيرها، فتصدق بواحد ليلاً، وبواحد نهاراً، وبواحد سراً، وبواحد علانية، فنزل: ﴿اَلَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهٰارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً ...﴾ [البقرة. ٢٧٤][٣]

٤ ـ لقد كان يؤثر على نفسه وأهله، حتى نزل فيه: ﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصٰاصَةٌ ...﴾!!! [الحشر. ٩]

---

١. فروع الكافي (من الطبعة الحديثة) ج٧، ص٥٤. وبحارالانوار، ج٤١، ص٤٠.

٢. مناقب آل أبي‌طالب، ج١، ص٣٨٧؛ عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام. وبحارالانوار، ج٤١، ص٣٢.

٣. أخرجه ابن عباس والسدي ومجاهد والكلبي وابوصالح والواحدي والطوسي والثعلبي والطبرسي والماوردي والقشيري والثمالي والنقاش والفتال وعبيداللّه بن الحسين وعلي‌بن حرب الطائي، في تفاسيرهم.

أجل، إن الإمام، ذلك البذول ذو السماحة والعطاءِ الغزير، إنما يبذل، ويعمـي فـي بذلـه، من ذات يده، حب درجات الفضيلة، وأما في بيت مال المسلمين فلا قسم إلا بالسوية!

ولم يكن عطاؤه كشاكلة عطايا الملوك أُولي النَّعمة والكبرياء، بكل أنانية ورعونـة، بل عطاء الأخ للأخ، وعون فرد من الشعب لآخرين.

فلقد كان يحمل الطعام، وألوان الحاجة، إلى بيوت الأيتام، في آناء الليـل وأطـراف النهار، ويعين الضعيف بنفسه المقدسة، وبنفسيه. ومن ذلك:

نظر عليه السلام إلى امرأة على كتفها قربة ماء، فأخذ منها القربة فحملها إلى موضـعها، وسـألها عن حالها، فقالت: «بعث علي بن ابيطالب صاحبي إلى بعض الثغـور؛ فقُتِـل، وتـرك علـي صبيانا يتامى، وليس عندي شيء، فقـد ألجـأتني الضـرورة إلـى خدمـة النـاس»؛ فانصـرف الإمام عليه السلام، وبات ليلته قلقا، فلما أصبح حمـل زنبـيلاً فيـه طعـام، فقـال بعضـهم: «أعطنـي أحمله عنك»، فقال: «من يحمل وزري عنـي يـوم القيامـة؟»، فـأتى، وقـرع البـاب، فقالـت: «من هذا؟» عليه السلام: «أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة، فافتحي فإن معي شيئا للصـبيان»، فقالت: «رضي اللّه عنك، وحكم بيني وبين علي بن أبيطالـب!» فـدخل عليه السلام وقـال: «إنـي أحببت اكتساب الثواب؛ فاختـاري بـين أن تعجنـين وتخبـزين، وبـين أن تعللـين الصـبيان لأخبز أنا»، فقالت: «أنا بالخبز أصبر، وعليه أقـدر؛ ولكـن شـأنك والصـبيان، فعلِّلهـم حتـى أفرغ من الخبز»؛ فعمدَتْ إلى الدقيق فعجنَتْه، وعمد عليٌّ إلـى اللحـم فطبخـه، وجعـل عليه السلام يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره، فكلما ناول الصبيان من ذلـك شـيئا، قـال لـه: «يـا بني! اجعل علي بن أبيطالب في حل مما أمر في أمر»، فلما اختمر العجين قالت: «يـا عبـد اللّه! اسجر التنور»، فبادر عليه السلام بسَجْره، فلما أشعله ولفـح فـي وجهـه، جعـل يقـول: «ذق يـا علي! هذا جزاء من ضـيع الأرامـل واليتـامى»، فرأتـه امـرأة تعرفـه؛ فقالـت: «ويحـكِ! هـذا أميرالمـؤمنين عليه السلام!» فبـادرت المـرأة، وهـي تقـول: «وا حيـائي منـكَ يـا أميرالمـؤمنين!» فقال عليه السلام: «بل وا حيائي منكِ يا أمة اللّه فيما قصرت في أمرك!»[1]

---

١. مناقب آل أبيطالب ج ١ ص ٣٨٢ وبحار الانوار، ج ٤١، ص ٥٢

فأكرِمْ بسلطان عدل، مسيطرٍ على مُلك عظيم إسلامي، يعتذر إلى امرأة ضعيفة، أن قُتل زوجها في جهاد، أمر به في سبيل اللّه، ويلاطفها، ويعينها في حمل قربة ماءٍ، وطعام، وفي خدمة البيت!

فهكذا يحنّ إليها، مع عموم حنانه ورحمته إلى الضعفاء الفقراء إطلاقا، دونما إهمال واستغفال!

يبسط برحمته، ويمد بظله على رؤوس الشعب مجاهدا مجتهدا متعبا نفسه، لا يستريح، ولا ينام، ثم يخاطبهم كالمعتذر: أنه لا يقوم بواجبه في أمرهم، تواضعاً للحق، وترفيقا بهم، فأكرِمْ به وأجمل!

ثم انظر إلى ظَلَمة جبارين، كيف صنيعهم بالشعوب العزَّل المظلومين، إذا رفعوا إليهم حاجاتهم ومظالمهم! كيف يلدغونهم، ويلسعونهم؛ فيحطِّمونهم، كأنهم ليسوا من الشعب!

ثم انظر إلى حكومة عادلة إسلامية في ضوء دولة الإمام أمير المؤمنينعليه السلام، كيف نظامها في حكمها، وأنظمته الدولية في شتى ألوان التدابير، ذوداً عن الشعب، ورحمةً وحنانا لهم، لكي تذوق وتمس حقيقة الحكم العدل...!



الحكومة العلوية الغراء

الدساتير المقررة فيها على القائد الأعظم وبلاطه... شاكلة الوزارة والوزراء في هذه الحكومة... فرض كل وزير وعامل في وزارته وعمله... النظام الطبقي في مذهب الإمام...

لتأخذ القوّادُ، والملوك، ورؤساء الجماهير، اليوم عبرا، وعظات، ودساتير هامة مِن دستور الإمام لمالك الأشتر، وسائر العمال في الدولة العلوية؛ فلا يطؤوا عرشا، يحملهم إلى هلاك أمتهم، ثم هلاكهم، وإهلاك أبنائهم في ضمير الغيب؛ فإن فساد الآباء ينحدر للأبناء، كما أن صلاحهم يؤثر في الأبناء.

فأحرى لهم، إذا يريدون الأمن والإصلاح، أن يتخذوا دستوره المبارك لإصلاح دنياهم، وإنْ لم يكونوا من أهل الدين؛ حيث العمل بدستور الحق والعدل أول ما يعمل ويُصلح، إنما هو في هذه الحياة المظلمة القلقة الخطرة، ثم يظهر تماما يوم يقوم الأشهاد.

وبالأحرى لأصحاب الحكومات الإسلامية الغراء؛ الذين يحكمون على الشعوب المسلمين، وهم يعتنقون الإسلام، ويتحدون في إلهٍ واحد، ونبي واحد، وكتاب واحد؛ فعليهم أن يعتصموا بحبل اللّه جميعا، ولا يتفرقوا، ولا يختلفوا في القوانين والثغور.

كيف، وإنما الدساتير المحكَّمة عليهم منزَّلة في كتاب اللّه، وليس للاسلام حدٌّ إلا كلمة: أشهد ان لا إله الا اللّه وأشهد أن محمدا رسول اللّه ﷺ!

فلا يُبَعّدهم أبعاد الأمكنة، واختلاف الألسنة والألوان، ولا يحكم فيهم حاكم القوميات الهدامة للقوام العدل الإسلامي، ولا الطائفيات، والأحزاب المتفرقة عن الأهداف الإسلامية العادلة، ولا تتدخل فيهم السياسات الإبليسية الغربية، ولا غيرها من السياسات غير العادلة.

وإذ لا يحكم على المسلمين إلا حاكم القرآن الكريم، فلماذا يتفرقون ويتشعبون، حتى يسيطر عليهم الاستعمار الغاشم، فيقضي عليهم، بالرغم من أنهم من أكثر النفوس عددا، وأقواهم مدداً، وسننا إلهية؟

حكومة القرآن في مختلف البلاد الإسلامية في جبهة واحدة.
فلا قانون لشعب مسلم إلا القرآن، ولا مَلِكٌ، ولا رئيسُ جمهوريـة، ولا قائـدٌ إلا ممـثلاً للرسول الأعظمﷺ ، تطبيقا لأحكام الدين.

ولا ثغر للأراضـي الإسـلامية إلا ثغـر الإسـلام؛ فالمسـلمون يـد واحـدة علـى مـن سواهم، تسعى بذمتهم أدناهم؛ فالقريب من قرَّبه الإسلام، والبعيد من بعّده الكفر به.

فالمسلم في البلاد الإسلامية إنما هو في وطنه، وإنْ بَعُد عن مولده ومسكنه آلاف الفراسخ، والمسلم في البلاد غير الإسـلامية غريـب عـن بـلاده، وإنْ كـان فـي مولـده وموطنه؛ والمسلم في بلاد، لا يحكم فيها الإسلام، وإنْ تسـمى بـه، إنمـا يعـيش فـي غير بلـده؛ فانهضـوا أيهـا المسـلمون لتجديـد الحكومـة الإسـلامية العالميـة الكبـرى! استرجعوا سيادتكم وشوكتكم وعزكم، واعتبروا يا أولى الألباب! ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾! [آل عمران: ١٣٩]

ثم إذ ـ ومع الأسى! ـ لا تؤسس الدول الإسلامية حكومة واحدة على ضـوء القـرآن الكريم؛ فليتخذوا قراراً عاماً عالمياً فيما بينهم، يحتفظون به على كيانهم واسـتقلالهم، قراراً مشتركاً بينهم، يُقِرُّهم على أنظمة وندوات إسلامية؛ لكي ينسلكوا ـ علـى شـتات حكوماتهم ـ في سلك واحد.

فيُعدوا بذلك ما استطاعوا من قـوة، للقضـاء علـى أعـداء الإسـلام، وأعـداء الحريـة والسلام، وإذاً كيف يجترئ الأعداء المستعمرون على تحطـيم بلـد مسـلم واحتلالـه؟! وأنّى يقدر اليهود الأذلاء ـ وهم قليلون ــ علـى اغتيـال إخواننـا فـي الـبلاد المقدسـة، فيهتكوا نواميسهم، ويسيلوا دمائهم، ويشقوا بطون النساء الحوامل المسلمات؟!!!

أجل، ليتخذوا قرارا ثابتا على الإسلام والسلام فيما بينهم، والعداء لأعـدائهم؛ فـإذا وجدوا بلدا إسلاميا يتخذ بطانة من أعداء الإسلام، من اليهود وغيـرهم، ضـد المصـالح الإسلامية العامة، حينذاك يوبّخوه بألوان التوبيخ؛ لكي يرجع عن ضلاله وغيِّه.

فيا أبناء الإسلام! يا أبناء محمدﷺ! يا أبناء القرآن! يا أبناء المجاهدين الأولين! ألم يأنِ لكم أن تخشع قلوبكم، وتستسلم لحكم القرآن! أمَا حان حين اليقظة عن هذه النومة القاضية؟ وَهْدةً بديل وحدةٍ؟! أ وَلم يهد لنا: كم أهلك الأعداء من القرون قبلنا، وكم يهلك في واقعنا الحاضر! أولم يهد لنا ما يمضي علينا من السلطات الجبارة الاستعمارية اللاإنسانية؟ فـ ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾! [آل عمران: ١٣٩]

فإنما الوهن والضعف والهوان والخزي والحزن والبوار والدمار، كل ذلك، لأننا لسنا مسلمين حقيقيين! لسنا أحرارا في الدين!

ولقد اكتفينا من الاسلام بالاسم، بالجنسية الإسلامية، وبالقشر فحسب! وحينذاك يقضي علينا كلُّ قَشْمرةٍ وزلزالٍ، لفقد الألباب الإسلامية! فاعتبروا يا أولى الألباب!



أسس الحكومة العلوية الغراء

واحد كأمة! فرد كهيئة!

قد اجتمع في زعيم هذه الحكومة الغراء شتى المناصب الوزارية والمديريات العامة، من رئاسة الجنود، وزارة الثقافة والإرشاد، وزارة العدل والقضاء، وزارة الاقتصاد وتنمية الاموال، وزارة الجباية والمالية، وزارة الداخلية والخارجية، وزارة الأمن والنظمية!!!

بينا الإمام هو القائد الأول الديني في حكومته، فإذا هو القائد الأول السياسي!

فبينا يؤمُّ الشعب في الصلاة، فإذا هو يقودهم ويؤمهم بنفسه في الجنود ذوداً عن الإسلام!

بينا يرتعش في صلاته من خشية اللّـه، وإذ يـرى مظلومـاً، غُصِـبَ حقُّـه، فـإذا هـو يرعش من سطوته وصولته الشجعان، أُسد الغابات في ميادين الحرب!

بينـا يبـين للشـعب أحكـام الـدين، فـإذا هـو مقـرر لهـم أحكـام الـدفاع والتجنيـد والسياسات الداخلية والخارجية، بما أنها أيضا من أحكام الدين السياسية.

وبينا يقول: «يا دنيا غرّي غيري»، فيزهد عن الدنيا وفيهـا، فـإذا هـو مرغِّـب النـاس للعمل والزراعة وتنمية الأموال وإصلاح جانب الإقتصاد والقضاء على الفقر!

فلقد كان الإمام، في وحدته، كلَّ القوى، يُصلح الشعب بشتَّى أساليب الإصلاح!

عهد الإمام عليه السلام

إلي مالك الأشتر، واليه علـى مصـر، وقـد نـرى فيـه عهـداً إلـى جميـع الـولاة والعمـال والحكام والفقهـاء فـي كـل عصـر ومصـر. الدسـتور العـام للملـوك، ورؤسـاءِ الجمـاهير، ومتصرفي الألويـة، والولاة في حوزاتهم، ووظائفُهم الشـخصية والجمـاعية، مع الخــاصة والعـامة![1]

يقـول الإمـام عليه السلام: «... وأنّ النـاس ينظـرون فـي أمـورك فـي مثـل مـا كنـت تنظـر فيـه مـن أمـور الـولاة قبلـك، ويقولـون فيـك مـا كنـت تقـول فـيهم، وإنمـا يسـتدل علـى الصـالحين بمـا يجـري اللّـه لهـم علـى ألسـن عبـاده؛ فلـيكن أحـب الــذخائر إليــك ذخيــرة العمــل الصــالح، فاملــك هــواك، وشــحَّ بنفســك عمّــا لا يحــلّ لــك، فــإن الشــح بــالنفس الإنصــاف منهــا فيمــا أحبّــت أو كرهــت. وأشــعر قلبــك الرحمــة للرعيــة، والمحبــةَ لهــم، واللطــف بهــم، ولا تكــونَنَّ علــيهم ســبعاً ضاريا، تغتنم أكلَهم...».[2]

---

١. هذه الدساتير هي الكتاب الهام الذي كتبه الإمام عليه السلام لمالـك الاشـتر النخعـي، لمّـا ولّـاه مصـر وأعمالهـا، حـين اضطرب امر محمدبن أبيبكر، وقد نذكر غيرها من كلامه المناسب للمقام، مشيرا إلى مأخذه، ونذكر بعض المذكرات خارجا عن الهلالين المحتفين بدستورات الإمامِ المباركة.

٢. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٥٣، ج٣، صص ٨٢ ـ ١١١.

... لا تكن كما تفعله الطَغامُ الظالمون، الذئابُ الضارية في شاكلة الرعاة للشعوب، كلما سيطر واحد منهم على الشعب أخذ يأكلهم، ويحطِّمهم، يغتنم أكلهم بكل حرص واستعجال، كمثل قطاع الطريق، فيملؤون البنوك ـ الداخلية والخارجية ـ من أموال الشعب، ولا يفكرون في سلطاتهم الجبارة إلا مصالحهم الشخصية والعائلية!

«فان الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق...».

مسلم وغير مسلم، فابسط لهم جناح الرحمة إطلاقا.

«يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ؛ فأعطهم مِن عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك اللّه مِن عفوه وصفحه؛ فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، واللّه فوق من ولاك. وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم. ولا تنصبنَّ نفسك لحرب اللّه؛ فإنه لا يدي لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته. ولا تندمنَّ على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعنَّ إلى بادرةٍ، وجدت منها مندوحة...».

هل المأمور معذور؟

«ولا تقولن: إني مؤمَّر فأطاع؛ فإنّ ذلك إدغال (اغتيال) في القلب، ومنهكة للدين، وتقرُّب من الغير...».

أجل، إنما يعذر المأمور إذا كان في حق، ومِن آمر الدين الحق؛ فهو يعذر فيما يفعل لتحقيق الحق، وتزييف الباطل، لا كلُّ مأمورٍ بكل أمر من أي آمر، وإنْ كان فيه منهكة للدين، وظلم على الخلق!

لا تغترّ بالمَلِك والسلطان، ولا تنس أنك عبد بين يدي مَلِك الأملاك!

«وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهة أو مخيلة، فانظر إلى عِظَم مُلك اللّه فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك؛ فإن ذلك يطامن إليك مِن طماحك، ويكفّ عنك من غربك، ويفيءُ إليك بما غرب عنك من عقلك...».

أجل، إنّ من أطغاه المُلك، وأخذته الكبرياء، فقد غرب عقله، وطلع جهله وشماسه؛ فإذا كانت ذكرى العبودية لكل أحد واجبة فهي للسلاطين أوجب، لكيلا يهووا في الربوبية، فتوردهم هذه الكبرياء الكاذبة مواردَ الهلكة؛ فمنهم من: ينكر الرب فوقه، قائلاً: ﴿... أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]!!! أو يسوّى نفسه باللّه في عظمته والتشبه به في جبروته، يردف اسمه باسم اللّه، وحولَه وقوتَه بقوته وحوله سبحانه وتعالى، بل وقد يُنسى ذكر اللّه عند ذكره، عن ألسن الشعوب ليقولوا باسم الزعيم فحسب!

«إياك ومساماة اللّه في عظمته والتشبه به في جبروته! فإن اللّه يذل كل جبار، ويهين كل مختال...».

أيهما أوفق للعدل وأجمع للصلاح، رضا الخاصة أم رضا العامة؟

«... وليكُن أحبُّ الأمور إليك أوسطَها في الحق، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية...» فالنظام الصالح الطبقي يملي على الوالي إرضاء الرعية دون استئثار للخاصة، أولي الأيدي والمناصب عليهم، لماذا؟

«فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة...».

فإذا لم يكن بدٌّ من سخط إحدى الطبقتين، فسُخط الخاصة مغفور في نظر الشعب، وفى نظر الخاصة أنفسِهم إذا رضي العامة؛ ولكن سخط العامة لا ينفع معه رضا الخاصة مهما بلغ بهم القوة والمكانة. لماذا؟

لأنه «وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكرا عند الإعطاء، وأبطأ عذرا عند المنع، وأضعف صبرا عند ملمات الدهر، من أهل الخاصة...»!

لها سبعة أبواب

الإمام في هذه الجملة يفتح أبواباً سبعة للقدح في الخاصة المستأثرين في الملك بالمناصب والأموال، فكأنها أبواب الجحيم، إذا أراد الوالي تركيز عرشه في حظيرة مدينة فاضلة، فليسد هذه الابواب الجهنمية، إذا أضرت بالمصلحة العامة، لكي تفتح إليه، وإلى الشعب أجمع، أبوابُ البركات؛ فإن الخاصة:

١ ـ «أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء» والأمن؛ حيث إن لهم رواتب ثقيلة، هي من أموال الشعب، كي يكونوا خدامهم في شؤونهم الجماعية.

٢ ـ وهؤلآء هم «أقل معونة» وعوناً بأنفسهم ونفائسهم «في البلاء»، وأثقل وأهون تضحيةً للذود عن الشعب.

٣ ـ وهم «أكره الناس للإنصاف» من أنفسهم.

٤ ـ و«أسأل بالإلحاف»: أكثرهم سؤالاً للمال والجاه إصراراً وإلحافاً.

٥ ـ «وأقل شكرا عند الإعطاء»: أقلهم شكرا للوالي إذا أُعطُوا ما سألوا.

٦ ـ «وأبطأ عذرا عند المنع»: ولا يكادون يقبلون العذر إذا مُنعوا إلّا قليلاً.

٧ ـ «وأضعف صبرا عند ملمات الدهر» أي: الدواهى النازلة.

هؤلآء هم «من اهل الخاصة»؛ فكيف يُستأثرون على العامة، الذين هم على خلافهم في هذه الأبواب السبعة الجهنمية؟ وكيف...؟!

«وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء»، هم «العامة من الأمة؛ فليكن صَغْوُك إليهم، وميلك معهم...»

فالإمام إنما يراعي جانب الشعب، وهم على هذه الخصائل الفاضلة، دون استئثار للخاصة: مِن الوزراء، والرؤساء، ومتصرفي الألوية، والولاة، والعمال، ودون أهل البلاط، بالرغم من قربهم من القائد الأعظم؛ لأن أساس الملك والدولة إنما هم العامة، وإنما الأنظمة الدولية وعمالها هم خدّام الشعب؛ فليرجح جانب المخدوم عند تزاحم المصلحة بينه وبين خادمه، لا سيما مثل هؤلآء الخدام المترَفين، الذين قد يشتبه عليهم الأمر، إلى حيث يحسبونهم يملكون الرعية مِلك الموالي لعبيدهم!

أقرب الرعية وأبعدهم؟

ورغم أن كثيرا من الولاة يقربون السعاة، الذين يطلبون ويتجسسون معائب الناس اقترابا إليهم، فإن الإمام يحظّر الولاة عن هؤلآء الظلمة الهتاكين لأستار الناس قائلاً:

«ولْيَكُن أبعدُ رعيتك منك، وأشنأهم عندك أطلبَهم لمعائب الناس؛ فإن في الناس عيوبا، الوالي أحقّ من سترها؛ فلا تكشفنَّ عما غاب عنك منها؛ فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، واللّه يحكم على ما غاب عنك؛ فاستر العورة ما استطعت، يستر اللّه منك ما تحب سِتْرَه عن رعيتك. أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وتر، وتغابَّ عن كل ما لا يصلح لك، ولا تعجلنّ إلى تصديق ساعٍ؛ فإن الساعي غاشٍ وإنْ تشبّه بالناصحين...».

عمال الأمن

إن من شر الخُلُق الذميمة هو التجسس عن خفايا أمور الناس، واستكشاف ما ستره اللّه عليهم؛ والقرآن يؤكد المنع عن ذلك قائلاً: ﴿... وَلا تَجَسَّسُوا ...﴾ [الحجرات: ١٢]! يعني عن عيوب الناس التي سترها اللّه عنكم؛ فلا يحل تتبع خفايا عيوب الناس، ولا إفشاؤها إذا ظهرت لك، لأن في ذلك تعييرا للمؤمنين، وتعريضاً للمحظور، وتشييعا للفاحشة، ومسّاً بكرامة الجماعة المسلمة، وتذليلاً لهم.

لذلك كلّه، يحرّم القرآن ظنَّ السَوء، والتجسسَ، والاغتياب، والفرية، قائلاً: ﴿يٰا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ...﴾ [الحجرات: ١٢] !!

فالأنظمة الجاسوسية وعمالها المسمون بعمال الأمن، إنما هي أنظمة إبليسية خاطئة، تبسط العار والدمار والبوار في الشعب، إلا فيما يلي:

١ ـ من يُحذر منه للناحية العقائدية والخلقية في الشعب، بثّاً للضلال وعيثا للفساد وحثًّا عليه عمليا في الشعب؛ فذلك يحل أو يجب فضيحته على رؤوس الأشهاد؛ لكيلا يفسد الشعب بفساده، كالمبدع في الدين، والمتجاهر في المنكر، والهاتك نواميس المسلمين، والفاتك لحرماتهم.

٢ ـ من يُخاف منه على الأمن في أرجاء الدولة الإسلامية، أن يثور أو يثير ضدها، فليقبض على يديه ويفضح، ذوداً عن حرمة الحكم العدل عن الانفصام وعن الظلم وعن الاستئثار بعرش الحكم.

وإلى ذاك وذياك يشير الإمام بقوله ﷺ «وتغابَّ عن كل ما لا يصلح لك».

يعني: إذا صلح التجسس والإظهار لبعض الضغائن، صلح لك قائدا عدلاً وللرعية، فلك ذلك حينذاك.

«... ولا تنقض سنة صالحة، عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية. ولا تحدثن سنة، تضر بشيء من ماضي تلك السنن؛ فيكون الأجر لمن سنَّها، والوزر عليك بما نقضت منها ...».

العلماء حكام على الملوك!

وحينذاك، إذ يجري الكلام عن نقض سننٍ وإبرام أخرى، يفرض على الوالي مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في ذلك والرد إلى اللّه ورسوله قائلاً: «وأكثر مدارسة العلماء

ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به النـاس قبلـك ... واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب، ويشتبه عليك مـن الأمـور؛ فقـد قـال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم ﴿يٰا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُـوا أَطِيعُـوا اللهَ وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ وَأُولِـي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فى شيء فَرُدُّوهُ إلى اللهِ وَالرَّسُولِ ...﴾؛ [النساء: ٥٩] فالرد إلى اللّـه، الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسولﷺ الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ...»

كيف يرد القائد سوء الظن عن الشعب؟

«... وإن ظنت بك الرعية حيفا، فأصحر لهم بعذرك، وأعـدل عنـك ظنـونهم بإصـحارك؛ فإن في ذلـك رياضـةً منـك لنفسـك، ورفقـا برعيتـك، وإعـذارا تبلـغ بـه حاجتـك مـن تقويمهم على الحق...».

«... إياك والدماء وسفكها بغير حِلِّها؛ فإنه ليس شيء أدنى لنقمة، ولا أعظم لتبعـة، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها! واللّه سبحانه وتعـالى مبتدئٌ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يـوم القيامـة؛ فـلا تقـويَنّ سـلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله ...»

فبؤساً لملوك، يطلقون النار بالرصاص على وجوه الشعب العـزَّل الأبريـاء؛ فيقتلـون منهم الألوف، بالرغم من أنهم يريدون التحرر عن الحكم الغاشم وما يختلقـه الحـاكم من أحكام، تخالف كتاب اللّه والدستور المؤسس على الدين!

أللهم شتت شملهم، وبدّد جمعهم، وخذهم أخذ عزيز مقتدر ...!

«ولا عذر لك عند اللّه ولا عندي في قتل العمد، وإن ابتليت بخطأ وأفـرط عليـك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة؛ فلا تطمحن بـك سلطانك من أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم! وايـاك والإعجـاب بنفسـك والثقـة بما يعجبك منها وحب الإطراء؛ فإن ذلك من أوثق فُرَص الشيطان في نفسه ليمحـق ما يكون من إحسان المحسنين».

بمن يلصق القائد من شعبه ؟

«... ثمّ الصق بـذوي الأحسـاب وأهـل البيوتـات الصـالحة والسـوابق الحسـنة، ثـم أهـل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة؛ فإنهم جماعٌ من الكـرم، وشُـعَب مـن العـرف. ثـم تفقَّد من أُمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن فـي نفسـك شـيء، قـويتهم به، ولا تحقرن لطفا، تعاهدتهم به، وإن قلّ؛ فإنـه داعيـة لهـم إلـى بـذل النصـيحة لـك وحسن الظن بك، ولا تدع تفقّد لطيف أمورهم اتكالاً علـى جسـيمها؛ فـإن لليسـير مـن لطفك موضعا ينتفعون به، وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه ...».

وحينذاك، إذ يحنُّ القائد إلى الرعية هذا الحنان والعطـف، فهـل يمـن علـيهم؟! لا، وكلاّ! إذ إنه إنما أعطاهم العدل الذي يمليه عليه فرضه في الحكم دونما فضل ومزيد على ما عليه، فلماذا يمن عليهم؟!

«إياك والمن على رعيتك بإحسـانك أو التزيُّـد فيمـا كـان مـن فعلـك، أو أن تعِـدَهم، فتتبع موعدك بخلفك؛ فإن المن يبطل الإحسـان، والتزيـد يـذهب بنـور الحـق، والخلـف يوجب المقت عند اللّه والنـاس، قـال اللّـه تعـالى: ﴿كَبُـرَ مَقْتـاً عِنْـدَ اللّـهِ أَنْ تَقُولُـوا مٰـا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

الوزراء المشاورون في الحكومة العلوية:

«... لا تدخلنّ في مشـورتك بخـيلاً، يعـدل بـك عـن الفضـل ويعـدك الفقـر، ولا جبانـاً، يُضعفك عن الأمور، ولا حريصاً، يزيِّن لك الشره بالجور؛ فإن البخل والجـبن والحـرص غرائز شتى، يجمعها سوء الظن باللّه...».

شاكلة الوزراء في هذه الحكومة ومن لا يصلح للوزارة:

خير الوزراء وشرهم؟ هيئة الوزراء في نظر الإمام؟

هنالك ينهى الإمام واليه، الأشتر، عن استيزار وزراء الأشرار وأشرار الوزراء قائلاً:

«إنّ شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا، ومن شركهم في الآثام؛ فلا يكونَنّ لك بطانة؛ فإنهم أعوان الأثمة وإخوان الظَّلمة، وأنت واجد منهم خير الخَلَف، ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على إثمه. أولئك أخفُّ عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفا، وأقلّ لغيرك إلفاً؛ فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ...».

آثر الوزراء عند القائد الأعظم!

هل هو من يؤازره في كل ما يهواه، تقربا إليه، ولو إلى الباطل والزور؟

كلاّ! أولئك هم الأبعدون، لا يحق لهم الوزراة والحكم؛ بل «لِيَكُن آثَرُهم عندك أقولَهم بمُرِّ الحق لك وأقلَّهم مساعدةً فيما يكون منك، مما كره اللّه لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع ...».

أجل، إنما كيان الوزير ومكانته، في هيئة الدولة الإسلامية السليمة، عونُ القائد في تركيز الحق والذود عن الباطل، لا مؤازرته في استبقاء مُلكه واستجراءِ أهدافه وتحقيقِها كيفما كانت، ومهما بلغت به الأهواء!



وزارة البلاط الاسلامي

لا يحق وزارة البلاط وأيةُ عملية فيها لكل خاصة وبطانة للقائد، وإنما ذلـك لأجمعهـم لوجوه صلاح الأخلاق؛ حيث «إن للوالي خاصـة وبطانـة، فـيهم اسـتئثار وتطـاول وقلـة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسـباب تلـك الأحـوال، ولا تقطعـنّ لأحـد من حاشيتك وحاميتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة، تغـر بمـن يليهـا مـن الناس، في شِرب أو عمل مشترك، يحملون مؤونته على غيرهم؛ فيكون مهنأ ذلك لهـم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة. وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيـد، وكـن في ذلك صابرا محتسبا، واقعا ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع، وابتـغ عاقبتـه بمـا يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة ...».

أجل، ليحسم القائد مواد الفساد والاستئثار بغير حق، والتطاول والـلاّ إنصـاف، عـن كل أحد، وإن كان من قرابته وحاشيته، أو ولده وذويه.

وليقطع أيدي الجور وإن كانت على جثمانه، فضلاً عن قرابتـه وخاصـته؛ فـالحكم عقيم، ليس فيه وراثة وقرابة، إلا ما يرث خيرا للشعب. ويقرِّب إليهم ما يصلحهم.

كتّاب البلاط!

«... ثم انظر في حال كتابك، فوَلِّ على أمورك خيرَهم، واخصص رسـائلك، التـي تـدخل فيهـا مكائـدك وأسـرارك، بـأجمعهم لوجـود صـالح الأخـلاق، ممـن لا تبطـره الكرامـة، فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ، ولا تقصر به الغفلة عـن إيـراد مكاتبـات عُمّالك عليك، وإصدار جواباتها على الصواب عنك، فيما يأخذ لـك ويعطـي منـك، ولا يضعف عقدا اعتقده لك، ولا يعجز عن إطـلاق مـا عقـد عليـك، ولا يجهـل مبلـغ قـدر نفسه في الأمور؛ فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ...».

كيف يتعرف إلى صلاح الوزراء، للبلاط وغيره؟

«ثم لا يكن اختيارك إياهم، على فراستك واستقامتك وحسن الظن منك؛ فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ...»!

أجل، إن من الوزراء من يحتال للزلفى إلى القائد، بحسن الخدمة في ظاهر الأمر وبدئه، وهو يتحين الفرص للعمليات التخريبية الشخصية أو الجماعية، إذا استأمن القائدَ على نفسه.

فماذا يصنع القائد في تخيُّر الوزراء؟

... لِيختبرْهم ... «... اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثرا، وأعرَفِهم بالأمانة وجها؛ فإن ذلك دليل على نصيحتك للّه ولمن وليت أمره. واجعل لرأس كل امر من أمورك رأسا منهم، لا يقهره كبيرها، ولا يشتت عليه كثيرها...».

أجل، إنما ينتخب مِن هؤلآء الذين لهم السوابق الحسنى في غابر أمورهم، يُنتجبون للشؤون الوزارية وتصرفات الألوية وكل أمر هام من الأمور الدولية. ولتكن أولياء الأمور من شذرات وخلصاء المؤمنين الأكياس، ذوي البصائر الأحرار...

كل ذلك لأنّ صلاح الحكم لا يختص بصلاح الحاكم شخصه؛ إذ لا ينفذ أمره في إصلاح الأمة إذا كانت أعوانه أشرارا، ونحن نتّهم الحاكم المدعي للصلاح، المتظاهر به؛ إذ نرى أعوانه أشقياء؛ فليس صلاح الحاكم ـ فقط ـ أن يصلي، ويصوم، ويحج، ويسهر في عبادة ربه؛ فإنما مهمة الحاكم في صلاحه إصلاح حال الشعوب، وتقواه تقوىً جماعية سياسية، إضافةً إلى تقواه الشخصية.



وزارة الدفاع والتجنيد

الوزير الأول والقائد الأعظم للدفاع في الجنود هو الإمام شخصيا، بما فيه من مجامع الشروط في ذلك؛ فلقد كان شجاعا مغوارا من طفولته، وهو يمص ثدي أمه، إلى أن قُتِل في محراب عبادته لشدة عدله!

من ذكريات بطولته طيلة حياته المنيرة:

في طفولته:

١ ـ تقول أمه فاطمة بنت أسد: «شددت وقمطت عليا بقماط فنتر القماط، ثم جعلته قماطين، فنترهما، ثم جعلته ثلاثة وأربعة وخمسة وستة، منها أديم وحرير، فجعل ينترها قائلاً: يا أماه! لا تشدي يدي؛ فإني أحتاج أن أبصبص لربي بأصبعي».[1]

٢ ـ يقول عمر بن الخطاب: «إن عليا عليه السلام رأى حية، تقصده، وهو في مهده، وقد شُدَّت يداه في حال صغره، فحوّل نفسه، فأخرج يده، وأخذ بيمينه عنقها وغمزها غمزة؛ حتى أدخل أصابعه فيها، وأمسكها حتى ماتت، فلما رأت ذلك أمُّه نادت واستغاثت؛ فاجتمع الحشم، ثم قالت: كأنك حيدرة حيدرة! اللبوة إذا غضبت من قبل أذى أولادها».[2]

٣ ـ ويقول جابر الجعفي: «كان ظئرة علي ـ التي أرضعته ـ امرأة من بني هلال، خلفته في خبائها مع أخ له من الرضاعة، وكان أكبر منه سنا بسنة، وكان عند الخباء قليب، فمرّ الصبي نحو القليب، ونكس رأسه فيه، هنالك تعلق علي عليه السلام بفرد قدميه في يدي الطفل وفرد يديه في فمه، فجاءت أمه فأدركته، فنادت في الحي: يا للحي من غلام ميمون!

١. بحار الانوار، ج ٤١، ص ٢٧٤ عن المناقب.

٢. نفس المصدر، ٤١، ٢٧٤ عن انس عن عمر...

أمسك علي ولدي! فمسكوا الطفل من رأس القليب، وهم يعجبون من قوته وفطنته، فسمته أمه مباركا. وكان الغلام من بنيهلال يعرف بمعلق ميمون». [١]

هذه بطولته في طفولته! فكيف بها في رجولته؟! حيث الأمة مجتمعة على أنه ما عمل أحد من المسلمين مثل ما عمله الإمام في جهاده مع الأعداء، ولقد بلغ من قوته مستوىً لا يذكر اسمه إلا ويلازمه ذكرى البطولة بكافة مفاهيمها، وأن الشجعان يعتزون ويتقوون بذكراه عند المناضلات ...

في المغازي:

ومن ذكريات بطولاته في المغازي الإسلامية:

١ ـ قتل يوم بدر خمسة وثلاثين مبارزاً، دون الجرحى.

٢ ـ ويوم أحد، قتَل كَبْشَ الكتيبةِ، طلحة بن أبيطلحة، وتسعة عشر آخرين من الأبطال، سوى من قتلهم بعد ما هزمهم.

٣ ـ ويوم الأحزاب يقتل عمرو بن عبد ود، ولده، ونوفل بن عبداللّه بن المغيرة، ومنبه بن العثمان العبدري، وهبيرة بن أبيهبيرة بن أبيهبيرة المخزومي؛ وحينذاك هاجت الرياح، وانهزم الكفار، وولّوُا الأدبار.

٤ ـ ويوم حنين أربعين رجلاً، وفارسَهم أبو جرول؛ فإنه قده نصفين بضربة في الخودة والعمامة والجوشن والبدن إلى القربوس!

٥ ـ وفي غزاة السلسلة، قتل السبعة الأشداء، وأشجعهم، سعيد بن مالك العجلي.

٦ ـ وفي بنيالنضير، أحد عشر غرورا منهم.

٧ ـ وفي بنيقريظة، ضرب أعناق رؤساء اليهود.

٨ ـ وفي بنيالمصطلق، قتل مالكا وابنه.

---

١. نفس المصدر، ٤١، ٢٧٥.

٩ ـ ويوم الفتح، قتل فاتك العرب، أسد بن غويلم.

١٠ ـ وفي واديالرمل، قتل جميع مبارزيهم.

١١ – وبخيبر، مرحبا وذا الخمار وعنكبوتا.

١٢ – وفي الطائف، هزم خيل ضيغم.

وما إلى ذلك من مقاتله العظيمة، فكان لا ينجو من ضربته أي بطل؛ حيث كانت له ضربتان: إذا تطاول قدَّ، وإذا تقاصر قطَّ.

أجل، هذا أمير المؤمنين قائد الجنود، وهو القائل: «... والله، لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها...»![1]

«لا فتى إلاّ علي لا سيف إلاّ ذوالفقار»!

يسمع هذا النداء من السماء حينما يحارب رجلاً من المشركين، فسأله المشرك أن يهبه سيفه؛ فرماه إليه! فقال المشرك: «عجبا يا ابن أبيطالب! في مثل هذا الوقت تدفع إليَّ سيفك؟» فقال: «إنك مددت إلي يد المسألة، وليس من الكرم أن يُرَدَّ السائل»، فرمى المشرك نفسه إلى الأرض، قائلاً: «هذه سيرة أهل الدين»، فقبّل قدمه، وأسلم![2]

«يا أمير المؤمنين لم لا تشتري فرسا عتيقا»؟

قيل له ذلك حيث كان فرسه متوسط الخُطا، رفيقا غير عتيق؛ فكانوا يعجبون منه، وهو ذلك البطل المغوار، وذاك فرسه! فأجاب قائلاً: «لا حاجة لي فيه، وأنا لا أفر ممن كرّ عليّ، ولا أكرّ على من فرّ مني»![3]

---

١. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٤٥ (كتابه إلى عثمان بن حنيف الانصارى، عامله على البصرة)، ج ٣، ص ٧٣.

٢. أبوالسعادات في فضائل العشرة.

٣. امالي الصدوق ١٠٢ عن الصادق عليه السلام.

يا أميرالمؤمنين! لم لا تلبس جوشنا تماما، فما لجوشنك ليس له ظهر؟

«... لا حاجة لي إلى ظهر؛ حيث لا أفر حتى أخاف الضربة على ظهري»!!

أجل، إن الإمام لا يفر من العدو، شجاعةً بلباقة، ولا يكر على من فر، حنانا منه وكرما! ومِن كرمه وعلوّ همته أنه لم يكن يأخذ سَلَب القتلى، فيذرهم حيث هم.

يقتل عمر بن عبدو، ولا يأخذ سَلَبه، وتراه أختُه قتيلاً، فتقول: «من قتله؟» قيل: «علي!»؛ فأنشدَتْ حينذاك تقول:

«...كفو كريم!

لو كان قاتل عمرو غير قاتله	لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتل عمرو لا يعاب به	من كان يدعى قديما بيضة البلد!»

كيان الجنود في نظر الإمام!

«... الجنود بإذن اللّه حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم...».[1]

أجل، إن الحكومة العلوية ترى الجنود حصون الرعية، تذود عنهم بأس الأعداء، وتبسط الأمن في البلاد، حينما ترى الحكومات الظالمة أن الجنود إنما هي لاحتفاظ القائد، وبيته وأهدافه؛ فقد يأمرهم بإطلاق النار على وجوه الشعب الأبرياء، رغمَ أنهم يطالبونه بالحق ويريدون التحرر عن السلطات الجبارة.

آثَرُ الجنود عند القائد!

«... لِيكُن آثر جنودك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جِدته، بما يسعهم ويسع من ورائهم من خَلوف أهليهم، حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد

١. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٥٣، (عهده الى مالك الاشتر)، ج ٣، ص٩٠.

العدو... فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم؛ فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاءالله. ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره، ولا تقصرن به دون غاية بلائه، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما... إن عطفك يُعطف قلوبهم عليك، وإنّ أفضل قرة عين الولاة استقامةُ العدل في البلاد وظهور مودة الرعية، وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة أمورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم...»[١]

مصارف الجنود على الشعب، كما أن الذود عن الشعب على الجنود:

«... ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج، الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم ...»

ليس للجنود مضارة الشعب، كما ليس للشعب مضارة الجنود؛ حيث إنهما كعضوين في بدن واحد، يتفقان في هدف واحد دونما تفاوت!

لذلك، إن الإمام يصدر أمرا باتّاً لتأديب الجنود الذين تطأ عمل العمال حيفا عليهم، قائلاً: «من عبدِاللّه عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمّال البلاد. أما بعد، فإني قد سيَّرت جنودا هي مارة بكم إنشاء اللّه، وقد أوصيتهم بما يجب عليهم من كف الأذى وصرف الشذى(أي: الشر) وأنا أبرأ إليكم وإلى ذمتكم من معرة الجيش إلا من جوعة المضطر، لا يجد عنها مذهبا إلى شبعه. فنكلوا من تناول منهم شيئا ظلما عن ظلمهم، وكفوا أيدي سفهائكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه

---

١. نفس المصدر، ص٩٢_ ٩٣.

منهم. وأنا بين أظهر الجيش؛ فادفعوا إلي مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من أمرهم، ولا تطيقون دفعه إلا بالله وبي؛ فأنا أغيِّره بمعونة الله إن شاء الله».[١]

أجل، إنه ليس للجيش في الحكومة العلوية شأن، إلا الذود عن الشعب، دونما أذى أو شذى عليهم، كما ليس للشعب مضارتهم والتعرض لهم، إلا عند تجاوزهم على الشعب؛ فلهم التنكيل بهم عند المكنة، ورفع مظالمهم إلى القائد الأعظم لو لم يمكنهم دفعهم عن التجاوز، وإنه مما لا بد منه للجنود على الشعب شبعهم وما يضطرون إليه؛ فليس لهم منعهم عن ذلك كما في غيرهم من المضطرين.

قائد الجنود وزير الدفاع

«... فوَلِّ من جنودك أنصحَهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيبا، وأفضلهم حلما، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف ...».[٢]

أجل، إنّ قائد الجنود يحق له أن يكون جامعاً لهذه الخصائل الروحية، من لا يحمله الغضب على التجاوز عن الحق، وهو رؤوف على قدرته، وحليم على قوته، يرأف بالضعفاء، ويعلوا على الأقوياء، من لا يثيره العنف والقوة على الميل عن المحجة العادلة، ولا يقعده عن نضال الأقران والشجعان ضعفٌ في روحه أو في بدنه؛ فهو جامع مجامع القدرة روحيا وفي جسمه.

وظائف قواد الجنود وأصحاب المسالح في مختلف الثغور:

يصدر الإمام أمرا هامّا إلى موظفي الثغور، الحارسين لمواضع السلاح، قائلاً: «من عبد اللّه، علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى أصحاب المسالح.[١] أما بعد، فإن حقا على الوالي ألّا

١. نفس المصدر، الكتاب: ٦٠، صص١١٦ـ ١١٧.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ٥٣ (عهده إلى مالك الأشتر)، ج٣، ص ٩٢.

يغيّره على رعيته فضلٌ، نالَه، ولا طولٌ، خُصَّ به، وأن يزيده ما قسم الله له من نعمه، دنُوّا من عباده وعطفا على إخوانه ...».[٢]

فما فضل به قائد الجند من القيادة والقوة، لا يحق له أن يستكبر بذلك عن الحق والعدل؛ بل حقٌّ له أن يزيده ذلك حنانا وعطفا على رعيته.

فعلى القائد أن يعدل في الجنود، صغيرهم وكبيرهم، دونما تفاوت واستئثار، ولا يستصغر دانيهم ويستعظم عاليهم؛ فالقريب منهم من قرَّبه حسن الخدمة فيما عليه!

«ألا، وإن لكم عندي ألّا أحتجز دونكم سرا إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمرا إلا في حكم، ولا أؤخر لكم حقا عن محله، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا عندي في الحق سواء ـ فإذا فعلتُ ذلك، وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة ـ وألّا تنكصوا عن دعوة، ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق. فإنْ أنتم لم تستقيموا على ذلك لم يكن أحد أهون علي ممن اعوجّ منكم ثم أُعظِم له العقوبة، ولا يجد فيها عندي رخصة؛ فخذوا هذا من أمرائكم، وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم».[٣]

أسرار الحرب لا تعدوا رئيس الدفاع!

كما أن الحكم بين المتخاصمين لا يعدوا محكمة العدل، يقرر الإمام في هذا القرار الهام لقواد الجنود ألا يحتجز دونهم سرا ـ أيّاً كان ـ إلا في الحرب ـ إذ يجب المحافظة على أسرار الحرب كَيما تفشل بمن لا يؤمَن عليه مِن إفشائها للعدو ـ وألّا يطوي عن مشورتهم أمرا إلا في حكم، صرح به الشرع في حد من الحدود، فلا شورى في حكم

١. جمع مسلحة، أي الثغور لأنها مواضع السلاح.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ٥٠، ج٣، ص ٧٩.

٣. نفس المصدر، الكتاب: ٥٠، ج ٣، صص ٧٩ ـ ٨٠.

اللّه، وبعد هذين، ليس للقائد أن يحتجز عن شعبه سرا، ولا أن يؤخر لهم حقا عن محله اللائق به.

ثم إن الجنود، بشتات مراتبها، متحدة تجاه الحق وقانون العدل، لا يفرَّط في أدانيهم، ولا يُفْرَط في أعاليهم، وإنما الحاكم بينهم هو العدل لا سواه.

أجل، إن أمير الجند وأضعف افراده في الحكومة العلوية على سواءٍ وجاه القانون؛ فأكْرِمْ به وأحسن!

فهل تقاس هذه الحكومة الغراء بالحكومات التي لا تَحكم فيها إلا حاكم القدرة والسلطان، والسيف والنار، وحاكم الاستئثار والأنفة والاستكبار؛ فتحطِّم الحق والقانون تحت نير الذل والقوة الطاغية إلى حيث يقول أحدهم: أنا القانون والقانون أنا، إنما القانون للاحتفاظ عليّ وعلَى كياني ولأحكم به لا ليُحكم عليّ! إنّ أمر القانون بيدي، أقلّبه كيفما شئت، أراده الشعب أم لم يرده.

فتراهم يختلقون قوانين جائرة من عند أنفسهم، ويتولد من أفكارهم الجهنمية الهمجية السوداء ما يحطِّم الشعب ودينه وقوانينه، ويهتك الرعية ونواميسها ويقضي عليها، لكي يركز بذلك عرش حكمهم.

وتراهم يحتجزون عن كل سر دون الشعب ودون الجنود، ويستأثرون بها المستشارين الأجانب، أعداء الدين والشعوب، ويسيطرونهم على الجنود وقوادها!!!

ذلك إرغاماً لأنوف الشعب وأنظمته الدولية تحت سلطات الأجانب ليأتمروا بأمرهم، كما أن الحاكم الأول هو العبد الأول ومن عملائهم المطيعين لهم.

حينذاك يقرر الإمام عليه السلام قراره الهام على الجنود بألّا يتأخروا عن دعوة القائد الأعظم، ولا يقصروا في صلاح يستصلح به الشعب والحكومة، وأن يخوضوا الشدائد الغامرة للوصول إلى الحق، فيدوروا مع الحق حيثما دار، فيكونوا ضحايا الحق ضد الباطل والجور. ثم يهددهم، إنْ لم يستقيموا واعوجَّوا عن الحجة والمحجة، يهددهم بعظيم العقوبة، دونما رخصة ونظرة.

وأخيرا يقرر قرارا للجانبين: الأمير والمأمور، فأما المأمور فحقٌّ له أن يأخذ حقوقه من الأمير ويطالبه بها دونما خوف واضطراب، ويفرض عليه من جانب آخر أن يعطي الأمير حقه في إمارته بصدق الطاعة وأداء الأمانة.

ثم بعدئذٍ يلقي قرارا حاسما على المتخلفين من الجنود في كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه:

«فإن عادوا إلى ظل الطاعة فذاك الذي نحب، وإن توافت الامور بالقوم إلى الشقاق والعصيان فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك، واستغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك؛ فإن المتكاره مغيبه خير من شهوده، وقعوده أغنى من نهوضه».[1]

يقرر هنا أن ينهض القائد ويستظهر بمن أطاعه إلى من عصاه، فيخرجهم من جنوده على عقوبة وتأديب، فيستغني بالمنقاد عن المتكاره، دونما إكراه على العاصي أن ينقاد؛ حيث لا يؤمن حيلته حينذاك، وإنْ ألقى إليك حبلَ الطاعة في ظاهر الأمر **فقليل مع ثبات خير من كثير على شتات!**

أجل، إنَّ خلوَّ الجنود عن المتثاقلين في الدفاع، أصلحُ من قيامهم فيهم؛ حيث يُخاف غدرهم، وأن يسري التكاره منهم إلى المنقادين؛ فيفشل أمر الجنود بأجمعهم.

كيف تلتقى الجنود الأعداء؟
(قرارات التجنيد وأنظمة الدفاع والصلح)

١ ـ «ولا تدنُ من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري، ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم».[2]

١. نفس المصدر، الكتاب: ٤، ج ٣، ص ٦.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ١٢، (في وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي حين انفذه إلى الشام في ثلاثة الاف)، ج١، ص٣.

٢ ـ «لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم؛ فإنكم بحمد اللّه على حجة، وتركُكم إياهم حتى يبدؤوكم، حجةٌ أخرى لكم عليهم؛ فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا، ولا تصبيوا مُعوِراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى. وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول. إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات. وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعير بها وعقبه من بعده».[١]

أجل، إن القتال في الإسلام إنما هو دفاع، لا لون له إلا الذب عن مس العدو، والذود عن الأنفس والأموال والأعراض الإسلامية السليمة، والاحتفاظ على الدين والدينين، ونواميسه ونواميسهم؛ كل ذلك في سبيل اللّه.

وليس هو تفتحا للبلاد لتوسعة المُلك، ولا حرصا على تحطيم الأعداء دونما اندفاع عن بأسهم. وأخيرا ليست الحروب الإسلامية توسُّعية ظالمة، إنما هي دفاعية أو تأديبية ضد من يعيث الفساد في الأرض، وأجمَل تعبير وأخصره في الحروب الإسلامية: أنها في سبيل اللّه.

فهذا أميرالمؤمنين، المَثَل الأول للرسول الأعظمﷺ، يقرر ذلك القرار العادل السَّمح في الدفاع، فلا يسمح البدء بالقتال حتى يبدأ العدو. لا يأمر بالقتال إلا بعد دعائهم إلى الحق وإتمام الحجة عليهم، لكي تتم بذلك حجتان على العدو، و ﴿... لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ...﴾ [الأنفال: ٤٢]

ثم بعدئذ ينهى في القتال عن أمور،[٢] قضيةً لحكم الفطرة الإنسانية والحنان، الذي يمليه الإسلام على معتنقيه، وإلزاما للحجة على العدو و... كما يلي:

---

١. الكتاب ١٤، (ومن وصية لهعليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين)، ج ٣، ص ١٥.

٢. لقد فصلنا القول في حدود الجهاد في موسوعتنا المسلسلة، التفسير الموضوعي، تحت عنوان «الجهاد في نظر القرآن».

١ ـ «لا تقتلوا مدبرا»! لماذا؟ لأنكم لا تقاتلون إلا للدفاع، لا قتلاً ضاريا توسعيا؛ فإذا أدبر العدو منهزما فلا دفاع.

٢ ـ «ولا تصببوا معورا»؛ إذ أمكن من نفسه لكم وهو عاجز عن حمايتها، فخلوا سبيله؛ إذ إن الكفاءة شرط الفتوة في المقاتلة.

٣ ـ «ولا تجهزوا على جريح» لا تقتلوه على جرحه! ذروه وما هو عليه من علته؛ حتى يقضي اللّه أمرا كان مفعولاً.

٤ ـ «ولا تهيِّجوا النساء بأذىً وإن هيجوكم بشتم أو سب؛ إذ إنهن ضعيفات القول والأنفس والعقول...» وما إلى ذلك من الحنان في القتال، مِن عدم التعرض للصبيان والأشياخ والضعفاء والنساء وأشباههم!

متى تسير الجنود؟ ومتى تقف؟ وكيف تسير؟

«وسر البردين، وغوّر بالناس، ورفه بالسير، ولا تسر أول الليل؛ فإن الله جعله سكنا وقدره مقاما لا ظعنا؛ فأرح فيه بدنك وروِّح ظهرك، فإذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر، فسر على بركة اللّه».[1]

يقرر الإمام عليه السلام في ذلك القرار:

١ ـ كون السير في وقتيِ البرد: الغداة والعشي.

٢ ـ وألّاينزل بالجنود في الغائرة، وهي شدة الحَرّ.

٣ ـ وأن يرفِّه في السير دونما إتعاب.

٤ ـ وأن يستريح أول الليل؛ حيث جعله اللّه سكنا وقدره مقاما؛ فهو بالاستراحة أوفق وللجنود أرفق.

---

١. نفس المصدر، الكتاب: ١٢، ج٣، ص١٢؛ (كتبه الإمام إلى معقل‌بن قيس الرياحي حين أنفده إلى الشام في ثلاثة الاف مقدمة له).

٥ ـ خذ بالسير حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر.

كلّ ذلك كي لا تضعف الجنود قبل لقاء العدو، ويحافظوا على استعدادهم للحرب في نظرة وراحة، فيغلبوا بإذن اللّه.

وكل ذلك، إذا لم يضطرهم للحراك ـ في الأوقات المخطورة والحارة ـ حدثٌ هائل، يفرض على الجنود الإسراع إلى الأعداء، إذا لا سبيل حينذاك إلا التعجُّل والإسراع.

الثبات في الحرب:

«... تزول الجبال ولا تَزِلُّ، عضَّ على ناجذ (أقسى الأضراس) أعِر اللّه جمجمتك، تِدْ في الأرض قدمك: (ثبتهما كالوتد) ارم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك: (أحِط بجميع حركاتهم) واعلم أن النصر من عند اللّه سبحانه».[1]

المحل المناسب للمعسكر؟

«فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم، فليكُن معسكركم في قُبيل الأشراف أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار، كيما يكون لكم ردءا ودونكم مردا. ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين. واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلّا يأتيكم العدو من مكان مخافةٍ أو أمنٍ. واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدّمة طلائعهم. وإياكم والتفرق! فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كِفّة، ولا تذوقوا النوم إلّا غرارا أو مضمضة».[2]

هنالك يقرر الإمامعليه السلام مقر المعسكر، بأن يكون قدّام الجبال وأسافلها أو أثناء الأنهار، لتكون ردءاً من خَلْف ومردا للعسكر، وأن يجعل رقباء، يرقبونهم عن كيد الأعداء وبأسهم في أعالي الجبال والأتلال؛ إلّا يفاجأهم العدو من مأمنهم.

---

١. نفس المصدر، الكلام: ١١ (كلامهعليه السلام لابنه محمد بن الحنيفة لما أعطاه الراية يوم الجمل)، ج ١، ص ٤٣.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ١١ (أوصى فيه جيشا بعثه إلى العدو كيف يصنع ليقضي عليه)، ج٣، ص ١٣.

ثم بعد أن يحذِّر الجند عن عيون وطلائع العدو، يحظِّرهم عن التفرق في وجه الأعداء، ويحرِّضهم على النزول جميعا لا أشتاتا، وكذلك الارتحال؛ ليملؤوا بذلك عيونهم رهبةً ورعبا، ثم إذ غشيهم الليل، ليس لهم ذوق النوم إلا ما بينه وبين اليقظة، أو المضمضة؛ وأن يجعلوا أسلحتهم مستديرة حولهم، ككفة الميزان؛ فهو ميزان منام الجنود ليلاً، دونما غفلة أو فتور.

أين يقف قائد الجنود من المعسكر وكيف النضال؟

«فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطا، ولا تدْنُ من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب، ولا تُباعدْ عنهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري ...».[1]

وهذا تقريره للجنود قبل الأخذ في النضال، فكيف القتال؟

كان يقول لأصحابه عند الحرب:

«لا تشتدّنَّ عليكم فَرّةٌ بعدها كرَّةٌ، ولا جولةٌ، بعدها حملةٌ، وأعطوا السيوف حقوقها، ووَطّئوا للجنوب مصارعها، واذمُروا أنفسكم على الطعن الدَعْسيّ والضرب الطَلَحْفَى، وأميتوا الأصوات؛ فإنه أطرد للفشل. فوَالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا ...».[2]

يقول: لا معرَّة في الفرة، إذا كانت مقدمة للكرَّة أو بعدها كرَّة، ولا جناح في التجوال دونما نضال وقتال إذا كان بعدها حملة.

ثم حق السيف أن يقطع ويدمر، ولقد كانت ضربات الإمام عليه السلام أبكارا: إذا تطاول قدَّ، وإذا تقاصر قطَّ؛ وإذا أتى حِصنا هدَّ، ولم تكن عونا تحتاج إلى المعاودة؛ فكان لا ينجو من ضربته أحد، يعطي السيف حقه في القتال.

---

١. نفس المصدر، الكتاب: ١٢(وصيته لمعقل بن قيس في حرب الشام)، ج٣، ص ١٤.

٢. نفس المصدر، الكتاب ١٦ (وكان يقول عليه السلام لاصحابه عند الحرب)، ج ٣، ص ١٦.

«... أن أصول الضرب ستة، وكلها مأخوذة عنه، وهي: عِلوية، وسِفلية، وغلبة، ومالِهٌ، وجالِهٌ، وجرهام ...».[١]

أجل، وطئوا بسيوفكم مصارع جنوب الأعداء، مذمرين بها للطعن الشديد، والضرب العتيد القاطع القاضي! وأميتوا الأصوات من ضجيجها وعجيجها؛ كي لا يفشل الجند فيُغلب، أو يتقوى العدو فيَغلب، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ...﴾ [الأنفال: ٦٠]

فهذه طَرْف من توجيهاته وأوامره لوزارة الدفاع وأنظمتها... وختاما للبحث نذكر، فيما يلي، تأنيبه على بعض أصحاب الثغور والحدود الإسلامية لتوانيهم وِجاه الأعداء، وطَرْفا من مقرَّرات الصلح.

يكتب إلى كميل بن زياد عامله على هيت، ينكر عليه دفع من يجتاز به من جيش العدو، طالبا الغارة: «أما بعد، فإن تضييع المرء ما وُلِّي، وتَكلُّفُه ما كُفِي، لَعجزٌ حاضر، ورأيٌ متبَّر، وإنَّ تعاطِيَكَ الغارةَ على أهل قِرقِيسيا،[٢] وتعطيلَك مسالحَك التي ولَّيناك، ليس بها من يمنعها ولا يردّ الجيش عنها، لرأيٌ شَعاعٌ.[٣] فقد صرتَ جسرا لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك، غير شديد المنكب، ولا مهيب الجانب، ولا سادٍّ ثُغرةً، ولا كاسرٍ شَوكةً، ولا مُغنٍ عن أهل مصرِه، ولامُجزٍ عن أميره».[٤]

موارد الصلح

﴿... وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ...﴾ [النساء: ١٢٨] ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦١ـ ٦٢]

١. وصف ضرباته كما نقلناه. مناقب آل أبي‌طالب، ج ١، ص ٣٥٥.

٢. بلد على الفرات.

٣. رأى شعاع: متفرق يصب المخطور على الشعب وبلده من العدو.

٤. نفس المصدر، الكتاب: ٦١، ج٣، صص ١١٧ ـ ١١٨.

«اغتنم مواضيع الصلح»، «... لا تدفعن صلحا، دعاك إليه عدوك، فيه رضى؛ فإن في الصلح دعةٌ لجنودك، وراحةٌ من همومك، وأمنا لبلادك ...»[١]

ولكن لا تأمن العدو المصلح؛ فرب صلح هو حيلة للتفجؤ، كما واصل عليه السلام قائلا: «ولكن الحذر كل الحذر مِن مقاربة عدوك في طلب الصلح! فان العدو ربما قارب ليتغفل؛ فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن...»

راعِ عقود الصلح دونما تخلف، ولا تنقض إلا من نقضك؛ ﴿... فَمَنِ اعْتَدىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدىٰ عَلَيْكُمْ...﴾ [البقرة: ١٩٤]

«وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبستَه منك ذمة، فحُط عهدك بالوفاء، وارعَ ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جُنة دون ما أعطيت؛ فإنه ليس من فرائض الله شيء، الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استوبلوا من عواقب الغدر؛ فلا تغدرنَّ بذمتك، ولا تَخِيسَنّ بعهدك، ولا تختِلَنَّ عدوَّك؛ فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقيّ. وقد جعل الله عهده وذمته أمنا، أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى مَنَعَته، ويستفيضون إلى جواره؛ فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه. ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل، ولا تُعَوِّلَنَّ على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونَّك ضيقُ أمر، لزمك فيه عهد الله، إلى طلب انفساخه بغير الحق؛ فإنّ صبرك على ضيق أمر، ترجو انفراجه وفضل عاقبته، خيرٌ من غدر، تخاف تَبِعَته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبة؛ فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك...»

هنالك يُلزم الإمام عليه السلام القتال تحت لزام الصلاح، دفاعاً عن الحق وذوداً للنفس والنفيس من المسلمين، دونما حرص على إراقة الدماء، وفتح

---

١. نفس المصدر، الكتاب: ٥٣ (عهده إلى مالک الاشتر)، ج٣، ص ١٠٦.

أراضي الأعداء وبلادهم، ودون أطماع توسعية ظالمة. فلا تريد الحكومة الإسلامية من الناس إلا انفتاح آذانهم لسماع الحق، وانفتاح قلوبهم لإشعاع أنوار المعرفة واليقين، ولا معنى للقتال في الإسلام إلا في سبيل اللّه.

ولقد كان الإمام، إذا يلاقي العدو محارباً، يقول: «أللهم إليك أفضَتِ القلوب، ومُدّت الأعناق، وشخَصَت الأبصار، ونُقِلت الاقدام، وأُنضِيت الأبدان. أللهم قد صرَّح مكتومُ الشنآن، وجاشت مراجل الأضغان. أللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا، وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا. ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ﴾ [الاعراف. ٨٩] ».[١]

هذا طَرْف من القرارات الصالحة للتجنيد والدفاع، وإنّ القرآن يلقي قرارا هامّاً على المسلمين إطلاقا، أن يأخذوا حِذرهم وأسلحتهم من أعدائهم، ويُعدُّوا لهم ما استطاعوا من قوة، فكرية وعملية، علمية وصناعية، بسلاح العقل والفكر الثاقب والتدبير اللائق، وبسلاح الحديد والنار، تقديما للأسلحة الروحية على الحديدية، قائلاً: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد. ٢٥]

ومن مقالات الإمامعليه السلام: «الجنة تحت ظلال السيوف».[٢]

أجل، لا تتمكن أمّةٌ من حياة صالحة في ظل من الرَّوح والراحة، في جماعات عاتية ظالمة من شتى الجهات الحَيوية، إلا تحت ظلال السيوف والسلاح، التي تهدد وتقطع أطماعهم التوسعية عن أن ينالوهم بسوءٍ!

١. نفس المصدر، الكتاب: ١٥، ج٣، ص ١٥.

٢. بحار الانوار، ج ٣٣، صص ١٤ و ٤٥٧ و ج٩٧، ص ١٣.

شريعة الجهاد:

... طالما تتطاول أقلام وألسنة المبشرين والمستشرقين المسيحيين ضد الإسلام في كتيباتهم ودعاياتهم، أنه شريعة القوة والخشونة، تدعوا الناس ليدخلوا في الإسلام بقوة السيف والنار...!

لكنهم بين من لم يدرس الإسلام درساً واقعياً، ومن يحقد الإسلام ويتربص به الدوائر. ولا تؤثر دعاياتهم الزور، الا فيمن لم يدرسوا الإسلام كما هو، أو من ينحو منحاهم في العداء ضد الإسلام...

إذاً، فتعالوا ندرس شريعة الجهاد، حسب القرآن الذي هو سناد الإسلام الأول والأخير: ﴿لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ [البقرة: ٢٥٦]

وهكذا يحكم العقل أيضاً، والواقع أنّ الايمان ــ وهو من حالات القلب ــ لا ينفذ ويسكن في القلب بالإكراه، إنما للاكراه نصيبه من أعمال الجوارح، وهي أيضا لا تبقى إلّا حسب بقاء الإكراه، رغم أننا نرى المسلمين طوال القرون الإسلامية، يخافون اللّه ــ من آمن منهم ـ يخافون ويتقون سرا وعلانية، ولا تأخذهم في اللّه لومة لائم.

والحروب الإسلامية ـ طوال قرونها ـ ليست بالتي تُعدُّ على حساب الإسلام، إلا ما توفرت فيه الشروط الإسلامية، دون التي شذت عن الشروط الإسلامية من الحكومات الشاذة عن صميم الإسلام.

فالقرآن، إذ يسمح للجهاد ويأمر به، يعتبره أمرا إصلاحيا، لا توسعيا تخريبيا، ويعده من العبادات وفى سبيل اللّه، لا في سبيل الحيوَنة والوحشية التوسعية.

نرى مبررات أربعة في الحروب الإسلامية، كالتالية:

١ ــ عندما يهاجَم المسلمون من قبل أعدائهم، فهم مأذون لهم الدفاع وقد يؤمرون به إن كانت لهم عِدة وعُدة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلّا أَنْ يَقُولُوا

رَبُّنَا اللهُ وَلَوْ لا دَفْعُ اللهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ❁ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلّهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤١].

هكذا يؤمر المسلمون أن يدافعوا عن أنفسهم، ﴿... عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾: ﴿فَقاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إِلّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾ [النساء: ٨٤].

٢ ـ للحفاظ على النواميس والنساء والأطفال والضعفاء، الذين هم في خطر الأعداء، كي لا يُفاجَؤوا بالتنكيل: ﴿وَما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظّالِمِ أَهْلُها وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ❁ الَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء: ٧٥ ـ ٧٦].

٣ ـ لدفع مادة الفساد والفتنة: ﴿وَقاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلاّ عَلَى الظّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتّى جاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كارِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٨] ذلك لأنّ ﴿... الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ...﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿... وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ...﴾ [البقرة: ٢١٧].

يسمح الإسلام للقتال دفعا لما هو أشرّ وأخطر: الفتنة التي تسبب الأخطار العقيدية وما أشبه، ومنها: القتال.

٤ ـ لتأديب الأعداء، الذين نقضوا العهد في وقف اطلاق النار، فأطلقوها، ونقضوا العهد في الكف عن الإفساد والتضليل؛ فواصلوا في تضليلاتهم: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِى دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ❁ أَلا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْراجِ

الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ❁ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ❁ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢ ـ ١٥].

فجماع الآيات في الجهاد الإسلامي أنه في سبيل اللّه، ذوداً عن حرمات اللّه من يهتكها، وعن أنفس المسلمين ونواميسهم وعقائدهم، وأمنهم في دينهم وفي ديارهم، كما ويجب على أي إنسان أن يدافع عن حقه وجوبا عقليا.

شريعة الجهاد في كتابات الوحي:

... وكما النبيون أجمعون أمروا بالجهاد، فمنهم من وجدوا أنصارا لتحقيق أمر اللّه كموسى وداوُد ويوشع،[١] إذ حاربوا حروبا دامية، ومنهم من لم يجد أنصاراً، رغمَ أنه كان مستعدا للحرب، كالسيد المسيح عليه السلام.

استعداد السيد المسيح للحرب

ففي إنجيل متى ١٠: ٣٤: «لا تظنوا أني جئت لألقى سلاما على الأرض. ما جئت لألقى سلاما بل سيفا».

وفي لوقا ١٢: ٤٩ ـ٥١: «جئت لألقي ناراً على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت؟ ولي صبغة أصطبغها، وكيف أنحصر حتى تكمل؟ أتظنون أني جئت لأعطي سلاما على الأرض! كلاّ! أقول لكم: بل انقساما»!

وفي لوقا ٢٢: ٣٦؛ «فقال لهم: لكن الآن من له كيس فليأخذه، ومِزوَد كذلك، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتري سيفا».

---

١. سفر الأعداد الفصل، ٣١:٧ ـ ١٧ ـ سفر التثنية الفصل ٢:٢٤ ـ ٣٤ والفصل ١:٢٠/٢، ٥، ٨، ١٠ ـ ١٤ والفصل ٢١: ٢٤ وسفر الخروج الفصل ١٧: ٨ ـ ١٦ وأغلب الفصول من كتاب يوشع. وأول تواريخ الأيام الفصل ٢٧ والتكوين ١٥:١٨.

يأمر هنا الحواريين بالاستعداد للحرب... وفى الآية ٤٩ يأمر بالضرب: «فلما رأى الذين حوله ما يكون، قالوا يا رب أنضرب بالسيف؟ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة؛ فقطع أذنه اليمنى...».

ونرى في هذا الفصل كيف يستنصر المسيح الحواريين، ليدافعوا عنه، وكيف أنهم تقاعدوا عن نصرته حتى كمشوه وسلموه إلى رئيس الكهنة وكان حادثة الصلب، مهما كان لمن شبِّه بالمسيح عليه السلام.

هكذا نرى السيد المسيح أنه كان مستعداً للحرب الدفاعية، وقد فشل في المعركة إذ فشل أنصاره، فناموا حينذاك بدل أن يقوموا بالسيف، إلّا واحد قطع أذن عبد رئيس الكهنة.

ثم نرى كيف ينقم المبشرون والمستشرقون المسيحيون من نبي الإسلام أن شريعته شريعة الجهاد، وبين أيديهم النبيون الذين جاهدوا وقاتلوا...! وبينهم السيد المسيح، الذي جعل الجهاد من أهدافه الأساسية...! وبينما هم ــ طوال التاريخ المسيحي ــ يوقدُن نيران الحروب متواصلة... وبعد كل ذلك، ينقمون من نبي الإسلام، لماذا دافع عن الإسلام وعن نواميس المسلمين!

ينقمون منه، رغمَ حكم العقل وكتابات الوحي بضرورة الدفاع عن النفس والنفيس، ورغم أن انبياء اللّه يمدحون شريعة الإسلام، أنها شريعة الجهاد، كما فصلنا القول فيه، في كتابنا، «رسول الإسلام في الكتب السماوية».



وزارة العدل وشروط القاضي والقضاء

كما أن الإمام عليه السلام كان أقضى الأمة، وأعدلَهم حكماً، ولقد قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فيه: «أقضاكم علي عليه السلام»،[1] كذلك كان يقرر القرارات العادلة الصالحة للقضاء العدل في شتى أرجاء أرض الوطن الإسلامي الكبير على شروط للقاضي والقضاء، وأنها لا تحق إلا لمن يمثِّل قضاء أحكم الحاكمين.

فكما أن الهداية والملك هما من شؤون الألوهية الخاصة، يمثِّل وينتخب لهما من يريد، من الأنبياء، فالائمة، فالعلماء الربانيين الراشدين، ومن الملوك العدول مِن النبيين وأتباع النبيين؛ كذلك القضاء، فإنها أيضا من شؤون الربوبية الخاصة كما ينطق بذلك كثير من آي الذكر الحكيم، ولا يمثِّل قضاءه سبحانه إلّا من فيه شروط العلم والعدل والكياسة والتدبر والتدبير التام في القضاء، حتى يحكم ولو عليه وعلى ذويه، دون أن يعدله عن الحكم هوىً أو ترغيبٌ أو ترهيبٌ أو رشاءٌ أو أية قدرةٍ، سوى الحق والعدل.

فبناية وزارة العدل في الحكومة العلوية، إنما هي على هذه الشروط العادلة وإنْ كانت قضاتها في بنايات خربة، وإن كان قضاؤه وهو وأمير العدل في دكة القضاء، حظيرة مسجد الكوفة، لا في قصور عالية ذات الأحجار المزيَّنة بأنواع الزينة والزخرفة وتصاوير العدل وموازينه، وهي خالية عن قضاة العدل وقضائه، بعيدة عن مفاهيم الحق! وإنما هم عملاء بدلَ أن يكونوا علماء، وهم غزاةٌ على الحق رغم أن يكونوا غزاة للحق، عادلين فيه، وهم المرتشون في الحكم عوض أن يحكموا بالحق!

فهناك يأتي الإمام على بيان شروط القاضي والقضاء، ومن لا يصلح لها قائلاً: ...

---

١. للحصول على مصادر الحديث، راجع كتاب «الغدير» العظيم، للعلامة الشيخ الاميني، ج٤، ص ٩٧.

من لا يصلح للقضاء؟

«إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان:

رجلٌ وكله الله إلى نفسه؛ فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوفٌ بكلام بدعة ودعاء ضلالة؛ فهو فتنة لمن افتتن به، ضالٌّ عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته.

ورجلٌ قَمَشَ جهلا، موضع في جهّال الأمّة، عادٍ في أغباش الفتنة، عمٍ بما في عقد الهدنة، قد سماه أشباه الناس عالما، وليس به؛ بكَرَ فاستكثر مِن جمعٍ، ما قل منه خيرٌ مما كثر؛ حتى إذا ارتوى مِن ماءٍ آجن، واكتنز من غير طائر، جلس بين الناس قاضياً، ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات، هيأ لها حشواً رثّاً من رأيه، ثم قطع به؛ فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ؛ فإن أصاب خاف أن يكون أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب! جاهلٌ خبّاط جهالاتٍ، عاش ركّاب عَشَواتٍ، لم يَعَضَّ على العلم بضرس قاطع، يُذري الروايات إذراء الريح الهشيم، لا مَليءٌ والله بِإصدار ما ورد عليه، ولا هو أهل لما فُوِّض إليه. لا يحسب العلم في شيء مما أنكره، ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهبا لغيره. وإن أظلم أمرٌ اكتتم به، لِما يعلم من جهل نفسه. تصرخ من جور قضائه الدماء، وتعج منه المواريث. إلى الله أشكو من معشرٍ يعيشون جهالا، ويموتون ضلالا، ليس فيهم سلعة أبْوَرُ من الكتاب إذا تُلي حق تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعا، ولا أغلى ثمنا من الكتاب إذا حُرِّف عن مواضعه، ولا عندهم أنكر من المعروف، ولا أعرَف من المنكر»![١]

أجل، إلى اللّه المشتكَى من عيشة جاهلية في ضلال، ممن ليس عندهم سلعة أبور من الكتاب، إذا استُنطق بالحق الذي ينطق به، ولا شيء أغلى منه ثمنا، إذا حُرِّف وأُوِّل على أهوائهم!

---

١. نهج البلاغة، عبده، الكلام: ١٧ (في صفة من يتصدى للحكم بين الامة وليس لذلك بأهل)، ج١، ص ٥١.

إلى اللّه المشتكى، من قضاة جهال، يراهم أشباه الناس مثقّفين، لِما عندهم من شهادات، أصدرتها كلية القضاء، وهم لا يعرفون من الحقوق الإسلامية متنا كاملاً ولو تقليديا من قضاء القرآن، فضلاً عن أن يجتهدوا فيه!

«بكّر فاستكثر من جمعٍ»: اجتمع عنده كثرات من شتات الأقاويل في الحقوق، في مدة قليلة، من الحقوق غير الإسلامية، أو الإسلامية الدخيلة أو المؤوّلة والمحرّفة، التي قليلها خير من كثيرها!

ذلك العالم الحقوقي، أو صاحب الدكتوراه في الحقوق، الذي ارتوى من عيون نتنة آجنة، وهو يرى أنه يحسن صنعاً، أخذ من الحقوق الفقهية الإفرنجية الضالة، أو من أبي‌حنيفة ومالك وأحمد والشافعي، دونما تساؤل عن الفقه القرآنى، وهو فقه الإسلام بكامله.

فهذه محاكم، ومحاكم الحكومة العلوية أيضا محاكم بجنبها، لا ترى القضاء لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به ما لا يعرف حكمه من الكتاب والسنة، اختلق لها خَلِقا من رأيه، لا يدري أصاب أم أخطأ!!!

لم يَعضّ العلم ولم يأخذه دراية وتفهما واختبارا، يُذري المدارك الحقوقية غثّها وسمينها، إذراء الريح الهشيم!!!

ويلات القضاء من غير أهلها:

تصرخ من جهل وجور قضائه الدمّاء، حكما بغير الحق، وتعجُّ منه المواريث؛ فأقْبِحْ بها قضاءً، وأشنِعْ به قاضياً!

وأسوأ من ذلك، المحاكم القضائية العميلة لحكام الجور، لا تقضي إلّا ما قرره القائد وأشار إليه، دونما رعاية حق أو قانون، إلا ما تهواه الحكومة المستبدة.

فهذه محاكم، ومحاكم الحكومة العلوية أيضا محاكم بجنبها، لا ترى لبعض المترافعين فضلاً على بعض إلا على ضوء الحق والعدل، وإن كان هو القائد الأعظم أو أية شخصية من الشخصيات العظيمة وكبار الموظّفين؛ فلا أعظم فيها من اللّه وحكمه، تحكم بصميم الحق والعدل، دونما رعاية منزلة أو مقام.

... من ذلك الوتيرة المبترة في القضاء تنشأ الخلافات العارمة في الأحكام؛ ولذلك إن الإمام عليه السلام يذمها في كلام له آخر قائلاً:

تناقض الأحكام في قضية واحدة في مختلف المحاكم القضائية الدخيلة!

«تردّ على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم تردّ تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام، الذي استقضاهم، فيصوِّب آراءهم جميعا! وإلههم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد! أفأمرَهم اللّه تعالى بالاختلاف فأطاعوه؟ أم نهاهم عنه فعصوه؟ أم أنزل اللّه دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركاءه؛ فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أنزل اللّه سبحانه وتعالى دينا تاما فقصَّر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه، واللّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿... مٰا فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شيء ...﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال: فيه تبيان كل شيء،[1] وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضا، وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿... وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء: ٨٢].

وإن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تكشف الظلمات إلا به».[2]

يذم الإمام في هذا الكلام رأي «التصويب» في مختلف الأحكام، كما عليه جمعٌ من أهل السنة، فأجْهِلْ بهم حكما، وأظلِمْ بهم قضاءً ورأياً!

---

١. إشارة إلى الآية: ٨٩ من سورة النحل.

٢. نفس المصدر، الكلام: ١٨ (في ذم اختلاف العلماء في الفتيا)، ج١، ص ٥٤.

من يصلح للقضاء؟

ويقول عليه السلام: «اختر للحكم بين النـاس أفضـل رعيتـك فـي نفسـك، ممـن لا تضـيق بـه الأمور، ولا تُمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفـيء إلـى الحـق إذا عرفه، ولا تُشرف نفسه على طمع، ولا يكتفـي بـأدنى فَهْـم دون أقصـاه، وأوقفهـم فـي الشبهات، وآخذَهم بالحُجج، وأقلهَّـم تبرُّمـاً بمراجعـة الخصـم، وأصـبرهم علـى تكشّـف الأمور، وأصرمَهم عند اتضاح الحكم؛ ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئـك قليل. ثم أكثر تعاهُد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علتـه، وتَقِـلّ معـه حاجتُـه إلـى الناس، وأعطه من المنزلة لديك مـا لا يطمـع فيـه غيـره مـن خاصـتك؛ ليـأمن بـذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر في ذلك نظرا بليغا، فإن هذا الـدين قـد كـان أسـيرا فـي أيدي الأشرار، يُعمل فيه بالهوى، وتُطلب به الدنيا ...».[1]

هذه ثلاثة عشر شروطاً مفروضةً[2] في القاضي، مضافة إلـى العلـم الثاقـب بالكتـاب والسنة، ولتأمين هذه الشروط الهامة واستبقائها عمليا في القاضي، يفـرض الإمـام عليه السلام على القائد الأعظم أمرين، يعطيهما قضاة العدل، وهما:

١ ـ أن يفسح لهم في البذل ما يزيل عللهـم وأعـذارهم فـي الرشـا؛ فبـذلك تنسـدّ عليهم أبواب الرشا إطلاقا.

ولكن ذلك لا يكفي ذوداً لهم عن الانحراف عن الحـق، والانحـراف فـي الحكـم؛ حيث تكون هناك شخصيات فوقهم في الأنظمة الحكوميـة، ولـذلك يسـدّ بـاب العـذر عليهم من هذه الناحية أيضا مضافا إلى الأولى قائلاً:

٢ ـ «أعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره مـن خاصـتك»، لمـاذا؟ «ليـأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك».

---

١. نفس المصدر، الكتاب: ٥٣ (عهده إلى مالك الأشتر)، ج ٣، ص ٩٤.

٢. اقتباسٌ من القياس الادبي عن الآية ٢٥ من سورة الكهف حيث قال جلّ وعلا: ﴿ثلاث مائة سنين﴾، إذ المصنف كان يرى القرآن مصدراً رئيساً وقولاً فصلاً، حتى في اصطياد القواعد الادبية.

أجل، إن الحكومة العلوية، مع هذه الشروط الأساسية للقاضي، تعطيه من الجاه والمال ما لا تعطيه لأحد، ولو من أخص خواص الحكومة.

مقام القضاء أرفع المقامات في هيئة الدولة العلوية!

إن حرمة القاضي أعلى من جميع المقامات الدولية، ومن رئيس الوزراء، وحتى من القائد الأعظم، إن لم يكن هو أيضا في مقام القضاء؛ لكيلا يطمع أحد في تحريف القضاة عن المحجة، حتى القائد نفسه، فلا أحد أعظم من القاضي؛ لأنه يحتل مسؤولية الحكم بين الناس، كما أنه لا شيء أعز من الحق.

الشروط الأربعة عشر في القاضي

١ ــ العلم بالكتاب والسنة، كما نبه عليه الإمام في الكلام السالف، وهو أن يعضَّ على العلم بضرس قاطع.

٢ ـ ألّا تضيق به الأمور عن الحكم الحق، من شبهة في مدارك الحكم، أو تشخيص المورد، أو الدوافع الخارجية لإصداره بعد معرفته.

٣ ـ لا تمحكه وتغضبه الخصوم، كيفما تخاصموا، وأنَّى ومهما اختصموا لديه؛ فليكن حليما، بحنانٍ ورحمة بالغة؛ فالقضاء لا يلائمها الغضب، الذي يزل بصاحبه عن المحجة، ويبطل الحجة.

٤ ــ لا يتمادى في الزلة إن زل، بل يستبدل بها الصواب الذي أراه اللّه تعالى دونما استحياء.

٥ ـ ولا يحصر ويقف عن الرجوع إلى الحق متى عرفه.

٦ ـ لا تُشرف نفسُه ولا تُغلبه على طمع؛ بل يغلب على المطامع كيفما كانت، وحيثما بلغت! كيف لا، وقد كفى اللّه أجره، وكفَتْه الحكومة العدل، مما فسح له في البذل، وكفاه الحق عن الباطل.

٧ ـ لا يكتفي بالنظرة الأولى البدائية، وإنما عليه خوض اللجج لاستخراج الحق، باستفراغ وسعه واجتهاد مظانه ومحتملاته «فالنظرة الأولى نظرةٌ حمقاء».[1]

٨ ـ يقف في الشبهات، التي لا يلمع حكمها من ملامعها، بل يقف عندها وقوف المتردد الحائر اللاّيدري، حتى يترك أو يدري.

٩ ـ يحتج بالحجج اللابقة والمآخذ اللائقة لاستخراج الحكم، دونما قياس أو تأويل برأيه واستحسان؛ فلا يحنُّ إلا إليها، ولا يفر إلا مما يخالفه من أقرانها: قياساً ورأيا واستحسانا.

١٠ ـ لا يتبرِّم بمراجعة الخصم، بأن يغضب بتراجعه في الجدال، أو يجادله إفحاماً له عن حجته لِحبِّ الغلبة في الاستدلال، أو بغض التجرؤ عليه في النضال.

١١ ـ أن يكون صبورا على تكشف الأمور المتنازَع فيها، بأية وسيلة صالحة، دونما اكتفاء بيسير من الشواهد؛ فلا يعجل في الحكم، بل يقوم فيه ويقعد وينام ويستيقظ، ويروّي ويفكر، حتى يحكم على اطمئنان وإيمان بدلائل العلم والإيمان.

١٢ ـ لا يزدهيه ولا تخففه عن الثبات على الحق زيادة الثناء عليه من بعض المترافعين، بل يردها على صاحبها في محكمة القضاء؛ احتفاظا على الحق وقضاء على الباطل.

١٣ ـ لا يستميله عن الحكم الحق إلى خلافه إغراءٌ؛ فلا يغتر بشيء في الحكم وإنْ جلّ، ولا يميل عن الحق وإن قلّ.

١. كما في الحديث، ويعني بذلك أوليّات الأنظار من غير من عصمهم اللّه تعالى وسددهم.

١٤ ـ بعد هذه الشروط القيمة، على القائد أن يكثر تعاهد قضاء القضاة، يتعرف إليها من مداركها، ويستكشف الأقضية من مواردها.

أجل، إن على وزير العدل أن يتعاهد أقضية القضاة، بعد أن استقضاهم على هذه الشروط، وبعد أن فسح لهم في البذل فوق الآخرين، وأعطاهم من المقام والزلفى أعلى المقامات في المنازل الحكومية.

فهذا طَرْف إجمالي من كيان القضاء في الحكومة العلوية، كما يتناسب وكرّاسنا المتواضع.



وزارة التعليم والتربية

قد يصرخ التقدميون على أسماع العالمين بالنواحي التقدمية العلمية فرحين، يظنون أنهم هم المتقدمون دون الغابرين، ومن ذلك التعليمات الجبرية العمومية.

حينما الإسلام يصرخ قبل أربعة عشر قرنا بفرض تعليم وتعلم العلم على كل مسلم ومسلمة، قائلاً:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». (عن الرسول الأعظمﷺ)

«اطلبوا العلم ولو بالصين».

«لو علم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج». (عن الإمام أمير المؤمنينعليه السلام).

«لوددت أن أصحابي ضُرِبت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا». (عن الإمام الصادقعليه السلام)

«ما أخذ اللّه على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخـذ علـى أهـل العلـم أن يعلِّمـوا». (عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام)

«إنما العلم ثلاثة، آية محكمة أو فريضـة عادلـة أو سـنة قائمـة، ومـا خلاهـن فهـو فضل». (عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله)

فمِن العلم فرض ومنه فضل، والأول هو العلم باللّـه ورسـله وكتبـه واليـوم الآخـر والعلم باحكامه من فرائضه ومحـاظيره فـي العبـادات والمعـاملات والسياسـات، فهـذه فرض على كل مسلم ومسلمة، لا يُعذر أحد في تركه، وكمـا يجـب علـى الجاهـل أن يتعلمها، كذلك يجب على العالم أن يعلّمها دون ابتغاء أجرة، إلا ابتغاء مرضاة اللّه.

فإنما مثل العلوم الدينية بالنسبة للأرواح، مثل الهواء والماء للأبدان؛ لا حياة روحيـا إلا بها، كما لا بقاء جسميا إلا بهما.

كما أنه ليس للتعليم والتعلم والتربية مكان خـاص ولا زمـان أو سـن معـين، كمـا يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «**اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**»!!!

أنى كان الطالب وأينما كان، فلا حد للعلم لا من حيث الزمان ولا المكـان، وإنمـا الحياة كلها مدارس العلم تعليما وتعلما، والأمكنة كلها كليات العلوم، دونما اختصـاص بزمان أو مكان.

ثم الفرض في الأنظمة العلمية والتربوية لا يخص الجاهلين، بل يعمهـم والعلمـاء الربانيين؛ فكما أن على الجاهل أن يـتعلم، فعلـى العـالم أيضـا أن يعلّـم، كـلٌّ يطلـب صاحبه، ويبتغي قرينه، في الفرض المشترك.

وكما أن سوط الإمام الصادق عليه السلام يعلو على رؤوس الجهـال لكـي يتعلمـوا، كـذلك يعلو على رؤوس العلماء ليعلِّموا، دون تفاوت واختلاف.

حينذاك نكرر كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أخـذ اللّـه علـى أهـل الجهـل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلِّموا»!

فالثقافة الإسلامية مركَّزة على فرضين بين الفريقين: العلماء والجهال، الجهال والعلماء؛ فالجاهل المستنكف عن التعلم، فيما يجب عليه، مذنب، وكذا العالم الخازن علمَه عنده، القائمُ مقامه، والجالسُ مجلسه، دونما حراكٍ للدعوة والدعاية بلسانه وقلمه، مذنب؛ وقد ذم اللّه العلماء الكاتمين علوم الدين في كتابه قائلاً:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مٰا أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدىٰ مِنْ بَعْدِ مٰا بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ فِى الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]

وإنما الكتمان ترك إظهار الشيء مع الحاجة إليه، ولا يخص إخفاءه مع السؤال، ولا تحريفه بعد البيان؛ بل ويشمل كل من عنده أمانة علمية معرفية للناس، ولا يظهره ويبينها ويعطيها إياهم، كهولآء الذين يظنون أن القرآن ظني الدلالة، كتماناً لدلالته البينة، رغم أنه نور وبيان وبرهان وحجة بالغة ربانية، وأنه في لفظه ومعناه، في قشره ومغزاه، يفوق معجزات النبيين أجمعين.

ومما لا يريبه شك أن علوم الدين أمانات عند علماء الدين بعد النبيين، وقد يهدي إليه قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مٰا بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ﴾ يعني: بيناه لعلماء الدين، ليبينوه للناس، ومِن البديهي أن ما أنزله اللّه إلى رسله، لم يك ليبينه لكل فرد فرد من الناس، وإنما يبلغه الرسول ﷺ للرعيل الأول من الأمة، وهم علماؤهم واولوا الألباب منهم، ويملي عليهم أن ينشروه، ويعلموه، ويبينوه للناس؛ حيث لا يتيسر للرسول أن يبين ما أنزله اللّه عليه لكل أحد دونما واسطة، ومما يهدي إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثٰاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ...﴾ [آل عمران: ١٨٧] فهناك فرض ومحظور: فالفرض هو البيان، والمحظور هو الكتمان، الذي يعم ترك البيان إطلاقا، وتركَه عند السؤال أو تحريف ما بيِّن.

وقوله تعالى: ﴿... فَإِنَّمٰا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسٰابُ﴾ [الرعد: ٤٠] بالعطف على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾ [الاحزاب: ٢١]، ومن الأسوة الحسنة بالرسول الأعظم ﷺ الأسوة به في فرض التبليغ

والـدعوة إلـى اللّـه، الشـامل لتعلـيم الجهـال مـن النـاس، وعظـة المتخلـف الـذي لا يجهل الأمر والنهي.

فعلى علماء الدين تنظيم رحلات تعليمية وتربويـة فـي شـتى أرجـاء العـالم، ونشـر معارف الـدين بشـتى الوسـائل التبليغيـة، دعـوة ودعايـة، لسـانا وقلمـا، مـن الإذاعـات والتلفزيونات وغيرها؛ لكي تتم الحجة البالغة على الناس؛ ﴿... لِيَهْلِكَ مَـنْ هَلَـكَ عَـنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الانفال: ٤٢].

القائد الأعظم، هو بنفسه، وزير الثقافة والتربية

بينا أمير المؤمنين هو القائد الأعظم للمسلمين، فإذا هو وزير التربية والتعليم أيضـاً، كمـا كان الرسول الأعظـم ﷺ بالنسـبة للنـاس، ﴿... يَتْلُـوا عَلَـيْهِمْ آيَاتِـهِ وَيُـزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كـانُوا مِـنْ قَبْـلُ لَفِـي ضَـلالٍ مُبِـينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤ و [الجمعة: ٢]؛ فالأمير عليه السلام وزيرُه في مختلف شؤونه التي من أهمها التربية والتعليم.

المعلم والمربي

وكما أن مقام القضاء بين الناس هو أهم المقامـات الجماعيـة، كـذلك التربيـة والتعلـيم؛ بل إنهما أهم حيث هما أعم؛ فلا حياة مع الجهـل وفقـد التربيـة؛ فهمـا جناحـان للطـائر الإنساني يطير بهما إلى الأجواء الواسعة، عقائديا وعلميا وعمليا.

والحكومة الإسلامية الغراء تجعلهما من أهم برامجهـا وفـى نواصـي عملياتهـا فـي المجتمـع الإنسـاني الكبيـر، يريـد بـذلك القضـاء علـى الجهـل حيثمـا كـان، وعلـى اللاأخلاقية والهمجية السوداء أنَّى وُجدَتْ.

فـلا تقـدُّم مـع الجهـل، كمـا لا فـلاح ونجـاح مـع فقـد الأخـلاق والتربيـة، وهمـا متعاصران متلازمان في نجاح الإنسان وإسعاده في شتى معارك الحياة في النشأتين.

ومما لا يريبه شكٌ، أن شأن التعليم والتربية إنما هو من شؤون النبوة والإمامة، ثم العلماء الربانيين، لا يعدوهم إلى غيرهم مهما بلغ به المقام؛ فلْيَكُن وزير الثقافة والإرشاد من أعلم علماء الدين في الأنظمة الدولية؛ لكي يرشد الشعب إلى صلاح الدين والدنيا.

الانطلاقة العلمية الإسلامية مشيا مع الزمن

والدين لا يخص دعوته لتعلم العلوم الدينية فحسب، وإنما يخص الفرض العين بها، ويرغِّب في تعلّم كل علم فيه إسعاد الحياة، ولا تفترق علوم الدين عن غيرها مما يحتاج إليه النوع في إسعاد الحياة ويضطر إليه، إلا في رجحان الدينية على غيرها، وعينية الوجوب في أكثرها على كل أحد، وكفائيته في غيرها.

لذلك نرى القرآن يرغِّب في النظر إلى ما في السماوات والأرض، نظرا علميا واعتباريا، يَخلَص إلى استحكام الإيمان باللّه، وإن كان فيه منافع وعوائد لإسعاد الحياة الدنيوية أيضا.

يجعل المرامي والمقاصد كلها ابتغاء معرفة اللّه ومرضاته، وهو كنز كل كمال، على أن فيها فوائد ترجع إلى الحياة الدنيا.

ولذلك نرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لمّا يقوم مقام التعليم، لا يخصه بعلوم الدين، فتارة يتكلم عن الأرض وحركاتها وسيرها على فلك في الجو قائلاً: ...

نظرية الإمام في حركة الأرض

١ ـ «وأنشأ الأرض، فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأود والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج؛ أرسى

أوتادها، وضرب أسدادها، واستفاض عيونها، وخدّ أوديتها. فلم يهِن ما بناه، ولا ضعُف ما قواه...».[١]

يشير في هذه الجملة الجميلة إلى أصلين من أصول معرفة الأرض، طالما تعارك فيهما علماؤها قديما وحديثا، ولم يعرفهما حق معرفتهما نوابغ هذا العلم حتى قبل قرن وحتى الآن إلا شيئا منها، وهما:

١ ـ قيام الأرض في الجو على غير قوائم، وارتفاعها في الهواء بغير دعائم، وبذلك يفنِّد الآراء القديمة الجاهلة، أن الأرض على ظهر الحوت أو المعز، أو على قرني الثور، أو على أية دعامة وقائمة إلا دعامة الإرادة الإلهية بوسيط القوة الجاذبية أم سواها.

٢ ـ حركة الأرض على مدار، كأنه ركز وأرسي الأرض على متنه: «وأرساها على غير قرار» يعني: أن اللّه أرسى وأثبت الأرض، لا على ثبات وقرار، بل على جادة فضائية، تسير عليها سيرا ثابتا دون انفراج واعوجاج وتفلُّت عن هذه الجادة الفضائية.

وقد يعرِّج بها أو يشير اليها القرآن الكريم في آيات، لا يناسب كراستنا هذه تفصيلَ القول فيها.[٢]

ويقول عليه السلام: «... ووتد بالصخور ميدان أرضه ...»![٣]

ويشير هنا إلى طرف من فوائد الصخور، الجبال الراسية، وهو توتيدها الأرض عن المَيَدان، وهو الاضطراب في حِراكها، لا عن أصل الحركة.

٣ ـ ويقول عليه السلام: «... وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها؛ فسكنت من الميدان لرسوب الجبال في قطع أديمها ...».[٤]

---

١. نفس المصدر، الخطبة: ١٨٦(فى التوحيد)، ج٢، ص١٢٣.

٢. من أراد التفصيل فليراجع إلى موسوعتنا، «الأرض والسماء في نظر القرآن» أو «آسمان و زمين و ستارگان از نظر قرآن» التي ألفتها بالفارسية، وفي كتاب «العلوم التجريبية بين الكتاب والسنة» العربية من التفسير الموضوعي.

٣. نهج البلاغة، عبده، الخطبة: ١، (يذكر فيها إبتداء خلق السماء والارض وخلق آدم)، ج١، ص١٤.

٤. نفس المصدر، الخطبة: ٩٤، (تعرف بخطبة الأشباح وهي من جلائل خطبه عليه السلام)، ج١، ص١٧٤.

يشير هنا إلى أن للأرض حركات متداخلة، عدلتها الراسيات من جلاميدها، وقد أنهى العلم اليوم حركات الأرض، إلى أربع عشرةَ حركةً.

٤ ـ «... فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسيخ بحِملها ...».[١]

هذا وذياك، طَرْف من إشارته المنيرة إلى حركات الأرض وتعلقها، دونما عماد يدعمها في الجو!

وقد يتكلم عن السماء وطرقها وأبوابها والمدن الموجودة فيها قائلاً: «أنا بطرق السماء أعرف من طرق الأرض»!

نظرية الإمام في مدن السماء

١ـ «لهذه النجوم التي في السماء مدائن، مثل التي في الأرض، مربوطة كل مدينة بعمودين من نور، طول ذلك العمود في السماء مسيرة مائتين وخمسين سنةً»![٢]

يشير هنالك إلى وجود مدن في نجوم السماء. والنجم لغويا هو الكوكب الطالع، ومن طلوعه طلوع التمدن فيه، ومما لا يريبه شكٌ أنّ التمدن لا يوجد الا بوجود عقلاء متمدنين، يعمرون ويصنعون ويخترعون ما ينتفعون به في عيشتهم وحياتهم الجماعية، والمماثلة بين المدن في هذه النجوم بمدننا تقضي أن فيها أناسا، كما هنا، لأنّ هذه المدن هي وليدة تفكير الانسان في كوكبنا الأرضي، فيجب أن تكون هناك أيضا وليدة تفكيره أو عاقل متمدن كمثله في التمدن وإن اختلفا في الشاكلة.

---

١. نفس المصدر، الخطبة: ٢١١، ج٢، ص١٩٢.

٢. تفسير القمي، (القمي، عليبن إبراهيم، محقق: الموسوي الجزائري، طيّب، دار الكتاب، قم، تاريخ الطبع: ١٤٠٤ق) ج٢، ص: ٢١٨؛ قَالَ وَحَدَّثَنِي أَبِي وَيَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ قَالَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: ...

والبرهان في تفسير القرآن، (البحراني، السيد هاشم بن سليمان، محقق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، ناشر: مؤسسة البعثة، قم، تاريخ الطبع: ١٤١٦ ه، الطبعة: الأولى) ج ٤، ص ٥٩١.

ولعل الأعمدة هناك هي الروابط بين تلك المدن وبين ما تعتمده من بقاع، كالأعمدة التي تربط بين السقف والأرض في بيوتنا، ضرورةَ كونها بيوتا واستقامتها كذلك، إلا أنها ضوئية هنالك دونما هنا.

ولعل العمودين هما الجاذب والدافع، اللذان يتحفظ بهما المدن عن السقوط في جو السماء، وأن المراد من الطول: (مائتين وخمسين سنة) هو المسافة بين المدن على تقدير السنين الضوئية أو سواها.

فهذا أمير المؤمنين يرى ببصيرته مدن السماء وأهلها، والعلم اليوم وقد يطير به الإنسان بصواريخه في جو السماء وعلى القمر، ويبصر به بالمكبرات العظيمة، يبصر مسافات تبلغ زهاء ٢٠٠ مليون فرسخ ضوئي، يبصر جزائر ومجرات سماوية مشتملة على ملايين الكواكب والشموس والأقمار!

هذا العلم على نطاقه الواسع لم يستطع حتى الآن أن يستكشف وجود مدن وعقلاء في هذه الأنجم!

وقد يعِدنا القرآن العظيم بتزاور وتقارب بين عقلاء الأرض وما انتشر منهم في السماء قائلاً: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩

فإرجاع ضمير ﴿هِمْ﴾ ـ وهو لذوي العقول ـ إلى هذه الدواب المنبثة في السماوات والأرض، آية أنّ منهم في السماء، كما هم في الأرض، إنسانا أو كإنسان، والجمع بعد البث هنا إنما هو رفع البث والتفرق الذي نراه بين دواب الأرض والسماء؛ وقوله: ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾، إشارة وتبشير أن هذا الفراق بين أهل السماء والأرض لا يدوم، بل يشاء اللّه أن يجمعهم بعد الشتات!

فسوف يجمع اللّه بين عقلاء الأرض والسماء، ولكنه أنَّى وكيف، وأي منهما أسبق؟ لا ندري!

٣ ـ يروي الإمام عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حديث الإسراء، كما يلي: «قال لي صلى الله عليه وآله: يا علي! إن اللّه أشهَدك معي في سبع مواطن، منها: حينما أسرى بي ربي إلى السماء، فكشط لي عن السماوات والأرضين السبع؛ حتى رأيت سكانها وعمارها...».[١]

٤ ـ ويقول تلميذه وحفيده الإمام الصادق عليه السلام: «إن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: إن في السماوات السبع لبِحاراً، عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام».[٢]

وهناك آيات عدة تتحدث علما يحدث به الإمام عليه السلام، بحَثنا عنها في الفرقان.[٣]

ثقافة الإمام في نظر الخليفة عمر

لقد بلغ علمه وثقافته عليه السلام مستوى، لا ينكره مثل ابن الخطاب، كما يقول فيما رواه عنه الخطيب في الأربعين: «العلم ستة أسداس، لِعليٍّ خمسة أسداس، وللناس سدس، ولقد شاركنا في السدس حتى لَهُوَ أعلم به منا».[٤]

يسأل عمر: «يا أباالحسن! إنك لتعجل في الحكم والفصل للشيء إذا سئلت عنه؟»؛ فأبرز علي كفَّه، وقال له: «كم هذا؟»؛ فقال عمر: «خمسة!» فقال: «عجلت يا أباحفص؟» قال: «لم يخْفِ عليّ»؛ فقال علي عليه السلام: «وأنا أسرع فيما لا يخفى عليّ».[٥]

وجماع الكلام عن علمه أنه كان أعلم العلماء في شتات العلوم بعد النبي صلى الله عليه وآله في القرون الخالية والآتية. كيف لا، وهو «باب مدينة العلم والحكمة»!؟ وهو القائل:

---

١. بحارالانوار، ج٦، الطبعة القديمة، ص٥١٧، يروي محمدبن عيسى عن أبي عبداللّه المؤمن عن علي ابن حسان عن أبيداود السبيعي عن بريدة الأسلمي عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله. وايضاً راجع الطبعة الجديدة منه، ج١٨، ص٤٠٦؛ و ج٢٦، ص١١٥.

٢. التوحيد عن الصادق عليه السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله. بنقل البحار الانوار، ج٥٥، ص٩١؛ و ج ٥٦، ص١٨٢؛ بهذا الإسناد: عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد، عن السياري، عن عبدالله بن حماد، عن جميل بن دراج.

٣. وفي تفسيرنا الموضوعي مجلد العلوم التجريبيه بين الكتاب والسنة.

٤. نفس المصدر، ج٤٠، ص١٤٧ و ١٧٩ والمناقب الخوارزمى، ص٩١.

٥. نفس المصدر، ج٤٠، ص١٤٧. عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب.

«سلوني قبل أن تفقدوني»!![1] والقائل: «اندمجتُ على مكنون علم، لو بُحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطُّوى البعيدة»[2] أي: جُبِّلتُ وطبعتُ على علم مخزون في كياني، لو أبوح به لاضطربتم من الدهشة والريب، اضطراب الحبال المتدلية في الآبار العميقة!

وفي ختام هذا البحث، نذكر طرفا من نظام الإمام التربوي الخالد؛ ليكون ممثلاً لثقافته التربوية، مضافا إلى ثقافته العلمية:

التقدمية العلمية والتربوية في الإسلام؟

«لا تقسِروا أولادكم على آدابكم؛ فإنّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»![3]

هنا الإمام يُعلم البشرية، كيف تستقبل الحياة جديدة وتستدبرها قديمة؛ فهو المجدد الأول في عهده، على صلابته العميقة في التمسك بمبدئه، والاحتفاظ بعقيدته.

لم يفرِّط فيما فرَّط به معاوية، ولم يجحد جحود من شرطوا في الخلافة قبله، أن تكون قاصرةً، بعد الكتاب والسنة، على سيرة الشيخين؛ بل يستبدل اجتهاد رأيه بهذه السيرة الجامدة، تطبيقاً للكتاب والسنة على مدى الأعصار الطائلة حتى انقضاء العالم، واعتمادا في الفصل في تصريف الأحكام المتطورة صورة، بدافع التطور الزمني، وذلك هو الذي يدعو الإمامﷺ لأن يضحِّي بالخلافة يوم الشورى، رافضاً لها على هذه الشريطة الجامدة المائلة.

لقد كان الإمام يرمي بكثير من أقواله وأفعاله إلى بناء الأمة الإسلامية في مستقبلها العتيد من جديد وجديد، ويرى ضرورة التطور على أساس الكتاب والسنة،

١. نهج البلاغة، عبده، الكلام: ١٨٩، ج٢، ص١٣٠؛ وكنز العمال، ج١٣، ص١٤٢، الحديث: ٣٦٥٠٢؛ و ج١٤، ص٦٩٤، الحديث: ٣٩٧٠٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة: ٥، ج١، ص٤١.

٣. موسوعة الإمام علي بن أبي‌طالبﷺ في الكتاب والسنة والتاريخ، الحديث: ٥٦٠٠، ج١١، ص٥٦٠٠.

دون أن يبغي عنهما حِولاً أو بدلاً، في أصولهما وأسسهما الجامعة، إلا أنه يرى تطبيق الدين في مختلف الظروف والملابسات كما أراه اللّه.

فالإمام لا يريد، من نهيه عن قسر الأبناء على أخلاق الآباء، النهيَ عن أسس الأخلاق الإسلامية السامية، وحاشاه عن ذلك! وإنما يريد، بذلك، الأخلاقَ الاجتماعية، التي لا تنافي الدين في أسسها وأصولها.

فإذا كنت متصفا بالكرم والوفاء والتسامح والإباء وغيرها، من السجايا النبيلة الفاضلة، فالإمام أسمى وأبعد من أن ينهانا عن أن نروض أبناءنا وأهلينا عليها، ونلزمهم بها!

فإن الأخلاق الكريمة وديعة من الآباء، وعليهم أن يروضوا أولادهم بها وإلا فهم عند ربهم لمسؤولون.

وفي ذلك يقول حفيده السجاد عليه السلام: «وأما حق ولدك فأن تعلم أنه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره؛ وأنك مسؤول عما وليته به من حسن الادب والدلالة على ربه عزّ وجل والمعونة له على طاعته؛ فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه».[1]

فالصلة الوثيقة بين القديم والجديد إنما تقوم على الوراثة الخُلقية؛ وعلى الآباء القُدامى أن يورثوا أولادهم الجُدد خير ما عندهم من الأخلاق.

إذن، فالمعنى من قول الإمام عليه السلام إنما هو العادات والسجايا والتقاليد التي تلائم عصر الآباء فحسب، ولا تتسق للأبناء من وراء الرقي المفروض بدافع التطور الطبيعي في الإنسان.

إن الإمام عليه السلام يريد بكلامه المنير تحرير المسلمين في تقدُّم الحياة دون فشل وإمهال، على احتفاظ من الأنظمة التربوية الإسلامية عقائدياً وعلمياً وعمليا.

---

١. بحار الانوار، ج٧١، ص٦.

ومثالاً على ذلك: إن آباءنا كانوا يسكنون في دور بدائية، ويركبون الدواب، ويلبسون ثيابا ساذجة، ويجلسون على البساط وعلى الأرض، ويأكلون مآكل ساذجة، ويتّجِرون ويعملون تجارات وأعمالاً، توافق حاجاتهم حينذاك، ويتعلمون من العلوم المادية أشياءً بسيطة قلائل و...

فهذا وأشباهه لا تحتم على الأولاد الجُدَد، أن يخطّطوا حياتهم الجديدة في عصر النور والصاروخ، على مخططات آبائهم القديمة بلا تقدمٍ قيدَ شعرة، احتفاظاً بسنن الآباء وأخلاقهم لقِدمها!

فلا معنى للقدم والعتاق إلا إذا كان فيه تقدم وانطلاق؛ فإنما يُعنى من الحياة: غابرُها وحاضرها ومستقبلها، ما ترسم رسم الرقي إلى الكمال روحيا وماديا متلائمَين؛ فلا قدمة ورجعية إلا ما فيه تقدُّم في الحضارة وارتجاع عن البربرية والهمجية، ولا تقدم وحضارة إذا كان فيها تأخر الإنسانية في جانبَي العقيدة وصالح الأعمال.

ومثالاً لذلك: العفاف والصدق؛ فإنهما خُلقان صالحان، لا يُخلقهما ويؤخرهما عن الحياة التقدمية الصالحة، مَرُّ الدهور والأعوام.

وبالعكس منهما، الاستهتار والكذب؛ فانهما خُلقان سيئان، لا يصلحهما ويجعلهما تقدّماً وحضارةً تقدُّمُ الإنسان في سائر الشؤون الحيوية المادية.

فالإنسان المتقدم مَن تقدم في فضيلة وكمال، في ناحيتَي الروح والجسم المتلائمَين ولو أخذها من الدعاة الأوائل الأقدمين للبشرية، مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات اللّه عليهم أجمعين.

والرجعي الأسود مَن رجع إلى الجاهلية والهمجية الأولى وإن تلقاها من الإفرنجيين المتقدمين في الحضارة المادية.

فبؤسا لقوم يسمون الاستهتار والخلاعة ومؤانسة النساء الخليعات، تقدّما وحضارة وتحررا، دونما تفكير بما يجره علينا من مساوئ، نتردى معها إلى هوّة الذل والهوان والانكسار!

وهكذا مشي الأبناء في إقناع آبائهم إلى الرقص، الذي يزاوج بين المرأة والرجل، وهما أجنبيان! قد أصبح من الأخلاق التي يمتاز بها الحاضر عن الغابر، التقدمي عن الرجعي!

ومن أخلاقهم، الذي يسمونه ـ ويسميه زعماؤهم الحلفاء المستهترون ـ انقلاباً وتقدمية بيضاء، السباحة المختلطة، فالمرأة بين الرجال والأجانب تتجرد عن كلما يستر جسدها، ما عدا عضوا واحدا لو كان جميلاً ما سترها، تتجرد هكذا، وتريد السباحة، فتقطع الشوارع بهذه الخلاعة والوقاحة!!!

ومن ذلك ان للمرأة أن تستجيب لأي شاب يطلبها للرقص في مسارح اللهو، ولو وضع بطنه على بطنها، وضغط بصدره صدرها، وكلاهما يفوح منهما العطر؛ ويموج بعضهم في بعض، ثم لا يرون في ذلك حرجاً؛ لأن الرقص من الفنون الجميلة الراقية المتحضِّرة!

ومن ذلك أنه يحق للمرأة أن تستقبل صديقها في بيت زوجها، وتنصرف إليه؛ فتخلوا به في قاعة الاستقبال، بينما يقوم زوجها بعملها في المطبخ أو غرفة الاطفال، ثم لا ترى ولا يرى احد معها في ذلك شيئا من الخرق لنظام المجتمع!

تلك الوقاحة والخلاعة منهم حينما يحسبون الحياء والعفة والحجاب والوقار تأخرا ورجعية سوداء!

وإنما الرجعية السوداء هي الارتجاج إلى الجاهلية الأولى، إلى مرجع كل فساد وبوار، إلى الأفكار والأعمال الإبليسية الوقحة العارمة، وإنْ كانت وليدة عصر النور والصاروخ، وإن كانت تصدر أوامرها التحررية عن المصادر الملوكية والرئاسية!

وإنما الانقلاب والتقدمية البيضاء، أن تنقلب الإنسانية بنعمة من اللّه وفضل لا يمسها سوء، وتتقدم في شتى الكمالات الروحية والجسمية بما يخططه ويرسمه له الدين الإلهي، من الرب القديم الأزلي الذي كان إذ لا كان، والباقي بعد فناء العالمين،

وقد بعث بذلك رُسلاً أذكياء أصفياء، من حين ولد هذا الإنسان على هذه البسيطة، إلى زهاء أربعة عشر قرنا قبل ذلك.

فإنما مواد الرقي والتفكير، في شتى مجالات الكمال الحيوية، آخذةٌ وصادرة من خالق الخلق، وهو يحرضهم على تنمية تلك الكمالات في ناحيتي الروح والجسم.

فالإمام عليه السلام يحثّ في كلامه إلهاماً على تحرير الأجيال في عاداتها، بعد أن يطمئن إلى أن الدين كفيل بردع الأمة عن سوء ما تتخلق به من طبائع، قد تقضي بها إلى الانهيار.

فكم من شعوب انفسخت وسارت بها أخلاقها إلى الانحلال، كفرنسا وإيطاليا وأمريكا وإنگلترا وغيرهما.

والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إذ يقول: «إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»،[1] يشير بذلك إلى أنّ حياة الإنسان السامية إنما تتقوم بسمِّو الأخلاق.

وهناك الإمام عليه السلام، بكلمته البارعة، يقرر عنصرين هامين في بناء الدستور الإنساني، هما:

١ ـ ضرورة التطور في الحياة.

٢ ـ قيام التطور على دعائم الحق في العالم.

أجل، إن الإسلام لا يجمد عقلية الإنسان في جانبي الروح والجسم، وإنما يستنميهما في إسعاده في شتى المجالات الحيوية، كيف وهو يقول: ﴿هُوَ الَّذي خَلَقَ لَكُمْ ما فى الْأَرْضِ جَميعاً ...﴾ البقرة. ٢٩ ﴿قُلِ انْظُرُوا ما ذا فى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ يونس. ١٠١

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرىٰ﴾ النجم. ٣٩ ـ ٤٠

١. نفس المصدر، ج١٦، ص٢١٠؛ و ج٦٧، ص٣٧٢؛ و ج٦٨، ص٣٨٣.

يُحرِّض الإنسان على الانتفاع بما في الأرض والسماء كيفما يشاء على قدر المستطاع؛ فليس له مما حباه اللّه إلا على قدر سعيه وعمله، إلا أنه يحدد الإنسان على تحريره في السعي والعمل، يحدده على حدود العدل والصلاح والإصلاح، دونما ابتغاء ظلم وانحراف عن الدساتير والأنظمة الأخلاقية الإنسانية، ودونما إخلاد إلى الشهوات.

ومن قرارات الإمام في أمواج الفتن المختلفة، حفاظاً على حرمة النفوس والأموال قوله عليه السلام: «كن في الفتنة كابن اللبون: لا ظَهْرٌ فيُركب ولا ضرْعٌ فيُحلب»![1]

وقد يفسر البطالون الضعفاء هذه الجملة وفقاً لما يريدونه مِن التقاعس والتقاعد عن الجهاد والتضحية في سبيل الحق، ويوبّخون ضحاياه بألوان التوبيخ، تسميةً له باسم الفتنة؛ وقد تتولد من هذه الفكرة الضئيلة ويلات جماعية عارمة، ربما تقضي على أمّة ويوردها موارد الهلكة والسقوط.

وهم، كأمثال عبداللّه بن عمر وأبيموسى الاشعري وعبداللّه بن الزبير وغيرهم من الصحابة، تخلفوا عن الإمام عليه السلام في جهاد معاوية الطاغية، ويحسبون أن القتال بينهما فتنة؛ ففروا منها!

وهكذا كثير من الصحابة وتابعيهم قعدوا عن نصرة الحسين عليه السلام، حينما ثار على بغي يزيد يوم كربلاء.

فلْنتساءل هؤلاء الأغبياء، إذا كان تناصر علي والحسين عليهما السلام في حرب المنافقين وأعداء الدين فتنةً، يجب أو يجوز التقاعد عنها، فحروب رسول اللّه صلى الله عليه وآله مع المشركين أيضا لِتكُنْ فتنة على سواءٍ؟!

وإذا كان كما يزعمون، فلماذا يؤكد القرآن الكريم على جهاد الأعداء، ودفاعهم، وإعداد ما يستطاع لهم من قوة ومن رباط الخيل، ويلعن الزاحف عن القتال والقاعد عنه؟

---

١. نهج البلاغة، عبده، الحكمة: ١، ج٤، ص٣.

فليس المعنى من قول الإمامعليه السلام ما يزعمه هؤلآء الفشلاء القاعدون أولي‌الضرر، وإنما الفتنة ــ التي ينهى الإمام عن دخولها، والتي ينهى اللّه عنها في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً...﴾ [الانفال: ٢٥] ــ إنما هي الفتنة التي تقوم على غير حق، كفتنة معاوية، فلا يجوز الدخول فيها؛ حيث لوَّن فتنته بلون الأخذ بثأر عثمان، الخليفة الأموي، يتّهم في ذلك الإمامعليه السلام دونما حُجّة إلا الدعايات الضالة الباطلة؛ وحينذاك يجب تناصر الإمامعليه السلام حيثما قعد أو قام؛ حيث الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله جعله يدور مع الحق ويدور معه الحق حيثما دار.

ومن تلك الفتن ـ التي لا يتبين وجه الحق فيها، ولا يُدرى من أين؟ وإلى أين؟ ولأين؟ ـ كثورة، تنشب في جماعة أو شعب أو أمة، يضل فيها العقل؛ فلا يتبين عللها وأهدافها.

فليكن المسلم العاقل في أمثال هذه الثانية، كابن اللبون، لا لها ولا عليها، وفي الأولى: لا لها، وإنْ وُفِّق وتمكَّن فعليها.

ولكن فيما يتبين وجه الحق فيه، فلا بد للمسلم الحر أن يضحي لتقويم الحق وتحطيم الباطل؛ وفيما يخفى ذلك فليتحرّى الرشد وإلا فليسكت. هذا هو المعنى من كلام الإمامعليه السلام، واللّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.



وزارة الاقتصاد

استعمار الأرض ثم الخراج: الإصلاح الزراعي.

لأن الإمام عليه السلام على ما يراه من المصلحة العامة في الخراج، ليس ليفسد مَن يؤخذ عنهم ليُصلح الباقين، ولا يسمح التعمية في أخذ الخراج؛ إذ يقول: «وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله؛ فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة. ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلا ...».[١]

العمارة ثم الخراج، وهذا مِن أصلح الأنظمة الاقتصادية وأبقاها وأنماها في أخذ الخراج والضرائب، وهنالك الإمام عليه السلام يملي على الحكومة عون الزارعين وأصحابِ الرساتيق والبساتين، بإصلاح الأرض وإفاضة الماء، وأن تدرَّ عليهم ما يستدر به خراجهم، قائلاً:

«فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شِرب أو بالة أو إحالة أرض، اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم. ولا يثقلَنَّ عليك شيء خففت به المؤونة عنهم؛ فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم، بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم؛ فربما حدث من الامور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد، احتملوه طيبة أنفسُهم به؛ فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الارض

---

١. نفس المصدر، الكتاب: ٥٣ (عهده إلى مالك الاشتر)، ج ٣، ص ٩٦.

من اعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر ...».[١]

هذا هو الإصلاح الزراعي، الذي به يعمر البلاد، ويصلح أمر العباد. والخراج الدولي، الذي يفي معونة الأنظمة الدولية على طيبٍ من أنفس أهل الخراج، أنْ إذا شكوا ثقل المضروب عليهم خُفِّف عنهم، وإذا شكوا علة من ثقل المصارف وعدم المكنة عن أداء الخراج إلى حين، قُبِل عنهم، أو إذا اشتكوا انقطاع شِرب أو إحالة أرض، أصيبت بغرق أو عطش، خفّفتَ عنهم وأعَنْتَهم في ذلك، وكنتَ لهم كالوالد الرؤوف بكل حنان.

عندئذ يرجع هذا الإمهال والمعونة لهم، يرجع مزيد مؤونة للحكومة وعمارة للبلاد ولقلوب العباد وزينا للحكومة تبجُّحا لها باستفاضة العدل في الشعب، واستجلابا لحسن ثنائهم واعتمادا فضلَ قوتهم ومعونتهم عندما يحتاج إليهم؛ وعماد العرش الحكم على رضىً من أعماق قلوب الشعب وتعويلاً عليهم فيما قد تحملهم طيبة أنفسهم.

أجل، إن هذه الطريقة المثلى ألْيَق بالسياسة العادلة العاقلة، وأبقَى للحكومة والتقارب بينها وبين الشعب.

الإفساد الزراعي!

هذا! دون ما كانوا يسمونه زمن الشاه ــ عليه لعنة اللّه ــ «الإصلاحات الزراعية والأرضية»، التي أفسدت على الشعوب، وأثقلت عليهم، وخنقت عيشهم وحياتهم.

فإننا نرى نفراً من القادة الحاكمين من السلاطين ورؤساء الجماهير قد أكبُّوا على اقتسام الأراضي العامرة بين الرعايا، يغتصبونها بصورة الشراء كرهاً عن أربابها، ثم يشرونها على أقساط طوال للدهاقين والرعايا؛ لكي يمتلكوها شخصياً ويعمروها!

---

١. نفس المصدر، صص ٩٦ ـ ٩٧.

ذلك لا لشيء إلا مخافة شيوع الشيوعة والهجمة العنيفة القاضية منهم على مُلكهم وسلطانهم.

وقد خلَّفت هذه الإصلاحات ويلات: نفاقا عارما، ودماراً وبواراً، واستبدلت بالعمران خرابا! فلا الأرباب السابقون يعينون الدهاقين على استعمار الأرض، ولا الحكومة نفسها، إلّا أن تطالبهم بالأقساط التي تطلبها، ثمنا لهذه الأراضي، أو تقرضهم أموالاً يسيرة ربويا، يمتص دماءهم من جهة أخرى ثانية!

فقد أصبحت الدهاقين صفرَ الأيدي عن كل شيء، ليس لهم ما يعمرون هذه الأراضي مِن البذر والماء والوسائل، التي لا بد منها لعمارة الأرض، بل وأصبحت وبالاً وحملاً ثقيلاً عليهم، تطالبهم أقساطها بدل أن تدرّ عليهم!

وأصبحت أرباب الأراضي صفر الأيدي عنها، وما لها وإليها، فقراء على فقراء، وبالاً على وبال، أو متبطّلين يأكلون ما عندهم من بقايا أموالهم، ليس لهم شغل يشغلهم!

وإننا لنرى في إيران وفي العراق ومصر وغيرها، التي ابتُليت بالإصلاحات الزراعية، نرى هذا البوار والدمار الهام العام زيدت أراضي بائرة على أخرى وفقراء معوزين على آخرين.

فهب أن المالكين كانوا يظلمون الرعايا والدهاقين؛ فهل إن ذلك يدعو إلى ظلمهما جميعاً والقضاء على الطبقتين، والإفساد عليهما باسم الإصلاحات الزراعية؟!

كيف، وهناك طرق مشروعة تكفي لتعديل الطبقتين؟!

منها: تهيئة الماء والبذر للدهاقين في هذه الأراضي البائرة، التي بقيت عبثا لا يستفاد منها؛ فللمالكين ما لهم، يصنعون فيه ما يشاؤون، وللدهاقين أيضا ما لهم؛ وعندئذ تصبح الطبقتان دهاقين عاملين، كلٌّ في أرضهم، وبه ينسد أبواب جور المالكين عليهم!

ومنها: تطبيق النظام العمراني الزراعي، كما قرره الدين الإسلامي الحنيف، وهو أن الأرض لمن عمّرها: «من أحيا أرضا فهي له»!

فلا يملك الانتفاع من الأرض إلا من أحياها وعمل فيها، دون المترفين الأثرياء، أكلةِ الأرض ومن عليها، الذين يمتلكون الأراضي البائرة مَدَّ أعينهم دون إحياءٍ أو تحجير، ثم يبيعونها أو يستثمرونها بالدهاقين العملاء الفقراء؛ فيمتلكون نتائج أعمالهم، دون أي مبرر إلا أنهم امتلكوا هذه الأراضي بأخذ الطابو قوةً وزوراً.

فلقد كان يجوز ارتجاع أمثال هذه الأراضي، التي عمرتها الدهاقين والفقراء ــ بزرع وبناية وغيرها ـ عن أكلة الأرض المترفين كحي تسمَّى بـ«مفت آباد» في طهران، هجمت الفقراء عليها، وهي أرض جرداء بائرة، امتلكها بعض المترفين؛ فهجمت عليها الفقراء وبنوا فيها بنايات على استعجال! وكما حصلت في الاوزاعي في بيروت! وسوف يجري في سائر الأراضي البائرة، التي امتكها المترفون أولوا النَّعمة والكبرياء، يجري على أيدي الفقراء الصامدين المجاهدين، والله من وراء القصد.

ومنها: أن يؤخذ منهم الأخماس والزكوات وسائر الصدقات والإنفاقات الواجبة، التي يُمليها عليهم الدين للفقراء والمساكين؛ فيعطونها تخليصاً لهم عن الفقر المدمِّر والمسكنة، التي أسكنتهم عن الحِراك لابتغاء قوتهم؛ وكل ذلك على رعاية علماء الدين الربانيين ونظراتهم الدينية الصالحة.

وبهذه الأنظمة العاقلة العادلة يقضى على الفقر وعلى ظلم أكلة الأرض وأكلة الناس، ويعمر البلاد ومن عليها، ويُحيى الشعب.

ثم بذلك، يكثر تحملهم لأداءِ الخراجات والضرائب المستقيمة وغير المستقيمة على طوع ورغبة، دونما عنف وإتعاب، ودونما اختلاف وانتقاض بين الطبقات، ولا بينهم وبين الحكومة... أللهم أعط هذه السلطات الجائرة الجاهلة عقلاً وعدلاً، أو اقض عليهم، وخذهم أخْذَ عزيز مقتدر!



استعمار الأرض واستثمار أكلة الأرض

«إياك والاستثمار بما الناس فيه أسوة».

«أما بعد فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك! بلغني أنك جردت الارض؛ فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك! فارفع إلي حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس».[١]

«... امنع من الإحتكار...».[٢]

«... ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ...».[٣]

«النهر لمن عمل، دون من كرهه...».

«لست أرى أن أجبر أحدا على عمل يكرهه».

«... قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل...».[٤]

هنالك الإمام في تلكم الجملات الجميلة المنيرة يرفع صوته وسوطه على رؤوس أكلة الأرض، وما الناس فيه أسوة من الماء والكلأ والمعادن، فيفنِّد ويقبِّح استئثارهم فيها دونما عمل إلا أنهم مترَفون أقوياء أثرياء!

فمِن ناحيةٍ، لا يُجبر أحداً على عملٍ يَكرِهه، ومن أخرى، يختص نتائج الأعمال بعمّالها، دون الأثرياء المتَرفين، ومن ثالثة، يملي على الحكومة أن تنظر في استعمار الأرض قبل النظر إلى خراجها.

---

١. نفس المصدر، الكتاب: ٤٠ (ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله)، ج ٣، ص ٦٣.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ٥٣ (عهده إلى مالك الأشتر)، ج ٣، ص١٠٠.

٣. نفس المصدر، الكتاب: ٥٣ (عهده إلى مالك الأشتر)، ج ٣، ص ٩٦.

٤. نفس المصدر، الخطبة: ١٩٢ (القاصعة)، ج ٢، ص ١٥٩.

هذا نظره الصائب الثاقب ــ صريح الحق والعدل ــ في عمارة الأرض؛ فإنها قوام المعاش والازدهار الاقتصادي. يفرض ويؤكد على الولاة والعمّال أن ينظروا في عمارة الأرض فوق ما ينظرون في الحصول على حق الدولة الإسلامية المشروعِ في الخراج؛ فالخراج نفسه، وهو ملك الجماعة في نتيجة كل حساب، لا يمكن إدراكه إلا بالعمارة، ولا يسعى في تحصيل الضرائب من الجماعة والأرض، التي لا عمارة فيها، إلاّ كلُّ سفيهٍ طائش، يريد أن يخرب الديار، ﴿... وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]

إن الأرض لا تعمر بذاتها، ولا بوجود قصور ودور، فيها مترفون مترهِّلون ذوو ثراءٍ وسخف وكبرياء؛ وإنما تعمر بجهد العاملين فيها وبثراء أهلها من كافة الناس.

يشدد الإمام عليه السلام في تحريم أخذ الخراج من الشعب، إذا لم يكن راضياً عن حالته الاقتصادية وعن ولاته وحكامه.

أجل، إن أصول الاجتماع والقواعد الإنسانية والمقاييس الأخلاقية تحتِّم جميعا أن يكون عطاء الشعب للدولة عن يسر وعافية وإمكانيه، لا عن عسر ومتعبة؛ فلينظر الولاة في تحسين أحوال العامة، قبل أن ينظروا في الأخذ منهم.

أجل، استعمار الأرض...، لكن لا بخراب المستعمرين الفقراء؛ بل عمارة عامة تعم جميع الكادحين، بلا اختصاص واستثمار للحكام ذوي القوة والثروة، بأن يستخدموا الفقراء، ويُقنطروهم لتعمير الأرض وتثميرها لأنفسهم فحسب! فليست تلك عمارةَ للارض، في نظر الإمام، وإنما ذلك تخريب وبؤس على البائسين وتعمير للمثرين!

وإنما تخطط وترسم أنظمة عادلة لتعمير الأرض، فيها تعمير للبؤساء الفقراء، كما يقول:

«... ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى...».[1]

---

١. نفس المصدر، ج ٣، ص ٩٣.

أجل، إنّ نظرية الإمام عليه السلام في عمارة الأرض مركّزة على أساس من العدالة والفضيلة، لا أعدل منه ولا أعقل؛ فهو لا يجبر الناس على العمل وإنْ مفيدا، لأنّ نُكرة الإجبار بحد ذاتها انتقاصٌ من القيم الإنسانية وإساءة إلى الحرية الخاصة، إلا فيما يجب على الأعيان، ولكنه يرغبهم من ناحية أخرى بأن يجعل خيرات هذا العمل من نصيب العاملين فحسب.

أليست هذه النظرية إحدى الأسس الرئيسة، التي تقوم عليها النظريات الاجتماعية الراقية اليوم؟ فليس للبطِر الكسول ومن يدّعي الشرف ونُبل المَحْتِد، أن يذهب إليه شيء من تعب الكادحين، مهما كان هذا الشيء قليلاً!

كيف تعمل عمال الصدقات والضرائب المستقيمة وغير المستقيمة؟

يكتب الإمام عليه السلام لمن يستعمله على الصدقات، أن يعدلوا ويرفقوا في عملهم بصميم العدل، قائلاً:

«انطلق على تقوى الله وحده، لا شريك له، ولا تروّعَنّ مسلما، ولا تجتازنّ عليه كارهاً، ولا تأخذنّ منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم. ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ولا تخدج بالتحية لهم؛ ثم تقول: عبادَ الله! أرسلني إليكم وليُّ الله وخليفته، لآخذ منكم حّق الله في أموالكم؛ فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه ؟ فإن قال قائل لا فلا تراجعه، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تُخيفه أو توعّده أو تعسفه أو ترهقه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة. فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه؛ فإنّ أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلطٍ عليه ولا عنيفٍ به، ولا تنفرنّ بهيمة ولا تفزعنّها ولا تسوءنّ صاحبها فيها، واصدع المال صدعين، ثم خيّره، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره؛ ثم اصدع الباقي صدعين، ثم خيّره، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره. فلا تزال كذلك، حتى يبقى ما فيه وفاءً لحق

الله في ماله؛ فاقبض حق الله منه. فإن استقالك فأقله، ثـم اخلطهمـا، ثـم اصـنع مثـل الـذي صـنعت أولاً، حتـى تأخـذ حـق الله فـي مالـه. ولا تأخـذنّ عـوداً ولا هرمـةً ولا مكسورةً ولا مهلوسةً ولا ذاتَ عوارٍ، ولا تأمننّ عليها إلا مـن تثـق بدِينـه، رافقـا بمـال المسلمين، حتى يوصله إلى وليّهم؛ فيقسمه بيـنهم. ولا تُوكـل بهـا إلا ناصـحا شـفيقا وأمينا حفيظا غير معنف ولا مجحف ولا ملغـب ولا متعـب، ثـم احـدر إلينـا مـا اجتمـع عندك نصيره حيث أمر الله به. فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقـة وبـين فصـيلها، ولا يمصـر لبنهـا فيضـر ذلـك بوليـدها، ولا يجهـدنّها ركوبـا؛ وليعـدل بـين صواحباتها في ذلك وبينها، ولْيرفّه على اللاغب، وليستأن بالنقـب والظـالع؛ وليوردْهـا ما تمر به من الغدر؛ ولا يعدل بها عن نبت الارض إلى جـواد الطريـق، وليروحْهـا فـي الساعات وليمهلْها عند النطـاف والأعشـاب، حتـى تأتينـا بـإذن الله بُـدْناً منقيـات غيـر متعبات ولا مجهودات؛ لنقسمها علـى كتـاب الله وسـنة نبيـهﷺ؛ فـإن ذلـك أعظـم لأجرك وأقرب لرشدك، إن شاء الله».[1]

فأجمِلْ بنظام عدل في أخذ الضرائب وأكـرِم بـه؛ حيـث ينهـى عـن تفزيـع الشـعب وترويعهم والأخذ عنهم كادحين!

يأمر عمال الضريبة أن يقوموا بين المدينين بالسكينة والوقار دون اخترام، ويسـلموا عليهم، ويحترموهم غاية الاحترام، ثم يذكروا رسالتهم الحكومية بأخـذ حـق اللّـه مـن أمـوالهم علـى غايـة حسـن الظـن بهـم دونمـا تجسـس وتحسَّـس وتفتـيش بالنسـبة للمنكرين ولا إخافة وإيعاد وإسراع للمقرين.

ثم ينهـاهم عـن الـدخول فـي مواشـيهم إلا بـإذنهم؛ لأن أكثرهـا لهـم. وإن أذنـوا فليدخلوا غير متسلطين ولا جبارين.

ثم الإمام حينذاك ينهى عامل الضريبة عن تنفير وإيذاء البهائم؛ فكيـف بأصـحابها! ثم أخذ ما يرضاه حقا للّه، مراعياً في ذلك صميم العدل، دونما إفراط أو تفريط، لا فـي

---

١. نفس المصدر، الكتاب: ٢٥ (ومن وصية لهعليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات)، ج٣، ص٢٣.

حق اللّه بأن يأخذ مسنة أو هرمة أو مكسورة أو مهلوسة أو ذات عوار، ولا في حق الناس بأن يأخذ جياد أموالهم؛ لا هذا ولا ذاك، وإنما عليهم الأخذ بالحق احتفاظا بصميم العدل من الناحيتين.

ثم يعود ثانية إلى رعاية البهائم المأخوذة على حساب الضريبة، فيوصي العمال بهم خير ما يوصى؛ فلا يرضى أن يحال بين الفصيل وأمِّه، ولا تمصير لبنها إلى حيث يضر بالفصيل، ولا تجهيدها ركوباً، ولا منعا عن الغِدران أو نبت الأرض، وأن عدلت بها عن الجادة الجيدة.

فهذا طرْف من أوامر الحكومة العلوية بالنسبة لرعاية البهائم؛ فكيف بأصحابها؟!

ولقد نرى حكومات أخرى تأخذ الضرائب غير العادلة ولا المشروعة ممن ليس له ولا لأهله ما يعيش به، تأخذها على تخويف عارم، أيما الضريبة وأيما الضرب والزج في السجون أو هما!

هذه معاملتهم مع الفقراء المعوزين! وأما المترفين المثرين، فيُعفَى عنهم إما بسلطاتهم الجبارة وأنهم من عمال الحكومة الأقوياء، فلا يجري القانون عليهم إلا لهم، وإما بتطميع عمال الضريبة وشبعهم! فأقبِحْ بهم، وأظلِمْ!!!



وزارة الداخلية ووظائفها

يقول في دستوره المبارك لمالك الاشتر متصرف لواء مصر:

«... ثم انظُر في أمور عمالك، فاستعملهم اختبارا، ولا تولهم محاباة وأثـرة؛ فإنهما جماع من شُعَب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة؛ فإنهم أكرم أخلاقا وأصح أعراضا وأقل في المطامع إشرافا وأبلغ في عواقب الامور نظرا. ثم أسبغ عليهم الأرزاق؛ فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنىً لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجةٌ عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك ...».[1]

هذا الدستور العدل الهام يشمل جميع العمال في الأنظمة الدولية، ومنهم عمال الضرائب؛ فعلى الحكومة أن تتخذ لصلاحهم وأمانتهم تدابير ثلاث:

التدابير اللازمة لاستصلاح عمال الحكومة:

١ ــ استعمالهم اختبارا باستحضار سوابقهم في أرض الوطن وحالتهم الحاضرة؛ فلا يُستأثروا بالمحاباة والأثرة، إلا بالتجربة الحسنة والحياء والإيمان والسابقة في الإسلام، وصحة الأخلاق والعِرض وقلة الطمع؛ ولكي تكون نظراتهم بالغة ثاقبة في عواقب الأمور.

٢ ــ إسباغ الأرزاق عليهم؛ لكي يتقووا بها على استصلاح أنفسهم واستعفافها عن تناول ما تحت أيديهم، وأن يكونوا حجة عليهم؛ فلا يعذروا بدافع الحاجة والضرورة.

---

١. نفس المصدر، الخطبة: ٥٣، ج ٣، صص ٩٥ ـ ٩٦.

٣ ـ ثم بعد هذين التدبيرين البالغين، يأمر الإمام عليه السلام بتفقد أعمالهم شخصياً، وأن يبعث عليهم من أهل الصدق والوفاء، قائلاً:

«ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم؛ فإن تعاهدك في السر لأمورهم حَدوَةٌ لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان؛ فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانة، اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهدا، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة...»[١]

هذه هي القرارات اللازمة على وزارة الداخلية يقررها الإمام عليه السلام لانتصاب العمال في مختلف الشؤون الدولية.

النظام الطبقي

معاملة الحكومة مع التجار وذوى الصناعات؟

وهناك يأتي بطَرْف من دساتير الحكومة العلوية بالنسبة للتجار وذوي الصناعات قائلاً:

«... ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً: المقيم منهم، والمضطرب بماله، والمترفق ببدنه؛ فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح، في برّك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترؤون عليها؛ فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته. وتفقد أمورهم بحضرتك وفى حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أنّ في كثير منهم ضيقا فاحشا، وشحا قبيحا، واحتكارا للمنافع، وتحكما في البياعات؛ وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة؛ فامنع من الاحتكار؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه، ولْيَكُن البيعُ بيعا سمحا بموازين عدل وأسعار، لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع. فمَن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكّلْ به، وعاقب في غير إسراف...».

١. نفس المصدر، ج ٣، ص ٩٦.

الحكومة العلوية ﵇ والطبقة السفلى:

«... ثمّ اللهَ اللهَ في الطبقة السفلى، من الذين لا حيلة لهم، والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى؛ فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا. واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم. واجعل لهم قِسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد؛ فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى. وكلٌ قد استرعيت حقّه؛ فلا يشغلنك عنهم بطر؛ فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لأحكامك الكثير المهم؛ فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعّر خدك ...»[1]

ليكن القائد الأعظم في متناول أيدي الضعفاء دونما احتجاب عنهم!

«وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال؛ ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالأعذار إلى الله يوم تلقاه؛ فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه. وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه. وذلك على الولاة ثقيل، والحق كله ثقيل؛ وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة، فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم واجعل لذوي الحاجات منك قسماً، تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلسا عاما، فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: لن تقدس أمّةٌ، لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع. ثم احتمل الخرق منهم والعي، ونحّ عنك الضيق والانف، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته. وأعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمال وإعذار...».[2]

---

١. نفس المصدر، ص ١٠١.

٢. نفس المصدر، صص ١٠١ ـ ١٠٢.

الأمور الشخصية للقائد الأعظم، التي لا حول فيها عنه؟

« ... ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها؛ مِنها: إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها. إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك، مما تحرج به صدور أعوانك. وأمض لكل يوم عمله، فإنّ لكل يوم ما فيه، واجعل لنفسك، فيما بينك وبين الله، أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام وإنْ كانت كلها لله، إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية ...».[1]

لا يطولن القائد احتجابه عن الشعب!

«... وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك؛ فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالامور. والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه؛ فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل؛ وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الامور، وليست على الحق سمات، تعرف بها ضروب الصدق من الكذب. وإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخَتْ نفسك بالبذل في الحق؛ ففيم احتجابك؟ من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه؟ أو مبتلى بالمنع؛ فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك! مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لامؤونة فيه عليك، من شَكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة ...».[2]

فأكرِمْ بولاة الحكومة العلوية وأعظِم به قائدا للملة الإسلامية الكبرى! لا يحتجب عنهم في حوائجهم، لا فحسب، بل ويسعى فيها شخصيا في ظُلَم الليل ورمضاء النهار!

فبينا نراه تقطر من سيفه دماء أعداء الدين، إذا يعين امرأة قُتِل أو مات زوجها، يعينها في حوائج بيتها ويدر عليها ما تحتاج إليه...!

---

١. نفس المصدر، صص ١٠٢ ـ ١٠٣.

٢. نفس المصدر، صص ١٠٣ ـ ١٠٥.

فهل تقاس هذه الحكومة العاقلة العادلة بحكامٍ، ذهبت الحكومة بعقولهم؟ أنهم مترفون مسيطرون على الشعب؛ فأخذوا يظلمونهم بشتى ألوان الظلم وأساليب التنكيل؛ فيحتجبون عنهم مخافة أن يُقضى عليهم بظلمهم، ويحذرونهم حذر الأعداء؛ فلا يقومون ويقعدون، بل ولا ينامون إلا وحولهم خواص الحفاظ من الحرس الجند؛ ليضحّوا عنهم ويحفظوهم عن بأس الشعوب المحطمة المظلومة!

رقابة الإمام الشديدة على أمرائه وولاته في شتى الأقطار الإسلامية

إن الإمام لا يرضى من ولاته إلا أن يمثلوا مكانته من الشعب في العدالة والنصفة، وإليكم مِن ذلك ذكرياتٍ:

١ ـ يشنِّع على عثمان بن حنيف عامله على البصرة، حينما يسمع أنه أجاب إلى مأدبة الأغنياء، ولم يُدْعَ إليها الفقراء، فيؤنِّبه أشدّ تأنيب، ويوبِّخه أعنف توبيخ!

... أفلإقامة حق يريدون أن يرشوه بالدعوة، والحق يقام بدون رشوة؟!... أم لإنزال الباطل منزلةَ الحق، وليس للوالي هذه الفعلة الغاشمة ولو أُعطي سلطان الأرض؟! أم كيف يمضي إلى وليمةٍ، يُدعى إليها الثري، ويبعد عنها الفقير والمعوز، وفي ذلك مظهر من مظاهر التفرقة بين الناس، وهذا مما يُحرج ويُجرح قلب عليٍ الحر عليه السلام وقلب كل حر؟!

أجل، وله الحق أن يغاليهم بهذه الدقة والمحاسبة والمراقبة الشديدة، لأنه يدر عليهم إلى حد، لا تبقى لهم حاجةٌ، يضطرون إلى أخذ الرشا والمزيد عن حقوقهم، ولا تحطيم أموال الشعب المسلم وحقوقهم.

يكتب حينذاك إلى ابن حنيف قائلاً:

«أما بعد يا ابن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً، من فتية أهل البصرة، دعاك إلى مأدبة؛ فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان! وما

ظننتُ أنك تجيب إلى طعام قوم، عائلُهم مجفو، وغنيهم مدعو! فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم؛ فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه. ألا، وإن لكل مأموم إماما يقتدى به، ويستضيء بنور علمه! ألا، وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطِمْرَيه، ومن طعمه بقرصيه! ألا، وإنكم لا تقدرون على ذلك! ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد ...»[1]

أجل، إن الوالي إذ أنس بالأغنياء المترفين نسي الفقراء المعوِزين، ولم يبال أن يسخطهم ويتركهم سدىً إذا رضي المترَفون!

٢ ـ يكتب إلى أبي‌موسى الأشعري عامله على الكوفة، حينما يبلغه أنه يثبط الناس عن الخروج إليه، لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل:

«من عبد اللّه علي أمير المؤمنين إلى عبداللّه بن قيس. أما بعد، فقد بلغني عنك قول، هو لك وعليك، فإذا قدم رسولي عليك فارفع ذيلك، واشدُد مئزرك، واخرُج من حجرك، واندب من معك؛ فإن حققت فانفذ، وإن تفشّلت فابعد. وأيم الله لتُؤتَينَّ حيث أنت، ولا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرك، وذائبُك بجامدك؛ وحتى تعجل عن قعدتك، وتحذر من أمامك، كحذرك من خلفك. وما هي بالهُوَيْنَى التي ترجو؛ ولكنها الداهية الكبرى، يركب جملها، ويذل صعبها، ويسهل جبلها؛ فاعقل عقلك، واملك أمرك، وخذ نصيبك وحظّك، فإن كرهت فتنحّ إلى غير رحب، ولا في نجاة؛ فبالحري لَتكفينِ وأنت نائم، حتى لا يقال أين فلان. والله، إنه لحق مع محق، وما نبالي ما صنع الملحدون. والسلام».[2]

١. نفس المصدر، الكتاب: ٤٥، ج ٣، ص ٧٠.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ٦٣، ج ٣، صص ١٢١ ـ ١٢٢.

الإمام يعزل وينصب:

من الولاة من يعزله الإمام لتفريطه فيما ولي، كـأبي موسـى الاشـعري، وكـابن الجـارود العبدي، وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله، وكنفر آخرين أمثالهما.

ومنهم من يعزله على صلاحه وعدله، يستبدل بـه مـن هـو أصـلح منـه وألْيَـق، أو يوليه لما هو أهم ونفعه أعم، لأنه أقوى وأصلح.

١ـ فمن الأخير محمد بن أبيبكر حينمـا يسـتبدل بـه الأشـتر، فمـات فـي الطريـق، يعتذر إليه عزله، ويبين له الوجه في ذلك، قائلاً:

«أمـا بعـد فقـد بلغنـي موجـدتك مـن تسـريح الاشـتر إلـى عملـك، وإنـي لـم أفعل ذلك إستبطاء لـك فـي الجهـد، ولا ازديـادا فـي الجـد. ولـو نزعـت مـا تحـت يدك مـن سـلطانك، لوليتـك مـا هـو أيسـر عليـك مؤونـة، وأعجـب إليـك ولايـة. إن الرجـل الـذي كنـتُ وليتُـه أمـر مصـر، كـان لنـا رجـلا ناصـحا، وعلـى عـدونا شـديدا ناقمـا؛ فرحمـه الله؛ فلقـد اسـتكمل أيامـه، ولاقـى حمامـه، ونحـن عنـه راضون. أولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له...».[١]

وحينذاك، بعد موت الاشتر قبل وصوله إلى مصر، يستبقي الإمام تصرف لواء مصـر لمحمد قائلاً:

«... فأصحر لعدوك، وامض على بصيرتك، وشـمر لحـرب مـن حاربـك، وادعُ إلـى سبيل ربك، وأكثر الإستعانة بالله يكفِك ما أهمك، ويُعِنْك على ما نزل بـك، إن شـاء الله».[٢] أجل، إن الإمام يمدح ويطري محمد بن أبيبكـر فـي ولايتـه فـي حـين، يعزلـه ويستبدل به الأشتر؛ لأنه أليق وأقوى لمجابهـة الأعـداء وتأسـيس الدولـة فـي مصـر. ويكفي له شاهدا ذلك الدستور الدولي الجامع لشتات أسس الملك، الذي يكتبه إليـه، وقد فصلنا القول فيه.

---

١. نفس المصدر، الكتاب: ٣٤، ج ٣، ص ٥٩.

٢. نفس المصدر.

لذلك، إنه عليه السلام يستعيد ولاية محمد عندما مات الأشتر في طريقه إلى مصر، لتشميره الحرب على الأعداء، وأن يصحر للعدو، ويمضي على بصيرة في إمارته؛ لأنه لا يجد أليق منه بعد الأشتر.

٢ ـ ومنهم: عمروبن أبي سلمة المخزومي، عامله على البحرين؛ حيث عزله واستعمل نعمان بن عجلان الزرقي مكانه، قائلاً: «أما بعد فإني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين، ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب عليك؛ فلقد أحسنت الولاية، وأديت الامانة. فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم؛ فقد أردت المسير إلى ظَلَمة أهل الشام، وأحببت أن تشهد معي...».[١]

أجل، إن عزل الإمام ونصبه واستبداله الولاة في المناصب المختلفة الدولية، لم يكن إلا عن صميم الحق وعلى حد اللياقة والقابلية، دون استئثار بشتى الأثرات من وجاهة عائلية أو قوة وثروة أو أيّ عامل، إلا اللياقة فحسب!

لهذا وذياك، إنّ الإمام بينما يقوم بالأمر بانعزال معاوية الطاغية، لا يصغي إلى ما أشير عليه من استبقائه حتى يستحكمَ أمره، ثم يعزلَه؛ حيث إنه ليس ممن يطلب النصر بالجور. لا، ولا آناً قصيراً!

أجل، إن معاوية ليس على شاكلة الحكومة العلوية، بل إنه على النقيض من العدل والدين، لا يريد بحكمه إلا استعادة مجد أمية والقضاء على حكم الإسلام؛ ولذلك يكتب الإمام حينذاك إلى جرير بن عبداللّه البجلي، يرسله إلى معاوية، قائلاً:

«أما بعد، فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالامر الجزم، ثم خيره بين حرب مجلية أو سلم مخزية، فإن اختار الحرب فانبذ إليه، وإن اختار السلم فخذ بيعته. والسلام».[٢]

---

١. نفس المصدر، الكتاب: ٤٢، ج ٣، صص ٦٧ ـ ٦٨.

٢. نفس المصدر، الكتاب: ٨، ج ٣، ص ٨.

وعلى أية حال، لم يكن معاوية ليطيع الإمامعليه السلام، سواءٌ استبقاه رجاءً لما أشير إليه ــ وحاشاه! ـ أو عزله كما فعل؛ فلم تكن هذه الشجرة الملعونة الجهنمية ليمضي على المحجة، ولا ليقبل الحجة.

لقد أخذ الإمام في حكومته الغراء، يعزل ولاة أمية الأجلاف الفساق، ويستبدل بهم من يحق له الحكم، تطبيقا للكتاب والسنة في الشعوب، وأخَذَ يرُدّ كلّ حق، ضُيِّع في خلافة شيخ أمية، إلى صاحبه، كما كان يقول: «... واللهِ، لو وجدته، قد تزوج به النساء وملك به الاماء، لرددته ...»؛[1] فهو بذلك، وأنه كان يمر على مُرِّ الحق دون تخلف عنه قيد شعرة، انتقض عليه أمر الحكم أولاً وأخيراً، وابتلي بمعاوية وأضرابه طوال خلافته، فما دفعه عن حقه إلا ثباتُه على مرّ الحق، وحرصُ مناوئيه على غصبه؛ وكما يقول لبعض أصحابه، وقد سأله: «كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحق به؟»؛ فقال: «... أما الاستبداد علينا بهذا المقام، ونحن الأعلَون نسبا، والأشدّون برسول اللهصلى الله عليه وآله نَوطاً (أي: تعلّقاً)، فإنها كانت أثرة، شحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين! والحَكَم الله، والمَعود إليه القيامة. ودع عنك نهباً، صيح في حجراته، وهلم الخَطْب في ابن أبي‌سفيان؛ فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه! ولا غرو والله، فيا له خطْبا! يستفرغ العجب، ويكثر الأود! حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسد فوّاره من ينبوعه، وجدحوا بيني وبينهم شِرْباً وبيئاً؛ فإن ترتفع عنا وعنهم محن البلوى أحملهم من الحق على محضه، وإن تكن الاخرى ﴿... فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر. ٨] ».

---

١. نفس المصدر، الكلام: ١٥، ج ١، ص ٤٦.

علي عليه السلام ومعاوية

من هو معاوية؟

لقد آل امر الشورى الأولى الجمهوريةَ غير السليمة! والثانيةُ المستبدةَ، والثالثةُ الكائدةَ، إلى تخريج الخلفاء الثلاثة الأولين، ومن جراء سوء تدبيرهم، تأسيسَ الدولة الأموية، بادئةً من خليفة أمية؛ ثم هو الذي يستحكم قواعد عرش أمية حتى يبلي الإسلام والمسلمين بمعاوية الطاغية، تلكم الشجرة الملعونة، التي تهدف، بتصلُّب أعراقها في أعماق الحكم على المسلمين، التخفيفَ عن أعراق الدين، والقضاءَ على حكم القرآن، ما وُجِد إلى ذلك سبيلاً!

وكما أن معاوية كانت كلبة، عوت؛ فاستعوت الكلاب، كذلك هذه الطاغية عوت على عرش متصرفية لواء الشام، فاستوعت كلاب أمية، تهرش على ولي الأمر ومن يواليه!

... دخل شريك بن الأعور على معاوية، وكان دميما، فقال له معاوية: «إنك لدميم، والجميل خير من الدميم، وإنك لشريك وما للّه من شريك، وإنّ أباك أعور، والصحيح خير من الأعور، فكيف سُدت قومك؟!»؛ فقال له: «إنك معاوية، وما معاوية إلّا كلبة، عوت؛ فاستعوت الكلاب! وإنك لإبن صخر، والسهلُ خير من الصخر! وإنك لابن حرب، والسلم خير من الحرب! وإنك لابن أمية، وما أمية، إلّا أَمَةٌ صغرت! فكيف صِرت أمير المؤمنين؟!»[1]

لذلك، يعطي معاوية ألف ألف درهم لعبد اللّه بن جعفر الطيار، أن يسمّى أحد أولاده معاوية، زعماً منه بتخفيف الوطأة، أن كان له سَميٌّ في البيت الهاشمي! لكن خفي عن هذا المغفل المخبط، أن فناء آل هاشم لا يقصر عن أصحاب الكهف، فإن

---

١. المستطرف، ١:٧٢.

كلبهم ـ وهو خير من معاوية ـ ما دنس ساحتهم، فأنى تدنس الأسماء تلك الأفنية المقدسة؟!

هند، أم معاوية، كانت معروفة بالفجور بمكة المكرمة، حتى اشتهر ذلك عنها، ونسب معاوية إلى المسافر، الذي زنى بهند، ولقد كان يُعزى إلى أربعة، منهم: عمارة بن الوليد والصباح، مغنٍ أسود، كان لعمارة.

زياد بن أبيه يجيب معاوية عن تعييره إياه بأمّه سمية: «... وأما تعييرك لي بسمية، فإن كنت ابن سمية، فأنت ابن جماعةٍ»![1]

وسمية هذه، أم زياد، من البغايا المشهورة بالطائف ذات رايةٍ، وهن: هي، ونابغة (أمّ عمر)، وهند (أم معاوية)، وحمامة (أم أبي‌سفيان)، وزرقاء (أم مروان)؛ فقد كنّ من مشهورات البغايا، يُختصم في أولادهن بين الزواني!

يقول أبوسفيان لعثمان بعد ما تسنَّم عرض الخلافة: «صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدِرْها كالكُرة، واجعل أوتادها بني‌أمية؛ فإنما هو المُلك، ولا أدري ما جنَّة ولا نار»!

وخليفة أمية يأتمر أمر أبي‌سفيان، ويجلب بخيله ورَجِله على آل هاشم والصالحين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، ويختص، بالملك والتآمر على المسلمين، جذورَ هذه الشجرة الملعونة، وعلى رأسها معاوية!

من هو أبوسفيان؟

وأبوسفيان، أبوه، هو الذي يجمع رجالاً قبل ذاك من قريش إلى أبي‌طالب، قائلين له: «إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفَّه أحلامنا، وضلل آباءنا! فإما أن تكفه عنا وإما ان تُخلى بيننا وبينه»!

---

١. نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد، ج٤، ص٦٨.

وهو أحد المجتمعين بدار الندوة في التآمر على قتل الرسول الأعظم ﷺ أو نفيه أو تثبية في قعر السجون!

وهو المنفق على المشركين يوم أُحُد أربعين أوقية ذهب، ويستأجر ألفين من بني كنانة ليقاتل بهم رسول الله ﷺ، سوى من استجاش من العرب.

ويلعنه رسول الله ﷺ في صلاة الصبح بعد الركعة الثانية، بقوله: «أللهم العن أباسفيان وصفوان بن أمية والحارث بن هشام»!

ويلعنه في سبع مواطن:

١ ـ يوم لقي رسول الله ﷺ، خارجا من مكة إلى الطائف، يدعو ثقيفا إلى الدين؛ فوقع به، وسبه، وشتمه، وكذّبه، وتوعَّده، وهمَّ أن يبطش به؛ فلعنه الله ورسوله، وصرف عنه.

٢ ـ يوم العير، إذ عرض لها رسول الله ﷺ، وهي جائية من الشام؛ فطردها أبوسفيان، وساحل بها؛ فلم يظفر المسلمون بها، ولعنه رسول الله ﷺ ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها.[١]

٣ ـ يوم أُحُد حيث وقف تحت الجبل، ورسول الله ﷺ أعلاه، وهو ينادي: «أعْلِ هُبَل! أعل هبل!»؛ فأمر ﷺ المسلمين أن يجيبوه: «اللّه أعلى وأجلّ! اللّه أعلى وأجلّ!»؛ فنادى: «إن لنا العُزَّى، ولا عزَّى لكم!»؛ فأمر ﷺ بالجواب: «ألله مولانا، ولا مولى لكم»، ويَومَ... ويوم...[٢]

معاوية بين الكتاب والسنة

إنّ معاوية فرعٌ من هذه الشجرة الملعونة، وقد يضمر العداء على الإسلام ورسالته. ومن مقالاته في ذلك: «**لا والله، إلاّ دفنا دفنا**»!

---

١. بحار الأنوار، ج٣١، ص٥٢١ و ج٤٤، ص٧٧؛ والغدير، ج١٢، ص٩٩؛ و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٦، ص٢٩٠.

٢. للمزيد من التنقيب والحصول على أسانيدها، راجع «الغدير» للعلامة الأميني، ج ١٠، ص ٨١.

يقول لمغيرة بن شعبة: «إنّ أخا هاشم يصاح به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمدا رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله؛ فأي عمل يبقى بعد هذا؟ لا أم لك! لا واللّه، إلا دفنا دفنا!».[١]

يريد أن الهدف الرئيس، من حكمنا على المسلمين، إنما هو دفن الإسلام والقضاء على رسول الإسلام وحكمه!

إن معاوية كان يريد دفن الإسلام وقتله، وفعل وافتعل لتحقيق هدفه؛ حتى قتل أربعين ألفا من المهاجرين والأنصار وأولادهم![٢]

معاوية يسمع المؤذنَ، يقول: «أشهد أن لا اله إلا اللّه»؛ فقالها، فقال: «أشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله رسول اللّه»؛ فقال: «للّه أبوك يا ابن عبداللّه، لقد كنت عالي الهمة! ما رضيت لنفسك إلا أن تقِرن اسمك باسم رب العالمين!»[٣]

وبالأخير، فمعاوية:

أول من باع الخمر وشربها من الخلفاء في إمارته،[٤] حتى كأنّ بيته حانوت خمر ودكة الفجور ودار الفحشاء والمنكر بألوانهما!

وأوّل من أشاع الفاحشة في الملأ الإسلامي!

وأوّل من استحل الربا وأكله، خلافاً لنص الكتاب وضرورة الدين![٥]

ورأى الجمع بين الأختين بالملك، لما ذهب اليه عثمان!

وغيَّر السنة في الديات وأدخل فيها ما ليس منها!

وترك تلبية الحج وأمر بتركها خلافا للإمام عليه السلام![١]

١. كشف الغمة، للعلامة المحقق أبي‌الحسن علي‌بن عيسى‌بن أبي‌الفتح الإربلي، ج ١، ص ٤٢٦.

٢. السفينة، ج ٢، ص ٢٩١، نقلا عن كتاب الهاوية.

٣. السفينة، ج ٢، ص ٢٩٢، نقلا عن ابن أبي الحديد.

٤. أحمد بن حنبل في مسنده، ج٥، ص٣٤٧؛ تاريخ ابن عساكر، ج٧، صص٢١١ ـ ٣٤٦؛ مسند ابن سفيان، الإصابة لابن حجر، ج٢، ص٤٠١؛ الاستيعاب لأبي عمر، ج٢، ص٤٠١؛ أسد الغابة لابن الأثير، ج٣، ص٢٩٩.

٥. موطأ مالك، ج٢، ص٥٩؛ اختلاف الحديث للشافعي هامش كتابه الام، ج٧، ص٢٣؛ سنن النسائي، ج٧، ص٢٧٩؛ سنن البيهقي، ج٥، ص٢٨٠؛ صحيح مسلم، ج٥، ص٤٣؛ تفسير القرطبي، ج٣، ص٣٤٩.

وأول من نقض حكم العاهر، وأحيا طقوس الجاهلية، مع أن الولد للفراش وللعاهر الحجر!

وأول من سن سب الإمامعليه السلام، وقنت به في الصلاة، وجعله سنة جارية! وخلفه الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وشوّه خطب المنابر بهذه البدعة المخزية!

وأول من أنفق الأموال لوضع الحديث وتأويل كتاب اللّه عن مواضعه!

وأول من اشترط البراءة عن الإمامعليه السلام على من بايعه في خلافته الغاشمة أو ملكه العضوض! ومن حُمِل إليه رأسُ الصحابي العادل، عمرو بن حمق، وأدير به في البلاد.

وأول من قتل نساء كل من والى أهل بيت النبيصلى الله عليه وآله، وذبح صبيانهم، ونهب أموالهم، ومثَّل قَتْلاهم، وشتّت شملهم، وفرّق جمعهم، واستأصل شأفتهم، ونفاهم عن عقر دورهم، وأبادهم تحت كل حجر ومدر!

وأول من سلط رجال الشر والغي والجور على صلحاء أمة محمدصلى الله عليه وآله!

وأول من همّ بنقل منبر الرسولصلى الله عليه وآله عن المدينة المشرفة إلى الشام! ولما حرّكه خسفت الشمس؛ فتركه!

وأول من بدل الخلافة الإسلامية إلى شر ملك وسلطان سوءٍ!

وأول من تجبّر في ملكه بلبس الحرير والديباج، وشَرِب في آنية الذهب والفضة، وركب السروج المحلاة بها!

وأول من استمع الغنا، وطرب عليه، وأعطى، ووصل إليه، وهو يرى ويسمى نفسه أمير المؤمنين!

وأول من شنّ الغارة على مدينة الرسولصلى الله عليه وآله حرَمَ أمن اللّه، وأخاف أهليها، وما راعى حرمة ذلك الجوار المقدس!

وأول من هتك دين اللّه باستخلاف جَرْوِه الفاجر المستهتر التارك للصلاة!

---

١. أخرجه النسائي في سننه، ج٥، ص٢٥٣؛ والبيهقي في السنن الكبرى، ج٥، ص١١٣.

يكتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: «انظُروا من أقامت عليه البينة، أنه يحب عليا وأهل بيته؛ فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه»! ويشفَع ذلك بنسخة أخرى: «من اتهمتموه بموالاة هؤلآء القوم فنكّلوا به واهدموا داره؛ فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيّما بالكوفة»!

زياد، متصرف لواء الكوفة، يجمع الناس بباب قصره، يحرّضهم على لعن علي عليه السلام والبراءة منه في المسجد والرحبة؛ فمن أبى ذلك عرضه بالسيف!

معاوية يعطي سمرة بن جندب أربعمائة ألف درهم من بيت المال، على أن يخطب في أهل الشام، بأن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فى الْحَيٰاةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلىٰ مٰا فى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصٰامِ﴾ |البقرة. ٢٠٤ ، نزلت في علي بن ابى‌طالب، وقوله: ﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضٰاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبٰادِ﴾ |البقرة. ٢٠٧ نزل في ابن ملجم، أشقى مراد![1]

لقد صار لعن الإمام عليه السلام سنة جارية في هذه الحكومة، ودُعِم في أيام الأمويين سبعون ألف منبر، يُلعَن فيها أميرالمؤمنين عليه السلام؛ حتى أن عمر بن عبد العزيز لما منع عنها لحكمة عملية أو سياسة وقتية أو غير ذلك، فكأنما جاء بطامة كبرى أو اقترف إثما عظيما!

معاوية في لسان النبي صلى الله عليه وآله:

معاوية لعين الرسول صلى الله عليه وآله

لعنه النبي وأباه، كما عن البراء بن عازب، قال: «أقبل أبوسفيان، ومعه معاوية؛ فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أللهم العن التابع والمتبوع! أللهم عليك بالأقيعس! فقال ابن البراء لأبيه: مَن الأقيعس، قال: معاوية»![2]

---

١. تاريخ الطبري، ج٦، ص١٣٢؛ وساير ما في المتن في أفعال معاوية المخزية، نقلناها من الغدير للعلامة الأميني.

٢. كتاب صفين، ط مصر، ص ٢٤٤.

وعن ابن عباس قال: «كنا مع رسول اللّه ﷺ في سفر، فسمع رجلين يتغنيان، وأحدهما يجيب الآخر؛ فقال ﷺ: انظُروا من هما؟ فقالوا: معاوية وعمرو بن العاصي؛ فرفع ﷺ يديه، فقال: أللهم أركسهما ركساً ودعهما إلى النار دعّا!»[1]

معاوية خارج عن الملة

إن رسول اللّه ﷺ قال: «يطلع من هذا الفج رجل من أمتي، يُحشر على غير ملتي»؛ فطلع معاوية![2]

معاوية من أهل النار

رفع في الحديث المشهور عن النبي ﷺ أنه قال: «إن معاوية في تابوت من نار، في أسفل درك منها، ينادي: يا حنان! يا منان! ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾! [يونس. ٩١]»![3]

النبي ﷺ يهدر دم معاوية

عنه ﷺ مرفوعا: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»! وقال الحسن: «فما فعلوا وما أفلحوا!»[4] وعن أبي‌سعيد الخدري: «إنّ رجلا من الأنصار أراد قتل معاوية، فقلنا له: لا تسَلّ السيف في عهد عمر، حتى نكتب إليه؛ قال: إني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: إذا

---

١. أخرجه احمد في المسند، ج٤، ص٤٢١؛ وأبويعلى، ونصر بن مزاحم في كتاب صفين ص ٢٤٦، ط مصر من طريق أبي برزة الأسلمي، والطبراني في الكبير من طريق ابن عباس، لسان العرب، ج٧، ص٤٠٤ و ج٩، ص٤٣٩.

٢. أخرجه وما في معناه الطبري في تاريخه، ج١١، ص٣٥٧؛ وابن مزاحم في كتاب صفين ٢٤٧ والحافظ البلاذري في ج١، من تاريخه الكبير وقال العلامة السيد محمد المكي: «ان الحديث الاول رجاله كلهم من رجال الصحيح».

٣. تاريخ الطبري، ج١١، ص٣٥٧؛ كتاب صفين ٢٤٣.

٤. كتاب صفين، ص٢٤٣؛ تاريخ الطبري، ج١١، ص٣٥٧؛ تاريخ الخطيب، ج١٢، ص١٨١؛ شرح ابن أبي الحديد، ج١، ص٣٤٨؛ كنوز الدقائق للمناوي ١٠، اللئالي المصنوعة، ج١، ص٤٢٤ ـ ٤٢٥؛ تهذيب التهذيب، ج٢، ص٤٢٨؛ ابن عدى كما في ميزان الاعتدال ورجاله كلهم ثقات، وابن حيان من طريق عباد بن يعقوب.

رأيتم معاوية، يخطب على الأعواد، فاقتلوه! قالوا: ونحن سمعناه، ولكن لا نفعل حتى نكتب إلى عمر؛ فكتبوا إليه؛ فلم يأتِهم جوابٌ حتى مات»![1]

... وإلى غير ذلك من عشرات الكلمات من الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله، يعرِّف فيها معاوية بالنفاق والكفر والفساد، وأنه من أهل النار، ومهدور الدم و...!

معاوية في لسان أمير المؤمنين علي عليه السلام

ثم نرى أمير المؤمنين عليا عليه السلام، وهو أصدق الناس بعد الرسول صلى الله عليه وآله، يصف معاوية في كتاباته إليه وتنديداته به.

فمِن كتاب له عليه السلام إليه، جواباً عما كتبه: «أما بعد، فقد أتتني منك موعظة موصلة ورسالة محبرة، نمقتها بضلالك، وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب امرئ، ليس له بصرٌ، يَهديه، ولا قائد، يُرشده! قد دعاه الهوى؛ فأجابه! وقاده الضلال؛ فأتبعه! فهجر لاغطا، وضلّ خابطا ...»![2]

ومن كتاب له عليه السلام إليه: «أما بعد، فإنا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة؛ ففرق بيننا وبينكم أمس، أنّا آمنا وكفرتم، واليوم أنّا استقمنا وفتنتم! وما أسلم مسلمكم إلا كرها، وبعد أن كان أنف الاسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله حزبا ...».[3]

ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه أنّ: «معاوية كالشيطان الرجيم، يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله؛ فاحذره! ثم احذره! والسلام».[4]

---

١. أخرجه البلاذري قال حدثنا إسحاق بن أبي اسرائيل، حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد.

٢. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٧، ج ٣، ص ٧؛ والعقد الفريد، ج٢، ص٢٣٣؛ الكامل للمبرد، ج١، ص١٥٧؛ كتاب صفين، ص٦٤؛ الامامة والسياسة، ج١، ص٧٧؛ نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج١، ص٢٥٢؛ و ج٣، ص٣٠٢.

٣. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٦٤، ج ٣، ص ١٢٢.

٤. شرح ابن أبي الحديد، ج٤، ص٦٨.

معاوية عدو القرآن والسنة

ومن خطبة له ﷺ، حين أمر أصحابه بالمسير إلى حرب معاوية، قال: «سيروا إلى أعداء السنن والقرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب، قتلة المهاجرين والأنصار». ومن خطبة له ﷺ في الدعوة إلى جهاد الرجل: «نحن سائرون، إن شاء اللّه، إلى من سَفِهَ نفسَه، وتناول ما ليس له، وما لا يدركه (: معاوية) وجنده الفئة الباغية الطاغية، يقودهم إبليس، ويبرق لهم ببارق تسويفه، ويدليهم بغروره».[1]

هذه، وإلى عشرات كهذه، من كلمات أميرالمؤمنين ﷺ حول الطاغية: معاوية! كما ويكتب نفر من اصحاب الرسول ﷺ إليه لعنةالله يكفرونه، ومِن ذلك:

معاوية وثن بن وثن

كتاب قيس بن سعد بن عبادة، أمير الخزرج، إلى معاوية: «أما بعد: فإنما أنت وثن ابن وثن، (أي: وثني ابن وثني) دخلتَ في الإسلام كرها، وخرجت منه طوعا! لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك!»

عزل معاوية وحمله على البيعة

لذاك وذياك، إن الإمام ﷺ لا يرضى تبقية معاوية الطاغية على متصرفية لواء الشام؛ فيكف بالخلافة؟! فرغماً على السياسة الإبليسية، ما ناصحه بها أهلُها، مِن استبقاء معاوية إلى حين؛ حتى يستحكم عرش خلافته، ثم يفعل به ما يريد بعد حين، بالرغم من ذلك، يبدأ في بداية خلافته ﷺ بحَثِّ معاوية على بيعته وخروجِه عن متصرفية اللواء، قائلاً: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه...».[2] يريد بذلك حمله على بيعته إنْ كان يتبع سبيل المؤمنين.

---

١. وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري، ص ١١٣.

٢. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٦ (ومن كتاب له ﷺ إلى معاوية)، ج ٣، ص ٧.

ويكتب ﷺ إليه:

«إن بيعتي شملت الخاص والعام، وإنما الشورى للمؤمنين من المهاجرين الأولين السابقين بالإحسان من البدريّين، وإنما أنت طليق ابن طليق، لعين ابن لعين، وثن ابن وثن، ليست لك هجرة، ولا سابقة، ولا منقبة، ولا فضيلة، وكان أبوك من الأحزاب الذين حاربوا اللّه ورسوله؛ فنصر اللّه عبده، وصدق وعده، وهزم الأحزاب وحده».[١]

ويكتب ﷺ إليه:

«من عبد اللّه، علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي‌سفيان. أما بعد، فقد علمت إعذاري فيكم وإعراضي عنكم (أي: إقامتي على العذر في أمر عثمان صاحبكم، وإعراضي عنه بعدم التعرض له بسوء) حتى كان ما لابد منه ولا دفع له، والحديث طويل، والكلام كثير، وقد أدبر ما أدبر، وأقبل ما أقبل؛ فبايع من قبلك (أي: أنت بمن معك) وأقبل إليّ في وفد من أصحابك».[٢]

ثم يرسل رسوله، جرير بن عبداللّه البجلي، إلى معاوية، يحمله على الفصل والبيعة، قائلاً: «أما بعد، فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل (الحكم المقطوع) وخذه بالأمر الجزم، ثم خيره بين حرب مجلية أو سلم مخزية؛ فإن اختار الحرب فانبذ إليه، وان اختار السلم فخذ بيعته. والسلام».[٣]

أجل، إن الإمام يفصل ويعزل معاوية عن تصرف لواء الشام؛ لأنه يعلم الويلات التي تُخلفها ولايتُه على الإسلام والمسلمين! وإنما تبقيته على تصرفه، ولو ساعةً، هذه رضىً منه ــ وحاشاه! ــ بتدمير المسلمين في تأمُّره، والقضاء على الإسلام في أمره وقضائه.

١. بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٥٧١.

٢. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٧٥، ج ٣، ص ١٣٥.

٣. نفس المصدر، الكتاب: ٨، ج ٣، ص ٨.

معاوية يستبقي حكم الشام

ثم معاوية يكتب إليه عليه السلام، يطلبه البقاء على إمارة الشام! يشترط هذه الشريطة في بيعته الزور، غرورا إليه عليه السلام! يدعوه فيه للشفقة على العرب، الذين أكَلَتْهم الحرب ولم يبق إلا حشاشات أنفس وبقية أرواح! ويخوفه باستواء العدد في رجال الفريقين! ويفتخر بأنه من أمية، وهو وهاشم من شجرة واحدة!

ويَرجع جواب الإمام عليه السلام بالامتناع عما يريد معاوية كما يلي:

«فأما طلبك الي الشام، فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتُك أمس ...»؛[١] حيث لم يكن المنع عن هوىً حتى يتبعه الإعطاء عنها، حسب اختلاف الهوى، وإنما منعتُك منذ البدء بحكم اللّه ورضاه؛ فلن يتبدل حكمه، ولم تتبدل أنت إلى خير حتى يلائمك الأمر على المسلمين! فهل تدعوني إلى الخلاف على حكم اللّه؛ لتوافقني في بيعتك الزور، ولست ممن أُرضِي نفسي بسخط ربي؛ فلا أبتغي عن مرضاته تعالى حولاً ولا عن حكمه بدلاً!

«... **أتأمروني أن أطلب النصر بالجور...؟!**»[٢]

«وأما قولك: إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت، ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة، ومن أكله الباطل فإلى النار! ...».[٣]

فلنَدَعِ الحرب، ولا تزال تأكل من تأكل، فمن أكلته الحرب في سبيل اللّه فهو وليه وإليه المصير وكانت عاقبة أمره الحسنى؛ فله الفضل في ذلك، ولماذا يخاف منه؟!

ومن أكلته في سبيل الطاغوت فهو وليه، فإلى جهنم وبئس المصير!

«وأما استواؤنا في الحرب والرجال، فلست بأمضى على الشك مني على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا مِن أهل العراق على الآخرة ...»![١]

---

١. نفس المصدر، الكتاب: ١٧، ج ٣، ص ١٦.

٢. نفس المصدر، الكلام: ١٢٦، ج ٢، ص ٦.

٣. نفس المصدر، مواصلة الكتاب: ١٧، ج ٣، ص ١٧.

أجل، كيف أستوي أنا وأنت! فإنني أمضي على اليقين وأنت تمضي على الشك، والماضي على اليقين أثبت جأشاً! أم كيف يستوي رجالك ورجالنا؟! ورجالنا أحرص على الآخرة من رجالك على الدنيا؛ حيث يرون إحدى الحسنيين، قاتلين ومقتولين ففي الجنة، ولا يرى رجالك إلا حسنى الدنيا...! فبماذا تخوّفني؟!

«وأما قولك: إنا بنو عبد مناف، فكذلك نحن؛ ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبوسفيان كأبي‌طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل. ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم ...»![2]

فهب أننا جميعا بنو عبد مناف، ولكن اتحاد الأصل لا يقضي باتحاد الفرع. كيف وكل الناس بنو آدم، على اختلافهم في الشِيَم والعقائد والأعمال، كما بين السماء والأرض، وبين البهائم والملائكة!

فأنت مِن أمية وحرب وأبي‌سفيان الطليق اللصيق المبطِل المدغِل، ثم تتبع أسلافك هؤلآء الذين هووا في نار جهنم!

وأنا من هاشم وعبد المطلب وأبي‌طالب، ومهاجرٌ ومِن مهاجر، وصريحٌ ومنه، ومحق ومنه، ومؤمن ومنه... ولقد اتبعتُ رسول اللّه صلى الله عليه وآله اتباع الفصيل لأمّه، ولا أزال أتبعه حتى أموت...!

«وفي أيدينا بعدُ فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز، ونعشنا[3] بها الذليل. ولمّا أدخل اللّه العرب في دينه أفواجا، وأسلمت له هذه الأمة طوعا وكرها، كنتم ممن دخل في الدين، إما رغبة وإما رهبة، على حينَ فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم؛ فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا ولا على نفسك سبيلاً».[4]

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣ . أي: رفعنا.

٤. نفس المصدر.

بعد ذا وذياك، فكيف التلاؤم، وقد تختلف الجذور والكرائم الخُلقية والخَلقية فينا؟! وبماذا تهددني؟ إذ لا أرضى بولايتك على الشام، فإني إلى ربي ذاهب!

ثم اقض العجب من هذا الطاغية، كيف يستجرئ على أميرالمؤمنين عليه السلام في كتاب له إليه عليه السلام ...؟! كتاب يخبأ الدهر منه عجبا، ويملأ منه عَتْبا، يذكر فيه اصطفاء محمد صلى الله عليه وآله لدينه، وتأييده بأصحابه، وأن أفضلهم فلان وفلان. أخذ يرتب مراتب الفضل في الصحابة، ويرجح المفضول على الفاضل؛ دعاية لمن تدعى له الولاية؛ لكي يرجح جانبه على أمير المؤمنين عليه السلام! فيرجع الجواب كما يلي:

«أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاءَ الله محمّداً صلى الله عليه وآله لدينه، وتأييدَه إياه بمن أيده من أصحابه، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً! إذ طفقت تُخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا! فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر![1] أو داعي مسدده إلى النضال! وزعمت أن أفضل الناس في الاسلام فلان وفلان؛ فذكرت أمرا إن تمّ اعتز لك كله، وإن نقص لم تلحقك ثلمته! وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس؟! وما للطلقاء وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم؟! هيهات! لقد حنّ قدح ليس منها،[2] وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها! ألا تُربِع أيها الإنسان على ظلعك؟...»؛ فهلا تقف على حدك، وتبسط يدك، وتطلق لسانك إلى ما ليس لك؟! «وتعرف قصور ذرعك؟ وتتأخر حيث أخرك القدر؟ فما عليك غلبة المغلوب ولا ظفر الظافر! وإنك للذهاب في التيه [: الضلال] روّاغ عن القصد! ألا ترى غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أحدث أن قوماً استُشهدوا في سبيل الله من المهاجرين، ولكلٍّ فضلٌ! حتى إذا استُشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء،[3] وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه! أولا ترى أنّ قوما قطعت أيديهم في سبيل الله، ولكلٍّ فضلٌ؛

---

١. هجر: مدينة بالبحرين كثيرة النخيل.

٢. حنّ: صوّت، والقِدح بالكسر: السهم؛ وإذا كان سهم يخالف السهام كان له عند الرمي صوت يخالف أصواتها، وهو مَثَلٌ يُضرب لمن يفتخر بقوم، ليس منهم.

٣. هو حمزة بن عبد المطلب والقائل رسول الله صلى الله عليه وآله.

حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم،[١] قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين، ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسَه، لذَكر ذاكرٌ فضائل جمة، تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين! فدع عنك من مالت به الرمية؛[٢] فإنا صنائع ربنا، والناس بعدُ صنائعُ لنا. لم يمنعنا قديم عزّنا، ولا عادي طَولنا على قومك، أن خلطناكم بأنفسنا؛ فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم هناك! وأنّى يكون ذلك كذلك، ومنّا النبي ومنكم المكذب! ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف! ومنا سيد شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار! ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب! في كثير مما لنا وعليكم!...» فهذه الفضائل المعدودة وما إليها لنا، وأضدادها المسرودة وشاكلتها لكم! قليل في كثير مما لنا وعليكم! «فإسلامنا قد سمع وجاهليتنا [أي: شرفنا في الجاهلية] لا تُدفع...»؛ فلنا الفضل والسباق عليكم قبل الإسلام وبعده. «وكتاب اللّه يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله: ﴿... وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللهِ ...﴾ [الانفال. ٧٥ و الاحزاب. ٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران. ٦٨]؛ فنحن مرّةً أولَى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة. ولمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلی الله علیه وآله فلجوا عليهم» وظفروا بهم «فإن يكن الفلْج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم!

وزعمتَ أني لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيت؛ فإن يكن ذلك كذلك، فليس الجناية عليك؛ فيكون العذر إليك، وتلك شَكاةٌ[٣] ظاهرٌ[٤] عنك عارُها. وقلتَ: إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش[٥] حتى أبايع![٦] ولعمر الله، لقد أردتَ أن تذُمّ فمَدَحت، وأن

---

١. «واحدنا»: هو جعفر بن أبي‌طالب، أخو الامام علیه السلام.

٢. الرمية: الصيد يرميه الصائد. ومالت به: خالفت قصده فاتبعها، مَثَل يُضرب لمن اعوج غرضه، فمال عن الاستقامة لطلبه.

٣. شكاة بالفتح أي نقيصة وأصلها المرض.

٤. ظاهر، مِن ظَهَر إذا صار ظهراً أى: خلفا، أى: بعيدٌ.

٥. الخشاش ككتاب ما يدخل في عظم انف البعير من خشب لينقاد. وخششت البعير: جعلت في أنفه الخشاش.

٦. طعن معاوية على الامام علیه السلام بأنه كان يجبر على مبايعة السابقين من الخلفاء.

تَفضح فافتضحت! وما على المسلم من غضاضة [١] في أن يكون مظلوما، ما لم يكن شاكا في دينه، ولا مرتابا بيقينه! وهذه حجتي، إلى غيرك قصدُها! ...»؛ لأنك بمكان بعيد عن مَحْتِدِها، منقطع عن جرثومة الأمر ومرماها! «ولكني أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها، ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله؟ أمَّن بذل له نصرته فاستقعده واستكفَّه؟ ...» فهو ذا أنا، لمّا هجم عليه الخطر، الذي منه طلع وإليه رجع، وقبْلَ ذلك! «أمن استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه؟ ...» وهو ذا أنت، وسائر عشيرته الأمويين؛ حيث خذلوه إلى المنون ولم ينصروه حينذاك! «حتى أتى قدَرُه عليه! كلا! واللّه، لقد علم اللّه المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً! [٢] وما كنتُ لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثا؛ [٣] فان كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له، فربَّ ملومٍ لا ذنب له. وقد يستفيد الظِّنةَ المتنصحُ. [٤] وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي الا باللّه، عليه توكلت، [٥] وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي [عندك] إلا السيف! فلقد أضحكت بعد استعبار! متى ألفيت بني عبدالمطلب عن الأعداء ناكلين وبالسيف مخوفين؟! [٦] لبِّثْ قليلا يلحق الهيجاء حَمَلَ؛ [٧] فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مرقل [٨] نحوك في جحفل [٩] من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديدٍ زحامُهم، ساطع

---

١. الغضاضة: النقص.

٢. اقتباس من الاية: ١٨ من سورة الاحزاب.

٣.نقم عليه: عاب عليه. والأحداث: جمع حدث: البدعة.

٤. أي: ربما تنشأ التهمة مِن إخلاص النصيحة عند من لا يقبلها.

٥. إقتباس من الآية: ٨٨ من سورة هود.

٦. ألفيت: وجدت، وناكلين: متأخرين.

٧. لبِّث: أمهل. والهيجاء: الحرب. وحَمَلَ: هو ابن بدر، رجل من قشير، أغير على إبله في الجاهلية فإستنقذها، وقال: «لبث قليلا يلحق الهيجا حمل ❊ لا بأس بالموت إذا الموت نزل»؛ فصار مثلاً يضرب للتهديد بالحرب. (مِن شرح عبده على نهج‌البلاغة).

٨. أي: مُسرعٌ.

٩. أي: الجيش العظيم.

قَتامُهم،[١] متسربلين سرابيل الموت، أحبُّ اللقاء إليهم لقاءُ ربهم، قد صحبَتْهم ذريةٌ بدريـةٌ،[٢] وسيوفٌ هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك[٣] ﴿... وَمَا هِـيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود. ٨٣]»![٤]

إنّ معاويـة، هـذا الداهيـة الطاغيـة لمـا لا يجـد عنـده مـن الكفـاءة فـي مجابهـة الإمام عليه السلام، حينذاك يريد يقضي عليه بقوة المكـر والخديعـة، وشـتى الـدعايات العارمـة عليه، ومِن ذلك: قميص عثمان!

قميص عثمان طيار بكل عار وبوار، معذار للعصاة والثوار!

يجعل قميص عثمان شعارا في دعايته، وجُنة في بغيه وغيّه، ويفتري على الإمام عليه السلام أنـه الذي أمر بقتله، ودعا إلى انفتاك فتله!

فقد يسأله أن يدفع إليه قتلة عثمان؛ فيجيبه الإمام عليه السلام حينذاك قائلاً:

«... وأما ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك، فإني نظرت فـي هـذا الامـر؛ فلـم أره يسعني دفعهم إليك ولا إلـى غيـرك. ولعمـري، لـئن لـم تنـزع عـن غيّـك وشـقاقك لتعرفنهم عن قليل، يطلبونك ...»؛[٥] لأنك قاتِله حقّاً؛ فلتُدفع أنت إليهم، لا هم اليـك! «لا يكلفونك طلبهم فـي بـر ولا بحـر، ولا جبـل ولا سـهل، إلا أنـه طلـبٌ، يسـوؤك وجدانُه، وزَوْرٌ، لا يسرّك لُقْيانُه. والسلام لأهله».[٦]

ولما كثرت على الإمام دعايةُ معاوية في عثمان يكتب إليه، قائلاً:

---

١. أي: منتشرٌ غبارُهم.

٢. من ذراري أهل بدر.

٣ . أخوه حنظلة، و خاله الوليد بن عتبة، وجده عتبة بن ربيعة. راجع نهج البلاغه للصبحي صالح، بتحقيق فـيض الاسلام. (نشر الهجرة، قم، ١٤١٤)، ص ٦٨٣. (م)

٤. نهج‌البلاغة، عبده، الكتاب: ٢٨، ج ٣، صص ٣٢ ـ ٣٣.

٥. نهج البلاغة، عبده، الكتاب: ٩ (ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية)، ج ٣، ص ١٠.

٦. نفس المصدر.

«فسبحان اللّه! ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة والحيرة المتعبة، مع تضييع الحقائق وإطراح الوثائق، التي هي للّه طِلْبةٌ، وعلى عباده حجة. فأما إكثارك الحِجاج في عثمان وقتلته، فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك، وخذلته حيث كان النصر له! والسلام».[١]

فإنما تقنطر استنصارَك لعثمان بعد قتله، نصرَك نفسَك، وأنت الذي خذلته، حينما استنصرك!

يا قميص الشر الثوار!

هاه! كيف يرجع الفتك فتلاً والفتل فتكاً! كيف يُحسب الأمين خائناً، والخائن أميناً! للّه أنت يا قميص المفتوك بفعلته! يا قميص الضر والشر! فقد كنت قبل ذاك تستر على عورة الخلاعة في الخلافة، المبتورة على جثمان ضئيل من خليفة أمية، وأصبحت الآن تنفرد بالثورة لغير جثمانك، وتستر العورة عن غير شأنك!

أصبحت تُثير الويلات بعد انخلاع صاحبك، ويلات لثائرك الأخير، وهو من جرّاء الأول.

أو لم يكف ثانيك ما نصره، واستبقاه أولك، حتى ورَّثه اياك؛ لكي تستبقيه بعده أخذاً بالحائطة لسلطان أمية، فرعون الأمة؛ لكي تزيده خيلاً ورجلاً في صرخته الهدامة العارمة على الإسلام ونبيّه صلى الله عليه وآله، ونعرته الجاهلية الأولى على عمَهِه وعيّه: «لا واللّه، إلا دفنا دفنا...»!

... دَفنتَ خليفة امية خير دفن بمقتله، وأصبحت تنصر سلطانها الطاغية في دفنِ وإخفاق صوت محمد صلى الله عليه وآله!

---

١. نفس المصدر، الكتاب: ٣٧ (ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية)، ج ٣، ص ٦٢.

حرقك اللّه، ومزقك! كما حرقت الإسلام بدعايتك الزور، وقضيت على المسلمين بكل غرور!

لعن اللّه أوّلك وآخرك، ولعن كل طاغية، يتخذ الدين جُنة فيصوِّر النار جَنة!

لعن للّه كل باغية ينشر القرآن بجثمانه، ثم يقضي عليه وعلى برهانه!

لعن اللّه كل طاغية يستجلب الدين بشيء من ظاهره، ويجلب على الدين والدينيين بخيله ورَجله!

يستجلب ظاهرا ضئيلاً خِلواً عن أي لب وحقيقة، وينفي زعماء الدين الروحيين عن أراضي وطنهم!

مؤامرة قاضية على الإسلام، تفكيكا بين القيادة الدينية والسياسية

معاوية يريد ليجعل الخلافة في نسله خلفا بعد خلف، رغما لما اختار اللّه من استخلاف وُلد علي عليه السلام خلفا بعد خلف إلى الإمام الثاني عشر عليهم السلام؛ فأسس حكومة أموية، تُعارض الحكومة المحمدية صلى الله عليه وآله عَبْر الأجيال.

وأول من يبدأ بموافقة استخلافه، جَرْوُه المعلن بالفسق، يزيد، ومغيرةُ بن شعبه؛ حيث أراد معاوية أن يعزله عن متصرفية لواء الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فرأى مغيرة أن يكيده في ذلك؛ استبقاء لحكمه في الكوفة.

ولمّا اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار بدمشق بإحضار منه، دعا معاويةُ الضحاك بن قيس الفهري، أن يستأذنه في ضمن خطبته ويكلم في يزيد واستخلافه؛ ففعل.

كتب معاوية إلى مروان يستمزجه في هذا الاستخلاف، حتى إذا تمكن الرأي ليزيد قام مروان في الناس، يخبرهم برأي معاوية في الاستخلاف، فقام عبدالرحمن بن أبيبكر فقال: «كذب وكذب معاوية! ما الخيار أردتَه لأمة محمد صلى الله عليه وآله! ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل!».

وقام الحسين بن علي عليه السلام في وجه هذه البدعة الهدامة، ينكر ذلك أشدَّ الإنكار؛ فكتب مروان خلافه وخلاف ابن عمر وابن الزبير إلى معاوية؛ فكتب معاوية كتابا إليهم. فكتب إلى الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: ...

كتاب معاوية إلى الحسين عليه السلام

«أما بعد، فقد انتهت إلى امور عنك، إن كانت حقا فقد أظنك تركتَها رغبة فدعها، ولعمر الله، إنّ من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، فان كان الذي بلغني باطلا فإنك أنت أعزل الناس لذلك، وعِظ نفسك، فاذكُر، وبعهد الله أوفِ؛ فإنك متى ما تنكرني أنكرك، ومتى ما تَكِدْني أكِدْك! فإتّقِ شقّ عصا هذه الأمّة، وأن يردهم الله على يديك في فتنة! فقد عرفت الناس وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك ولأمّة محمد، ولا يستخفّنّك السفهاء والذين لا يعلمون».[1]

فانظر إلى هذا الوقِح، كيف ينسب فعلته الغاشمة الكافرة إلى أنها من عهود اللّه ومواثيقه! فهل اشتبه عليه أمرُه أن ادعى الألوهية، أم ادعى أنه نبي، أوحى اللّه إليه بهذا الميثاق، أم يفتري على اللّه الكذب؟!

كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية

حينذاك يكتب الإمام عليه السلام، في جوابه ما يرغمه ويهدده فيما يريد يفتعله مِن بِدَعه الملوكية الوراثية.

«أما بعد، فقد بلغني كتابُك، تذكر أنه قد بلغك عني أمور، أنت لي عنها راغب، وأنا بغيرها عندك جدير؛ فإن الحسنات لا يهدي لها، ولا يسدد إليها إلا الله. وأما ما ذكرت أنه انتهى إليك عني، فإنه إنما رقاه إليك الملاقون المشاؤون بالنميم! وما أريد لك حرباً ولا

---

١. بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٢١٢.

عليك خلافاً؛ وأيم الله، إني لخائفٌ لله في ترك ذلك وما أظن الله راضيا بترك ذلك، ولا عاذرا بدون الأعذار فيه إليك، وفي أولئك القاسطين الملحدين حزبُ الظلمة وأولياء الشياطين! ألستَ القاتلَ حجراً، أخا كندة، والمصلين العابدين؟! الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم! ثم قتلتَهم ظلما وعدوانا من بعد ما كنت أعطيتهم الأيْمان المغلظة، والمواثيق المؤكدة! ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في نفسك! أولست قاتل عمرو بن الحمق، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ العبدَ الصالح الذي أبْلَتْه العبادة؛ فنحل جسمه، واصفرّ لونه، بعد ما أمنته وأعطيته مِن عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأةً على ربك واستخفافا بذلك العهد! أو لست المدعي زياد بن سمية، المولود على فراش عُبَيد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الولد للفراش وللعاهر الحجر! فتركت سنة رسول الله تعمدا، وتبعت هواك بغير هدى من الله! ثم سلطته على العراقين؛ يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل! كأنك لست من هذه الامّة وليسوا منك! أولست صاحب الحضرميين؟! الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم كانوا على دين عليٍّ صلوات الله عليه؛ فكتبت إليه أن اقتُل كلَّ من كان علَى دين عليٍّ عليه السلام؛ فقتلهم ومثّل بهم بأمرك! ودين علي عليه السلام والله، الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك به! جلستَ مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين!

وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، واتق شق عصا هذه الامة وأن تردهم إلى فتنة.

وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعلم نظرا لنفسي ولديني ولأمة محمد صلى الله عليه وآله علينا أفضل من أن أجاهدك! فإن فعلتُ فإنه قربة إلى الله، وإن تركته فإني أستغفر الله لذنبي، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري!

وقلت فيما قلت: إني إن أنكرتك تنكرني، وإن أكِدْك تَكِدني! فكدني ما بدا لك! فاني أرجو أن لا يضرني كيدك فيَّ، وألّا يكون على أحد أضر منه على نفسك؛ لأنك قد ركبت جهلك، وتحرصت على نقض عهدك. ولعمري، ما وفيتَ بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيْمان، والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلَنا، وتعظيمهم حقّنا! فقتلتَهم مخافة أمر، لعلك لو لم تقتلهم مُتَّ قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا. فأبشر يا معاوية بالقصاص! واستيقن بالحساب! واعلم أن لله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها،[1] وليس الله بناسٍ لأخذك بالظِنة، وقتْلِك أولياءه على التهم، ونفْيِك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة، وأخْذِك الناس ببيعة ابنك، غلام حدث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب! لا أُعلِمُك إلا وقد خسرت نفسك، وبترت دينك، وغششت رعيتك، وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل، وأخَفْت الورع التقي لأجلهم! والسلام».[2]

أجل، يا معاوية! لا فتنةَ أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها! ولا أعظم ثوابا من القضاء عليك! أ فتريد استبقاء هذه الفتنة الكافرة بصورة أفضح وأشنع باستخلاف جَرْوِك الفاجر، يزيد المستهتر؟!

أجل، إن ولاية مثلك بَوار على الشعب، والملكية الوراثية، كهذه، بوارٌ على بوارٍ، وظلم على ظلم!

---

١. إشارة إلى الآية: ٤٩ من سورة الكهف.

٢. بحار الانوار، ج ٤٤، صص ٢١٣ ـ ٢١٤؛ وأيضاً: رجال الكشي، صص٤٨ ــ ٥٠؛ الإمامة والسياسة، ج١، ص١٣١؛ جمهرة الرسائل، ج٢، ص٦٧؛ والبحار نقل عن المأخذين باختلاف التعبير.

الملكية الوراثية والجمهورية!

إن الملكية الوراثية العمياء يزيفها ويزيف مكانتَها العقل والدين؛ حيث الوراثة لا تحق إلا في الأموال، لا المناصب الدينية والسياسية؛ لأنها تدور مدار الصلاحية واللياقة أينما وُجِدَت، والوراثة تعمي عن أية مصلحة إلا النسل كيفما كان!

فهذه الملكية أظلم وأطغى من الجمهوريات الظالمة، وتختلف عنها اختلاف الاستبداد الأعمى الصلب الجامد عن التحررية في انتصاب من يريده الشعب للحكم؛ حيث إن الملكية الوراثية المستبدة ما تبقي خيرةً للشعب، أن يختاروا من يستصلحونه للحكم، إلا إذا انقرضت سلسلة منها بلا عقب!

وإن الإسلام حينما يحرِّر الأفراد في حدود مصالحهم الفردية، فيما لا يزاحم المصالح الجماعية، فبالأحرى يحرر الجماعات في استصلاح أمورهم، ومِن أهم ذلك هو الملك والحكم.

فقد يملي، حين افتقاد الرسول والائمة من عترته عليهم السلام، يملي على الرعيل الأول من صلحاء الأمة ووجهائهم، وعلى العلماء الربانيين، أن ينتصبوا للحكم فيهم مَن يرتضيه الدين حاكما بين الأمة المسلمة، أو أن يستنيبوا من غيرهم إن لم يكونوا هم من أهله، يستنيبوا من يطبق أحكام الدين ويمثل قول رب العالمين: ﴿... إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً ... وَزَادَهُ بَسْطَةً فى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ...﴾ [البقرة. ٢٤٧] ؛ فيكون مجمعاً للعلم والقدرة المبسوطين، ومن أهمها علم تدبير الرعية بالعدل والقدرة، على ذلك؛ ويمثلوا قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «العلماء حكام على الملوك، والملوك حكام على الناس» و«السلطان ظل اللّه في الأرض يأوي إليه كل مظلوم».[1]

... فالحكم للّه العليّ الكبير ولمن يمثِّله في العدل والنصفة في خلقه كما يرضاه، ملكا كان أو رئيس جمهورية أو ...

وإنما الشعوب المسلمة حينذاك بين فرضين:

١. بحار الانوار، ج٧٢، ص٣٥٤؛ و ج٧٤، ص١٦٥.

١ ـ انتصاب من يطبِّق الدين بصميمه ولا يخاف في اللّه لومة لائم.

٢ ـ القضاء على الملوك ورؤساء الجماهير مِن الظلمة الطغاة، أو حملهم على العدل والنصفة.

ويقول جلّ وعلا: ﴿... وَلَوْ لا دَفْعُ اللهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ❊ اَلَّذِينَ إِنْ مَكَّنّاهُمْ فِى الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ ـ ٤١].



قول فصل في ألوان الحكم

بين الملكية والجمهورية

إننا لسنا ممن يرجح الجمهورية على الملكية بمجرد الجنسية فحسب؛ حيث المقياس الأول والأخير لحق الحكم وباطله، إنما هو تطبيق حكم اللّه في الأرض وعدمه. فكَم مِن ملِك هو أعدل من الكثير من رؤساء الجماهير، وأعقل وأرأف برعيته! وكم من رئيس جمهورية وحكم جمهوري يمثل حكم الشيطان بكامله، دون رعاية لصالح الشعب، إلا صالح هوساته الجهنمية! كما العكس أيضا كذلك!

هذا، وإنما نروم في ترجيح لون الجمهورية على الملكية من ناحية التعمية في الصلاحية في لون الملوكية والوارثية، دون الجمهورية.

فلو صادف الحكم الملكي عدلاً وتطبيقا للحكم الإلهي فهو الحكم الحق، ولو أن الجمهوري صادف الباطل والحكم الإبليسي فهو الباطل، مهما كانت التعمية في الأول، والانتخاب الدقيق الشعبي في الثاني.

ثــم الانتخــاب فــي الجمهوريــات والصــواب فــي الملكيــات، كــل ذلــك لا نستصوبه إلا ما يمثّل الحق، الأمثل فالأمثل.

أضواء من نظرية الإمام الحسين في الحكم

وفي جواب الإمام الحسين عليه السلام عن كتاب معاوية، نموذج هام من وظائف المسلمين أمـام الحكام، الذين سيطروا على الشعوب المسلمة، أنه لا فتنة أعظم علـى الأمـة الإسـلامية السامية من ولاية أمثال معاوية عليها، ولا أعظم ثوابا من القضاء عليها؛ فالثورة القاضـية على الحكومات اللادينية قربـةٌ إلـى اللّـه تعـالى، والتقاعـد والهـوان عـن ذلـك مأسـاةٌ، تستوجب الاستغفار؛ فإنه ذنب عظيم!

فلـيكن الحـاكم بـين المسـلمين مـنهم وإلـيهم، يـرى أنـه مـنهم وأنهـم منـه، فليعمـل لصـالحهم، دون رعايــة لمصــالحه الشخصــية والعائليــة، إذا اصــطدمت صالح الشعب في قسطاس الحق والعدل.

ليس لحاكم الإسلام إلا بثُّ السلام في المسلمين، والذود عن كرامتهم، والحفـاظ على صالحهم بكامله في الدين والدنيا، في الأموال والأنفس والأعراض، في حقوقهم الشخصية والجماعية.

لـيس لـه إلّا الـدعوة والدعايـة لمـا يـدعو إليـه اللّـهُ تعـالى؛ فتقـديم مـن قدّمـه اللّه وتأخير من أخّره اللّه.

طوابع الثورات الإسلامية

إن الثــورات، التــي تنــدفع بــدافع الإســلام، لا تنحــو منحــى تفــتُّح الــبلاد، والتغلُّــب علــى الحُكــم، والاســتبداد بــالإمرة؛ وإنمــا تهــدف تفــتُّح القلــوب، وانشــراح الصــدور لحكــم الإســلام ومبادئــه الســامية. وتهــدف الــذود عــن حــوزة الإســلام بــبلاده

وشعوبه ومقدساته، التي تحتلها السلطات الجبارة الكافرة والأطماع التوسعية الغادرة.

الحياة الإسلامية

والحياة الإسلامية السامية، أينما كانت، ليست إلا سلسلة معارك وثورات عادلة عاقلة ضد الجور والطغيان، كيفما كانت أعراقه، وحيثما بلغت بها التضحيات بالأنفس والنفائس. **فإنما الحياة عقيدة وجهاد**.

الوظيفة الجماعية للمسلمين

وإذا هوجمت حكومة إسلامية، أينما كانت، بهجمة استعمارية كافرة، فليس فرض الدفاع على تلك الحكومة خاصة؛ إنما هو على كافة الحكومات الإسلامية، ولا سيما إذا لم تكن في تلك الحكومة كفاية الدفاع؛ حيث المسلمون يد واحدة على من سواهم، تسعى بذمتهم أدناهم.

هذا؛ فكيف إذا هوجم الإسلام ومقدساته السامية من قِبَل السلطات الوحشية الأمريكية والصهيونية الملعونة؟



احتلال القدس ـ إحراق المسجد الأقصى

إنني أكتب هذا الملحق لكرّاسي، حينما يمضي على احتلال القدس وسائر الأراضي المقدسة الإسلامية حوالي سنتين، وحين يمضي على إحراق المسجد الاقصى المبارك ثلاثة أيام، وقد أذاعت كافة الإذاعات الإسلامية وغيرها صرخاتها المدوّية بالتنديد الشديد بهذه العملية الوحشية، التي سوّدت وجه التاريخ الإنساني.

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها! أيها الزعماء الروحيون والسياسيون الأحرار!

أيُحرق المسجد الأقصى وتُهتك حرمات الإسلام هكذا، ونحن نحيا سالمين؟!

أيحرق المسجد الأقصى بما فيه من الآثار الإسلامية السامية، ونحن قاعدون؟!

أيحرق المسجد الأقصى المبارك، ثالث الحرمين وثاني القبلتين، ونحن ساكتون؟!

أيُقتل رجالنا، وتُهتك نساؤنا وبناتنا، وتُشرد أطفالنا، وتُخرب بيوتنا في أوطاننا وعلى رؤوسنا، ونحن عائشون؟!

أفمن شرذمة ذليلة كافرة عاتية مشردة، من دويلة العصابات الصهونية الأنكلو أمريكن، من عميلة الاستعمار العالمي، من مليونَي نفرٍ مِن هؤلآء وهم قليلون، ننتكس، نحن المسلمين، على عددنا الضخم؟!

أفإنّ هذه الحربَ حربُ العرب واليهود حتى تنحصر في نطاق العرب، أم إنه حرب الصهيونية العالمية ضد الإسلام والمسلمين؟

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها! أما حان لنا حين النهضة الجماعية الثائرة؟

نهضة الإسلامية خاصة

لا عربية ولا أعجمية! لا سنية ولا شيعية! لا قومية ولا طائفية! ولا عنصرية ولا إقليمية! وإنما هي نهضة إسلامية سامية خالصة، تدمر السلطات الصهيونية الأنكلو امريكن، على تناسي الخلافات والضغائن الطارئة، الخلافات الإقليمية والاقتصادية والمذهبية، وأية خلافات أخرى تفصل بين المسلمين.

فالاختلاف كفر في مذهب القرآن، ولا سيما إذا هوجم المسلمون لأنهم مسلمون، هوجموا في كافة مقدساتهم.

وأنا الآن ـ حين أحضر كتابي هذا للطبعة الثانية ـ أسمع ليلَ نهار ضربات القنبلات الإسرائيلية تضرب القرى الآمنة اللبنانية السورية، وليس هنا من دافع!

عوامل النكسة:

فمن عوامل انتكاسة المسلمين العرب، أنهم اعتبروا هذه الحرب عربية، وهم على قلتهم بين المسلمين لا يعتصمون بحبل الوحدة، ولا يعدون ما استطاعوا من قوة، وبين زعمائهم عملاء خَوَنة.

نجد في هذه الأيام بطولات من المجاهدين السوريين، زادهم اللّه قوة وصموداً، وكسر ثورة أعداء الإسلام، الألداء الصهاينة المجرمين! آمين!

وأنا في هذا الطابق الثالث، أسمع صرخات الفلسطينين في انتفاضتهم ضد السلطات الصهيونية، التي تساندها القوات الأمريكية! وأخيراً صرخات المسلمين العراقيين بعد الاحتلال الأمريكي الغادر، شرّاً على شرّ الصدامية الغادرة! ظلماتٌ بعضها فوق بعض! تحريراً في ظاهر الأمر للعراقيين عن صدام، واحتلالاً أمريكيا كصدم ثان! فعلى المسلمين أجمع تقديم ما استطاعوا من طاقات إسلامية موحّدة، تخليصاً لأقصى المراحل، المسجد الأقصى وما حوله من الأراضي المغتصبة، والعراق، لساير الأيادى عن اللمس من كرامة المسلمين، وإعدادا لظهور وليّ الأمر عجل اللّه تعالى فرجه الشريف.



توجيه إسلامي هام

نلفت أنظار المسلمين، بحكوماتهم وشعوبهم، الروحية والسياسية بما يلي:

أيها المسلمون! إن الخطر لعظيمٌ عظيم! ولا دافع الا اللّه، ولا يدفع عنا وينصرنا قبال أعدائنا إلا أن ننصر دينه ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ

أَقْدٰامَكُمْ﴾ [محمد. ٧]، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ ...﴾ [آل‌عمران. ١٦٠] ـ وألّا نعتصم إلّا بحبل اللّه جميعا ولا نتفرق.

ألا، وإن هذا الحبل المتين هو القرآن العظيم! فعلينا الاعتصام به علميا وعقائديا وعمليا في شتى مجالاتنا الحيوية، اعتصاما مندغماً في ناحيتين، الطولية والعرضية:

١ ـ أن نجعل القرآن إمامنا الوحيد، وأمامنا في مختلف المجالات.

٢ ـ أن ندعم الوحدة العريقة الأخوية فيما بيننا، على دعائم التقوى والقيام للّه. ﴿قُلْ إِنَّمٰا أَعِظُكُمْ بِواٰحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنىٰ وَفُرٰادىٰ ...﴾ [سبا. ٤٦]

ألا، يا زعماء المسلمين من روحيين وسياسيين! حققوا الصرخة المدوّية في الذكر الحكيم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ...﴾ [آل‌عمران. ١٠٣]

جمِّعوا وركّزوا كافة الطاقات والإمكانيات ضد الاستعمار المثلث الصهيوني الانكلو أمريكن: ﴿وَلا تَهِنُوا فى ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمٰا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مٰا لا يَرْجُونَ ...﴾ [النساء. ١٠٤].

ألا، أيها المسلمون! أيها الفدائيون الانتفاضيون الأحرار! كونوا صامدين في الخطوط الأمامية، معركة المجد والشرف، فإلى خط النار للأخذ بالثأر والقضاء على العار، إلى الأراضي المقدسة، إلى المسجد الاقصى المحروق وإلى العراق!!

﴿يٰا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلىٰ أَدْبٰارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خٰاسِرِينَ﴾[المائدة. ٢١] دمّروا القوات الإسرائيلية المعتدية! جوسوا خلال الديار لتدميرهم وتشريدهم من تلكم الديار الإسلامية الطاهرة، كما قَتلوا رجالكم وهتكوا حرماتكم وشردوا ذراريكم! فهذه بيوتكم خاوية بما ظلموا! ودياركم خالية بما شردوا!

هذه أراضيكم المقدسة ملونة بدماء الأبرياء، من إخوانكم وأخواتكم! ﴿وَمٰا لَكُمْ لا تُقٰاتِلُونَ فى سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجٰالِ وَالنِّسٰاءِ وَالْوِلْدٰانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنٰا أَخْرِجْنٰا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظّٰالِمِ أَهْلُهٰا وَاجْعَلْ لَنٰا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنٰا مِنْ لَدُنْكَ

نَصِيراً﴾ [النساء: ٧٥] فكونوا أنتم الأحرارَ والأولياء الأنصار، الذين تواصلون التضحيات بالنفس والنفيس، لاسترجاع قدس الإسلام وقدسياته السامية، لاسترجاع العراق إلى حكم إسلامي سام، لاسترجاع المجد المحطم: ﴿أَلا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ ... وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ [التوبة: ١٣]، ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ...﴾ [التوبة: ٤٨]، ﴿وَقاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلّا عَلَى الظّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

فيا لهذا الواقع المرير! هذه الظروف المُرّة التي تمر على الإسلام والمسلمين!

يا لثارات إخواننا وأخواتنا وذرياتنا!

يا لثارات الإسلام والمسلمين والمجد المحطم تحت نير الذل!

... انني بصفتي ممثلاً روحيا للحوزة العلمية الإسلامية وعضوا من كيانها، أستنهض المسلمين في أقطار الأرض للثورة المدمِّرة على السلطات الصهيونية الانگلو الأمريكن.

... فقد واللّه، سودت هذه الانتكاسة، في حرب الايام الستة وسواها، وجهَ التاريخ الإسلامي المنير، وأخيرا إحراق المسجد الاقصى المبارك أحرق قلوب وأكباد المسلمين الأحرار! فإلى الانتفاضة حتى النصر الكامل، وجديداً تحرير العراق من الأمريكان المحتلين!

ألا، فأحرقوا الصهاينة المجرمين ومَن يساندهم! وجوسوا خلال الديار للانتصار منهم! واسترجعوا مجد الإسلام!

ثورة إسلامية في ضوء الإسلام

وإنني، باسم الإسلام، أرجو من إخواننا العرب في كل مكان ــ حكوماتٍ وشعوباً ــ أن يرفضوا كلمة «العالم العربي» عن الإذاعات والجرائد، ويستبدلوا بها كلمة الإسلام؛ فـ﴿...كَلِمَةُ اللّهِ هِى الْعُلْيا...﴾ [التوبة: ٤٠].

فإلى الأمام باسم اللّه الواحد القهار، باسم الإسلام، جهاداً في سبيل اللّه، إلى إحدى الحسنيين، إلى خط النار والأخذ بالثار.

وأخيرا أعلن للجميع، وكما أعلنت في خطاباتي العالمية في مسجد الكوفة وصحن الكاظمين الشريفين، أعلن: أننا لا ننتصر إلا برفض كافة الميزات: قومية، وطائفية، وعنصرية؛ والإقبال على كلمة التقوى، وتطبيق القرآن العظيم؛ واللّه من وراء القصد.

أللهم إنا نشكو إليك فَقْدَ نبيِّنا، وغيبة ولينا، وشدة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا! أللهم وفقنا للجهاد في سبيلك، والعمل بطاعتك، ولاستقامة الحكومة العلوية الغراء، الحكم الخالد الاسلامي المحمدي (عليه وآله أفضل الصلوة والسلام)! أللهم أدخلنا في حزب الإمام الحسين عليه السلام! آمين!

ولقد ألّفت هذا الكتاب الشريف بالنجف الأشرف سنة ۱۳۸۹ هجريّة قمريّة، وقد منع صدام عن طبعه في النجف الأشرف؛ فطُبع مرّتين في بيروت؛ ومن ثَمَّ يُطبع الآن لمرة ثالثة مع إصلاحات وإضافات في بيروت في سنة ١٤٢٥ هجريّة قمريّة على هاجرها وآله آلاف التّحية والسّلام.[1]

قم المقدسة ـ محمّد الصّادقي الطّهراني
الهاتف: ۰۰۹۸۲٥ ۳۲۹۳٤٤۲٥
طريق التواصل القرآني مع مكتب المؤلّف:
www. forghan.ir
Email: sadeghi@forghan.ir



۱. وحالاً، بعد وفاته رحمه‌الله، سيطبع للمرة الرابعة سنة ١٤٣٥ هجرية قمرية. طبعة منقحة محرّره. دام ذكره وطاب ثراه. (م)

نبذة عن حياة
آيةالله العظمى، العلامة، الإمام الصادقي الطهراني رحمه الله وسيرته:

ولد آية الله العلامة محمد الصادقي (١٣٠٥هـ. ش/١٣٤٤هـ. ق/١٩٢٦م) بمدينة طهران وترعرع في أسرة علمائية. والده، الحاج الشيخ رضا لسان‌المحققين، من كبار خطباء إيران وهو في صدر المجاهدين ضد الحكومة البهلوية. أمضى محمد الصادقي فترة طفولته وصباه تحت رعاية والده العالم المؤمن، وهو أول معلم أخذ يهتم تربيته وتعليمه، فسجل اسمه ـ وهو ولد الخمسة ـ في مدرسة «الإسلام» وانبرى يعرفه تعليمات إسلامية من أوان طفولته. بعد التخرج من المدرسة الثانوية وعمره آنذاك أربع عشرة سنة، فقد اشتد فكرة تعلم العلوم الإسلامية فيه، فورد مدرسة «سپهسالار» العلمية، منهمكا في دروس المقدمات، وبخاصة الأدب العربي. ثم التحق بمحاضرات عرفانية وأخلاقية للعارف الكبير، آيةالله الشاه‌آبادي رحمه الله. كان السيد الشاه آبادي يلقي دراساته في جميع الفروع العلمية ـ أخلاقا كان أم فلسفة أو عرفانا ـ بالتركيز على القرآن، وبالتالي فقد أثر هذا المنهج الدراسي تأثيرا بالغا في روحه؛ فجعل القرآن وأبحاثه العميقة مصدرا أساسا مرجعيا في جميع الحقول العلمية وفي جميع أبعاد حياته. ثم توجه الصادقي إلى قم المقدسة، تزامنا مع الحرب العالمية الثانية وهرب الشاه رضا البهلوي. ثم اضطره الابتعاد عن الاستفاضة من ذلك البحر الضخم الروحاني ـ السيد الشاه آبادي ـ أن يلفي رجلا يشابهه ويقاربه. فبالنتيجة شارك محاضرات السيد الخميني. بيد أنه كان في بداية شبابه، يدرك أبحاث ذلك الفيلسوف العارف بسهولة، حتى لقبه السيد الخميني بـ«شاه آبادي الصغير».

ثم تلألق في أبحاث المرجع الكبير آيةالله العظمى البروجردي في الفقه و متعلقاته وأخذ يدلي بآرائه الفقهية، ولكن بما كان تركيز أفكاره ودراساته بآي القرآن العظيم من قبل، فكان له نظريات مختلفة عن الباقين؛ إذ كان يعرض جميع الآراء والنظريات على كتاب الله، بعد أنه كان يرى الكتاب بجميع آيه الكريمة ذا اتحاد واتصال، ولم يجعل القرآن عضين بأن يختص الفقه بآيات خاصة قلائل.

وكان يهتم بالجهاد ومكافحة الحكومات الفاسدة والنهي عن المنكر بكل بسالة وإخلاص، بما يستحيل أن نحكيه في سطر واحد، فقد قضى سنوات طويلة من عمره في المنفي من قبل حكومة الشاه والصدام والسعودية.

وله آثار كثيرة قيمة في الفروع والعلوم المختلفة، وأفضلها وأكثرها قيمة وبقاء تفسير «الفرقان» الكبير وهو بالغ ثلاثين مجلدا.

ثم وافته المنية في ١٥ ربيع الثاني من ١٤٣٢ هـ. ق، عن عمر ناهز عن ٨٥ عاما، والسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا.

من مؤلفات سماحة الشيخ آيةاللّه العظمى الصادقي الطهراني رحمه الله باللغة العربية

* «الفرقـان» فی تفـسير القـرآن بالقرآن والسّنّة «٣٠ مجــلداً».

* الفرقان فی تفسير الموضـوعي بالقرآن والسّنّة «٣٠ مجـلّداً»؛

(المجلد ١ و ٢): اللّه، بين الكتاب والسّنّة وسائر الكتب السّماوية
(المجلد ٣): القرآن وسائر كتابات الوحي
(المجلد ٤ و ٥): محمّـد رسول‌الله صلی الله علیه و آله
(المجلد ٦ و ٧): البرزخ والمعاد
(المجلد ٨ و ٩): الأخلاق والأدعيه
(المجلد ١٠): العرفان
(المجلد ١١): أولياء الامور بعد الرسول‌الأعظم صلی الله علیه و آله
(المجلد ١٢): خلفاء الرسول صلی الله علیه و آله
(المجلد ١٣): آدم ونوح علیهما السلام
(المجلد ١٤): ابراهيم واوصياؤه علیهم السلام
(المجلد ١٥): موسى علیه السلام
(المجلد ١٦): موسى علیه السلام ورسل معه وبعده علیهم السلام
(المجلد ١٧): عيسى علیه السلام
(المجلد ١٨): الإنســان والدّنيـا
(المجلد ١٩): الحياة بين الشياطين من الجنّة والناس
(المجلد ٢٠): السياسة الإسلامية
(المجلد ٢١): العلوم التجريبيّة
(المجلد ٢٢): اصول‌الإستنباط
(المجلد ٢٣): الفقه المقارن؛ أحكام وضوابط عامة
(المجلد ٢٤): الفقه المقارن؛ الحكومة العالمية والعلم
(المجلد ٢٥): الفقه المقارن؛ الطهارة والصلاة
(المجلد ٢٦): الفقه المقارن؛ الصوم والحج
(المجلد ٢٧): الفقه المقارن؛ النــكاح والطـلاق
(المجلد ٢٨): الفقه المقارن؛ الإقتصادات الإسلامية
(المجلد ٢٩): الفقه المقارن؛ الصيد والذباحة، الوصية الميراث، الشهادات، القصاص، الحدود والديات
(المجلد ٣٠): الفقه المقارن؛ الدعوة الى‌الله تعالى

❊ «البـــــلاغ» في تفسير القرآن بالقرآن

❊ دليل الفرقـــــان فى تفسير القرآن

❊ عقـــــائدنا (بحوث مقارنة بصورة الحوار بين القرآن والتوراة والإنجيل)

❊ المناظرات بين الإلهيين والماديين

❊ حوار بين اهل الجنّة والنّار

❊ الفقهـاء بين الكتاب والسّنّة

❊ «حوار» بين الإلهيين والماديين

❊ المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية

❊ غَوصٌ في البِحـــــار بين الكتاب والسّنّة

❊ رسول الإسلام في الكتب السّماوية

❊ تاريخ الفـكر والحضارة

❊ عليٌّ والحاكمون

❊ فتـــياتنا

❊ أين «الكراسة»

❊ مقارنـات فقهيّة

❊ على شاطىء الجمعة

❊ تبصرة الفقـهاء بين الكتاب والسّنّة

❊ تبصرة الوسيـــلة بين الكتاب والسّنّة

❊ لماذا نصلّى ومتى نقصر من الصّلاة؟

❊ لماذا انتصرت اسرائيل ومتى تنهزم؟

❊ شذرات الوسائل والوافي

❊ حق الفرقان رداً على الفرقان الحق

❊ المســــافرون

❊ ❊ ❊

من مؤلفات سماحة الشيخ آيةاللّه العظمى الصادقي الطهراني رحمه الله باللغة الفارسية

❊ ترجمان وحی (ترجمهٔ فارسی و تفسیر مختصر قرآن‌کریم)

❊ ترجمان فرقان (تفسیر مختصر قرآن‌کریم ـ پنج جلدی)

❊ رســـالهٔ توضیح‌المسائل نویـن

❊ بشـــارات عهدین

(در آنچه پیمـبران الهی راجع به پیـمبر اسلام پیشـگویی‌کرده‌اند).

❊ نقدی بر دین پژوهی فلسفهٔ معاصر؛

(نقدی قرآنی بر دانش هرمنوتیک و پلورالیسم دینی و قبض و بسط تئوریک شریعت).

❊ ستـــارگان از دیدگاه قرآن

❊ اسرار، مناسك و ادلّهٔ حـــجّ

❊ فقه گویا

(فقه سنتی، فقه پویا و فقه بشری ـ نگرشی مختصر در سراسر فقه اسلامی)

❊ آفریدگار و آفریده؛

(گفتگوی خداپرستان با مادی‌گرایان پیرامون آفریدگار و آفریده)

❊ نگاهی به تاریخ انقلاب اسلامی ۱۹۲۰عراق و نقش علماء مجاهدین اسلام

❊ ماتریالیسم و متافیزیك؛ (ترجمه حوار بین الهیین والمادیین).

(گفتمان خداپرستان با مادی‌گرایان دربارهٔ اصل توحید)

❊ برخورد دو جهان‌بینی (خلاصه ترجمه حوار بین الهیین والمادیین)

❊ نگرشی جدید بر نماز و روزه مسافران

(بحث بی‌نظیر فقهی پیرامون حرمت کاستن از نماز و ترک روزه در سفر).

❊ آیات رحمانی؛ (در پاسخ به کتاب آیات شیطانی)

❊ حکومت قرآن و جلوهٔ آن در میان کتب آسمانی

❊ حکومت صالحان یا ولایت فقیهان

* حکومت مهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف
* دعاهای قرآنی
* گفت‌وگویی در مسجدالنّبی صلی الله علیه و آله
* مسیـح علیه السلام از نظر قرآن و انجیل
* قرآن، تورات، انجیل و خاتم پیمبران صلی الله علیه و آله
* سپاه نگهبانان اسلام: امر به معروف و نهی از منکر
* مفت‌خواران از دیدگاه کتاب و سنّت علیهم السلام
* علم قضاوت در اسلام از دیدگاه کتاب و سنّت علیهم السلام
* نگرشی جدید بر حقوق بانوان در اسلام از دیدگاه کتاب و سنّت علیهم السلام
* نماز جمعـــه
* نماز مسافر با وسایل امروزی
* پرسش و پاســخ‌های احکام قضایی بر مبنای قرآنی
* أیـــن؟ شرح و تفسیر فرازهای مهمی از دعای ندبه
* پیروزی اسرائیل چرا و شکست آن کی؟
* تفسیر سورهٔ حمـد (ترجمه فارسی تفسیر الفرقان)
* علم اصول در ترازوی نقد
* قرآن و نظام آموزشی حوزه
* مفسدین في الارض
* پاسخ به اتهامات مکتوب

❊ ❊ ❊

الكتب الجديدة النشر

* ترجمان فرقان (تفسير مختصر سورهٔ نجم)، (تفسير مختصر سورهٔ يونس)، (تفسير مختصر سورهٔ نوح)، (تفسير مختصر سورهٔ حجرات)، (تفسير مختصر سورهٔ واقعه)، (تفسير مختصر سورهٔ ابراهيم)، (تفسير مختصر سورهٔ مريم)، (تفسير مختصر سورهٔ ياسين)، (تفسير مختصر سورهٔ لقمان)، (تفسير مختصر سورهٔ يوسف).
* وصيت و ارث از ديدگاه كتاب و سنّت عليهم السلام
* طهارت و نجاست (۱)، از ديدگاه كتاب و سنّت عليهم السلام
* طهارت (۲)، وضو، غسل و تيمم از ديدگاه كتاب و سنّت عليهم السلام
* مجموعه مقالات وسخنرانی‌های اولين همايش بيداری قرآنی در تاريخ معاصر، ۱۳۹۱
* مجموعه مقالات وسخنرانی‌های دومين همايش بيداری قرآنی در تاريخ معاصر، ۱۳۹۲
* مجموعهٔ سی‌دی و دی‌وی‌دی‌های آثار در قالب نرم‌افزار و پی‌دی‌اف، صوتی و تصويری.
* علی و زمامداران (ترجمهٔ كتاب عليٌ والحاكمون)
* تاريخ انديشه و تمدن (ترجمهٔ كتاب تاريخ الفكر والحضارة).
(بررسی نقش سازندهٔ اديان توحيدی به ويژه دين خاتم در ايجاد يا اصلاح انديشه و تمدن)



جامعة علوم القرآن

پايگاه تخصصی علوم و معارف قرآن كريم

تلفن: ۳۲۹۳۴۴۲۵ -۰۲۵

....

انتشارات شكرانه

مركز نشر آثار آيت‌الله‌العظمی دكتر محمّد صادقی‌تهرانی رحمه الله

تلفن: ۳۲۹۲۵۴۹۹ -۰۲۵ / نمابر: ۳۲۹۲۴۸۶۷ -۰۲۵

....

نمايشگاه دايمی و مركز پخش آثار و تأليفات
حضرت آيت‌الله‌العظمی دكتر محمّد صادقی‌تهرانی رحمه الله
قم، بلوار امين، كوی ۲۱، پلاک ۷

....

www.forghan.ir
email: Sadeghi@Forghan.ir